

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجهاد الأفغاني في منظور الشعراء العرب

(١٩٧٩م - ١٩٩٤م)

رسالة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها

عزة محمد إبراهيم حسن

قسم اللغة العربية

كلية الدراسات الإسلامية واللغات

بجامعة بهاء الدين زكريا بملتان

العام الجامعي ١٩٩٧م

الجلد الأول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إقرار

أقر أنا الباحثة بأنني لم أقم بتقديم هذه الرسالة التي بعنوان :

﴿ الجهاد الأفغاني في منظور الشعراء العرب ﴾

بين الأعوام

(١٣٩٩ هـ - ١٤١٤ هـ / ١٩٧٩ م - ١٩٩٤ م)

لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية إلى أي جامعة أخرى سواء داخل
الباكستان أو خارجها . كما أنني أتعهد بأن لا أقدمها إلى أي جامعة أخرى
مستقبلا . كما أن هذه الأطروحة لم يتقدم بها أحد من قبلي .

الباحثة

عزة محمد إبراهيم حسن

كلمة الافتتاح

الحمد للجبار الذي زلزلت جنوده عرش الشيطان . والشكر للعزیز الذي هزم بقوته أهل الكفر والعصیان . والحمد للقادر الذي حكم بقتال من عظم الأوثان . والحمد للقوي الذي سن الجهاد لمحاربة الشرك والطغيان .

اللهم هب لنا قوة الإيمان ، وقوة الأبدان ، لنقاوم بها أعداء الدين . ولا تخزنا أمام الكافرين الملحدين فانت القاتل : ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾^١ .

وصل اللهم على عبدك وبيك محمد إمام المهتدين ، آخر الأنبياء وأفضل الأصفياء وخاتم المرسلين .

وارض اللهم وبارك على كل مجاهد في سبيلك ، وداع بدعوتك ، وكل مهتد بقرآنك ، ومتأس برسولك ، وحام لأرضك ، وكل من حرس الثغور ، وعبر الجسور من أجل نصرتك قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ، لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾^٢ .

لا تسلني*

" رب قول أعظم من صول "

فاق في الناس سُيوفاً ورماحاً	لا تسلني كيف ألهمت الصُّدَاحاً
قد أحال الشعر نبضاً وكفاحاً	لا تسلني رب قول صادق
ويداوي الضيم فينا والجراحا	يستثير العزم في دعوتِهِ
وأريج كأريج المسك فاحاً	صادق الشعر له في الكون عطرٌ
في تغاضينا حماها المستباحا	لا تسلني أمّي أرهقها
تنشر التضييل والكفر البواحا	والزعامات التي تلهو بها

^١ سورة الأنفال آية ٥٨ .

^٢ سورة البقرة آية ٢٥١ .

^٣ من ديوان يا أمة الحق ص ٢١١ ، ٢١٣ .

أَبْشِرِي فَالْخَيْرُ فِي أَمْتِنَا أَنْجَيْتَ خَالِدَ فِينَا وَصِلَا
فَقَدْ يُرْضِيكَ مِنْهُمْ فَتِيَّةٌ عَقَدُوا الْعَزْمَ غُدُوًّا وَرَوَا
وَالْجِهَادُ الْحَقُّ آتٍ فَجَرُهُ يَا لِفَجْرِ النَّصْرِ وَالْتَحْرِيرِ لَاحَا
لَا تَقُلْ يَا صَاحِبَ إِنَّ الشُّعْرَ قَوْلٌ كَمْ أَثَارَ الشُّعْرُ وَالْقَوْلُ السَّلَاحَا

إنّ لجهاد الأفغان أثراً بارزاً في تاريخ الأمة الإسلامية في القرن العشرين ، لا من الناحية السياسية فحسب بل ولد أدبا شعريا عربيا له مكانة متميزة في أدب الشعر العربي المعاصر ، وذلك خلال الفترة من سنة (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م) وامتدت إلى سنة (١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م) لذلك جعلته موضوع دراستي .

فقد نشط الشعراء في بعث الحمية في نفوس المسلمين واستنهاض هممهم للجهاد وتقوية عزيمتهم واسترداد بلادهم . كما نشط الشعراء كذلك في تسجيل الوقائع ، ووصف أحداثها ، ومدح القادة المجاهدين الذين أبدوا بسالة ومهارة في هذه الحروب . ولذا وجدت أن شعر الجهاد في فترة الجهاد الأفغاني يستحق دراسة علمية وافية ، تبرز جوانبه المتعددة ، وتحدث عن خصائصه ومميزاته . وقد كنت أعرف منذ البداية أن هذا العمل تكتفه صعوبات عديدة منها .
أن الدارسين المحدثين لم يتطرقوا إلى هذا الموضوع بشكل مفصل ، بل اكتفوا بإشارات عابرة عنه ، لا تعطي القارئ أو الباحث صورة واضحة عن شعر الجهاد ، وأهميته ، ودوره في معارك التحرير .

ومن الصعوبات التي واجهتني كذلك ندرة المصادر العربية الإسلامية القديمة التي تشير إلى شعر الجهاد، فكنت في بعض الأحيان أقرأ كتابا بأكمله فلا أجد فيه شيئا يتعلق بموضوعي ، وأحيانا أخرى لا أجد إلا القدر اليسير . وهكذا وجدت نفسي أقصد شطر الدواوين العربية الإسلامية القديمة ، أتلّس فيها قصائد الجهاد، وأحداث الحروب ، وتراجم الشعراء ، وقمت بعدة اتصالات لكثير من الأقطار العربية وغيرها ، واطلعت على كثير من الدواوين التي كنت أرجو أن أجد فيها شيئا عن هذا الموضوع ولكن ما وجدته لا يفي بالغرض .

ونظرا للأهمية الكبرى لموضوع (الجهاد الأفغاني في منظور الشعراء العرب) كان لابد من دراسته دراسة علمية منهجية سليمة معتمدة على المصادر العربية وغيرها التي سخرها الله عز وجل لي لإلقاء أضواء جديدة وحيوية على هذا الموضوع .

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن أقسمه إلى مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة ، وذيلت

الموضوع بالفهارس الفنية وقائمة المصادر والمراجع .

أوضحت المقدمة أهمية الجهاد في الإسلام ، ودوره في حياة المسلم في الدنيا والآخرة .

كما بينت بالمقدمة أيضا سبب اختياري منطقة أفغانستان لتكون مجالاً للدراسة شعر الجهاد ، وللشعراء العرب خاصة .

خصصت الباب الأول للحديث عن دراسة تأريخية إعلامية جهادية عن أفغانستان .

قسمت الباب الأول إلى فصلين ، تناول الفصل الأول لمحة تأريخية عن أفغانستان متضمنة العنوان والموقع الجغرافي ، والبيئة البشرية ، والأزمة التي وقعت فيها المعارك وصولاً إلى دخول الإسلام إلى أفغانستان حتى العصر الحديث إلى أن وصل الاحتلال الروسي هناك ، ومن ثم الانتصارات التي وهبها الله إياهم . وقمت بإيضاح الأحداث الكبرى في هذا الصراع ابتداءً من سقوط أفغانستان في أيدي الشيوعيين والاتحاد السوفيتي ، وانتهاءً بخروجهم من آخر جزء من بلاد أفغانستان .

تحدثت في الفصل الثاني عن الأبعاد السياسية والفكرية التي خلفتها حروب الجهاد في

أفغانستان ، وأيضاً تناولت الإعلام ودوره في جهاد أفغانستان وعددت الإداعات التي كانت تبث أخباراً وإشاعات مغرضة ضد المجاهدين ، والإداعات التي تساعد على نشر أخبار الجهاد ، وتوضح للمستمعين والقراء مدى أهمية هذا الجهاد ، ومدى احتياجنا إليه في هذا العصر الذي نشط فيه الكفار والمشركين بأسلحتهم الغادرة والموجهة إلى صدور الأبرياء في أنحاء المعمورة .

أما الباب الثاني فخصصته لإجراء دراسة تحليلية لشعر الجهاد في هذه الفترة ، وجعلت

الفصل الأول منه في الحديث عن موضوعات شعر الجهاد للشعراء العرب ، وذلك كي أعطي القارئ تصوراً واضحاً عن موضوعات الشعراء الجهادي ، ودفعه لمقارنته بموضوعات الشعر الأخرى السائدة ، وليتضح لنا مدى احتياجنا للنوع الأول من الشعر العربي . وقد أوضحت في هذه الدراسة بالتفصيل أن شعر الجهاد واكب المعارك الجهادية الأفغانية منذ بدايتها وحتى النصر .

فحث الشعراء على الجهاد من خلال قصائدهم ، ومدحوا القادة المسلمين ، ووصفوا

المعارك وأحداثها ، ورثوا الشهداء .. إلخ . وخصصت الفصل الثاني لدراسة الظواهر الفنية لشعر الجهاد ، فتحدثت في المبحث الأول عن الجمال البلاغي في شعر الجهاد الأفغاني .

والمبحث الثاني : خصائص شعر الجهاد الأفغاني .

والمبحث الثالث : مؤثرات شعر الجهاد الأفغاني ومصادره .

والمبحث الرابع : موسيقى شعر الجهاد الأفغاني .

وبينت أن شعراء الجهاد كانت لديهم القدرة الكافية على استيعاب المعاني ، وصياغتها بلغة عربية فصيحة تتلاءم مع موضوع شعر الجهاد . وتبينت أنهم استخدموا بعض ألوان البديع وخاصة الجناس والطباق ، وقد ابتعدوا في هذا الاستخدام عن التكلف والتقعر . وأنهم لم يلتزموا بنهج القصيدة العربية القديمة ، وذلك أن طبيعة الموضوع الذي يتحدثون عنه يختلف تماما عن الموضوعات الشعرية التي كان يتحدث عنها الأقدمون . كما أوضحت كذلك أنهم لم يكونوا وحدهم الذين ابتعدوا عن نهج القصيدة العربية القديمة . وقد اقتبسوا بعض المعاني والصور من سابقهم وخاصة المتنبي وأبي تمام ، ولكن كانت لهم بطبيعة الحال ذاتيتهم الخاصة في صورهم ومعانيهم .

ثم خصصت الباب الثالث للقصائد التي حصلت عليها من الشعراء العرب .

ثم أوضحت النتائج الخاصة بهذه الدراسة .

واعتمدت في إعداد هذه الرسالة على كثير من المصادر المتنوعة من الدواوين والقصائد المنشورة وغير المنشورة . وقد حرصت كثيرا على قراءة دواوين عدد من الشعراء للاستفادة من بعضها في دراسة الشعر عامة ثم شعر الجهاد بصفة خاصة .

والله أسأل أن يوفقنا لما فيه الخير ، وأن يجعل عملنا خالصا لوجهه الكريم ، إنه سميع

مجيب .

شكر وتقدير

قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ ، وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ ^(١) ، وقال الله عز شانه : ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ ، وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ^(٢) .

فأشكر الله سبحانه وتعالى أولا وأخيرا على ما من علي من العلم الذي هو جزء من الحكمة التي وهبها للقمان الحكيم ، وأنعم علي ويسر ووفقي لإتمام هذا العمل فأتنى من الله العلي القدير بعد توفيقه الكريم أن يرزقني العمل الصالح به ، وأن أكون قد ابتغيت به وجهه الكريم . وحمدا له على ما تكرم به وتفضل .

واعترافا مني بالجميل لأهله أرى من الواجب وقد من الله علي بانجاز هذا البحث أن أتقدم بالشكر وبالغ التقدير لخادم الحرمين الشريفين وولي عهده الأمين وحكومتهم الرشيدة الذين أتاحوا لنا الفرصة لاستكمال دراستنا العليا ، ولما يولونه من اهتمام وتكريم للفتاة السعودية ، وما يقدمونه لها من خدمات جليلة في مضمار العلم ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من لم يشكر الناس لم يشكر الله) ^(٣) ، ومن ثم أتوجه بعظيم العرفان والتقدير إلى زوجي الغالي الذي أتاح لي الفرصة وتحمل من المشاق مالا يطقه كثير من الناس في سبيل توفير جميع وسائل الراحة في الحل والترحال طيلة المدة السابقة ، وكذلك مساعدتي في طباعة البحث ومعاونتي لتسهيل كل صعب استطاع إنجازه رفقا بي وعونا لي من الله سبحانه وتعالى .

كما أتوجه بجزيل الشكر والعرفان بالجميل إلى أستاذي الفاضل الدكتور: محمد أكرم شوهدي . ومشاركة الأستاذ الدكتور: محمد شريف السيلوي على تحملهما إياي فترة توجيههما الكريم لي ، وكذلك اتخاذهما أسهل الطرق للإقناع ووحدة الآراء والوصول إلى أفضل النتائج ، وكانت لإرشاداتهما وتوجيهاتهما الفضل العظيم وذلك تسخيرا من الله سبحانه وتعالى لي بسرعة الوصول إلى نهاية البحث وكان نبراسهما قول الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم

^(١) سورة لقمان آية ١٢ .

^(٢) سورة الأحقاف آية ١٥ .

^(٣) رواه الترمذي ، ج ٥ ، ص ٣٣٩ ، رقم الحديث ١٩٥٤ - ١٩٥٥ .

(: بشروا ولا تنفروا ، ويسروا ولا تعسروا) الحديث^(١) . فأرجو من الله أن يؤجرهما خيرا
الجزء في الدنيا والآخرة . ولا يفوتني أن أتقدم بعظيم الشكر والتقدير إلى الدكتور محمد حسنين
التقوي الذي أسدى إليّ عونا عظيما في تطوير الخطة والأساليب المنهجية خلال البحث
ومساعداته لي خلال كثير من فترات هذا العمل .

ثانيا : أتوجه بالشكر والإمتنان إلى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ،
وكذلك مركز أبحاث جريدة الشرق الأوسط ، وأخص بالذكر المكرم الأخ د. وهيب غراب :
مدير المركز . وكذلك مركز معلومات جريدة المدينة المنورة بمجدة .

ثالثا : جامعة الملك سعود : خاصة د . عبد القدوس أبو صالح : رئيس قسم اللغة العربية
بالجامعة . وكذلك د . عبد الرحمن العشماوي : الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية بالجامعة .
وكذلك الأستاذ شمس الدين درمش : الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية بالجامعة .
رابعا : جامعة الرباط بالمغرب : وأخص بالذكر جميع الأساتذة بقسم اللغة العربية
بالجامعة .

خامسا : جامعة صنعاء باليمن : وأخص بالذكر د . خالد هنداي : رئيس قسم اللغة
العربية بالجامعة .

سادسا : كلية التربية للبنات بمجدة - الأقسام الأدبية - وأخص بالذكر عميدة الكلية
د.نورة آل الشيخ كما أخص د . أميرة بنت مصطفى أمين يوسف : الأستاذ المشارك بقسم
التأريخ . ود . بثينة عبد المجيد : وكيلة الأقسام الأدبية بالكلية . ود.الجوهرة المقاطي : رئيسة
الدراسات الإسلامية بالكلية ، و د . خديجة بابيضان : أستاذة علم العروض بالكلية .

سابعا : جامعة عمان بالأردن : وخاصة د . خليل عمايرة : رئيس قسم اللغة العربية
بالجامعة و وكذلك أستاذا مشاركا بجامعة أكسفورد ببريطانيا .

ثامنا : جامعة الملك فهد للبترول والمعادن بالظهران : وأخص بالشكر والتقدير د . جابر
قميحة : رئيس قسم اللغة العربية بالجامعة .

تاسعا : جامعة المنصورة بجمهورية مصر العربية : وخاصة د . رجب بيومي : الأستاذ
المشارك بقسم اللغة العربية بالجامعة .

عاشرا : رابطة الأدب الإسلامي في كل من : الرياض وخاصة د . عبد القدوس أبو
صالح . وكذلك مكتب الرابطة بالمدينة المنورة : خاصة الأستاذ محمد هاشم رشيد .ورابطة الأدب

^(١) رواه البخاري ، كتاب المغازي ، رقم الحديث ٤٣٤١ .

الإسلامي بجده وخاصة الأستاذ عبد الفتاح مدني . وأضا مكتب رابطة الأدب الإسلامي بالمغرب خاصة د . حسن الأمrani . وكذلك رابطة الأدب الإسلامي بالهند والبلدان الأخرى .

الحادي عشر : السفارة والقنصلية الأفغانية بكل من الرياض وجدة ، وأخص بالشكر والتقدير المكرم الشيخ / قاضي حبيب الله ، القائم بأعمال السفير لدى المملكة سابقا ويعمل حاليا سفيراً لبلده بدولة الباكستان المسلمة . وكذلك د . محمود القرشي : أحد أعضاء القنصلية الأفغانية بجدة .

الثاني عشر : السفارة الأفغانية بالكويت ، وأخص بالتقدير المكرم د . محمد نصير حكمت : القائم بأعمال السفير بالكويت .

الثالث عشر : مكتبة العيكان بالرياض لما قامت به من مساعدات كثيرة وتيسير عملية الحصول على كثير من المراجع الخاصة بالبحث .

الرابع عشر : الجرائد والمجلات ، وخاصة جريدة المدينة المنورة وبالأخص قسم الأبحاث العلمية بها ، وأخص بالشكر والتقدير د . عبد الرحمن الوصيفي . وكذلك جريدة المسلمون : وخاصة الأستاذ عمار بكار ، المشرف على الصفحة الثقافية . وجريدة عكاظ :

وخاصة د . سعيد السريحي ، وأيضاً جريدة أردو نيوز : وأخص بالشكر والتقدير د . مختار الفال . وغيرها من الجرائد والمجلات . ولا يفوتني أن أتقدم بوافر الإحترام والتقدير إلى أعضاء وموظفي جريدة الحياة اليومية على المعلومات الجلييلة التي قد اسأفت بها كثراً خلال البحث وأخص منهم الأخ الفاضل : جمال خاشقجي . وجريدة عرب نيوز : وخاصة الأخ د . عبد القادر طاش . ومجلة المختار المصرية بالقاهرة : والشكر الخاص للدكتور : ياسين الفيل : الكاتب والشاعر الإسلامي لدى المجلة ، وكذلك أستاذاً بجامعة الأزهر بالقاهرة .

الخامس عشر : د . محمد علي البار ، الذي أمدني بالعديد من الكتب التي تعايشت مع الجهاد الأفغاني . وأيضاً أشكر د . محمد حكمت وليد على إهدائي بعض القصائد التي تحدث فيها عن أفغانستان .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من أهدى إليكم المعروف فكافئوه ، فإن لم تستطيعوا أن تكافئوه فقولوا جزاك الله خيراً ، ومن قال جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء)^(١) .

^(١) رواه أحمد بن حنبل ، ج ٢ ، ص ٦ ، ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم بإسناد صحيح بلفظ " من صنع إليكم معروفا فكافئوه " الحديث .

ولذلك أتوجه بالشكر الجزيل والعرفان بالجميل للإخوان والأخوات الذين قاموا بمساعدتي وأخص منهم :

١ - الأستاذ جلال بيومي : خبير الحاسب الآلي ، لما قام به من تدقيق ما تم كتابته على الحاسب الآلي .

٢ - الأستاذ أنور الضاهر لمراجعته للبحث لنحويا وصرفيا .

٣ - الابنة عفاف منظور هاشمي ، التي قامت بمساعدتي وكانت خير عون لي من بداية البحث حتى النهاية .

٤ - الابنة هدى علي بشير المدني ، فقد بذلت الكثير من أجل الوصول إلى المعلومات الوافية والدقيقة الخاصة بالبحث حتى النهاية .

٥ - الابنة أمة الله محمود باحاذق على طباعة البحث وسهر الليالي الطويلة من أجل ذلك .

٦ - الابنة طيبة العمودي التي قامت بطباعة الكثير من البحث أيضا ، وكذلك الابنة نجاة آل سلمان .

٧ - المكرمة الأخت الداعية أم محمد آمنة بنت عبد الله الأمريكية ، وذلك على إعارتي جميع مجلدات مجلة الأمة الإسلامية التي استفدت منها كثيرا خلال مراحل البحث .

وأخيرا أتوجه بالشكر لجميع الأخوة والأخوات الذين قاموا بمساعدتي من قريب أو بعيد والله يؤجرهم خير الجزاء .

الباحثة

عزة محمد إبراهيم حسن

المقدمة

- أ و لا : فكرة الجهاد ومعناه في الإسلام
- ثانيا: سبب اختياري موضوع الجهاد الأفغاني في منظور الشعراء العرب .
- ثالثا: منهجي في البحث .

أولاً : فكرة الجهاد ومعناه في الإسلام :

الجهاد في سبيل الله ركن هام من أركان الإسلام وذرورة سنامه ، وقد فرض الله عز وجل في محكم كتابه العزيز الجهاد تدريجياً كقوله تعالى : ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ^١ .

ويخاطب الله جل وعلا رسوله الكريم ويأمره بتحريض المسلمين على القتال بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ^٢ .

ثم تأتي الآيات الكريمة لتحث المسلمين على الشجاعة والإقدام وترك الجبن فيقول الله عز وجل : ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ^٣ .

ويقول الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَّا قَاتَلْنَا إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ^٤ .

ثم يوضح لنا كتاب الله العزيز مدى مشروعية الجهاد حتى ينتبه المسلمون لهذا الأمر ببصيرة ويسعون وراء تحقيقها فيقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ^٥ .

وكذلك يقول الله عز وجل : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ^٦ .

^١ سورة النساء آية ٧٤

^٢ سورة الأنفال آية ٦٥

^٣ سورة النساء آية ١٠٤

^٤ سورة النوبة آية ٣٨

^٥ سورة البقرة آية ٢١٦

^٦ سورة الأنفال آية ٣٩

ثم بين الله عز وجل حكمته الجليلة بفرضية الجهاد وثمرته ، والنتائج المخزية إذا ترك ذلك الفرض العظيم بقوله تبارك وتعالى: ﴿ أَلَا تَتَّقَاتُلُونَ قَوْمًا نَكُتُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾^١ .
وقد بين لنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم فضل المجاهد ومكانته عند ربه بأحاديث كثيرة منها : (عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل : ما يعدل الجهاد ؟ فقال : " لا تستطيعونه " فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثا كل ذلك وهو يقول : " لا تستطيعونه " ثم قال : " مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم بآيات الله لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد في سبيل الله ")^٢ .

حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث حدثنا الوليد بن مسلم عن يزيد بن أبي مريم قال :
"ألحقني عباية بن رفاعة وأنا ماش إلى الجمعة فقال : أبشر فإن خطاك هذه في سبيل الله ، سمعت أبا عيسى يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من اغبرت قدماه في سبيل الله فهما حرام على النار)"^٣ .

وينزل الآيات الكريمات التي حثت على الجهاد وضرورته وكذلك أقوال النبي صلوات الله وسلامه عليه جعلت منه ومن صحابته الكرام أنموذجا حيا لمعركة الإسلام مع الجاهلية فقد خرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ودينه فجعلهم الله جندا من جنده ، وأعلى بهم كلمته ، لما صدقوا ما عاهدوا الله عليه وتحققت فيهم صفات الفئة المؤهلة للتمكين ، المستحقة لحمل الأمانة ، فكانوا بالليل عبادا ، وبالنهار فرسانا وجاءهم الإسلام فأعطوه أعمارهم وأفكارهم ، وما بخلوا على الله بشيء ، فقد أحبوه فأحبهم وقد رضوا عنه فرضي عنهم وقد قال الله عز وجل فيهم : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ، تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ، سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ ،

^١ سورة التوبة آية ١٣ .

^٢ رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب فضل الجهاد والسير ، حديث رقم ٢٥٩٤ . وفي عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، كتاب الجهاد ، باب فضل الجهاد والسير ، ج ١٤ ، رقم الحديث ٣ . ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب الأمانة ، باب فضل الشهادة في سبيل الله ، حديث رقم ١٨٧٨ . ورواه الترمذي في الجامع الصحيح (سنن الترمذي) ، كتاب فضل الجهاد ، باب ماجاء في فضل الجهاد ، حديث رقم ١٦١٩ .

^٣ رواه النسائي في كتابه سنن النسائي ، كتاب الجهاد ، باب ثواب من اغبرت قدماه في سبيل الله ، ج ٣ ، ص ١٤ . ورواه الترمذي ، كتاب فضائل الجهاد ، باب ماجاء في فضل من اغبرت قدماه في سبيل الله ، رقم الحديث ١٦٣ .

كَزَّرَعَ أَخْرَجَ شَطْنَهُ فَأَزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغِيظَ بِهِمُ
الْكَفَّارَ ، وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ١ .

وقال سيف بن عمر عن شيوخه ، قالوا : وكانت العرب من العذيب إلى عدن أبين ،
يتربصون وقعة القادسية هذه ، يَرَوْنَ أن ثبات ملكهم وزواله بها ، وقد بعث أهل كل بلدة
قاصدا يكشف ما يكون من خبرهم فلما كان ما كان من الفتح سبقت الجن بالبشارة إلى أقصى
البلاد قبل رسل الإنس .

وسمعت امرأة ليلا بصنعاء على رأس جبل وهي تقول :

فحييت عنا عكرم ابن خالد	وما خير زاد بالقليل المصرد
وحيت عني الشمس عند طلوعها	وحيت عني كل تاج مفرد
وحيتك عني عصبة نخعية	حسان الوجوه آمنوا بمحمد
أقاموا لكسرى يضربون جنوده	بكل رقيق الشفرتين مهنده

إذا ثوب الداعي أناخوا بكل كل
والموت مسود الغياطل أجرد^٢

وسمع أهل اليمامة مجتازا يغني بهذه الأبيات :

وجدنا أهل الأكرمين بني تميم	غداة الردع أكثرهم رجالا
عمدا صاروا بارعين مكفهر	إلى لجب يرونهم رعالا
بحور للأكاسير من رجال	كأسد الغاب تحسبهم جبالا
تركن لهم بقادس عز فخر	وبالخيزين أياما طوالا
مقطعة أكفهم وسوق	بمرد حيث قابلت الرجالا ^٣

^١ سورة الفتح آية ٢٩ .

^٢ الحافظ بن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٧ ، ص ٤٧ .

^٣ المرجع نفسه

ومنذ بدء الإسلام قد قام بعض الصحابة بالدفاع عن الإسلام وصاحبهم الشعراء في جميع المعارك ، ومن هنا دخل الشعر ساحات الجهاد وقد سجل التاريخ الإسلام في الوقائع التي تمثل فيها المجاهدون بالشعر أو أنشدوا القصائد التي أنثوا فيها على المجاهدين في سبيل الله .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخندق ، فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة ، ولم يكن لهم عيب يعملون لهم ذلك ، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال :

اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة
فقالوا مجيبين له :

نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا أبدا^١
عن امرأة من بعض بنات الحارث قالت : ما رأيت أسيرا قط خيرا من خبيب ، لقد رأيته يأكل من قطف عنب ، وما بمكة يؤمنذ ثمر ، وأنه لموثق في الحديد ، وما كان إلا رزق رزقه الله . فخرجوا به من الحرم ليقتلوه . فقال : دعوني أصلي ركعتين . ثم انصرف إليهم . فقال : لولا أن تروا أن ما بي جزع من الموت لزدت . فكان أول من سن الركعتين عند القتل هو . ثم قال : اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا .

ثم قال :

ما أبالي حين أقتل مسلما على أي شق كان الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أو صال شلو ممزع^٢

قيل عن عبد الله بن المبارك : أنه جمع العلم والفقه والأدب والنحو والشعر والزهد وقيام الليل والحج والغزو والفروسية ، وترك الكلام في ما لا يعنيه ، وقلة الخلاف على أصحابه . مات ببلدة هيت منصرفا من الغزو^٣

وكان يقطع ألفين وستمئة كيلو مترا راجلا أو راكبا على دابته ليقا تل في سبيل الله ، ورابط في الشام . وقال : إن الله وإنا إليه راجعون على أعمار أفئيناها وليال وأيام ، وتركنا هنا أبواب الجنة

^١ العيني ، عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، كتاب الجهاد ، باب حفر الخندق ، رقم الحديث ٥١ .

^٢ (تسمى هذه غزوة الرجيع) المرجع السابق ، كتاب الجهاد ، باب هل يستأثر الرجل ومن لم يستأثر ومن ركع ركعتين عند القتل ، رقم الحديث ٢٤٤ .

^٣ العيني ، عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، كتاب الجهاد ، باب هل يستأثر الرجل ومن لم يستأثر ومن ركع ركعتين عند القتل ، رقم الحديث ٢٤٤ .

مفتوحة . وروى محمد بن إبراهيم بن أبي سكينه ، قال أملى عليّ ابن المبارك سنة سبع وسبعين ومئة وأنفذها معي إلى الفضيل بن عياض في طرسوس يقول فيها :

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا	لعلمت أنك في العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه	فنجورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل	فخيولنا يوم الصيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبرنا	رهج السنايك والغبار الأطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا	قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوي غبار خيل الله في	أنف امرئ ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا	ليس الشهيد بميت ، لا يكذب ^١

قال الراوي : فلقيت الفضيل بكتابه (أي بكتاب ابن المبارك الذي فيه الشعر) في المسجد الحرام ، فلما قرأه ذرفت عيناه فقال : صدق أبو عبد الرحمن ونصح^٢ . وبذلك القول يتضح لنا أن الشعر كان ضمن أساليب الدعوة إلى الجهاد والوعظ .
عن سهل بن أبي صالح عن أبي هريرة قال : (قيل يا رسول الله ما يعدل الجهاد ؟ قال لا تستطيعونه ، فردوا عليه مرتين أو ثلاثا كل ذلك يقول لا تستطيعونه ، فقال في الثالثة : مثل الجهاد في سبيل الله مثل القائم الصائم الذي لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد في سبيل الله)^٣ .

إذن الجهاد الوسيلة لتحقيق أهداف الدعوة ليكون للإسلام الرفعة والخلود .^٤ والشعر كوسيلة من وسائل الإعلام له دور كبير في نشر الدعوة الإسلامية وبث الحمية في قلوب المسلمين وتحريضهم على القتال ضد الطغاة .

^١ الإمام الذهبي ، نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء ، ج ٢ ص ٦٥٨ .

^٢ المرجع نفسه

^٣ صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى ، حديث رقم ١٨٧٨ . العزمي ، الصحيح الجامع ، كتاب فضائل الجهاد ، باب ما جاء في فضل الجهاد ، حديث رقم ١٦١٩ .

^٤ عز العرب فزاد ، أفغانستان المجاهدة ، ص ٦٥ .

ثانيا : سبب اختياري الجهاد الأفغاني لدراسة الشعر العربي من خلاله :

تصدرت قضية الجهاد في أفغانستان قضايا المسلمين المهمة في هذا القرن . وجاءت ذات تميز خاص نظرا لما أملت الظروف العامة التي يمر بها العالم الإسلام ي من غياب شامل عن مسرح التأثير في الحياة المعاصرة . ولأنها تمثل في بعض صورها حال المسلمين اليوم وقد وقعوا تحت أسر القوى الكافرة التي لا تريد أن ترى للإسلام رأسا يُرفع .

وطال الثبات حتى بزغ نور الحق في أرجاء العالمين . وكما تشرق الشمس من مشرقها ، أشرق نور الجهاد من الشرق وقادها الأفغانيون : سنين النضال توالى هناك ، لتعيد الجهد والعز للإسلام فتم يا محمود الغزنوي هاننا فقد ورث شجاعتك أناس للأمة هم الفاتحون . ولما كانت أفغانستان باكورة الجهاد وساحته على مر السنين ، آثرت البحث والكتابة في موضوعهم الذي شدَّ به الطير والنسرين ، والشعراء قاطبة قد سَخَرُوا أَقْلَاهُمْ وعقولهم لنصرة إخوانهم المكرمين ، وزاد الحماس بهم وتعالى السيوف ، واستعرت النيران ، وصاح المرتزقة مستسلمين . لقد كان الغزو الشيوعي الأحمر لأفغانستان زلزالا عنيفا هز العالم الإسلام ي هزا مؤلما . وجعل الأسيرة عميد تحت أولئك الغفاة من أبناء الأمة الإسلام ية الذين طال نومهم وطال استسلامهم لحياة الكسل والدعة والخمول فقاموا مذعورين تطرق أسماعهم رعود الغزو الأحمر وصواعقه الحاقدة التي تستهدف فكرا وعقيدة قبل أن تستهدف شعبا وأرضا .

إن إخواننا في أفغانستان هاجمهم أعداء الإسلام بقوتهم الشرسة وأعدادهم الكثيرة وعُددهم المدمرة ، فإن الواجب علينا في جميع الأقطار الإسلام ية أن نقوم بواجب الجهاد في سبيل الله ، ولنعلم أن الجهاد فرض عين على كل قادر لأن الله قد أَسْتَفْرَنَا وأمرنا بالخروج والجهاد بقوله : ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾^١ وقال ذو الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ، وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ . وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ، فَاسْتَبْشِرُوا بَبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾^٢ .

ولنعلم كل مسلم على وجه الأرض أن كل من يخذل المسلمين عن الجهاد في سبيل الله بعد أن ظهر لنا من اعدائنا أنهم يريدون استئصال شأفة الإسلام والقضاء على المسلمين في كل

^١ سورة التوبة آية ٤١

^٢ سورة التوبة آية ١١١

أرض إسلامية ، فإنه يَخْشَى عليه أن يكون منافقا يعمل لحساب أعداء الله ، ويساعد الكفار ، ويعطيهم الفرصة ليتمكنوا من بلاد المسلمين وأموالهم وأعراضهم والقضاء على دينهم .

ويجب على كل مسلم أن يدعو لإخوانه الأفغان بالنصر المبين ولاعدائهم بالخسران المشين . لأنهم أحيوا بالجهاد في أفغانستان روح الجهاد في الأمة الإسلامية ، وكان بداية الصحو لها .

قد ضرب المجاهد الأفغاني المثل الأعلى في التضحية في سبيل الإسلام أولا وأخيرا ، ومثلا يُحتذى به في قتال العدو والصمود في سبيل إعلاء كلمة الله ، وما أحوجنا لمثل هذه المثل العليا لتُحي موات المسلمين ولتجمع كلمتهم وتوحد صفهم تحت راية الإسلام العظيم .

فمن خلال الآيات الشعرية الواردة تبين لنا أن الجهاد قد رفع الذل عن الأمة الإسلامية عامة وعن أفغانستان خاصة ، كان رمزا للعزة ، ومثالا يحتذى به في الصبر والمصابرة والمرابطة ، فقد تمثلت فيهم آية الله سبحانه وتعالى في قوله : ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ مِثْلَ مَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾^١ . ويقول عز من قائل : ﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾^٢ .

أوضحت لنا القصائد التي تحدثت عن خطر الشيوعيين أنه ليس فقط على الأفغان بل الخطر على منطقة العالم الإسلامي ، وأصبح يشارك في القضاء على الشعوب الإسلامية ، وهي بداية غزو مكثف ضد العالم الإسلامي لهذا الغزو الإجرامي لأفغانستان .

وكان للشعراء العرب بقصائدهم الدور الكبير الفعال في الجهاد الأفغاني ، حيث قرض الشعراء الدواوين ونظموا القصائد التي تصف ذلك الجهاد المبارك ، وتؤيد وتشد من أزره وتحض المسلمين على نصرة إخوانهم الأفغان ، وتحمي أبطال الجهاد وشهداءه ، وتنكر وحشية أعداء الله تجاه الضعفاء وأعوانهم ، والمعاناة من الهجرة إلى الباكستان وغيرها وترك الديار ، وصمود الأبطال أمام قوى البغي والعدوان لإقامة حكم الله ، والتبشير بالنصر القريب ، وغير ذلك من المقاصد .

^١ سورة النساء آية ١٠٤

^٢ سورة آل عمران آية ١٤٠ - ١٤١

فمن شعر عبد الرحمن الخليلي في ذلك :

هي الأفغان سكانها شريد	وليل الآمنين طوى هلاله
وعضد المسلمين بها كسير	وجمع الكفر يزخر لا أباله
وطفل ليس يضمّر أي حقد	بريء أمه ذبحت قباله
وشيخ في سجون الوحش أمسى	أسيرا موثقا غلوا نضاله
وبعد المسلمات غدت سبايا	بأيدي من سيلهم الضلالة ^١

كلمات عبد الرحمن ترقق القلوب نحو القضية الأفغانية فالمرء محتاج إلى من يهيج مشاعره نحو الأخوة الإنسانية ، فلربما سكب الدمع حرقة تطفئ بها لهيب النار الضارية ، أو شمر ساعديه بلقمة عيش نحو البطون الخاوية ، أو دفع بغطاء يدفى به العرايا في ليالي البرد القاسية ، أو ساهم بطلقة يدكُ بها حصون العدو العاتية ، أو بقطرة دم تعيد التأم الجروح الدامية ، أو بسمّة تدب الروح في أبدان دنت من الهاوية .

ويعبر لنا نفس الشاعر عن مكابדתه أشد الألم لما يعصف بأُمته وتجمعت بالقلب الهموم فالنوازل تطرق بلادنا ، والجمع الفقير أصابهم الصمم فالضياح يبدد الأمل ، والليل الطويل يزيد الألم، وتهذرُ شخصية الإسلام وتنكس الرؤوس وحتى العلم . كنا بهدي الإسلام أكرم منزلة في تاريخ الأمم . كنا قد توسدنا أعظم رسالة وما نحن ضيعنا الهمم . كنا سادة يقتفى قفانا واليوم نحن أتباع الذمم ، وفي ذلك قال :

ومنهم من يهيم بحب مال	فيخزنه ويمنحه دلالة
وليس لجائع منه نصيب	ولو كان الجياح له عياله
ومنهم من يجود بغير حرص	ولكن جوده عين الجهالة
لكأس أو لغاية لعوب	ولا يعطي لمكرمة رياله
ديار المسلمين غدت قفارا	ومسجدهم غدا يكي بلاله ^٢

وقال د. عبد الرحمن العشماوي عما يلف بلادنا من الضياح وسط النوازل غرقت مراكبنا

^١ عبد الرحمن الخليلي ، من قصيدة هي « الأفغان » مجلة البيان العدد ١٥ ، إبريل ، ١٩٨٧ م ، ص ٤٩ .

^٢ المرجع نفسه .

وتهشمت فيها الشراع، وأهوال تحر لها الجبال لما آثرنا الدنيا الدنية فغدا الحر فيها يباع ، وينادي
الشاعر بالخلاص قبل أن تفتنى الشهامة ويدنو الوداع . فلا نجاة إلا بإطراح الجاهلية والتمسك
بالإسلام لا الابتداع :

نسبي ونطرد يا أبي ونباد	فإلى متى يتطاول الأوغاد
وإلى متى تدمي الجراح قلوبنا	وإلى متى تقترح الأكباد ؟
نصحو على عزف الرصاص كأننا	زرع وغارات العدو حصاد
ونبيت يجلدنا الشتاء بسوطه	جلدا ، فما يغشى العيون رقاد
يتسامر الأعداء في أوطاننا	ونصينا التشريد والإبعاد
وتفخ الأمراض في أجسادنا	أواه مما تحمل الأجساد ^١

ثم يطلق مصطفى الكيلاني صرخة استنهاض لأمتنا المسلمة ، وآفاق عزتها ونصرها بعد
الملحمة . فلنسمع الصوت الرخيم علنا نفوز بالرحمة ، ونغدو بكلمة فوارس لنستحق المكرمة .

الله أكبر دوت من صحارانا	فأيقظت في الورى من كان وسنانا
يا مسلمون أفيقوا تبصروا عجبنا	إلى متى تقطعون العمر عميانا
قوموا انظروا كيف أن الله إن خلصت	نياتنا حين ندعوه تولانا
قوموا انظروا الشعب في الأفغان ثار على	طاغوت روسيا وما استخزى وما لانا

هذي كتائبه في كل مرباة تصلى علوج الشيوعيين نيرانا^٢

وهذا من جنود الله يشدوا وقد أبلى بلاء عظيما ، ولم يحد عن ثغره وما في بدنه شبر سليم .
أدى ما في الوسع ولم يترك (ثغر) إلهشما . أحشاؤه من جوفه خرجت فردها بعصبة وعاد
كليما إلى الميدان يبحث عن ملحد قد أمسى بهيما . لأنه عميل من أجل دراهم فأصبح من

^١ من ديوان عندما يعزف الرصاص ، ص ٥٩ - ٦٩ .

^٢ مصطفى حيدر زيد الكيلاني مجلة الجهاد ، العدد ٤٣٠ ، رجب ١٤٠٨ هـ ، ص ٣٦ .

الأخلاق عديما، فلا يستحق النذل أن يحيا بيننا كريما . فالويل كل الويل لهم بما كسبت أيديهم
والله بهم عليما . فيارب بارك عمرنا لنقتص منهم وفي الآخرة كن بنا رحيمًا ، ويا رب شئت
شملهم فلا مقام لهم ولا تبرد لهم نسيمًا .

وإليك قول الشاعر يوسف أبو هلاله :

أيا مهرا يجيد العدو	لم يشمت به الكل
رأيتك صافيا و الناس	مغشوش ومنتحل
وزورق عزة رغم اشتداد	الموج ينتقل
وسيف مثل ضوء البرق	يسطع حيث ينتضل
وإعصارا إذ ما هب	ريح الحادث الجلل ^١

وهنا يحى الشاعر إخوانه الأبطال وقد أحاطوا الثغور ، وفي الميدان لا تسلم عن الشيطان
فقد ولّى وانتابه الذعور ، وجدت طفلا ولم يزل بساعديه رشاش قابعا خلف الصخور ، ورأسه
شامخة لا تهاب غادرا كأنه في الحجاب مستور . أعلى الجبال رأيتهم يلهون بسلاحهم ولا يهابون
موتا ولا نشور ، ورضعوا العذاب والحرمان في المهدي فشبوا فلا المنازل ولا القصور ، فأقسـموا
يمينا بخالقهم لا توان ولا هودة وهبوا كالنسور ، ولقد سمعنا عن روائعهم والملحدون بأيديهم
نظنهم كفرعون مشبور ، يعبثون بهم كالدُمى ومن ثمّ فإن عذاب ربك كان محذور .
ولذلك حي الشاعر د . يحيى الحاج المجاهدين بقوله :

فإما نعيش بظل دين	نعز به ، وبالنهج الرشيد
وإما أن نموت ولا نبالي	فلسنا نرتضي عيش العبيد ^٢

من هنا كانت الفاجعة قاسية وكان الخطب جلا ، فكنت ترى العيون ترق دهشة لما
يراد بهذه الأمة من هلاك واندثار ، ولما يحوكة الأعداء من مكائد ضدها .

^١ د. يوسف أبو هلاله ، من قصيدة الفارس المصلوب ، مجلة الجهاد ، العدد ٤١٠ ، ذو القعدة ١٤٠٧هـ ، ص ٣٨ - ٣٩ .

^٢ يحيى بشير الحاج يحيى ، من قصيدة هو الإسلام علمهم صمودا ، مجلة الجهاد العدد ٢٠٠ ، ذو القعدة ١٤٠٥هـ - يوليو ١٩٨٥م ،

ولذلك فإن الوقفة البطولية التي وقفها الشعب الأفغاني المسلم أمام قوات الغزو السوفيتية الملحدة أمر أثار ذهول العالم واستغرابه ، خصوصا عندما يقاس الأمر بالمقياس المادي الظاهر . وهي في نفس الوقت معركة أعادت للمسلمين عامة روح الثقة بالنفس عند اعتمادها على الله وحده . فهو سبحانه المتكفل بـرد الظلم ورعايته الحق ونصرة عباده المؤمنين . يقول الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾^١ وذلك الذي شدني للبحث في هذا الموضوع الجليل .

ثالثا : منهجي في البحث :

وقد تناولت النقاط التالية :

- ١- قمت بوضع حد زمني للدراسة لاحتواء اللوحة التاريخية لبلاد الأفغان من ٢٠٠ سنة قبل الميلاد إلى وقت الاحتلال الروسي .
- ٢- العلاقة بين موسكو وكابل وأهمية أفغانستان بالنسبة للاتحاد السوفيتي .
- ٣- تناولت مشكلة الغزو والاحتلال والأسباب الداخلية والخارجية والعوامل المساعدة للقيام به .
- ٤- المقاومة الأفغانية .
- ٥- خطورة هذا الغزو على الخليج العربي والأراضي المقدسة من الوجهة السياسية والعسكرية والدينية والاقتصادية إذ أن الخليج يعتبر ثاني أهم نقطة حساسة في العلاقات بين الدولتين العظمتين

وقد كانت استجابة الشعراء سريعة لهذا الحدث الفاجع باعتبارهم الطليعة الواعية في المجتمع ، فكنت ترى الصحف وغيرها من وسائل الإعلام تحمل كل يوم سيلا من القصائد التي تحكي قصة ذلك الصراع الدامي بين الحق والباطل ، وتروي فصولها أولا بأول مشجعة على الجهاد حافزة على الصمود ، منبهة إلى الخطر المحدق بالأمة الإسلامية . فجزى الله أولئك المجاهدين بأقلامهم عنا أحسن الجزاء .

ولذلك قمت بتحليل محتوى القصائد الجهادية في هذا المضممار للتعرف على مضمونها واتجاهها وأهدافها ، ومدى استخدام هذا الفن كسلاح فعال ضد الملحدين والشيوعيين . وقد يسر الله لي عدة لقاءات مع بعض الشعراء الذين ساهموا في هذا المجال للتعرف على عمق صدق القضية في نفوسهم ومدى تأثرهم بها ومدى تأثير ذلك على أشعارهم .

ومن ثم التقيت بكثير من الشخصيات الأفغانية لمعيشة القضية عن قرب واندماج الوجدان فيها حتى أكون مقتنعة بما أقوم ببحثه تجاههم .

وقد أنفقت أعواما وأنا أجمع الشذور المتفرقة لتلك القصائد التي تشكل في مجموعها ديوان الجهاد الأفغاني وانعكاساته في مرآة الشعر العربي . جمعتها من الصحف والمجلات ومن الدواوين وفي بعض الأحيان من قائلها مباشرة وهو الجزء الأقل منها . وقد تيسر لي جمع معظم ما قاله الشعراء في هذا المجال بين عامي (١٣٩٩هـ - ١٤١٤هـ) (١٩٧٩م - ١٩٩٤م) وقد كان المعول عليه القيمة الفكرية لتلك القصائد وليس القيمة الفنية لذلك فسوف تجد فيها أيها القاريء الكريم الغث والسمين .

ورغم ذلك فقد وجدت أن الشعراء العرب المعاصرين للقضية الأفغانية لم يحظ شعراهم بقدر كاف من الدراسات التي تبرز أهم ملامحه وخصائصه ، رغم أن الشعر في هذا المضمار قد تفاعل مع الأحداث الدامية على أرض أفغانستان الحبيبة من خلال القصائد .

فرأيت من واجبي تجاه هذا الجهاد العظيم أن أجمع ما أستطيع من تلك القصائد التي أفادت الجهاد الأفغاني المبارك بتسلسل زمني منسق ، وتحليل منهجي سليم ، ويكون ذلك في ديوان عسى الله أن يفيد به من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

ومن أجل ذلك قمت بدراسة وتحليل القصائد وتبسيط الأضواء الكاشفة عليها كي يتسنى للقاريء استيعابها وبالتالي فهم أبعاد ذلك الجهاد الإسلامي المشرف .

أما المرحلة الأخيرة فقد قمت بتدوين الديوان الذي احتوى على الكم الغفير من القصائد التي عايشته الجهاد الأفغاني من قبل الشعراء العرب . ثم قمت بترجمة مختصرة عن كل شاعر ما استطعت إلى ذلك سبيلا ، وسميت لكل قصيدة البحر الخليلي الذي سار على نهجه كل شاعر بالديوان ، واقتضى ذلك تقطيع البيت الأول من كل قصيدة حتى يتضح لطالب هذا الفن كيفية كتابة الشعر على أصول فنه العريق ، ومن ثم استخرجت معاني ماصعب من كلمات معجمية بالقصائد مستخدمة في ذلك لسان العرب .

سائلة المولى عز وجل أن يوفق الجميع ويعم بنفعه كل صبار شكور إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ ...^١

الباحثة

الباب الأول

أفغانستان

دراسة تاريخية إعلامية جهادية

الفصل الأول : لمحة تاريخية

الفصل الثاني : الأبعاد السياسية والفكرية

الفصل الأول

لمحة تاريخية

إن دراسة السياسات الدولية تتزاوج مع الدراسة الجغرافية السياسية ، والتاريخ لا يتفصل عن الترتيب الجغرافي ، ومسرح السياسات الدولية ونطاقها هو الأرض ^١ إلا أن الموقع يعد أحد العوامل في معادلة السلطة الوطنية في المفهومين الجغرافي والاستراتيجي معا . وعليه فإن جغرافية دولة ما ترتبط بالسلطة الوطنية عبر المناخ ، والمنفذ على البحر ، والتحكم في الأنهار ، وطرق النقل البري وتوفر الموارد الطبيعية . ويعتمد أمن الدولة بشكل واسع على وجود سياسة حدودية واعية لأن الحدود هي الرمز للسلطة والاستقلال الوطني ، وهي أيضا مصدر تقليدي للصراع والتوتر . وكثير من الامبراطوريات العملاقة في آسيا وأوروبا انهارت بسبب السياسات الحدودية الخاطئة ، إما بسبب عدم حفظ حدودها سالمة من الغزو والغارات أو بترك المناوشات الحدودية ^٢

وحسب رأي بروس روسيت فإن للجغرافيا أو الحجم أيضا ميزة في توفير العمق للدفاع العسكري والعزل عن الجيران فالدول الصغيرة يسهل اجتياحها بهجوم عسكري تقليدي مفاجئ ، ولكن جغرافية الدولة وحجمها قد يعني أيضا حدودا طويلة ^٣

إن أفغانستان أي بلاد الأفغان ، (كانت تُعرف في الزمن الغابر ، باسم " آريانا " ^٤ تقع أفغانستان أو بلاد الأفغان جنوب غرب آسيا وآسيا الوسطى ومنطقة الجنوب الآسيوي ^٥ ولها حدود مع آسيا الوسطى في الشمال ومع إيران في الغرب . ومع باكستان إلى الشرق ومع إقليم سينكيانغ الصيني في أقصى الشمال الشرقي ^٦ وهي دولة قارية لا تقع على بحار أو محيطات وهي من أجمل أقطار آسيا الوسطى الغربية وتعتبر بلد الحقائق والزهور ^٧ . وتضم تسعا وعشرين ولاية أو محافظة ، وتمتد البلاد من وسط آسيا إلى بحر البلطيق وإلى شرق سيبيريا

^١ س. واهنمور بوغ (التقنيات الجغرافية والعلمية للعلوم السياسية) المجلد ٤٧ ، العدد ٢ ، ص ٢٣٨: ٢٣٩

^٢ محنتي ، رضوي : حدود باكستان ، ص ١ .

^٣ موسوعة المعلومات ١٩٩٤ - ١٩٩٥ م - ص ٧٥

^٤ آريانا من أقدم أسماء أفغانستان منذ العصور الوبدية القديمة حتى القرن الخامس الميلادي : غبار ، مير غلام محمد : أفغانستان درمسير تاريخ ٩ ، ص ١٠ + دائرة المعارف : ج ٣ ص ٤٣٧

^٥ آرثر س . مانكس ، نولتيكال هاندبوك اوف ذي وورلد ص ٤١ . + القضية الأفغانية ص ٢١ ، بو مطيع عدنان بن حاسم : صحافة الجهاد الأفغاني ص ٢١ + الحصين أحمد بن عبد العزيز : بشار الإيمان في جهاد الأفغان ، ص ٢٩

^٦ دائرة المعارف البريطانية ، المجلد الأول ص ١٦٤ . + د. البار ، محمد علي : أفغانستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو الروسي ، ص ٢٨ .

^٧ عز العرب ، فواد : أفغانستان المجاهدة ص ١٦ ، غانم ، توفيق : اقتصاد أفغانستان ١٢ عاما من الحرب ، ص ٢

وغرب الصين ومنغوليا^١. وعلاوة على ذلك فإن موقعها الاستراتيجي يربطها ربطاً وثيقاً بمشكلات آسيا الوسطى وجنوب غرب آسيا الجيوبوليتيكية. فموقع الدولة هو العامل الأهم في سياستها الخارجية، كما أن موقعها الإقليمي يحدد من سيكونون أصدقاءها وأعداءها وبالتالي مشاكل الأمن الأرضي^٢ وقد قسمها الجغرافي الهولندي هملوم إلى عشرة أقاليم طبيعية^٣ وهناك من قسمها إلى إحدى عشر منطقة جغرافية^٤

المبحث الأول : جغرافية أفغانستان :

١ - البيئة الطبيعية :

صحارى أفغانستان قاحلة ، لها وديان وسهول وغابات ، ولكن ليس لها ساحل بحري ، أقرب البحار إليها هو البحر العربي ويبلغ سكانها ١٧ مليون نسمة^٥. قمم جبالها شاهقة ، فكانت خير معاقل للمجاهدين ، ولعل هذا الموقع ساعد على فشل جنكيز خان^٦ ، ثم بريطانيا ، وأخيراً روسيا في احتلالها. ومن جبالها جبال سليما المتفرعة من هضبة بامير ، ويقول الأستاذ فهمي هويدي في كتابه أفغانستان : (باختصار فإن المفاتيح والمغاليق في أفغانستان معقود على الجبال)^٧

أشهر أنهارها نهر جيحون^٨ ويسمى آمودريا^٩ ويصب في بحيرة خوارزم " بحر أرال"^{١٠}، وينبع من هضبة بامير .

١ سنرال آسيا : الأهمية الجيوبوليتيكية لأفغانستان ، العدد ٣٣ ، ص

٢ نيكولا سباياكومات ، الجغرافيا والسياسة الخارجية ، أمريكياني بوليتيكال ساينس ريفيو ، المجلد ٣٢ ، ص ٢٨ .

٣ هملوم ، أفغانستان ، ص ١٨ .

٤ لويس دوبريه أوب ، سيت الصفحات ٣-٥

٥ الكتاب السنوي ، اليونسكو ١٩٨٩م ص ١٠١ - أنظر أيضا المناخ ص ١٥٠ ، الحسين ، أحمد بن عبد العزيز : بشار الإيمان في جهاد الأفغان ص ٢٩

٦ جنكيز خان : ظهور جنكيز خان في بداية القرن السابع الهجري (٥٩٨ - ٦٢٥ هـ) (١٢٠١ - ١٢٢٧ م) وعدم تقدير حلال الدين حواررمشاه لقوة جنكيز خان واستهتاره بها أدى إلى احتياج جنكيز خان لأراض الدولة الخوارزمية وانهارها السريع غير متوقع أمام جحافل جنكيز خان ، بداية النكبات والمآسي للمسلمين على يد هؤلاء الغول مصاصي الدماء ومنذ عهد جنكيز خان كان في بلاطه بعض المسلمين ، وسرعان ما دخل البلاط المغولي بشاري أيضا . وفي أواخر عهد جنكيز خان في عام (٦٢٣ هـ - ١٢٢٥ م) عاد جنكيز خان إلى موطنه الأصلي في منغوليا بعد أن تم له إخضاع دولة حوارزم وما وراء النهر . (د. أنبار ، محمد علي أنبار ، المسلمون في الإتحاد السوفيتي ، ص ٢٩٣) .

٧ هويدي ، فهمي ، حدث في أفغانستان ، ص ٨٧ .

٨ بارتولد ، تركستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو المغولي .

٩ آمودريا : أي نهر آمو . (د. محمد علي أنبار للمسلمون في الإتحاد السوفيتي ص ٣٦٠)

١٠ بحر أرال هو عبارة عن بحيرة كبيرة يصب فيها عدة أنهار ويقع في جمهورية أوزبكستان وكان يعرف باسم بحيرة حوارزم ويصب فيها أكبر نهر وهو جيحون. (د. محمد علي أنبار : أفغانستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو الروسي ص ٣٥)

أطلق المسلمون على البلاد الواقعة وراءه اسم بلاد " ما وراء النهر " نسبة إليه .
 أشهر مدنها العاصمة كابول^٢ ، ومن مدنها هراة^٣ وقندهار^٤ ومزار شريف^٥ ،
 وبلخ^٦ وهي العاصمة التاريخية وتسمى (أم البلاد) ، وغزنة ، وطالقان^٧ وفارياب^٨ .
 ومن هنا نستنتج مدى أهمية موقع أفغانستان كما قال ماريك سليونسكي (موقع
 أفغانستان أشبه بجسر يفتح كل الطرق المؤدية إلى الشرق الأوسط عبر جنوب آسيا . ويمكنها أن
 تلعب دورا حيويا في الدفاع عن العالم الحر)^٩ ، ومع ذلك فأفغانستان بسلاسلها الجبلية الشاهقة
 وممراتها الأسطورية (خير ، بولان) تحرس الممر الاستراتيجي لجنوب آسيا ولا يستطيع أن يصل
 إليه من غير أن يسيطر على كابول فمثلت أفغانستان المحور بشكل استراتيجي بين إيران
 وباكستان يبقى هو البوابة إلى منطقة جنوب آسيا ، وكانت آريانا قديما مهذا لأكثر الحضارات
 الإنسانية ، وقد أتاح لها موقعها في قلب آسيا وعلى ملتقى الطرق بين الشرق والغرب ، وبين
 الجنوب والشمال ، التقاء وتفاعل الكثير من الثقافات والحضارات التي جاءت في ركاب الغزاة
 الفاتحين وقوافل التجارة .

^١ بلاد ما وراء النهر : وقد ارتبط تاريخ خراسان بتاريخ ما وراء النهر طوال التاريخ الإسلامي ، وكانت بلاد ما وراء نهر جيحون تحكم من خراسان وبالتحديد من العاصمة مرو (واقعة في جمهورية تركمنستان) ثم انتقلت العاصمة إلى بخارى في أيام السامانيين ، ويقول ابن خلكان : كانت قواعد الملك لبلاد ما وراء النهر أربعة : مرو نيسابور (في إيران) هراة (في أفغانستان) بلخ (في أفغانستان) وقد قامت بالقرب منها مدينة مزار شريف (أفغانستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو الروسي ص ٣٦]

^٢ كابول : في الفترة من سنة ٦٣٢ إلى ٦٤٤ م ، كانت مدينة كابيبي في كابيسا هي العاصمة وكانت مركزا هاما من الناحية الثقافية والسياسية وكانت تزدهم بالمعابد المختلفة ورجال الدين وطلاب العلم وقد بنيت مكانها الآن مدينة (بكرام) التي تبعد عن كابول العاصمة حوالي ٦٠ كيلومتر . ثم انتقلت العاصمة إلى كابول [أفغانستان والأدب العربي عبر العصور ... صافي ، محمد أمان ، ص ٢٥] . + المسلمون في أفغانستان د. عبد القادر ، أحمد محمد ، ص ٢٠ ،

^٣ هراة : مدينة أثرية أفغانية قديمة : وينسب إليها الشيخ كنانة بن حبله المروزي وهو من شيوخ الإمام أحمد بن حنبل وإبراهيم بن تهمان المروزي أحد الأعلام من المرحلة . [د. صافي ، محمد أمان : أفغانستان والأدب العربي عبر العصور ص ٢٦٠]

^٤ قندهار : وهي مدينة في الإقليم الثالث الأفغاني . د. البار محمد علي : أفغانستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو الروسي ، ص ٤٥٢ ، ٤٥٣

^٥ مزار شريف : قامت بخوار مدينة بلخ [د. البار ، محمد علي : المسلمون في الاتحاد السوفيتي ص ٢٣٥] + د. عبد القادر ، أحمد محمد : المسلمون في أفغانستان ص ٢٢ .

^٦ بلخ : وهي العاصمة التاريخية وتسمى أم البلاد

^٧ طالقان : وكانت قديما يطلق عليها اسم تالقان وهي عاصمة إقليم (طخارستان = تخارستان - تخار) ويقول البلاذري : إن ليس بن الهيثم هو الذي فتح إقليم (طخارستان) الأفغانية صلحا أيام ولاية عبد الله بن عامر في خراسان في عهد خليفة المسلمين عثمان بن عفان رضي الله عنه [د. صافي محمد أمان : أفغانستان والأدب العربي ، ص ٢٨٢]

^٨ فارياب : كانت عاصمة مقاطعة الجوزجان في شمال أفغانستان وقد اندثرت هذه المدينة الآن وأما عاصمة الإقليم الآن هي مدينة ميمنة [د. البار محمد علي ، المسلمون في الاتحاد السوفيتي ، ص ٢٣٥]

^٩ سليونسكي ماريك (أفغانستان أوربيس ، المجلد ٣٣ العدد الأول ، ص ٣٩ : ٤٩ .

السكان والحياة البشرية :

٩٩٪ من الأفغان مسلمون^١ ، و ٨٥٪ منهم مذهبهم سني حنفي^٢ ، أما قبائل الهزارة والتركمان فشيعة جعفرية، وقلة ضئيلة من الطائفة الإسماعيلية، وهناك طائفة ضئيلة من الهندوس^٣ .

ويمكن تقسيم سكان أفغانستان الحديثة إلى أربع جماعات هي جماعة البشتون وجماعة الأوزبك وجماعة التاجيك وجماعة الهزارة^٤

أكبر الفئات العرقية فتا البشتون^٥ و التاجك^٦ ، اللتان تشكلان ٧٠٪ من مجموع السكان^٧ ، وطائفة البشتون تشكل وحدها ٦٠٪ من الشعب^٨ ، ويتكلم أهلها لغة البشتو ، إحدى اللغتين الرسميتين في البلاد .

المبحث الثاني أفغانستان قبل الإسلام :

بدأت فترة جديدة في تاريخ آريانا ، عرفت بإمبراطورية بكتريا الإغريقية وقام إيثيموس مؤسس هذه المملكة بطرد الهنود من آريانا (٢٢٠ — ١٩٠ ق.م.) ولم يكتف بذلك بل سار بجيوشه إلى الهند واستولى عليها^٩ . ولقد استمر حكم الإغريق لبكتريا مدة قرنين ، وقد تركت فلسفة حكام بكتريا من الإغريق وفنهم ، آثارا واضحة في حياة الشعب استمرت لقرون عدة بعد ذلك ، وفي عهدهم ظهر الفن البكتيري الإغريقي وازدهر . كما بدأ الفن الإغريقي البوذي يظهر

١ المير عبد الله أحمد ، أفغانستان تاريخ وأحداث ، ص ٥٩ و دائرة المعارف الإسلامية كتاب أفغانستان ص ٢٦٠ + د. البار محمد علي : أفغانستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو الروسي ، ص ٥٩ .

٢ د. عبد القادر ، أحمد محمد ، المسلمون في أفغانستان ص ٢٩

٣ الإسماعيلية فرقة باطنية انضمت إلى الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق

٤ أفغانستان عبر العصور ، منشورات ، مكتب أفغانستان القاهرة ١٩٨١ م ص ٦ .

٥ اللتان أو البشتون أو البكت أو السحنون والأفغان كل هذه الألفاظ تطلق حديثا أو قديما على قبائل آرية قديمة انتشرت في جميع أنحاء أفغانستان وبنغولستان وباكستان وفي بعض المناطق الهندية والمناطق الشرقية لإيران وأول من ذكر هذه الأسماء ومسمياتها أبو المورخين هيرودوت (د. صاني محمد آمان : أفغانستان والأدب العربي عبر العصور ص ٥٣٣)

٦ التاجك : يمتازون بالقامة المتوسطة ويسكنون الوديان العليا من إقليم بدخشان وعددهم ٣٦٠.٠٠٠ نسمة ولغتهم هي اللغة الدرية

وهي لغة فارسية [دائرة المعارف البريطانية مادة أفغانستان ط ١٩٨٢ ج ٤ ص ٣٤٠]

٧ عبد الله أحمد المير أفغانستان تاريخ وأحداث ، ص ٣٣ . و محمود شاكرا أفغانستان ، بينما تعلمهم دائرة المعارف البريطانية ٤٠٪ فقط وفي كتاب (أفغانستان بلاد الإسلام ، إصدار لجنة دعم شعب أفغانستان أن الشتر يشكون ٥٨٪ من السكان حسب إحصاء ١٩٦٣ وأن هذه النسبة

زادت كثيرا الآن . ص ٤٤

٨ د. البار ، محمد علي ، أفغانستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو الروسي ص ٥٩ .

٩ د. البار ، محمد علي ، أفغانستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو الروسي ، ص ٩٠ : ١٠٤

هو الآخر تدريجيا . وكانت الأديان في عهدهم تمارس بحرية . وقد كان لحكام بكتيريا الفضل في ازدهار التجارة بين آريانا والصين ، وأصبحت بكتيريا في عهدهم مكانا للالتقاء بين الشرق والغرب ، وكان التجار ينقلون سلعهم عبر نهر الأكسوس إلى البحر الأسود ومنه إلى مناطق البحر الأبيض ، وفي أواخر عهد حكام بكتيريا ، تعاقبت أسر بادت البارتيين ثم الأسكا ثم البهلوية ثم الكوشانيين على حكم المناطق شمال جبال هندوكش . وكان عصر الكوشانيين من أزهى العصور في حكم آريانا، وهم من قبائل بوتشي ، وقد جاوزوا من موطنهم في شمال نهر الأكسوس وعبروه جنوبا واستولوا على باختر واختلطوا بالقبائل الذين لقبوهم بالكوشانيين أو الطخاريين ، وكان منهم جماعة من ملوك الطوائف ، ثم قام أحدهم " كوني شوانك " بضم هذه الولايات ، في مملكة واحدة للكوشانيين ، وكان أشهر ملوكهم هو كدفيزس (٧٨ - ٤٠ ق. م.) ويقول استرابو " إن الإغريق في بكتيريا أصبحوا سادة لآريانا والهند . ومع دخول جيوشهم إلى الهند ، انتشر الفن الإغريقي البكتيري بها ، وفي عهد آخر ملوكهم في كابول (٤٥ — ٢٠ ق. م.) بدأ نفوذهم يضمحل واقتصر حكمهم على كابول وكرديز (جرديز) " ١ ، وفي عهد كدفيزس الثاني ، هزم **الأسكا** ومد إمبراطوريته إلى الهند ، وتبادل الرسل مع حكام الإمبراطورية الرومانية ، ومن بعده جاء كانيشكا (١٢٠ - ١٦٠ م) الذي اشتهر بأمير جندهار (قندهار) ، وبلغت إمبراطورية الكوشانيين في عصره أوج مجدها ، ووصلت حدودها من بكتيريا إلى بنارس ومن كشمير إلى سيستان (سجستان) وكانت تضم وديان أنهار الأكسوس وجانجا والأندوس وثارن وامتدت حتى وصلت حدود الصين والتبت . وقد أنشأ لنفسه عاصمتين إحداهما في كابيسا " شمال كابول " للصيف والثانية في بشاور يقضي فيها الشتاء ٢ ، وكان كانيشكا من المؤمنين بالبوذية ، وقد أرسل الرسل إلى الصين والشرق الأقصى وإلى جميع أنحاء آسيا لنشر البوذية ، وبذلك وصلت البوذية في عصره أوج مجدها ، وفي خلال القرن الأول الميلادي أخذت اللغة اليونانية التي أصبحت منذ عهد الإسكندر اللغة الرسمية للبلاد ، تتلاشى بعد ذلك تدريجيا ، وحلت محلها اللغة الطخارية إحدى اللغات الآرية في عهد كانيشكا ، ومن خلال ذلك كله ، ظهرت الثقافة والحضارة البوذية الإغريقية ، ويعتقد بعض المؤرخين أن مدرسة الفن البوذي الإغريقي نشأت في بكتيريا شمال جبال هندوكش والبعض يرى أنها نشأت في جندهار في وادي كابول ٣ . وفي أوائل القرن الثالث الميلادي ٤ ، بدأت مملكة الكوشانيين الكبار تضمحل بسبب

١ لويس ، دوريه ، مرجع سابق ، ص ٣١٩ .

٢ واكمان ، أمين : أفغانستان على مفترق الطرق ص ٢ .

٣ لويس ، دوريه : مرجع سابق ، ص ٣٢٢ .

٤ د. البار محمد علي : أفغانستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو الروسي ص ٨٦ ، ٨٧ .

الحروب الداخلية وفتوحات الهند ثم ظهور الساسانيين في إيران وبرغم ذلك ظل أمراء الكوشانيين يحكمون ولايات متفرقة لعدة قرون ، وفي القرن الرابع الميلادي بدأت قوة الكوشانيين تزداد ، كما بدأ حكم الكوشانيين الصغار يضمحل وفي نهاية القرن الرابع الميلادي تلاشى الحكم الكوشاني تحت تأثير ضربات قبائل الهون البيضاء والتوسع الساساني ، وهكذا حكم البلاد بعد ذلك أسر مختلفة منها اليفتلية الذين سبهم العرب الهياطلة (٣٨٥ م - ٤٢٠ م) ثم راتبيل شاهان^١ . وبعد منتصف القرن السابع الميلادي بقليل ، هزمت أسرة تانج الصينية الأتراك^٢ الشرقيين . ولمدة تقرب من القرن (٦٥٩ م - ٧٥١ م) وكانت هناك ست عشرة (١٦) مملكة صغيرة في شمال وجنوب هندوكش تدين بالولاء لإمبراطور الصين^٣ ،

المبحث الثالث دخول الإسلام إلى أفغانستان :

قد تم فتح أفغانستان عام ٢٣ هـ (٦٤٥ م) في عهد عمر بن الخطاب واستمر في عهد عثمان - رضي الله عنهما - والعاصمة كابول لم تفتح إلا في أيام بني مروان . وطريق الفتح بدأ من الشمال الغربي لأفغانستان . وقد قوبل العرب بمقاومة شديدة من ممالك أفغانستان ، مما تجدر الإشارة إليه أن المسيحية كانت قد وصلت قبل ذلك بقرنين أو ثلاثة إلى سمرقند^٤ ومرو^٥ ، وبالرغم من ذلك فإن مسيحيا واحدا لم يصل إلى مناطق أفغانستان ، ولقد تمكن الإسلام في بداية عهده في منطقة آسيا الوسطى من التغلب على البوذية والوصول إلى قلب أفغانستان في عهد ثالث الخلفاء الراشدين سيدنا عثمان رضي الله عنه ، وذلك بالاستيلاء على كابول وهراة وبلغ^٦ حوالي سنة ٦٧٢ م ، وبدخول الإسلام أقبل عليه أهلها بترحاب وانسراح . فحملوا راية الإسلام خفاقة إلى الهند ، وساهموا حقيقة في تأسيس أعظم الإمبراطوريات الإسلامية فيها .

^١ راتبيل شاه : أرسل معاوية القائد المغوار المهلب بن أبي صفرة إلى أفغانستان وهاجم المهلب الرتبيل ملك كابول (والرتبيل لقب الملك كابول مثل كسرى لفارس وقبصر للروم) وانهزم الرتبيل ودفع الجزية ، فلما ولي المهلب بن أبي صفرة قام الرتبيل بنقض العهد فأرسل معاوية الربيع بن زياد فقاتله قتالا شديدا وحضر الرتبيل مرة أخرى ودفع ألف ألف ومائتي ألف درهم صلحا [د. محمد علي البار : أفغانستان من الفتح الإسلامي ص ١٠٣]

^٢ الأتراك (السلاجقة) (٤٤٢٩ هـ / ١٠٣٨ م - ١١٥٧) : لقد ظهرت الدولة السلجوقية على يد سلجوق بن دقاق وهو من الأتراك الشرقيين بعد أن دخل الإسلام وعظم نفوذه كقوة عسكرية صدت قوات الأتراك الكفار من قبائل الطغرغز ، [د. محمد علي البار : أفغانستان من الفتح الإسلامي ص ١٥٦]

^٣ لويس ، دريه ، مرجع سابق ، ص ٣٥١ .

^٤ سمرقند : يقال لها بالعربية سمران وهي بلد معروف مشهور قيل : أنه من أبية ذي القرنين بما رواء النهر [الحموي ، ياقوت : معجم البلدان ج ٢٤٧/٣]

^٥ مرو .. الشاهجان : أشهر مدن خراسان وبينها وبين نيسابور سيمون فرسخ [المصدر السابق ج ١١٣/٥]

^٦ بلغ : من أشهر مدن خراسان وتبعد عن جيحون بمائتي عشر فرسخا وقد كانت تسمى قبة الإسلام وقد اندثرت بلغ وقامت بالغرب منها مدينة مزار شريف [د. انار محمد علي المسلمون في الاتحاد السوفيتي ص ٢٣٥]

أما مناطق جنوب جبال هندوكش فلم يصلها الإسلام إلا في أواخر القرن التاسع الميلادي في عهد يعقوب بن الليث الصفاري^١ بعد احتلاله غزني (غزنة) في سنة ٧٨٠م ، واستيلائه بعد ذلك على كابول والمناطق الموجودة جنوبي جبال هندوكش . وأفغانستان محاطة بالشيعة السبئية والإسماعيلية من الشرق والجنوب ، والاثني عشرية من الغرب ، ومع ذلك نجد الأغلبية العظمى من الأفغان سنيين ، وأحنافا ، ومن يختلط بالأفغان ويدرس طباعهم لا يدهش مطلقا — مع ما فُطروا عليه من حرية الرأي — من اعتناقهم مذهب أصحاب الرأي ، ولا يغيب عن أذهاننا أن أبا حنيفة أفغاني الأصل . والشعب الأفغاني هو من أقرب الشعوب الإسلامية (غير العربية) إلى الشعب العربي ، ويرتبط الشعبان بصلات قديمة ووثيقة ، وكما شهد القرن العاشر الميلادي انتشار الإسلام في أفغانستان^٢ ، فقد شهد أيضا بداية ضعف سلطة الخليفة العباسي^٣ وانتشار روح القومية وقيام الأسر المحلية سواء كانت أفغانية أو إيرانية أم تركية بحكم بلادها في فارس وبلاد ما وراء النهر^٤ وهذه الدول هي :

الدولة الطاهرية :

أسسها طاهر بن الحسين في خراسان في عهد الخليفة المأمون (٢٠٥ هـ - ٢٥٩ هـ) = (٨٢٠ م - ٨٧٢ م)^٥

الدولة الصفارية : (٢٥٤ هـ - ٢٩٠ هـ) = (٨٦٨ م - ٩٠٢ م). وتأسست الدولة الصفارية على يد يعقوب بن الليث الصفاري الذي حارب الطاهريين واستولى على هراة ونيسابور في أيام الخليفة المعتمد (٢٥٩ هـ)^٦

الدولة السامانية : (٢٦١ هـ - ٣٨٩ هـ) = (٨٧٤ م - ١٩٩٨ م) :

كانت السامانية أسرة عريقة أصلها من بلخ نالت الحظوة عند الخليفة المأمون فولاهـا بلاد ما وراء النهر (آسيا الوسطى) وأشهر ملوكهم إسماعيل بن أحمد الساماني^٧

^١ يعقوب بن الليث الصفار « أبو يوسف » أبطال العالم وأحد الأمراء الأدهاء الكبار وكان في صغر سنه يعمل الخضر (النحاس) في خراسان ويظهر الزهد ثم تطلع في قتال الشراة . وتوفي في حنديسابور (خورستان) [الأعلام ٢٠١/٨]

^٢ أساداتي ، أحمد محمود : أفغانستان ، ص ١٤ .

^٣ الخليفة العباسي : أبو مسلم الخراساني [د . آبار محمد علي : أفغانستان من الفتح الإسلامي ص ١١٤] ، الخراسانيون ، عرفة ، ثريا حافظ ص ٢١ + .

^٤ د . آبار ، محمد علي : أفغانستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو الروسي ، ص ٩٠ : ١٠٤ .

^٥ المرجع السابق ، ص ١١٦ : ١٢٠ + ، د . صافي ، محمد أمان : أفغانستان والأدب العربي عبر العصور ، ص ٣٣٦ . ، نقلا عن تاريخ الحضارة

الإسلامية في الشرق ٤٦١

^٦ د . آبار ، محمد علي : مرجع سابق ، ص ١٢٢ : ١٢٧ .

^٧ المرجع السابق ، ص ١٣١ : ١٣٤

الدولة الغزنوية : (٣٥١-٥٨٣هـ) = (٩٦٢-١١٨٧م)^١ :

كان البتكين من الموالي الأتراك الذين كانت لهم منزلة كبيرة عند السامانيين ، فأسندوا إليه المناصب الكبيرة . وكان حاجباً في بلاط عبد الملك بن نوح الساماني ثم عينه عاملاً على مدينة هراة (٣٤٤هـ) (٩٥٥ م) . ولكنه أقصي عن منصبه بعد وفاة مولاه . فعاد على مدينة غزني التي كان أبوه واليا عليها من قبل السامانيين وحل محله في حكمها بعد وفاته في سنة (٣٥٢هـ) (٩٦٣ م) . ولم يتمكن هو أو ابنه إسحاق من توسيع نفوذ الغزنويين وجاء من بعده سبكتكين زوج ابنة إسحاق ويعتبرونه المؤسس الحقيقي للدولة الغزنوية .

خلفاء محمود الغزنوي : استمر حكم خلفاء محمود الغزنوي قرابة قرنين حتى اضمحل حكمهم بتأثير الأتراك السلاجقة وقبائل الغوريين^٢ ، فقد سقطت خراسان وشمال أفغانستان في أيدي قبائل السلاجقة وقد استولى علاء الدين الغوري على غزني في سنة (٤٤٨هـ) (١١٥٣م) وطرد آخر السلاطين إلى الهند ، وزالت الدولة الغزنوية على يد شهاب الدين الغوري سنة (٤٨٤هـ) (١١٨٧م) وتداعى سلطان الغزنويين في الهند وانقسمت إلى أسر إسلامية مستقلة^٣ .

الدولة الغورية : (٣٤هـ - ٧٨٣هـ) = (٦٥٤م - ١٣٨١م) بشمول حكام الأسرة الكرّية^٤ : عاصمتها فيروز كوه^٥ ، في سنة (٤٧٢هـ) (١١٧٥م) ، غزا محمد الغوري الهند وعند موته في سنة (٤٢٣هـ) (١٠٢٦م) ، أصبح قطب الدين أيلك^٦ قائد أول سلطان لدلهي .

الأسرة الخوارزمية وغزو جنكيز خان :

بعد موت محمد الغوري ، احتل السلطان علاء محمد شاه خوارزم أفغانستان^٧ ، حاول الاستيلاء على بغداد .

١ د . البار ، محمد علي : أفغانستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو الروسي ، ص ١٣٦ : ١٥٤ .

٢ الغوريون : ظهر الغوريون من منطقة الغر الجبلية الحرداء النورة في وسط أفغانستان وكان هؤلاء الجبلون الأشداء قد دخلوا في الإسلام بعد أن فتح السلطان محمود الغزنوي أرضهم النورة والغرط كثير منهم في جيوشه .. [د . البار محمد علي : أفغانستان من الفتح العربي ص ١٥٩]

٣ المرجع السابق ، ص ١٥٦ : ١٥٨ .

٤ د . البار محمد علي : أفغانستان من الفتح العربي ، ص ٢٧٠

٥ انظر تاريخ الدولة الغورية ، فقيل أفغانستان في العصور الإسلامية . ص ٤٢٦

٦ قطب الدين أيلك : لقد استطاع الغوريون البقاء في الهند وذلك بعد فضل الله ثم القائد الكبير قطب الدين أيلك الذي استطاع أن يفتح دلهي .

[د . البار ، محمد علي : أفغانستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو الروسي ص ١٦٥]

٧ علاء الدين محمد (شاه خوارزم) : وسع رقعة الدولة الخوارزمية وقضى على منافسه في بلاد الأفغان غياث الدين الغوري واستولى على عاصمة الغوريين (فيروز كوه) وبذلك خضعت أفغانستان جميعها لحكم الخوارزميين [المصدر السابق ص ١٥٨]

ثم عدل عن ذلك عندما سمع بغزو جنكيز خان لبلاده ١.

وخلفه ابنه ٢ جلال الدين منكبرتي ٣ وقاد حملة ضد المغول ليحرر بلاده وتحالف في ذلك مع القبائل الأفغانية وأوقفوا الهزيمة بأحد قواد جنكيز خان قرب كابول ، وقد اتخذ غزني قاعدة لعملياته الحربية ضد المغول، وبعد موت جنكيز خان في سنة (٥٢٨ هـ) (١٢٢٧ م) ، خلفه هولاكو ٤ وبدأت الإمبراطورية المغولية تضمحل وتنقسم ، وظل الحال على ذلك حتى استولى تيمور على البلاد وبدأ في إصلاح ما أفسده المغول ٥.

التيموريون في هراة :

تمكن تيمورلنك الذي عرف أيضا باسم تيمور كركن أي المليح ٦ من إنهاء حكم المغول في أفغانستان واستولى على هراة وكابل وقندهار كما دمر سيستان في سنة (٦٩٨ هـ) (١٣٨٩ م) ، ومات في سنة (٧١٥ هـ) (١٤٠٥ م) ، وفي أوائل القرن السادس عشر الميلادي ازدادت قوة الأوزبك تحت زعامة محمد خان الشيباني ٧ وكان احتلالهم لهراة في سنة (٨٢٢ هـ) (١٥٠٧ م) نهاية لإمبراطورية التيموريين ، وفي خلال القرنين ١٣ ، ١٤ الميلاديين تدفقت قبائل المغول ٨ والأتراك والأوزبك بأعداد وفيرة على أفغانستان من أواسط

آسيا ٩

١ د. البار ، محمد علي : أفغانستان من الفتح الإسلامي إلى الاحتلال الروسي ، ص ١٦٨ .

٢ المرجع السابق ، ص ١٦٩ ، ١٧٠ .

٣ جلال الدين منكبرتي : آخر شاهات خوارزم أندولة الخوارزمية [المصدر السابق ص ١٥٨]

٤ جغتاي وغرا هولاكو : كان شديد الميل إلى الاستماع إلى رسل البابا وبغ الفتيات الجميلات اللاتي يرسلهن مما أدى إلى عودة البطش بالمسلمين وتقريب النصارى واشتداد نفوذهم في بلاط الخان المغولي . وتضافرت جهود البوذيين والنصليين في إثارة الأحقاد في قلوب جغتاي وأولاده ضد المسلمين [د. البار ، محمد علي : أفغانستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو الروسي ، ص ١٧٢]

٥ تعتبر مدينة أركوتسك مدينة إسلامية أما منغوليا موطن المغول الأول الذين ظهر منهم جنكيز خان وسلالته فإن ما يقرب من نصف سكانها مسلمون وفي القرن السابع الهجري وبانذات سنة ٦١٨ هـ احتاج المغول مملكة خوارزم الإسلامية وسقطت على أثرها الممالك الإسلامية واحدة إثر الأخرى حتى سقطت بغداد على يد هولاكو . [د. البار محمد علي : المسلمون في الاتحاد السوفيتي ، ص ٨٢]

٦ د. البار ، محمد علي : أفغانستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو الروسي ، ص ١٧٨

٧ محمد خان الشيباني حفيد أبو الخير الشيباني وينسب هؤلاء إلى أصغر أولاد جوجي ابن جنكيز خان وقد غزا محمد الشيباني أفغانستان وخراسان سنة ٩٠٦ م (١٥٠٠ م) وضمتها إلى مملكة آل شيبان وكان شديدا في صراعه مع الشيعة ، وقتل في أثناء معركة مع الشاه إسماعيل الأول صاحب الدولة الصفوية بالقرب من مرو سنة ٩١٦ هـ [د. البار ، محمد علي : المسلمون في الاتحاد السوفيتي ص ٣٠٥]

٨ اتقبائل المغولية ويعرفون بالقرقرة : وهم من بقايا المغول الذين دخلوا أفغانستان مع جيوش جنكيز خان [د. البار ، محمد علي : أفغانستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو الروسي ، ص ٦٥]

٩ المصدر السابق ، ص ١٨٦ و دائرة المعارف البريطانية (مادة أفغانستان) ص ٥٦٦

حكم المغول :

تمكن ظهير الدين محمد بابر^١ أحد أحفاد تيمورلنك من إعادة مجد إمبراطورية تيمورلنك وذلك بعد وفاته بحوالي مائة عام، وقد سُمي بالإمبراطور "بابر" أو النمر وقد وُلد سنة (٧٩٦هـ) (١٤٨٣م) ، واستولى على كابول في سنة (٨٢٠هـ) (١٥٠٥م) ، وقد جعل منها قاعدة لعملياته في الشرق والجنوب ، واستولى بابر على دلهي وأسس بذلك إمبراطورية المغول في الهند التي استمرت تحكم الهند حتى منتصف القرن التاسع ، وقد اتخذ أجرا^٢ عاصمةً للملكة، ومات بابر (٩٠٥هـ) (١٥٣٠م) ، وخلال القرنين التاليين ظلت أفغانستان مقسمة سياسياً بين المغول في الهند والصفويين في فارس^٣ . ولي بابر سليمان علي بدخشان وأسس بذلك أسرة شبه مستقلة هناك دافعت عنها ضد الأوزبك ، خلف بابر ابنه همايون^٤ الذي حارب آخر أمراء اللوديين الأفغان في الهند . واستمرت الحرب بينه وبين شيرشاه سوري (غوري)^٥ أحد أمرائهم عشر سنوات ، فقد بعدها دلهي وفر من الهند عبر أفغانستان إلى فارس ، وبقي في بلاد الشاه "طهماسب"^٦ في إيران حتى وفاة "شيرشاه" فعاد إلى الهند واستعاد دلهي في سنة (٩٣١هـ) (١٥٥٥م) ، ولكنه توفي في سنة (٩٣٢هـ) (١٥٥٦م) وخلفه ابنه أكبر بن طهماسب^٧ ، تمكن أكبر من إخضاع البشتون ولكنه وضع نظاماً منحت بمقتضاه قبيلة أفريدي بعض الحقوق في سبيل الحفاظ على ممر خير^٨ مفتوحاً تحت سلطته ، وفي سنة (٩٧٣هـ) (١٥٩٥م) تمكن من استعادة قندهار وظلت تحت حكمه حتى موته سنة (٩٨٣هـ) (١٦٠٥م) ، وفي

^١ محمد بابر مؤسس الدولة التيمورية في الهند : في أواخر عهد السلطان حسين باباقر ظهر فرع جديد للبيت التيموري في أفغانستان فقد استولى بابر وهو أحد أحفاد تيمورلنك على كابول بعد أن فشل في إقامة دولته في سمرقند وبخارى [د. البابر ، محمد علي : أفغانستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو الأروسي ، ص ١٨٣]

^٢ أكرا (أحر) : شرع بابر في توطيد حكمه في جنوب أفغانستان فاحتل دلهي وأكرا وجعل منهما مقراً لحكمه [المصدر السابق ، ص ١٨٤]
^٣ المصدر السابق ، ص ١٨٨

^٤ همايون : تولى همايون حكم الهند وقد كان الابن الأكبر لبابر ، كما استولى على قندهار التي سلمها للشيخ مقابل مساعدته له .. ثم استولى على كابل وتولى همايون بعد ذلك عامين أي ٩٣هـ [د. البابر ، محمد علي : أفغانستان منذ الفتح الإسلامي ، ص ١٩٠]

^٥ شيرشاه سوري : كان قائد جيوش همايون في الهند وقد كان أفغاني الأصل وقام بشبه انقلاب عسكري ضد همايون واستطاع أن يسيطر نفوذه على الولاية [د. البابر ، محمد علي : أفغانستان منذ الفتح الإسلامي ، ص ١٩٠]

^٦ طهماسب خليفة إسماعيل شاه ، واستولى على قندهار سنة ٩٥٦هـ (١٥٥٨م) [المصدر السابق ، ص ١٩٠]

^٧ أكبر بن همايون : حلف همايون ابنه أكبر الذي اشتهر في التاريخ بمحاولته الجنوبية في توحيد الهندوكية والإسلام والمسيحية [المصدر السابق ص ١٩٠]

^٨ ممر خير : يصل جلال آباد في أفغانستان بمدينة بشاور في باكستان وهو الممر الرئيسي الذي تدخل منه تجارة أفغانستان .. ويرجع بعض المؤرخين إلى تسمية هذا الممر بهذا الاسم إلى وجود فئة من اليهود في أفغانستان من قديم الزمان [المصدر السابق ، ص ٢٣٩]

نفس الوقت تمكن الشاه عباس إمبراطور إيران من استعادة هراة بعد أن طرد منها الأوزبك وظلت تحت الحكم الإيراني حتى حررتها قبائل الإبدالية^١ الأفغانية في سنة (١٠٩٩ هـ) .

(١٧١٦م) . وخلف أكبر ابنه جهانكير (١٠١٥ هـ - ١٠٣٨ هـ) (١٦٠٥م - ١٦٢٧م) ، وفي عهد الخليفة شاه جهان وصلت الإمبراطورية المغولية أوج مجدها واستعادة قندهار في سنة (١٠٤٩ هـ) (١٦٣٨م) . وقد استولى على بلخ في سنة (١٠٥٢ هـ) (١٦٤١م) ، وبقيت بلخ وترمز^٢ تحت الحكم المغولي حتى سنة (١٠٥٨ هـ) (١٦٤٧م) ، وفي سنة (١٠٥٩ هـ) (١٦٤٨م) بدأت الجيوش الإمبراطورية تتراجع إلى كابول تاركة وادي "آمودريا" ، واستغل الصفويون مظاهر الضعف هذه واستولى الشاه عباس الثاني على قندهار وهدد غزني ، وقد تمكن بامير ويسمى خان بعد ذلك من قندهار وفشلت كل المحاولات للقضاء عليه ، ومات بعد ذلك بقليل سنة (١١٢٨ هـ) (١٧١٥م) ، وخلفه ابنه محمود بن بامير^٣ ، وتعتبر فترة حكم ويس أحد أبناء عشيرة الهوتكية من قبيلة "غلزائي" بداية الحكم الوطني الأفغاني . وبعد حصار دام ستة أشهر لحاضرة حكم الصفويين تنازل الشاه حسين عن العرش الإيراني وتوسعت مملكة الغلزنانيين به ، وبعد موت محمود في سنة (١١٢٩ هـ) (١٧٢٥م) ، خلفه أصغر أخواله الشاه أشرف^٤ ، وقد جاء إلى الحكم في فترة حرجة من حكم الأفغان لفارس ، فقد كان الروس يتقدمون شمالا بينما استولى الأتراك العثمانيون على بعض المناطق في غرب فارس ، إلا أن الشاه أشرف استطاع أن يهزم الأتراك العثمانيين الذين كانوا يتقدمون نحو العاصمة ، ولكنه هزم في "دمغان" في ٢ تشرين الأول (أكتوبر) سنة (١١٢٣ هـ) (١٧١٩م) ولم يستطع البقاء في فارس فتراجع إلى أفغانستان وقتله أحد زعماء بلوخستان في سيستان^٥ .

^١ قبائل إبدالي : قبائل تسكن الحبال وقد انحدروا من الحبال وسكنوا في النوديان الحصينة بقندهار ، وزمين ، وترنك ، وارغنداب ، وظلت تنمو تلك القبيلة دون أن تخضع لأي من الدولتين الكبيرتين المتنافستين وهما المغولية في الهند والصفوية في فارس [المصدر السابق ، ص ١٩١ هـ]

^٢ ترمد / مدينة مشهورة كبيرة على نهر جيحون من جانبه الشرقي ، وينسب إليها : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة التومندي أحد أئمة الحديث وفتية من سعيد وعلي بن حجر واس بشار وغيرهم ، وتقوم بها صناعة الصابون وصناعة السفن [المسلمون د. البار ، محمد علي ، ص ٣٦٢ ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٢/٢٦]

^٣ محمود بن ميرويس : لما مات ميرويس خلفه أخوه عبد الله الذي كان ميالا للسلم وأراد أن يصالح الشاه على شرط أن تبقى قندهار في يده فلما علم محمود بذلك قتل عمه واستولى على الحكم في قندهار ولما رأى اضطراب حكومة الشاه حسين وسوء حالها وضعفها طمع في الاستيلاء على أراضي الشاه فساق حده من طريق كرمان واستولى عليها دون حرب لعدم وجود حامية وأرسل الشاه جيشا إلى قوات محمود فغلزدهم من كرمان [المصدر السابق ، ص ١٩٤]

^٤ الأشرف بن عبد الله العلحاني : [د.البار ، محمد علي : أفغانستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو الروسي ص ١٩٨] + د. البيلة محمد حسن : الحرب الأفغانية الأولى ص ١٣ + الأفغاني جمال الدين : تنمة البيان في تاريخ الأفغان + عبد الرحمن يوسف : القضية الأفغانية ، ص ١٥ .

^٥ الأفغاني ، جمال الدين (تنمة البيان في تاريخ الأفغان) ص ٦٤ .

المبحث الرابع أفغانستان في العصر الحديث :

حكم نادر شاه :

كان توسع الغزنائيين سبباً في فقدهم لملكهم في فارس وأفغانستان، وتمكن الأفغان في موقعة "كافر خيل" بالقرب من الحدود من إيقاع الهزيمة بالفرس في سنة (١١٣٥ هـ) (١٧٣١ م) وقام نادر بالهجوم على هراة في سنة (١١٣٦ هـ) (١٧٣٢ م) ، بعد أن حصل على التعزيزات اللازمة، وقد انتخب نادر "أفشار" ملكاً على فارس باسم "نادر شاه" في سنة (١١٤٠ هـ) (١٧٣٦ م)^١.

وفي سنة (١١٤١ هـ) (١٧٣٧ م) سار إلى قندهار في جيش قوامه ٨٠،٠٠٠ مقاتل وحاصر المدينة لمدة سنة اضطرت المدينة بعدها للتسليم، استولى على غزني وكابل واتجه شرقاً إلى الهند وهزم المغول في موقعة (كارنال) شمالي دلهي في سنة (١١٤٣ هـ) (١٧٣٩ م) ، وعاد إلى فارس عن طريق أفغانستان، وفي سنة (١١٥١ هـ) (١٧٤٧ م) اغتاله أحد ضباط الفرس في خراسان^٢.

أحمد شاه والأسرة الدرانية :

بعد موت نادر شاه تمزقت امبراطوريته^٣، وكان أحمد خان أبدالي^٤ قد برز كأحد قواده، وبعد موته هاجم في جماعة من الأبداليين قبيلة فارسية وعاد إلى قندهار ودخلها مع حوالي ٤٠٠٠ من الأبداليين. وفي سنة (١١٥١ هـ) (١٧٤٧ م) انتخب أحمد شاه ملكاً على أفغانستان^٥.

^١ الأفغاني ، جمال الدين ، تنمية البيان في تاريخ الأفغان ، ص ٢٠٣

^٢ د. العيلة ، محمد حسن : الحرب الأفغانية الأولى ص ١٤ + الجهاد . ع ٣٩ ص ٣٨ : ٤١ . حماد الآخر ١٠٤٨ هـ — فبراير ١٩٨٨ م و د. البار ، محمد علي : أفغانستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو الروسي ، ص ٢٠٢ : ٢٠٦ .

^٣ د. العيلة ، محمد حسن ، مرجع سابق ، ص ١٥

^٤ أحمد خان الأبدالي (دردران) : برز في جيش نادر شاه قائداً ، ولما رأى أحمد خان الأبدالي اغتيال رئيسه نادر شاه جمع فرقته الأفغانية وانسحب بها إلى قندهار ، وأقام منذ ذلك الحين دولة أفغانستان الحديثة وتلقب أحمد بلقب شاه وعرف باسم دردران [المصدر السابق ،

ص ٢٠٤]

^٥ عبد الرحمن ، يوسف : القضية الأفغانية ، ص ١٥ + د. العيلة محمد حسن مرجع سابق ، ص ١٦

الفصل الثاني : الأبعاد السياسية والفكرية

الغزو الروسي لأفغانستان أسبابه - العوامل المساعدة على الغزو -

حوادثه - نتائجه

دور الإعلام في القضية

ظلت أفغانستان معتركا للقوى السياسية والدينية ، فخضعت لغزوات لا حصر لها وتعود نشأة الكيان السياسي المستقل لأفغانستان إلى عام (١١٨٠ هـ - ١٧٤٧ م) عندما طرد أحمد شاه دراني^١ . وظلت طوال القرن التاسع عشر خاضعة للاحتلال البريطاني قائمة بدور الحاجز بين روسيا والهند البريطانية^٢ ، وكانت أفغانستان محايدة خلال الحربين العالميتين . ثم أطيح بالنظام الملكي في انقلاب عسكري في (٢٣ ربيع الآخر ١٣٩٨ هـ - إبريل ١٩٧٨ م) ليتولى محمد نور ترهكي زعيم الحزب الديمقراطي رئاسة الحكومة^٣ ، وسميت الدولة بجمهورية أفغانستان الديمقراطية ، وحظر نشاط كل الأحزاب السياسية عدا الحزب الشيوعي^٤ . وقبل أن تدخل روسيا إلى أفغانستان بغزوها المسلح مهدت لذلك بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة ، ووجدت بين دعاة القومية التي جددت في حياة أفغانستان بعد تقسيم الهند فرصة متاحة ، ومجالا صالحا لإشغال الفتن ، ووجدت في الحكام من أبناء أفغانستان في ظل ملكية متحللة أعوانا لشتعال تلك الفتن ، وبدأت تتغلغل في البلاد باسم القروض والمعونات الاقتصادية والعسكرية ، وهكذا استدرجت أولئك الحكام ، والفئة المرتقة التي تحيط بهم واستغوتهم فقرطوا في صلابة أرضهم المؤمنة الصامدة أمام شتى أنواع الزخوف الشيوعية ، وفتحوا المجالات للخبراء الفنيين الذين دربتهم مؤسسات الحزب الشيوعي على تأدية مهمتهم فكانوا ينشرون المبادئ الشيوعية ، ويحاولون تجميع أكبر عدد ممكن من الشباب .

^١ أفغانستان في بلاد الإسلام ، ص ٨٨

^٢ أبو العنين ، فهمي محمد : أفغانستان بين الأمس واليوم ، ص ، د. المصري ، جميل محمد علي : حاضر العالم الإسلامي وقضاياها ج ٢

، ص ٥٣٩

^٣ الحصين ، أحمد بن عبد العزيز : بشار الإيمان في جهاد الأفغان ، ص ٤٦

^٤ عبد ربه ، نبيه زكريا : عبد رب الرسول سيف ، ص ١٨

المبحث الأول : أسباب الغزو الروسي :

لم تقدم روسيا على احتلال أفغانستان لتحقيق هدف واحد ، ولكنها أقدمت على هذه المغامرة العسكرية لعدة أهداف متداخلة يمكن بسردها أن نفسر هذا العدوان :
إن العدوان واحتلال الأراضي جزءاً أساسياً من سياسة روسيا الشيوعية ، ذلك أن قاداتها الجالسين في الكرملين يعتبرون أن خير وسيلة للدفاع هي الهجوم .
تقديم الأيديولوجية الفاسدة المنحرفة والملحدة لدول العالم الثالث بدلاً مما لديها من عقائد ، وإن الفرصة لسانحة لدى بعض شعوب العالم الثالث لتقبل ذلك لوجود الخواء الديني والفكري عندها ، كما حدث في كوبا والحبشة والكونغو وغيرها .
تدخل الاتحاد السوفيتي^١ في العالم الثالث يكون من ضمن أهدافه تدعيم الأحزاب الشيوعية ، في البلاد المستهدفة كما هو واضح من سياسته وممارسته في أفغانستان^٢ .

أفغانستان بوابة العالم الإسلامي :

تعد أفغانستان بوابة العالم الإسلامي ، والاستيلاء عليها بداية التطويق للأرض الإسلامية^٣ ، ولا يقتصر على جارتها المسلمتين باكستان وإيران بل يتعدى انطلاقاً منهما إلى دول الخليج حتى يحوم بالتالي حول المقدسات الإسلامية وأوطانها الغالية ، ويعم العالم الإسلامي ويهدد الحضارة الإنسانية وهي تعاني مضاعفات أوضاعها الممزقة . ونظراً لموقع أفغانستان الإستراتيجي تعد مفتاح وسط آسيا ، وجسراً يؤدي إلى أكبر دول القارة المحيطة بها وهو الاتحاد السوفيتي السابق والصين والهند ، لذلك كان الجميع يطمعون فيها ، إذ أن السيطرة عليها من قبل أي قوة ذات شأن - عسكرية أو غير عسكرية - يعني على الفور الوصول إلى أبواب بقية الجيران . فمن أنجولا إلى الكونغو زائير ، ومن الأوجادين إلى الصومال ، ومن أفغانستان إلى باكستان ، ومن شواطئ بلوخيستان في باكستان على بحر العرب إلى بلاد الخليج والسعودية . ولم تكن روسيا هي الوحيدة التي أدركت أهمية هذه المنطقة من العالم ، إذ سبقتها إليها الامبراطورية البريطانية ومنذ ذلك الوقت تصادمت مطامع الدولتين في أفغانستان وحاولت كل منهما جاهدة

١ د. فضة ، محمد إبراهيم : التدخل السوفيتي في أفغانستان ، ص ٩٨

٢ الأمان المتحدة ، ص ٢٩٤

٣ د. عبد القادر ، أحمد محمد ، ص ٦٥ ، البيان المخصوص ، العدد ١٨ ، جماد الأول ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ، ص ٤٤

إدخالها ضمن مناطق نفوذها، إلا أن الشعب الأفغاني لم يندع، وأعطى الإمبراطورية البريطانية درساً لن تنساه^١.

وعملت بريطانيا، ومن بعدها الحلفاء على إبعاد الاتحاد السوفيتي عن المياه الدافئة^٢، ولضمان ذلك أطلقوا يدها في أوروبا الشرقية عقب الحرب العالمية الثانية، وحرصت القوتان العظمتان على استمرار التوازن بين مصالحها في أفغانستان. ولكن الاتحاد السوفيتي لم يصرف النظر عن تحقيق حلمه، فاتبع سلوكاً جديداً، من أجل الوصول إلى أهدافه، وسعى إلى كسب صداقات ومناطق نفوذ وإنشاء قواعد عسكرية يستفيد منها عند الحاجة مثل أثيوبيا، ويمكنه عن طريقها إضعاف نفوذ الغرب في المنطقة وتضييق مجالها الجوي^٣.

استغلال الموارد الطبيعية لأفغانستان:

تضم أرض أفغانستان ثروات طبيعية معدنية، وتعد من أغنى بلاد العالم بالغاز الطبيعي، كما أثبتت الدراسات التي أجراها الروس إمكانية الحصول على البترول^٤، ومن أجل ذلك أقام الروس الطرق والجسور لتسيير حركة نقل المواد الخام من أفغانستان إلى روسيا، بالإضافة إلى الاستفادة من المحاصيل الزراعية الأفغانية، وتحويل أفغانستان إلى مزرعة حبوب للاتحاد السوفيتي لتسد النقص الشديد الذي يعانيه الروس.

وهناك برامج إضافية لتحسين الطرق في المنطقة تبلغ تكاليفه حوالي ٦ ملايين دولار، يتيح للسوفيت طريقاً ميسوراً إلى الموارد المعدنية والمواد الخام في أفغانستان وما وراءها. ويمكن النظر إلى هذه الارتباطات الضخمة في مجال التعدين في أفغانستان على أنها امتداد للسياسة الاقتصادية السوفيتية العالمية والتي يرغب من ورائها الاتحاد السوفيتي في أن يكون من أكبر الموردين والتجار في سوق المعادن الدولية^٥. والجدير بالذكر أن سياسة الاتحاد السوفيتي ومن ورائه سياسة الحكومة قد فشلت فقد أدرك الشعب الأفغاني هدف الاستغلال الاقتصادي، ورفض أن تكون بلاده مزرعة حبوب في خدمة روسيا، أو أن ترضخ البلاد لاستغلالها الصناعي.

١. د. فضة، محمد إبراهيم: التدخل السوفيتي في أفغانستان، ص ٢٢.

٢. المصري، جميل: مرجع سابق، ص ٥٣٩.

٣. د. فضة، محمد إبراهيم، المرجع السابق، ص ٢٣.

٤. د. ألفت، عبد الرحمن: روسيا وأفغانستان ملحدون ومسلمون، ص ٧، د. فضة، محمد إبراهيم، مرجع سابق، ص ٢٩.

٥. د. ألفت، عبد الرحمن، روسيا وأفغانستان، ص ٩.

احتواء الصين :

يعد احتواء الصين هدفا من الأهداف التي يركز عليها الغزو السوفيتي لأفغانستان^١ (فالصين في طريقها لكي تصبح قوة عالمية من الطراز الأول لأخذها بأساليب التكنولوجيا الحديثة مع إضفاء الطابع الصيني على هذه الأساليب . أما الوسائل الكفيلة بالتعامل مع كل دولة من هذه الدول فتحددها ظروف كل دولة . وكانت الطريقة المثلى في أفغانستان هي **تنصيب** حكومة تدين لهم بالولاء وتتلقى عنهم التعليمات والتوجيهات)^٢ .

الوصول إلى موارد البترول في الشرق الأوسط :

يعد هذا الهدف من أهم الأهداف التي كانت أمام السوفيت عندما أقدموا على غزو أفغانستان وهو الوصول إلى المياه الدافئة وموارد البترول في الشرق الأوسط لأن موارد البترول السوفيتية في تضاؤل وتعذر الوصول إلى موارد البترول في سيبيريا ، وهذه المصادر متوفرة في أفغانستان ، ويمكن الوصول إليها مستقبلا عن طريق صحارى بلوخستان^٣ . ثم الانطلاق من أفغانستان إلى المياه الدافئة للقفز إلى آبار البترول في الشرق الأوسط ويذهب أحد الكتاب إلى أن بريجنيف وهو يغزو أفغانستان ينفذ وصية (بطرس الأكبر) التي أودعها ضمن وثائق الكرملين وجاء فيها : (أيا كان فمن سيخلفني فإن عليه أن يزحف جنوبا نحو القسطنطينية والهند ، لأن من يخضع هاتين المنطقتين ستكون له السيادة الحقيقية على العالم)^٤ .

يحدث هذا في وقت أشارت فيه التقارير إلى أن الاتحاد السوفيتي مهدد في الثمانينات باحتمال حدوث نقص في إمدادات البترول ، بحيث يضطر السوفيت وحلفاؤهم في أوروبا الشرقية إلى استيراد ملايين البراميل من البترول يوميا . ولا يغيب عن بال السوفيت أو يسقط من حسابهم **مخططاتهم** ما أحدثته ثورة الخميني في إيران من شلل واضح ، واضطراب في كثير من الأمور أدى إلى انحسار الوجود السياسي الأمريكي هناك .

١ الغمري ، عاطف : جريدة الأهرام ١٥/١/١٩٨٠ م ، د. فضة ، محمد إبراهيم ، مرجع سابق ، ص ٢٩

٢ د. عبد القادر ، أحمد محمد عبد القادر ، مرجع سابق ، ص ٦٥

٣ د. عبد القادر ، أحمد محمد ، مرجع سابق ، ص ٧٢ ، د. فضة ، محمد إبراهيم ، مرجع سابق ، ص ٩

٤ الغمري ، عاطف : جريدة الأهرام ١٥/١/١٩٨٠ م ، ص ١٣

إن احتلال أفغانستان سيقرب روسيا من أفريقيا حيث الثروات الطبيعية والمناجم المعدنية ، وحيث استطاع فعلا أن يتغلغل فأصبحت لديه مناطق نفوذ في بعض الدول الإفريقية يمكن استعمالها كرأس حربة للانتشار في القارة بأسرها ^١ .

قمع حركات التحرير الإسلامية في الأقاليم الجنوبية من روسيا سابقا :

اعتمدت روسيا على القوة المسلحة في ضم الأقاليم الإسلامية في جنوبها وهي إمارات فيما وراء النهر وهي آذربيجان ، وتركمنستان ، وكازخستان ، وأوزبكستان ، وتاجيكستان ، والقرغيز . وقضت على شخصيتها الذاتية ، وحاربت عقيدة أبنائها السامية : الإسلام الحنيف بقوة وشراسة وحالت بينهم وبين مبادئهم السامية ومثلهم العليا ، وفرضت عليهم مفاهيم الشيوعية ^٢ والمادية والإلحادية ^٣ .

إن المسلمين في هذه الأقطار كانوا يعانون معاناة شديدة لأن روسيا تعمل على وقف تزايدهم بكافة الوسائل وتتخذ معهم سياسة التهجير الإجباري وإحلال غيرهم في ديارهم وتقوم بحملة لنشر الإلحاد في بلادهم . ومن المؤكد أن المسلمين هناك لا يتقبلون بمشاعرهم ووجدانهم ما ينشر عليهم ، أو يراد غرسه من المبادئ في ضمير ناشتهم ، ولا تربطهم روابط ثقافية ، أو فكرية عميقة بأصحاب الجذور الفكرية الأخرى حولهم . وعلى الرغم من أن الشيوعية فرضت عليهم فرضا لكنها لم تتسلل إلى ضمائرهم ، ولم تغير من عقائدهم ولم تقض على اليقين الإسلامي في أفئدتهم .

إن ضم هذه الأقاليم المسلمة بالقوة إلى دولة ملحدة لا يمكن أن يستمر طويلا . وقد بنت روسيا تفكيرها على أساس أن استيلاءها على أفغانستان سيستأصل أية اتجاهات تحريرية قد تنمو في هذه الأقاليم الجنوبية المسلمة . خاصة وأن الثورة الإيرانية في المنطقة أحدثت موجة من الحماس الإسلامي من الممكن إذا ما استمرت في الانتشار أن تتأثر بها هذه الشعوب على المدى الطويل . وهنا يبرز الحمق على أشده ، وتجب كل تخطيطات روسيا ، وتطيش سهامها فيحدث العكس ، فقد استشرت مشاعر المسلمين في المناطق الجنوبية والبالغ عددهم سبعين مليوناً . ومن ناحية أخرى فإن ما عرفته أفغانستان من الأفعال المهملية لروسيا في الإمارات المسلمة من قتل وطغيان وظلم وفتنة قد وقف سدا منيعا فترة طويلة من الوقت أمام الشيوعية يحول بينها وبين

١ د . جريشة ، علي : مرجع سابق ، ص ١٣٥ .

٢ د . جريشة ، علي : مرجع سابق ، ص ١٤٤ ، التدخل السوفيتي في أفغانستان ، ص ٢٧

٣ دراز ، عصام : القصة الدامية للغزو السوفيتي لأفغانستان ، ص ٦١ .

التغلغل في أفغانستان^١ المؤمنة إلا أن روسيا كانت تتحرك بأناة ، وبنفس طويل ، وكانت ترى في وجود أفغانستان المؤمنة المسلمة خطرا كبيرا على وجودها في الإمارات الإسلامية . لذلك خططت بإحكام لغزو أفغانستان . وعلى الدول الإسلامية ولا سيما تلك المجاورة لأفغانستان أن تفكر مليا ، وأن تتلمس أسباب الاعتداء الروسي على أفغانستان وعلى الإمارات الإسلامية من قبل ولا شك أنها ستتيقن أن المذهب الإلحادي الذي تدين به روسيا يتعارض تماما مع الإسلام ولا بد من التصادم بين الإسلام والإلحاد . فإن حاجة روسيا إلى الموارد وقسوتها المتناهية في سبيل الحصول عليها لا تعدو أن تكون المظهر الخارجي لهذا المذهب الإلحادي^٢ .

المبحث الثاني :العوامل المساعدة على الغزو الروسي :

الوضع الداخلي وما انتهزته روسيا من الظروف المتوترة هناك .
ازدياد التغلغل الشيوعي وذلك بمساعدة محمد داود للاتحاد السوفيتي في ذلك وزيادة القروض التي حصلت عليها أفغانستان من روسيا .
يتبع الاتحاد السوفيتي سياسة استخدام خمس بعض دول العالم الثالث ضد الدول الغربية وخاصة ما تعلق منها بعمليات التأمين التي تتم بين المؤسسات الكبرى في هذه الدول الانغماس في شئون الدول الصغرى انغماسا مباشرا بعد أن يكون قد مكن لنفسه ، من خلال مستشاريه السياسيين والاقتصاديين والعسكريين ، وحين يتمكن هؤلاء من مقدرات الوطن المعني ... يوجهونها بما يخدم مصالح روسيا بالدرجة الأولى .
استغلال الخلافات القائمة بين الدول ، ومحاولة اختلاق هذه الخلافات التي تسيء إليها مثل ما حدث بين أفغانستان والباكستان .

إشاعة الحرب بين الدول الصغيرة حتى لا يقدموا على مقاومتها^٣ .

وحينما جاء محمد داود في عهده الثاني (١٣٩٣هـ - ١٣٩٨هـ) (١٩٧٣ م -

١٩٧٨ م)^٤ وجد أن الوضع السياسي في البلاد قد تغير ، وأن هناك أربعة تشكيلات سياسية^٥ حديثة :

^١ مجلة النفر العام ، العدد ٩ ، ص ١٢ .

^٢ د. عبد القادر ، محمد أحمد ، مرجع سابق ، ص ٧٣ - ٧٤ .

^٣ د. فضة ، محمد إبراهيم : التدخل السوفيتي في أفغانستان ، ص ٤٤ - ٤٥ .

^٤ المراددي ، محمود : أفغانستان والاحتياح الروسي ، ص ٣ .

^٥ د. البار ، محمد علي ، ص ٢٣٨ ، مجلة الجهاد ، العدد ٤٠ ، ٣٠ ، رجب ١٤٠٨هـ - مارس ١٩٨٨ م ، ص ٢٨ .

حزب خلق^١ (حزب الشعب) بقيادة محمد نور ترهكي وهو (حزب شيوعي)^٢.

حزب بارشام (حزب العلم) بزعامة برك كارمل^٣ وهو (حزب شيوعي).

الجمعية الإسلامية (حركة الشباب المسلم) بقيادة غلام محمد نيازي.

حزب شعله جاويد (حزب شيوعي موال للصين).

وكان أول من بدأ نشاط اليساريين في الانتخابات عام (١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م) محمد

نور ترهكي^٤، وعاد ليصدر جريدته باسم خلق (الشعب) في (ذو الحجة ١٣٨٥هـ - أبريل

١٩٦٦م)، وأصبحت جريدته ناطقة باسم اليسار، ثم حدث انقسام في صفوف (الشعب)

وظهر حزب (برجم) أو برشام^٥ بقيادة برك كارمل بولاء كامل لموسكو ولكن في انتخابات

عام (١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م)، تم تعطيل كل الصحف اليسارية حتى مجيء انقلاب (١٧ جماد

الآخره - ١٧ يوليو ١٩٧٣م) بقيادة داود وجماعات الوطنيين الآخرين^٦. وفي هذه الفترة

ظهرت حركتان إسلاميتان، كلتاهما تأثرتا بالاتجاه الإسلامي العام، أما الأولى فقد أسسها

الطلاب الأفغان الذين تلقوا العلم في مصر وبخاصة الأزهر الشريف، حيث تعرفوا على حركة

(الإخوان المسلمين) هناك وعادوا يحملون كتب وأفكار الإخوان منذ منتصف الخمسينات

والستينات أمثال غلام محمد نيازي، وبرهان الدين رباني، وعبد رب الرسول سياف^٧، ولكنها

كانت حركة دعوة عامة وتبليغ وتربية ونشر الوعي الإسلامي في أوساط المثقفين في جميع

^١ حزب خلق : هو الحزب الشيوعي الأفغاني ، أو حزب الشعب .

^٢ مجلة الجهاد ، العدد ٤٣ ، شوال ١٤٠٨هـ - يونيو ١٩٨٨م ، ص ٣٠ - ٣١

^٣ كارمل : يعني صديق العمل وقد ولد في يناير سنة ١٩٢٩م بقرية (كامراي) وهو ابن لضابط عسكري يدعى (محمد حسين) ظهر كعضو نشيط في اتحاد الطلبة الشيوعي بجامعة كابل ، وقد التحق بقسم القانون والعلوم السياسية ، ولكنه بدأ أقل حظاً من ترهكي ، وقد سجن كارمل سجن لمدة ثلاث سنوات [الأفغان الحمر ، ص ١٢٣] ، دراز ، عصام : القضية الدامية للغزو السوفييتي لأفغانستان ، ص ١٢٧ وما بعدها .

^٤ مجلة الجهاد ، العدد ٤٧ ، ٤٨ ، صفر ١٤٠٩هـ - أكتوبر ١٩٨٨م ، ص ٤٣

^٥ البار ، محمد علي : أفغانستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو الروسي ، ص ٢٤١

^٦ شاکر ، محمود ، أفغانستان ، العدد ٦٢ ، الجهاد ، العدد ٤٥ ، ذو الحجة ١٤٠٨هـ - يوليو ١٩٨٨م ، ص ٣٥ - ٣٧ ، المرادي ،

محمود : أفغانستان والإحتياح الروسي ، ص ٣

^٧ عبد رب الرسول سياف : ولد لشيوخ عبد رب الرسول سياف في سنة ١٩٤٥م في ولاية كابل بمديرية بغمان وتخرج من كلية الشريعة بجامعة كابل بتقدير ثم من جامعة الأزهر ، وعين أستاذ بكلية الشريعة والآداب في جامعة كابل وهو من أقدم أبناء الحركة الإسلامية ، سجنه الملك داود أربعة أعوام وستين في عهد ترهكي وأمين وحكم عليه بالإعدام ولم يشاء الله ذلك ، وقد بدأ الجهاد المسلح سنة ١٩٨٠م [أم القعقاع : الجهاد

مواقعهم، وكانت لهم جريدة أسبوعية باسم جهيز (الغجر)^١ . ومع بداية السبعينيات أخذت حركة أخرى تتبلور في مختلف كليات جامعة كابول بصورة واضحة وعامة. وقد كان المؤثر الرئيسي في ظهور هذه الحركة موازنة النشاط الشيوعي في جامعة كابول. وكان مؤسسو هذه الحركة مجموعة من الطلبة بمن فيهم المهندس (قلب الدين حكمتيار)^٢ الذي مارس حرب العصابات في أيام محمد داود وحاول القيام بانقلاب عسكري^٣ .

هذا التوازن بين الإسلاميين واليساريين جعل محمد داود يحذو حذوا وسطا، فأكد وضعية بلاده في عدم الانحياز، وقام بزيارة موسكو، واشنطن ، الهند، باكستان، ليبيا، والسعودية ، ومصر ، وأحدث هذا التحول في سلوك محمد داود ردود فعل متشعبة من قبل اليساريين، وهناك قرر محمد داود تصفية العناصر اليسارية كما يبدو، فقام باعتقال كل من ترهكي^٤ ، وحفيظ الله أمين^٥ ، وبارك كارمل ، ومن ثم تحركت الكوادر اليسارية في الجيش والتي كانت في خط اتصال مع حفيظ الله أمين بانقلاب في (ربيع الآخر ١٣٩٨ هـ — ٢٧ إبريل ١٩٧٨ م - ٦) . والذي كان بمثابة الزلزال في العالم، كيف لا وأفغانستان البلد الثاني في العالم الثاني يسقط في يد الشيوعيين حينذاك^٦، وفي (جماد الأول ١٣٩٨ هـ — مايو ١٩٧٨ م) تولى المجلس العسكري الثوري الحكم وأعلن رئاسة محمد نور ترهكي للدولة وللمجلس الوزراء وأطلق اسم جمهورية أفغانستان الديمقراطية على البلاد^٨ . وهنا وفي تطور سريع انضمت الجمعية الإسلامية بقيادة برهان الدين رباني إلى حركة الجهاد، وأخذت حركة الجهاد تتوسع ضد الحكم

١ عبد ربه ، نبيه زكريا : عبد رب الرسول سياف ، ص ٢٠ ، الشهيد منهاج الدين جهيز ، مجلة البيان المرقص العدد ١٠ ، جماد الآخر ١٤٠٦ هـ — نوفمبر ١٩٨٦ م ، ص ٣٨

٢ حكمتيار: هو المهندس قلب الدين حكمتيار من مواليد سنة ١٩٤١ م تخرج من كلية الشريعة من جامعة كابل سنة ١٩٦١ م [عدنان بن جاسم بن محمد بو مطيع : رسالة ماجستير في صحافة الجهاد الأفغاني ، ص ٤١] .

٣ مجلة البيان ، العدد ٢١٤ ، محرم ١٤١٢ هـ ، ص ٣٢ - ٣٣ .

٤ عبد ربه ، نبيه زكريا ، مرجع سابق ، ص ١٧

٥ مجلة البيان المرقص : لجنة الكرسي في أفغانستان ، العدد ٢٦ ، شعبان ١٤٠٩ هـ — مارس ١٩٨٨ م ، ص ٦١ ، مجلة الجهاد

العدد ٤٣ ، ٤٠ ، شوال ١٤٠٨ هـ — يونيو ١٩٨٦ م ، ص ٣٨

٦ د. البار ، محمد علي : أفغانستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو الروسي ، ص ٢٤٨

٧ حافظ ، صلاح الدين : أفغانستان الإسلام والثورة ، ص ٩٢

٨ مجلة الجهاد ، العدد ٤٧ ، صفر ١٤٠٩ هـ — أغسطس ١٩٨٨ م ، ص ٣٢ - ٣٤ ، جريدة الشرق الأوسط ، العدد ٣٤٢٩ ، ٤ أغسطس

١٩٨٨ م ، ص ١٢

الشيوعي إلى أن انتهى أمر الرفض الشعبي للانقلاب الشيوعي إلى التبلور في ست حركات مقاومة^١ :

- ١- الحزب الإسلامي : بقيادة (قلب الدين حكمتيار) .
- ٢- الجمعية الإسلامية : بقيادة برهان الدين رباني^٢ .
- ٣- حركة الانقلاب الإسلامي : بقيادة مولوي محمد نبي محمدي^٣ .
- ٤- الجبهة الوطنية لإنقاذ أفغانستان : بقيادة (صبغة الله محمدي^٤) .
- ٥- الحزب الإسلامي : بقيادة محمد يونس خالص^٥ .
- ٦- جبهة المحاذ الوطني : بقيادة (سيد أحمد جيلاني^٦) .

وبعد ستة عشر شهرا من حكم ترهكي لجأت القيادة اليسارية للعنف والتصفية ضد القيادات الدينية، فأخذت مقاطعات بأكملها تتمرد على السلطة المركزية وتعلن ميلاد جمهوريات إسلامية صغيرة كما حدث في هرات في (جماد الأول ١٣٩٩ هـ - ١٢ مارس ١٩٧٩ م) . وفي تقرير هيئة العفو الدولية أن ٢٥٠٠٠ تآثر تمت إبادتهم في يوم واحد^٧ . وهنا أخذ الجند في التمرد، مما استدعى الاستعانة بالسوفييت جزئيا لأول مرة لفرض النظام داخل الجيش وتصفية المتمردين^٨ . ثم لجأوا إلى القتل الجماعي ، والوأد^٩ ، واستخدام الأسلحة المحرمة دوليا كالغازات

^١ د. البار ، محمد علي : أفغانستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو الروسي ، ص ٣١٠ : ٣٢٠ ، غام ، توفيق ، أفغانستان المجاهدة ، مير شفيق غربال وآخرون : الموسوعة العربية المبصرة ، ص ١٨٤٤

^٢ برهان الدين رباني : من مواليد سنة ١٩٤١ م تخرج من كلية الشريعة من جامعة كابل سنة ١٩٦١ م

^٣ محمد نبي مولوي : من مواليد ١٩٢٦ م تخرج عام ١٩٤٧ م في الشريعة والفلسفة عام ١٩٧٠ م .

^٤ صبغة الله محمدي : ولد في عام ١٩٢٦ م بكابل وبعد إتمام دراسته في أفغانستان درس في جامعة الأزهر وحصل على شهادة الماجستير في العلوم الشرعية في أوائل الخمسينات وعمل بعدها في جامعة كابل . [فضل الهادي وزين : على مشارف الدولة ، ملحق بمجلة الجهاد ، العدد ٥١ ، جماد الآخر ١٤٠٩ هـ - صفر ١٩٨٩ م ، ص ٦ ، غربال ، محمد شفيق : عبد الله عزام ، ص ١٥١ ، غربال ، محمد شفيق وآخرون : الموسوعة العربية المبصرة ، ص ١٨٤٤

^٥ محمد يونس خالص : من مواليد ١٩٢٠ م مدرسا وخطيبا وكان مفسرا في إذاعة كابول كما عمل في تحرير جريدة أفغانية أيام داود وفي أيام ترهكي هاجر إلى بيشاور وعمل إماما لمسجد دار القرية من بيشاور . وعمل مع حكمتيار في الحزب الإسلامي

^٦ سيد احمد الجيلاني : من مواليد ١٩٣٣ م تخرج في كلية الشريعة من القاهرة ويؤيد عودة ظاهر شاه بل وبطالب بها . غربال ، محمد شفيق وآخرون : الموسوعة العربية المبصرة ، ص ١٣٩٥

^٧ فظائع السوفييت في أفغانستان ، ص ٧ ، دراز ، عصام ، ص ١٥٦

^٨ مجلة الجهاد ، العدد ٤٨ ، ربيع الأول ١٤٠٩ هـ - أكتوبر ١٩٨٨ م ، ص ٣٢ - ٣٤ ، د . عبد القادر ، محمد أحمد : المسلمون في أفغانستان ص ٨٥ - ٨٦ ، فوربس ريبورت ، فظائع السوفييت في أفغانستان ، ص ٧ ، مجلة الجهاد ، العدد ٢٢ ، محرم ١٤٠٧ هـ - سبتمبر ١٩٨٦ م ص ٢٦ - ٢٧ ، عبد الحكيم ، عصام : الألعام أكبر تركة حلفها الروس ، مجلة الجهاد ، العدد ٤٨ ، ربيع الأول ١٤٠٩ هـ - أكتوبر ١٩٨٨ م ، ص ٥١

^٩ جريدة حفيضة انقلاب ثوار كابل ، جريدة نيويورك تايمز ، ١٢ يوليو ١٩٨٨ م ، ص ١٦

السامة وغيرها^١ ، وقد أكد ذلك د. موليوسيسلون أستاذ بجامعة هارفرد ومن خبراء الحرب الكيماوية أن السوفيت يستعملون بالفعل الغاز المثير للأعصاب في حربهم ضد المجاهدين^٢ ، واستخدمت هذه الغازات بمقاطعة كونر بقصد قتل الثوار المسلمين وسكان المنطقة دون تفرقة^٣ ، كما استخدموا مسحوقاً أبيض يسلخ الجلد عن العظم ، ويسبب الاختناق والتقيؤ وإفراز اللعاب^٤ . وبدأ السوفييت حرب الإبادة ضد الشعب الأفغاني لإجباره على الاستسلام والإذعان لوضعيته الجديدة كامتداد حضاري للجمهوريات السوفيتية السابقة . كما حرصت السلطات السوفيتية على منع جمعية الصليب الأحمر الدولية ومنظمة العفو الدولية من أن تطأ أقدامها أرض أفغانستان حتى لا تكتشف جرائمها^٥ .

المبحث الثالث : الحوادث التاريخية في هذه الفترة:

الاجتياح السوفيتي المكشوف والمجاهدون الأفغان :

قويت شوكة المجاهدين المسلمين المعادين للنظام المدعوم من الاتحاد السوفيتي السابق ، وخاضوا ضده حرباً جهادية عنيفة ، وفي (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م) أصبح حفيظ الله أمين نائباً لرئيس الوزراء ، ثم رئيساً للبلاد بعد قتله ترهكي ، ومن ثم قتل حفيظ الله بعد ثلاثة أشهر من حكمه في انقلاب عسكري دعمه الاتحاد السوفيتي السابق بإرسال قوات جوية ، وعين بـأبراك كارمال رئيساً للدولة^٦ .

ففي الساعة الثالثة بتوقيت موسكو في كانون الأول (١٣٩٩ هـ - ديسمبر ١٩٧٩ م) تم تنفيذ الأمر العسكري للمهمة التي سبق الإعداد لها بناء على قرار صدر من مكتب الرئيس السوفيتي يقضي باجتياح القوات السوفيتية الأراضي الأفغانية . وحسب ما ذكرته صحيفة (النجم الأحمر) الناطقة بلسان الجيش السوفيتي ، فإن قرار دخول القوات السوفيتية أفغانستان اتخذ في ذو الحجة ١٣٩٩ هـ - ديسمبر ١٩٧٩ م) من مكتب

^١ المسلمون في أفغانستان ، ص ٨٩ : ٩١

^٢ حريدة نيو يورك تايمز ، ٢٣ مارس ١٩٨٩ م ، ص ١٣

^٣ صحيفة أكرو بولس الأسبوعية ، ٢١ يونيو ١٩٨٩ م ، ص ٢٢

^٤ همجية النار ووحشية الروس ، مجلة البنيان المرصوص ، العدد ١٥ ، ذو الحجة ١٤٠٧ هـ - سبتمبر ١٩٨٧ م ، ص ٣٩

^٥ من منشورات مكتب أفغانستان ، : محاكمة الغزو السوفيتي لأفغانستان ، المحكمة الشعبية الدائمة ، استوكهولم من ١-٣ مايو ١٩٨١ م ،

ص ٤٨ ، مجلة النفر العام ، العدد الأول ، أبريل ١٩٨١ م ، ص ١١ .

^٦ دراز ، عصام : القصة الدامية للغزو السوفيتي لأفغانستان ص ١٢٧ ، مجلة البنيان المرصوص : لعنة الكري في أفغانستان ، العدد ٢٨

شوال ١٤٠٩ هـ - مايو ١٩٨٨ م ، ص ٦١

الرئيس السوفييتي آنذاك ليونيد بريجنيف في الكرملين^١ . ولم تكن ساعة الصفر التي حددها الكرملين وليدة لحظة طارئة، بل كانت خطوة سبقتها خطوات عبر مخطط لاجتياح أرض أفغانستان. فقبل وصول الروس إلى أفغانستان بأكثر من خمس سنوات أي منذ منتصف عام (١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م) شاهدت مدن وقرى أفغانستان ولأول مرة رجال البوليس السري يقتحمون المنازل بحثا عن كل من يعارض حكم داود. وتوالى الأحداث في أفغانستان بينما الدب الروسي قابع يرقب في موسكو وينتظر اللحظة المواتية. وعندما حانت تلك اللحظة فوجئ الأفغان الذين اعتادوا العيش باستقلال بين ربوع بلادهم الحصينة بأعنف عملية غزو عبر تاريخهم^٢ . ففي (ذو الحجة ١٣٩٩ هـ - ديسمبر ١٩٧٩ م) انتشر أكثر من ١٧٠ ألف جندي روسي في العاصمة كابل والمدن الأفغانية الكبيرة لينطلقوا بعد ذلك الى باقي ربوع البلاد^٣ جهاد الشعب الأفغاني المسلم تبلوره الحركة الإسلامية الأفغانية :

لقد أثبت الشعب الأفغاني خلال ١١ عاما (١٣٩٩ هـ - ١٤١٠ هـ) (١٩٧٩ م - ١٩٩٠ م) أنه شعب صعب الإجهاد عليه وقد أثبتوا أن (السلاح بالرجل وليس الرجل بالسلاح)^٤ ، وقد عجزت القوى العظمى عن إطفاء شعلة الحرية أو قمع الشجاعة الخارقة للمحاربين الأفغان البواسل . ذلك أن شعب أفغانستان عرف تاريخيا بأنه يطيح بالحكام الذين يعزفون عليه وبمقاومة الهيمنة الأجنبية ، والحقيقة الواضحة أن السوفييت عجزوا عن كسب المعركة مع المقاومة الأفغانية^٥ ، وأن الإخفاقات السوفييتية في أفغانستان أدت إلى فقدان العسكرية السوفييتية لنفوذها وسمعتها^٦ وقد تسببت سنوات نزيف الدم في أفغانستان في متاعب داخلية للاتحاد السوفييتي وأخرت بموقعه الدولي لدرجة أنهم كانوا يدسون رؤوسهم تحت أكوام التبن ليظن المجاهدون أنهم قد ماتوا^٧ . وقد أقر قائد الاتحاد السوفييتي السابق بخسارة في أوساط جنودهم بلغت ١٣٣١٠ قتلى و ٣٥٤٧٠ جريحا و ٣١١ مفقودا علاوة على الخسائر في

١ حريدة الشرق الأوسط ، العدد ٣٤٢٩ ، ١ يونيو ١٩٨١ م ، ص ١٨ .

٢ . النفر انعام ، مجلة يصدرها الاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان ع . الأول ص ١١ + د . فضة ، محمد إبراهيم : مرجع سابق ، ص ٥٥

٣ مجلة الجهاد . العدد ٥٠ ، حماد الأول ١٤٠٩ هـ - ديسمبر ١٩٨٨ م ، ص ٤٠ - ٤٢ ، انرياشيونال هيرالد تريبيون ، العدد ١٢ - ١٣

٤ مجلة المجتمع الكويتية ، العدد ٤٥٠ ، حماد الآخر ١٤١٥ هـ . ، ص ٤ - ٥ ، أساداتي ، أحمد محمود ، أفغانستان ص ٢٩ ، د . عبد النقاد محمد أحمد ، المسلحون في أفغانستان ، ص ١٣٦ .

٥ مجلة الموقف : إعلان موقف المجاهدين من مفاوضات جنيف ، العدد ٢ ، رمضان ١٤٠٨ هـ ، ص ٣٢

٦ داريا فاني ، ما بعد أفغانستان ، فصل اضمحلال وهج العسكرية السوفييتية ، ص ٥ .

٧ مجلة النفر العام ، العدد ٩ ، مايو ١٩٨٨ م ، ص ١٢ .

جنودهم بلغت ١٣٣١٠ قتلى و ٣٥٤٧٠ جريحاً و ٣١١ مفقوداً علوة على الخسائر في المعدات والتي تزايدت مع التحسن الذي طرأ على أسلحة وتكتيكات المقاومة^١ كذلك من الحقائق التي لا تنكر أنه ينذر أن نجد في التاريخ الحديث شعباً ضحى وعانى من أجل حريته وكرامته أكثر مما فعل الأفغان . ولم يكن أمام الشعب الأفغاني سوى الجهاد المسلح مهما كانت التضحيات. وعم الدمار أرجاء البلاد بعد الغزو وامتدت قوافل المهجرين بطول الطرق وانتشرت التجمعات المشردة تطوي بالأطفال اليتامى والنساء الأرامل والشيوخ في العراء^٢ وقد بلغ عدد اللاجئين ثلاث ملايين في باكستان^٣ ومليون ونصف لاجئ في إيران حسب ما ذكرته وكالة غوث اللاجئين التابعة للأمم المتحدة والذي أذاعته هيئة الإذاعة البريطانية في نشرتها المسائية في (٢٨ ربيع الآخر ١٤٠٤ هـ - ٢٥ أغسطس ١٩٨٤ م). وهذا التدخل الاستعماري أدى إلى:

- ١- ازدياد التعاطف العام داخل أفغانستان مع الثورة الإسلامية^٤ وقيام الشعوب الإسلامية بالمساندة المادية والمعنوية للمجاهدين في سبيل نصر الإسلام .^٥
- ٢- عجل هذا التدخل بتكثيف المقاومة المسلحة الشعبية التلقائية^٦ ، كما زاد من فرص توحيد الحركات الجهادية خصوصاً بعد خروج عبد رب الرسول سياف من السجن الذي كان رهينة منذ الأيام الأولى لحكم محمد داود وترهكي، ثم انضمامه لحركة الجهاد في بشاور. وفي (٩ ربيع الأول ١٤٠٠ هـ - ٢٦ يناير ١٩٨٠ م) تم تعيينه رئيساً للاتحاد الإسلامي لتحرير أفغانستان من قبل الحركات الجهادية الخمس وقد نقلت مجلة أرايا أن بعض التاجيك والأوزبك والتركمان

^١ تبر دور البيوت ، مغامرة غورباتشوف الأفغانية ١٩١ مايو ١٩٨٨ م ، ص ٣ ، انرناشيونال هيرالد تريبيون ، العدد ١٢ - ١٣ ، ١٢ مايو ١٩٨٨ م ، ص ١٤

^٢ مجلة الجهاد ، العدد ٢٢ ، محرم ١٤٠٧ هـ - سبتمبر ١٩٨٦ م ، ص ٢٦ - ٢٧ ، حسين ، سيد خير ، أفغانستان المجاهدة ، ص ٤٣ : حمداني ، ظفر ، اللاجئين الأفغان المشردون مأساة عالية جديدة ، ص ٦٤

^٣ د. فضا ، محمد إبراهيم : التدخل السوفيتي في أفغانستان ، ص ٥٢

^٤ مجلة الموقف : العدد ٣٤٢ ، رمضان ١٤٠٨ هـ ، ص ٣٣

^٥ الإدارة السياسية جامعة الشعوب الإسلامية : المشكلة الأفغانية في المحافل الدولية ، ص ٤٦ .

^٦ مجلة المنهج ، العدد ٤٤٩ ، حماد الآخر ١٤١٥ هـ ، ص ٣٥

على الحدود الأفغانية قد اتصلوا سرا بالمجاهدين في المناطق المجاورة^١ وقد زاد قلق أمريكا أكثر من روسيا بسبب النضالية الدينية الإسلامية المتصاعدة^٢.

ثم جاءت مرحلة^٣ أخرى تم فيها تشكيل حكومة المجاهدين المؤقتة^٤ برئاسة المهندس أحمد شاه - نائب المجاهد عبد رب الرسول سياف^٥ - وذلك في تاريخ (٢٩ رجب ١٤٠٨ هـ - ١٧ مارس ١٩٨٨ م)^٥ ولكن هذه الحكومة لم تحظ باعتراف أي دولة بحجة أنها لا تمثل جميع المنظمات الإسلامية .

وفي تاريخ (٣ جمادى الآخرة ١٤٠٩ هـ - ٣١ يناير ١٩٨٩ م) تم الاتفاق بين المنظمات الإسلامية على تشكيل مجلس الشورى الموسع تشارك فيه جميع الفئات . وكان ٥٠٪ من أعضاء الشورى يمثلها قادة الجهات الميدانية . وفي تاريخ (٢٠ رجب ١٤٠٩ هـ - ١٥ فبراير ١٩٨٩ م) تم اختيار حكومة جديدة برئاسة صبغة الله مجددي واختيار عبد رب الرسول سياف رئيسا للوزراء^٦ ، وقد نالت هذه الحكومة اعتراف بعض الدول^٧ أمثال السعودية، السودان ، البحرين ، وماليزيا^٨ ولكن للأسف الشديد ظهرت محاولات خبيثة لإجهاض هذه الحكومة والحد من نشاطها وتوسعها وذلك بحجة واهية من أنها ليست ذات قاعدة عريضة . ثم أخذت روسيا وأمريكا والأمم المتحدة^٩ تنادي بتشكيل حكومة ذات قاعدة عريضة، وهدفهم في ذلك هو تنحية المنظمات الإسلامية، ومن ثم إدخال الفئات الأخرى المناوئة للإسلام. ثم تبع ذلك اجتماعات موسعة لتشكيل مجلس الشورى الموسع تشارك فيه جميع الفئات الإسلامية من المجاهدين

^١ مجلة المرقف العدد ١٨، شعبان ، رمضان ١٤١٠ هـ ، ص ٣٤

^٢ المرجع السابق ، العدد ٢٠ ، ذو القعدة ١٤١٠ هـ ، ص ٥٦

^٣ مجلة البيان ، العدد ٢١٩ ، حماد الأول ١٤١٢ هـ ، ص ٢ ، د . البيار ، محمد علي : أفغانستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو الروسي ص ٢٠ .

^٤ مجلة البيان ، العدد ٢٢٦ ، محرم ١٤١٣ هـ ، ص ٦ - ٩

^٥ فضل الهادي ، وزين : على مشارف الدولة : ملحق مجلة الجهاد ، العدد ٢٥ ، ربيع الثاني ١٤٠٧ هـ - ديسمبر ١٩٨٦ م ، ص ٧ ، مجلة الموقف ، إعلان حكومة المجاهدين المؤقتة ، العدد ٣ ، ص ١٢

^٦ مجلة البيان ، العدد ٢٢٢ - ٢٢٣ ، شعبان - رمضان ١٤١٢ هـ ، ص ١٥ - ١٦ ، ولي الله سليم : مجلس الشورى بقرار مجددي رئيسا ، مجلة البيان الرصوص ، العدد ٢٦ ، شعبان ١٤٠٩ هـ - مارس ١٩٨٨ م ، ص ٦

^٧ غانم ، توفيق : اقتصاد أفغانستان و١٢ عاما من الحرب ، ص ٢٨

^٨ ماليزيا .. تقع ماليزيا في جنوب شرق آسيا تحيط بها بحر الصين الجنوبي وعاصمتها كوالالمبور ، الأقاليم المتحدة ص ٤٦٥

^٩ الأمم المتحدة : مقرها نيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية ، تاريخ التأسيس : في ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٥٤ ومن أهدافها : المحافظة على الأمن والسلام الدوليين ، تطوير عرى الصداقة بين الأمم على أساس احترام الحقوق المتساوية وحقوق الشعوب في تقرير مصيرها ، التعاون في حل المشكلات الدولية ذات الصلة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإنسانية [المصدر السابق ص ٨٦٤]

والمهاجرين في باكستان وغيرها، بالإضافة إلى القبائل الأفغانية لأخذ رأيهم في اعتماد الحكومة الحالية أو اختيار حكومة أخرى جديدة^١.

المبحث الرابع : نتائج الغزو الروسي لأفغانستان :

تداخلت الأوراق في أفغانستان بشكل يجعل استقراء مستقبل الجهاد صعبا جدا عكس ماكان عليه الوضع عشية الانسحاب السوفييتي. فالجسم العسكري بات مستعبدا والله أعلم، واحتمال استمرار المعارك والاستنزاف بشكل لن يحتمله نظام كابول^٢ ويقبل باستمرارية الاتحاد السوفييتي للتكلفة المالية الباهظة. والولايات المتحدة لم تعد متحمسة للحل فأوقفت دعمها العسكري عن المجاهدين، أما الباكستان فهي صاحبة دور رئيسي في الجهاد الأفغاني ولكن يعترى دورها السياسي غموض وتردد، وبخاصة تقليص المساعدات للمجاهدين الأفغان^٣. وتعمل روسيا من جانب آخر على تدبير المكائد للعمل الأفغاني المسلح لصرفه عن وجهته وشل حركته وجره إلى دوامات الصراع الفكري والقبلي باللجوء إلى الزعامات والأحزاب ، فقد أنفق على الساحة القبلية ما يزيد على ٢ و١ مليار دولار وأكثر حتى الآن لشراء الذمم ، وأخطر من ذلك كله أن يجري التخطيط على محاصرته داخل أفغانستان وشل حركته في باكستان ، ووجود مفاوضات سرية بين نظام كابول وباكستان ضد المجاهدين^٤ أدت إلى حدوث تمرد شعبي في كابول على غرار ماحدث في أوروبا الشرقية أو انقلاب عسكري. وهذا كفيلا بإسقاط النظام وبالطبع لن ترسل موسكو جيشها مرة أخرى لحمايته . وقد زار رئيس مجلس وزراء المجتمع الأوروبي كارينجتون الاتحاد السوفييتي لمحاولة وضع للحرب في أفغانستان^٥ . ويأتي التوتر الأخير بين الحزب والجمعية بسبب إعدام أحمد شاه مسعود لأربعة من افراد الحزب لتورطهم في حادثة فرخار المعروفة ليزيد من تعقيد الوضع^٦.

١ د. علوان ، شويكار : المشكلة الأفغانية وتطورها في المحافل الدولية دراسة ، ص ٣٤

٢ وكالة الاتصال الدولي للولايات المتحدة الأمريكية ، الغزى العالمي لاحتلال الاتحاد السوفييتي لأفغانستان (بدون تاريخ) ص ٥ . ، مجلة المجتمع الكويتية ، العدد ٩٤٣ ، ذو القعدة ١٤١٢هـ ، ص ٧

٣ د. نجيب عمارة ، مجلة المجتمع الكويتية ، العدد ٩٠٢ ، محرم ١٤١١هـ ، ص ٣٣

٤ مجلة الإصلاح ، العدد ٦٥ ، جماد الأول ١٤٠٦هـ ، ص ١٥

٥ د. علوان ، شويكار : المشكلة الأفغانية وتطورها في المحافل الدولية ، ص ٢٩ ، محكمة الغزو السوفييتي لأفغانستان ، ص ٤٧ مكتب أفغانستان - القاهرة ١٩٨١ م .

٦ د. ألف ، عبد الرحمن ، روسيا وأفغانستان (ملحدون ومسلمون) ص ٦٥ .

الانقسامات في صفوف المجاهدين :

فرغم الانقسام بين الحزب الإسلامي بقيادة قلب الدين حكمتيار وكتلة حكومة المجاهدين (الأحزاب الستة) كنتيجة لتأييد الحزب الإسلامي للانقلاب، إلا أن مصادر مقربة من رئيس حكومة المجاهدين الشيخ سيف تؤكد أن العتب الوحيد الذي يحمله على حكمتيار هو عدم التنسيق المسبق حول الانقلاب مع بقية المجاهدين، ولاتستبعد هذه المصادر حصول تفاهم وشيك بين حكمتيار وقادة الأحزاب الرئيسية، خصوصا بعد أن أعلن حكمتيار استعداده للمشاركة في أي انتخابات تجريها حكومة المجاهدين^١.

وقد أشيع أن موسكو تتحرك حاليا في أكثر من اتجاه ، وهناك الآن مشروع يخطط له بدقة في كابول لإعلان دويلة (بختونستان) لتكون دويلة عازلة على الحدود الأفغانية الباكستانية تؤوي المهاجرين والمجاهدين الأفغان ورافضي النظام الماركسي فليعلموا أن المجاهدين لن يقبلوا أي مشروع لا ينبثق من أهدافهم ونظرياتهم هم . وأي مشروع مستورد ، أو يريد الآخرون فرضه على المجاهدين فهو ردّ ومرفوض ولم يقرر المجاهدون إقامة دولة عازلة ، بل إنهم يسيطرون الآن على أفغانستان ويحكمونها . وإن العالم إذا لم يشأ أن يعترف بهم الآن ، فسوف يعترف بهم يوما ما إن شاء الله تعالى . فإن الشرعية لاكتسب بالمخادعة ، ولا بالضغط أو الإرهاب . والشرعية في أفغانستان ينبغي أن تكون منبثقة من الإسلام ووفقا لإرادة الشعب الأفغاني . ومعلوم أن الشعب لم يرض — ولا للحظة واحدة — بوجود حكم شيوعي فوق أرضه وفي بلده^٢ . وما يعتقد حكام كابول من أن إدخال وزراء غير شيوعيين في الحكومة يُمكن أن يطمئن إلى وجود تغيير ما في الإستراتيجية ، يصطدم بحركة الوعي التي تنظم الشعب ، وبإدراكه وتفهمه للقضايا ، وبعدم إمكان خداعه بشيء من ذلك ، فالله سبحانه وتعالى يقول ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ، وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾^٣ . والمجاهدون ، بهداية من الله سبحانه وتعالى وبتوفيقه يمكن أن يشتبوا ويستمروا على طريق الجهاد ، ولن ينخدعوا ، أو يخدعوا بما يحاك من مؤامرات . قد يستطيع حكام كابول أن يعلنوا عن وجود شرعية لحكمهم ، وقد يحصلون على اعترافات كثيرة بذلك ، ولكن إذا لم يقبل الشعب هذا الحكم ، أو يعترف بشرعيته

١ مجلة الإصلاح ، العدد ١٤٩ ، ص ٢٤ ، ٢٥ ربيع الآخر ١٤١٣هـ . ، الملباوي ، كمال : أفغانستان محاولة للفهم عاصرة بمجلة أفغانستان

الحاضر والمستقبل ، العدد ٤٣٢ ، يناير ١٩٩٢ م ، ص ٤٤

٢ المرجع السابق ، العدد ٥٣٠ ، صفر ١٤١٤هـ ، ص ٣٢

٣ سورة العنكبوت آية ٩٦

يحصلون على اعترافات كثيرة بذلك ، ولكن إذا لم يقبل الشعب هذا الحكم ، أو يعترف بشرعيته فماذا تعني تلك الشرعية ؟ ومن هم أولئك الذين يحكمهم النظام القائم ؟ وكيف تستقر الدولة وتستقيم الأمور ؟^١ وإذا كانت حكومة "كارمل" تعتبر نفسها حكومة شرعية ، فلماذا تتزس وتحتمي بدولة أخرى ليس لها أي علاقة بأفغانستان ؟. وقد قيل إن تعيين وزراء غير منتمين للحزب الحاكم ، جاء في إطار تسوية دولية ، وفي مقابل امتناع حكومة باكستان عن السماح بمرور احتياجات المجاهدين عبر أراضيها^٢ . إن هذا الجهاد لم يبدأ بوصاية أحد . إنه ابتداء بدافع من الإيمان والعقيدة ، وتعرف عليه الناس بعد مضيه على الطريق لفترة من الزمن . وحتى لو امتنعت حكومة باكستان — وهي لن تمتنع إن شاء الله — عن إيواء المجاهدين ، فإن امتناعها لا يعني انتهاء الجهاد . لأن المجاهدين مصممون على مواصلة ما بدؤوه^٣ . إنهم أبناء قمم الجبال ، ولا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها . سيقاتلون ما بقوا على قيد الحياة ، فإذا ما أريدوا وانتهوا — لاسمح الله — فإن الله لا يكلف أحداً بعد موته . ذلك هو قرار المجاهدين وتصميمهم . وأمريكا التي تزعم استعدادها للقيام بدور ضامن في إطار تسوية شاملة للقضية ، وعما قيل إن الورقة التي تمتلكها أمريكا للضغط على المجاهدين هي ماتقدمه من دعم ومساعدات ، هذا كله جزء من محاولات عديدة لاحتواء الجهاد^٤ . وقد حورت جميعاً . يقينا تاماً بأن مصير هذا الجهاد ليس بيد قادة أمريكا ولا روسيا ، ولو كان بأيديهم لأنهم في يوم واحد . لكن مصيره بيد الله سبحانه وتعالى . وعندما بدأ الأفغان جهادهم ، بدؤوه متوكلين على الله وحده . وهم لم يدؤوه بمساعدات أمريكية ولا بتوصية أو إشارة منها ، وليس هناك أحد في العالم كله يستطيع أن يضمن وقف إطلاق النار بينهم وبين الروس ، وبكل وضوح : ليس هناك من يجد في نفسه الجرأة ليعلن هذا القرار . وإن ابتعاد المجاهدين عن هذه المفاوضات لدليل على عدم وجود من يجرو على طرح هذه الموضوعات معهم . إن من يبحث عن حياته من خلال الموت في سبيل الله لن يوقفه شيء في هذه الدنيا ، ولن تحول بينه وبين مواصلة طريقه أية قوة في العالم والمسلمون يعتقدون ويؤمنون بأنه لا حول ولا قوة إلا بالله ، وأن الله هو القوي وهو الغالب على أمره . ولقد رفضوا مبدأ المفاوضات ابتداء . فليس هناك مجال إذ لا توجد خلافات

^١ الاحتفال بيوم انضمام مع شعب أفغانستان ، الجمعية التأسيسية لجامعة الشعوب الإسلامية والعربية ١٤١٥هـ - ص ٣١ .

^٢ الشيخ الجيلاني ، أحمد : محاضرة بعنوان الأخطار التي تواجه الجهاد الأفغاني مجلة الجهاد ، العدد ٩١٣ ، ذو الحجة ١٤١٤هـ - ص ٢٤ ،

^٣ قلب الدين حكمتيار محاضرة بعنوان : كابول تستقطب قرباً ، مجلة المجتمع الكويتية ، العدد ٩٤٧ ، رجب ١٤١٥هـ ، ص ٥٢ - ٥٣ .

^٤ المرجع السابق ، العدد ٩٢٥ ، ربيع الأول ١٤١٣هـ ، ص ١٨ .

على المسائل الحدودية ولا على أشياء أخرى متنازع عليها بين أفغانستان والاتحاد السوفيتي^١ . إن القضية تتلخص في أن الحكومة السوفييتية تدخلت بجيوشها في أفغانستان من غير وجه حق ، فاعتبروهم لصوصا دخلوا بيتهم ، فصاحب البيت يقاتلهم حتى يخرجوا منه . وإنه تدخل عدواني ينتهي بخروجهم بلا قيد ولا شرط. وهذه المفاوضات التي تجري بين أمريكا وروسيا ، ليست في صالح الإسلام والمسلمين ولا في صالح قضية أفغانستان^٢ . ومن هم هؤلاء حتى يقرروا مصير الشعب الأفغاني المسلم ؟. إن المجاهدين لن يقبلوا أي حل مهما كان شكله ، يصدر عن أطراف ليس لها أي دخل في قضية أفغانستان ولا في مصير هذا الشعب المسلم . فالطريق واضح ، ولا حل لقضيتهم إلا من خلال مواصلة الجهاد المسلح في سبيل الله . أما ما يقال عن مساعدات أمريكا فتلك دعايات وإشاعات مرفوضة البتة إن هذه الدعايات تعطي الروس مسوغا لمزيد من البقاء على الأرض الطاهرة . وتمنحهم سنداً لدعائهم بأنهم على حق عندما تدخلوا في أفغانستان^٣ .

المبحث الخامس: دور الإعلام في القضية الأفغانية وتأثيره في

الجهاد .

دور الإعلام في القضية الأفغانية :

للإعلام دور هام وضروري في إبراز الحقائق وتقديم المعلومات ، فإنه لابد من استخدامه لإبراز الصورة الصحيحة عن أحوال المسلمين في أفغانستان ووقائع جهادهم من خلال الاهتمام بالجانب الإعلامي للقضية لتعريف الناس مدى ما يلاقيه الشعب الأفغاني من مشقة وعنت تحت وطأة الاحتلال السوفيتي

تأثير الإعلام في الجهاد :

دعم أغنياء العرب وأثريائهم للمجاهدين الأفغان لما في ذلك من دور فعال في دعم مسيرة الجهاد الأفغاني بعد عون الله تعالى لهم . المشاركة العملية للمتطوعين من الشباب العرب الذين شاركوا الأفغان جهادهم مشاركة عسكرية أو علمية أو عملية .

١ مجلة المجتمع الكويتية ، العدد ٩١٢ ، محرم ١٤١٢هـ ، ص ٦ ، ٧

٢ د. الشطي ، إسماعيل ، مؤامرة جديدة لاحتواء الجهاد في أفغانستان مقالة بمجلة المجتمع الكويتية ، العدد ٩٢٨ ، جماد الآخر ١٤١٣هـ ، ص ٤٣

٣ اليقظان ، محمد ، الظاهرة الأفغانية ، مقال بمجلة المجتمع الكويتية ، العدد ٩١٦ ، رجب ١٤١٢هـ ، ص ٤٣

عرض موضوعات الصراعات المسلحة بين الشيوعيين الأفغان أنفسهم مثلاً يقوي الأمل بالنصر على الأعداء في نفوس القراء وذلك يكون بالتصدي للحرب النفسية والدعاية الموجهة ضد المجاهدين بحرب مماثلة ويكون ذلك وسيلة من وسائل الحرب النفسية عند المسلمين ^١.

تتفوق انجالات على التلفزيون في الوصول إلى قلوب الجماهير ^٢.

العمل الإعلامي من أهم العناصر التي يتوقف عليها نجاح الرسالة الجهادية ولا تنصرف دعوة إلا بالدعاية وحسن عرضها ^٣.

العمل على بث روح الجهاد في نفوس المسلمين لذات الغاية. إذ لن يكون تحقيق السيادة لشرع الله إلا بالجهاد في سبيله ^٤.

إن الجهاد في أفغانستان يحقق الشرعية الإسلامية للبلاد من خلال ذلك الإعلام ^٥.

فيه استمالات نفسية أو عملية القصد منها إحداث تأثير في سلوك المستقبل كالأستشارة الوجدانية والعاطفية والتخويفية والإقناع بالحجج والبراهين المنطقية للعملية الجهادية ومناصرة المسلمين بعضهم بعضاً ^٦. وتبث في النفوس الشجاعة والبطولة والتضحية والصدق في الجهاد وغير ذلك ^٧. ولا بد أن نعلم أن الإعلام هو وسيلة ربط بين الجيل الحاضر بالجيل الذي سبقه ^٨ وتمر القضية الأفغانية اليوم بكل أبعادها عبر الإعلام الغربي الذي هلّل لها في بادئ الأمر وهو يرى الدب الروسي يشتخن بالجراح، أما وقد خرج الروس فقد عادوا يقارنون بين الفريقين المتصارعين، المجاهدين والشيوعيين، فرأوا أن الشيوعية أقرب إليهم مما يطرحه المجاهدون - مع العلم أن الشيوعية والرأسمالية توأمان لأمان واحدة - وكذلك يخشى المجاهدون أن يتم تفريغ القضية الأفغانية بالكامل وتنهيار بواعث النضال ومن ثم تسقط راية الجهاد مرة أخرى، ويبقى المجاهدون وحدهم في الميدان ^٩. وما زالت أمريكا تعمل للإيقاع بين قادة المجاهدين ومحاولة الالتفاف على هذا

^١ نوفل، أحمد: الحرب النفسية من منظور إسلامي، ج ٢، ص ٢٠٤ [هذا خاص بالفقرة الأولى والثانية والثالثة من تأثير الإعلام]

^٢ جون. ر. بيتز: الاتصال الجماهيري، ترجمة عمر الخطيب، ص ١١٦.

^٣ أحباب، محمد منير: نظريات الإعلام الإسلامي، المبادئ، والتطبيق، ص ١٣٤، نصر محمد إبراهيم: الإعلام وأثره في نشر القيم الإسلامية وحمايتها، ص ٣٧.

^٤ الشنقيطي، سيد محمد ساداني: الإعلام الإسلامي الأهداف والوظائف، ص ٧.

^٥ جريشة، علي: نحو إعلام إسلامي، ص ٨١.

^٦ أرشني، جيهان: الأسس العلمية لنظريات الإعلام، ص ٤٦٣، حسين سمير محمد: الإعلام والاتصال بالجماهير والرأي العام، ص ١٦٦.

^٧ عبد الرحمن، عواطف: تحليل المضمون في الدراسات الإعلامية، ص ١٧١.

^٨ بدر، أحمد: الاتصال الجماهيري بين الإعلام والدعاية والتنمية، ص ٩٠ - ٩١.

^٩ مجلة المجتمع الكويتية، العدد ٩٣٧، ربيع الآخر ١٤١٤ هـ، ص ١٩، ٢٠.

الجهاد المبارك وابتلاعه بصمت حتى لا يتألم له العالم الإسلامي. فعلى المجاهدين أن يكونوا على حذر من السماح (للأجانب) - وهم الذين يعملون لصالح المخابرات السوفيتية والأمريكية - من الدخول في صفوفهم، وما زالت المحاولات البائسة تبذلها جميع القوى المؤثرة في القضية الأفغانية للحيلولة دون وصول حكومة المجاهدين إلى سدة الحكم. وما زال الشعب الأفغاني مستمرا في جهاده نحو آثار الكفر والإلحاد، وإقامة نظام إسلامي ليعيش الشعب حرا كريما في ظله.

وها هي قضية أفغانستان تُدخل وكالات الأنباء العالمية المعركة ضد المسلمين، ولا تنشر الأنباء التي يعلنها المسلمون هناك في أرض المعركة^١. وبدأ الإعلام الغربي المسعور يتمادى ويستطيل بأخطبوطه في كل الجهات ناشرا سمومه التي تتلقاها إذاعات العالم، لاسيما إذاعات العالم الإسلامي التي تدين بالتبعية للغرب.. وظهر الجهاد بأنه ابن أمريكا، أرضعته وليدا، واحتضنته صغيرا، ورعته يافعا، ثم علمته السباحة والرمية وبعدها قادته إلى ميدان المعركة مدججا بسلاحها ليصنع الانتصار. وصوّر الإعلام الغربي الحبيث المجاهدين بأنهم أعجز من أن يصنعوا هذه الانتصارات التي تشهدها أرض أفغانستان لولا الغرب ومشاركته، وأعدت أمريكا أفلاما لترسيخ هذه الفكرة مثل (رمبو ٣) الذي صوّر فيها الأمريكي بأنه وراء انتصارات المجاهدين، وأن الأفغان البسطاء ما كانوا ليقاتلوا لولا هذا الأمريكي الشجاع، مما يوحي بأن أمريكا هي التي هزمت روسيا وليس المجاهدون^٢. وعندما شعرت بعض الدول الإسلامية أن المجاهدين على أبواب النصر أذنت لإذاعاتها وإعلامها أن يسهم في تضخيم دورها في هذا الجهاد وكثرت اللقاءات لتظهر بأن أياديها البيضاء هي التي أمدت الجهاد الأفغاني بالوقود، وما كان للجهاد أن يستمر ولا أن يكتسب صفة الديمومة وصولا إلى الانتصار، لولا دعمها، ووقوفها إلى جانبه، وهذا شئ مبالغ فيه وغير صحيح، والصحيح أن الجهاد كان وما زال فرديا من أبناء المسلمين في كل مكان لنصرة إخوانهم المجاهدين الأفغان.

الإذاعات المؤثرة في حركة الجهاد الأفغاني :

الإذاعة الروسية

لقد كان السوفييت في طليعة الدول التي استخدمت الإذاعة في الحرب النفسية، ففي العقد الثاني من هذا القرن كانت إذاعة موسكو الإنجليزية تفرع الإنجليز أشد الفزع حتى أدى الأمر إلى قطع العلاقات الدبلوماسية بين إنجلترا وروسيا سنة (١٣٤٦ هـ - ١٩٢٧ م) ومن

١ مجلة المجتمع الكويتية ، العدد ٩٢٤ ، ص ٢٦ ، صفر ١٤١٣ هـ.

٢ منصور أحمد ، الإعلام الغربي والقضية الأفغانية ، مجلة المجتمع الكويتية ، العدد ٩١٨ ، رجب ١٤١٢ هـ ، ص ٤٤ .

المعروف أن الشيوعية الدولية تدير الكثير من المحطات الإذاعية السرية التي تبث دعاياتها السوداء وتنفت سمومها لتفريق الشعوب شيعة وأحزابا، وتآليب بعضها ضد بعض لتصل على أنقاض الجميع إلى مواقع القيادة الفكرية والفعالية منهم لتجثم بعد ذلك على أنفاسهم، وتستنفذ خيراتهم.. ومن خلال مجموعة من العملاء المخدوعين.. بالضبط كما حدث على أرض أفغانستان الطاهرة . ولا يقف المكر الشيوعي عند حدود الاستيلاء على أدمغة الشعوب، إذ ينبغي لاستكمال سيطرتهم أن يفسدوا الشعوب ويدمروا فيها روح المقاومة والصمود، ويفسلوا العقول بباطلهم، ودعواهم، وتخريصاتهم . ولا يسعفهم في هذا الغرض الخبيث مثل الإذاعة التي تدخل بباطلها كل بيت، وتغزو بأفكارها أقصى النجوع .^١

إذاعات شيوعية :

راديو كابول - صوت الوطن - محطة موسيقى البوب - برنامج خاص للقبائل الحدودية -

إذاعات محلية - الصين

الإذاعة الهندية :

تمدح المصالح الروسية بشكل واضح بلا مواربة أو حياء، برغم إدعاءات الصداقة العريضة بالدول العربية والإسلامية، وإدعاء الانتماء إلى مجموعة عدم الإنحياز ولها برنامج بالفارسي يتضامن مع الشيوعيين الأفغان^٢

الإذاعات الغربية :

توجه إلى الشعب الأفغاني أبواق إذاعات عالمية عديدة، إلا أن لكل منها أغراضه الخاصة، فأكثر عمل هذه الإذاعات إن لم يكن عداء صريحاً فهي تعمل بأسلوب الصيد في الماء العكر، إلا أن الغطاء العام الذي تتلفح به هو مساندة الجهاد، الأفغاني، ومعاداة الشيوعية الغازية، وأهم هذه الإذاعات الموجهة إلى الشعب الأفغاني^٣ :

^١ مجلة المجتمع الكويتية ، العدد ٩٠١ ، ربيع الأول ١٤١١ هـ ، ص ١٤ ، جريدة الهدف ، ١٣٩٩/٩/٢٢ هـ - ١٩٧٩/٨/١٤ م
ص ٢١ ، جريدة الوطن ١٠/٨/١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩/٨/٣٠ م ، ص ١٤ ، جريدة روتير ١٠/٧/١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩/٨/٢٩ م
١٩٧٩ م ، ص ٢٢

^٢ حسن ، عبد الحق ، مواقف الهند في الميزان ، ص ٤٥ ، مجلة المجتمع الكويتية ، العدد ٩١٤ ، ربيع الأول ١٤١٢ هـ ، ص ٣٠ - ٣٢

^٣ د. إمام ، إبراهيم ، الإعلام والاتصال بالجماهير ، ص ٥١

الولايات المتحدة الأمريكية (صوت أمريكا) :

وتدافع عن موقف المجاهدين وقضيتهم وتهاجم روسيا بشكل رهيب، وتحدث عن الجهاد الأفغاني مجردا بالطبع من توجهه الإسلامي، وتعتبر عنه كبطولات وشجاعة وحمة، كما تستثير النزعة القومية في الشعب الأفغاني تمسها مع سياستها في تحويل الجهاد الإسلامي إلى قتال قومي لا روح فيه ولا خطر على كيائها منه كما أن الصحافة الأمريكية كانت تشير إلى المجاهدين بكلمة ثوار وهذا يعطي انطباع لدى موسكو بأن لها حق في بلادهم^١.

ألمانيا الغربية صوت ألمانيا وبريطانيا :

تدافعان عن القضية الأفغانية إلا أنهما تبيان السموم حول الإسلام وعالميته. وتحاولان أن تبدوا مساندتين للجهاد الأفغاني معاديتين للغزو الروسي، إلا أنهما تروجان للأفكار الغربية حول القضية محاولة سلخها عن الإسلام. والجدير بالذكر أن الأفغان يسمعون هذه الإذاعة ويثقون فيها.^٢

وتعتبر هيئة الإذاعة البريطانية: من أخبث الإذاعات الغربية الموجهة إلى الشعب الأفغاني وهي تلتزم الصديق تكتيكا لبلوغ أغراض محددة، وتفضل الدعاية الإعلامية بالأخبار شبه الموضوعية حيث تنقل أخبار المعارك من مواقعها عن طريق مراسليها — مثلما حدث في معركة خوست — مع حذف إضافة ما يريدون ببراعة وخبث شديدين. كما حاولت الإيقاع بين قادة المجاهدين بنشر مقتطفات مجتزأة من تصريحاتهم لإظهار التناقض والاختلاف بينهم^٣.

راديو فيلينا :

إذاعة تنصيرية تهدف إلى تنصير الأفغان ولا تعلن عن مكانها ولكن تعلن عن رقم صندوق بريدها في إسلام آباد (١١٧٨) وتبث برامجها يوميا بالبشتو والفارسي (٧٤٥ و ٨ : صباحا)، ويشاع أن محطة بثها في مدينة إسلام آباد. كما ترسل مطبوعات تنصيرية إلى الأفغان بلغتي الفارسي والبشتو^٤.

^١ الشيخ سيف ، رسالة للأمم المتحدة ، مقال بمجلة المجتمع الكويتية ، العدد ٩١٥ ، ربيع الآخر ١٤١٢ هـ ، ص ٤٢ — ٤٤

^٢ نتجستون وكاوجيل ، ورالف ليفي ترجمة نبيل بدر : الإذاعة والراديو والتلفزيون ، ص ٧٨

^٣ المرجع السابق ، ص ٨١

^٤ المرجع السابق ، ص ٨٤

الإذاعات الإسلامية

الإذاعات الإسلامية والحقيقة المرة :

إن الحقيقة المرة أن الإذاعات الإسلامية جميعا لا يساوي مجموع ما تبثه للشعب الأفغاني ربع ما يبثه الروس ومن يتبعهم . أما الإذاعات الأجنبية التي تدعي صداقة الأفغان أو صداقة المسلمين ، فإن لكل منها في بثه أهدافا يجعل الخائف على مصير الجهاد الأفغاني يقول كلما سمعها : (ليتة سكت) وأما إذاعة المجاهدين الوليدة اليتيمة الصبور، فتعاني الأمرين، وتشكو إلى الله قلة حيلتها غير أنها جهد المقل.. الذي يعذر إلى الله وستحدث بالتفصيل عن هذه الأصناف الثلاثة^١.

إذاعات باكستان :

دولة باكستان هي الدولة الإسلامية الشقيقة ، أو هي الدولة المضيفة التي تدفقت إليها سيول المهاجرين من نيران الرحف الروسي، وهي الدولة المرشحة للوثبة الروسية القادمة بعد أن تجهز على أفغانستان حسب ماتصور لها أوهامها الخادعة. لهذه الاعتبارات الثلاثة وغيرها كان ينبغي أن يكون نصيب الباكستان من عبء منتظر من هذا البلد العظيم المعطاء أكثر بكثير مما قدم.. ويقدم وبخاصة في مجال الإذاعة، فالإذاعات الباكستانية الموجهة إلى الأفغان بلغتهم هي^٢ :

إذاعة بشاور :

هي بلاشك أقرب الإذاعات إلى المجاهدين لصدورها عن دولة مسلمة صديقة أولا، ولوضوحها بسبب قربها ثانيا، لولا أن الإذاعة في حاجة إلى مراعاة طبيعة الشعب الأفغاني فتتخلى عما يثير المستمع الأفغاني المسلم كالموسيقى وما إليها وينقصها الالتزام بالمنهج الإسلامي كمنطلق لها^٣.

إذاعة إسلام آباد :

تتضامن مع موقف المجاهدين وفي الوقت ذاته تعبر صراحة عن آراء الحكومة الباكستانية، وموقفها تجاه القضية^٤.

١. جريشة ، علي محمد ، من أفغانستان بعد الله ١٩ مقال بمجلة المجتمع الكويتية ، العدد ٩١٣ ، صفر ١٤١٢ هـ ، ص ٤٣

٢. ولر شرام ترجمة محمد فتحي ومراجعة يحيى أبو بكر : أجهزة الإعلام والتنمية الوطنية ، القاهرة ١٩٧٠ م ، ص ٨٤

٣. مجلة المجتمع الكويتية ، العدد ٩١١ ، ذو الحجة ١٤١١ هـ ، ص ٢٤ ، ٢٥ .

٤. المرجع السابق ، ص ٨٢

إذاعات ايران :

لطهران اهتماماتها الخاصة بالجهاد ومصالحها الذاتية فيه ، ولذا فإن لها كذلك ثلاث محطات موجهة إلى الشعب الأفغاني وهي ^١ : إذاعة طهران - إذاعة مشهد - إذاعة زاهدان . والملاحظة العامة على الإذاعات الإيرانية أنها في الوقت الذي تدافع فيه عن الجهاد الأفغاني وتندد بالغزو الروسي الملحد، إلا أن رائحة التشيع تشيع في برامجها الأمر الذي يصرف عنها كثيرا من المجاهدين ^٢ .

إذاعة السعودية :

لها برنامج بالفارسية موجه نحو إيران وأفغانستان، وتدافع عن المجاهدين وحقوقهم المسلمة. ^٣

إذاعة القاهرة :

لها برنامج للدفاع عن الجهاد والمجاهدين، ومن الصعب سماعها في بشار وأفغانستان، وهي تذيع مواد إسلامية وأخبار المجاهدين، ومنطالاتها إسلامية صرفة، ويرجع ذلك إلى أن القائمين عليها من أبناء الحركة الإسلامية بأفغانستان ^٤ .

^١ مجلة المجتمع الكويتية ، العدد ٩١١ ، ص ٨٣ .

طهران : عاصمة إيران وهي جمهورية إسلامية وعدد سكان طهران حوالي ٦ مليون نسمة ودخلها المسلمون بعد أن هزموا الفرس في معركة القادسية ثم معركة نهاوند (فتح الفتوح) سنة ٦٤٣هـ وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب عقد سبعة ألوية أكملت فتح أرض فارس كلها وقد ظهرت دولة إيران في القرن السادس عشر مع تولي الأسرة الصفوية للحكم وإعلان المذهب الشيعي وفي سنة ١٧٢٢م تولي حكمها الأفغان ثم نادر شاه في ١٧٣٩م الذي طرد العثمانيين والروس في ١٨٤٨م - ١٨٩٦م تولي الحكم مظفر الدين شاه ونظم رجال الدين ثورة ضده ، فأعلن دستوراً وخلفه ابنه علي شاه ثم ابنه لكن الثورة استمرت فهرب إلى روسيا مما شجع تدخل القوات الروسية في طهران واللغات هناك هي الفارسية والتركية والكردية والعربية . بالنسبة للديانات ٩٨٪ مسلمون ، ٢٪ ذرادشتية ، يهودية ، مسيحية ، بهائية ، أهم المحاصيل الزراعية ، القمح ، الأرز ، الشعير ، الذرة الشامية ، البطاطس ، البقوليات ، وأهم الصناعات هي الغاز السائل ، النفط ، وفود الطائرات ، الإسفلت ، السكر ، الإسمنت [الآفاق المتحدة ص ١٠٧] مرجع سابق ص ٨٣ .

^٢ مجلة البيان المرصوص ، العدد ١٨ ، رجب ١٤٠٨ هـ ، ص ٢٤ .

^٣ د. إمام ، إبراهيم ، وكالات الأنباء ، ص ٣١ .

^٤ د. إمام ، إبراهيم ، الإعلام والاتصال بالجماهير ، ص ٥٧ .

إذاعة الجهاد الأفغاني وتسمى صوت أفغانستان :

عند بدء الجهاد كان المجاهدون ولازالوا يعانون من قلة الوسائل الإعلامية بصفة عامة وانعدام وسيلة البث الإذاعي كواحدة من أخطر وسائل الإعلام على الخصوص .
ومع مطلع عام (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م) تمكن المجاهدون من الاستيلاء على كمية من الأجهزة اللاسلكية بأنواع مختلفة ، صغيرة وكبيرة ، ومنذئذ بدأ الإرسال الإذاعي المحدود من منطقة حدودية ، تحت سيطرة المجاهدين ، وبفضل الله يصل بثها إلى قلب كابول نفسها ، ولأسباب عديدة لم تتمكن الإذاعة أن تبث برامجها وأخبارها الحية إلا لمدة ثلاث ساعات فقط خلال أربع وعشرين ساعة ، إلا أن الله سبحانه بارك هذا الجهد القليل المخلص فكان لهذه الإذاعة الأثر الطيب في تعرف الشعب الأفغاني على حقيقة نوايا الروس، وفضح عملاتهم ، وأساليبهم الخبيثة وتوعية الشعب الأفغاني المؤمن بدينه ، وبقيضته، ومتغيراتها، ودعم صموده وإبائه^١ .. غير أن هذه الإذاعة تتعرض للتشويش من قبل أعداء الحق مما اقتضى كثرة تغيير مواعيد بثها لتفادي التشويش أو الضربات التخريبية إذا عُرف مكانها....^٢

من هذا العرض يتضح لنا أن الشعب الأفغاني تصب على أذنيه يوميا سبعون ساعة بث إذاعي شيوعي، ولا يقف أمام هذا السم المتدفق إلا إذاعة المجاهدين التي تبث أربع ساعات ونصف باللغات الأفغانية، أما الإذاعات التي تنطلق من البلدان الإسلامية ~~فمعظمها~~ تصطبغ ببرامجها بصيغة حكوماتها وسياساتها، ومنطلقاتها الفكرية ليست إسلامية صميمة.

إن الشعب الأفغاني المسلم في أمس الحاجة إلى إذاعة إسلامية صميمة لدحض الأفكار الماركسية، وترسيخ العقيدة الإسلامية ونشر حقائق الجهاد وأخباره على الشعب الأفغاني بلغاته المحلية المختلفة، وشن حرب نفسية على الشيوعيين وعملائهم.

إننا نجد من هذا العرض التاريخي العام لأفغانستان أن الشعب الأفغاني يعيش الحرية الفردية وكذلك حرية الوطن، ويتميز بالشجاعة والبسالة في الحرب، والتغني بها في كل مكان، وتمسكه الشديد بدينه الحنيف. ولاشك أن هناك مشاكل داخلية تواجه المجاهدين الأفغان. ففي ندوة عُقدت في إسلام آباد (١٤١١ هـ - ١٩٩١ م) أوضح أحمد شاه، الرئيس السابق لحكومة المجاهدين ووزير المواصلات حاليا أن وضع المجاهدين الراهن بين خيارين : الأول : هو استمرار بقاء نظام كابول، وهذا يعني أن الجهاد سيستمر لا محالة.

^١ أحمددي ، عبد الحليم ، الجهاد في أفغانستان ، مقال في مجلة الحقوق ، جامعة الكويت ، صفر ١٤١٣ هـ ، ص ٢٧ .

^٢ مجلة المجتمع الكويتية ، العدد ٩٤٧ ، رجب ١٤١٥ هـ ، ص ٦ ، ١٢ ، ١٣ ، و العدد ٩٤٨ ، شعبان ١٤١٥ هـ ، ص ٦ .

الباب الثاني

الدراسة النقدية

الفصل الأول : الدراسة الموضوعية

الفصل الثاني : الدراسة الفنية

الفصل الأول : الدراسة الموضوعية .

المبحث الأول : ذكر مآثر الأمة الإسلامية ماضيا ووضعا الحالي

ذكر مآثر الأمة و البكاء على ضياع مجد المسلمين :

عندما بدأ مد الإسلام يتراجع بسبب تقصير المسلمين في التمسك بدينهم ، توالى على بلاد الإسلام الحزن والمصائب . فبدأ يضيع بعض ما في أيديهم من البلاد . وقد شكلت الأندلس نموذجاً يضرب به المثل في هذا الأمر .

و البكاء على الأندلس يجري دموعا على ألسنة الشعراء جيلا بعد جيل حتى يومنا الحاضر . والشاعر د. عدنان النحوي الذي يعيش مآسي المسلمين الحاضرة ، بل هو ابن مأساتهم الكبرى (فلسطين) يعرض علينا صورة من هذه المأساة ، وهو ينحسر مع انحسار تاريخ الإسلام المشرق في عهده الأول الذي عرضناه فيقول في قصيدة " شموخ الليالي " تحت عنوان (حنين ودموع) متسائلا تساؤل اليأس الباكي ، وكاشفا أسباب ذلك السقوط :

أَيَّنْ إِشْيِيلِيَا ! وَأَيَّنْ دُمُوعٌ	سَكَبَتْ حَرَهَا بَنُو عَبَّادٍ
وَمُلُوكٌ مِنَ الطَّوَانِفِ شَتَّى	ذَرَفُوا أَدْمَعًا عَلَى أَمْجَادٍ
يَا هَوَانَ الْمُلُوكِ تَسَكَّبُ دَمْعًا	قَبْلَ سَكَبِ الدَّمَاءِ فِي الْأَنْجَادِ
أَيَّنْ غَرَنَاطَةً يَمْوِجُ هَوَاهَا	يَبْنُ لَهَا مَضِيعٌ وَفَسَادِ
يَا جُنُونَ الْهَوَى بِأَنْدَلُسِ الْخَضُّ	سَاءَ رَجَعُ مَوْشِحًا مِنْ حِدَادِ
سَكَرُوا فِي مَضَاجِعِ ثَمٍّ غَابُوا	فِي حُمَيَّا أَحْضَانِهَا وَالْمَهَادِ
أَيَّنْ قَصْرُ زَهْوَةِ الْأَنْسِ فِي اللَّيْلِ	رَاقِصَاتٍ ؟ وَأَيَّنْ سَحَرُ النَّادِي ؟
يَا لَهَا فِتْنَةٌ تَجْرُ خُطَا الذُّ	لِ إِلَى مَهْمُهُ وَسَقَطَةُ وَادِ
وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ يَسْحَبُ خَيْلًا	وَبَقَايَا هَزِيمَةٍ وَعَتَادِ
يَا لَدَمْعٍ مِنَ الْكِبُودِ مَكْبَنًا	هُ وَمَا زَالَ جَارِيًا فِي الْبِلَادِ

فالشاعر هنا يشخص داء الماضي ليستطيع مداواة الجراح الحاضرة ؛ لذلك أنهى هذا

المقطع بوصلة بحاضرنا ، وانتقل إليه بقوله : (يا لدمع من الكبود سكبناه) في الماضي ، (وما

زال جاريا في البلاد) في الوقت الحاضر الذي طالت مأساته وتنوعت ، وامتدت شرقا وغربا ،
وفي العمق في فلسطين ، فيقول :

يَا فَلَسْطِينُ! يَا حَنِينِ اللَّيَالِي يَا شُفُوفَ الْغُيُوبِ وَالْإِشْهَادِ!
سَوْفَ نَمْضِي عَهْدًا مَعَ اللَّهِ يَرْوِي — هِ وَفَاءَ الدِّمَاءِ وَالْأَحْفَادِ^١

والشاعر هنا يتذكر فلسطين بكثير من الحنين واللوعة عاقدا العزم على تنفيذ وعدهم مع
الله بالثأر لفلسطين وإنقاذها من أيدي المجرمين الطغاة .

ويقول أبو الحسن في قصيدة " لن يضيع الثأر " :

أُمَّةٌ كُنَّا هُدَاةً بِهِدَى خَيْرِ الشَّرَائِعِ فَطَلَبْنَا عِزَّةَ الْأَرْضِ فَبَاتَ الْعِزُّ ضَائِعِ
بَعْدَ أَنْ كُنَّا سُرَاةَ الْأَرْضِ أَضْحَيْنَا مَطَامِعِ وَغَدَوْنَا كَقَطَاعِ حَوْلَهَا الْمَبْشُومِ جَانِعِ
إِنْ مَنْ يُعْرِضُ عَنْ عِزِّ السَّمَاءِ فِي الْجُحْرِ قَابِعِ إِنْ قَطَعْنَا حَبْلَ رَبِّي ، كُلُّ وَصْلٍ بَاتَ قَاطِعِ^٢

والشاعر هنا لا يتساءل تساؤل الحيران عن فقد المسلمين عزة الأرض وسيادتهم عليها
فهو يعلم أن إعراضهم عن دين الله هو سبب ضياعهم وضياح عزتهم ومجدهم بين الأمم . وينتقل
بعد ذلك إلى مأساة لبنان الذي يشارك فلسطين فيما أصابها ، فيقول :

أَيْنَ لُبْنَانُ بَيْنَ فَكَيْنِ عَصَا هُ بَنَابٍ وَمَنْجَلٍ حَصَا
دَفَعُوهُ إِلَى الْهَلَاكِ فَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي جَحِيمِهَا الْوَقَادِ^٣

يتحدث الشاعر هنا عن لعبة الموت التي يحلو للمجرمين الإنشغال بها بل إنهم يتقنونها
فقد أداروها فوق ثرى لبنان الحبيب فذهب الموت يلهو بالأبرياء كيفما يشاء. وهكذا يتدرج
الشاعر في رصد الخط البياني الذي حفل بالألحاجد ، وتصدى للغزاة ، وهي بذلك تعتر بإسلامها ،
يقول الشاعر في قصيدة " يا أرض كابول " : وتأخذ بقول القائل (شخصية الشاعر هي شعره ،
وأنا نعرف الرجل عن طريق شعره أكثر مما نعرفه عن طريق دقائق حياته)

^١ من ملحمة الجهاد الأفغاني ، من قصيدة حنين ودموع ، ص ١١٦ .

^٢ مجلة الجهاد ، العدد ٨ ، شوال ١٤٠٥ هـ - يونيو ١٩٨٥ م ، ص ٢٦ .

^٣ عدنان النحوي : ملحمة الجهاد الأفغاني ، قصيدة حنين ودموع ، ص ١١٦ .

يَا أَرْضَ "كَابُولَ" ...! كَمْ أَلْقَيْتِ مُنْهَزِمًا
وَكَمْ شَمَخْتَ ...! وَهَبْتَ كُلَّ شَاهِقَةٍ
تَسَابَقَتْ فِي عَنَانِ الْجَوِّ وَانْطَلَقَتْ
تَقُولُ فِي وَثَبَاتِ الْمَجْدِ إِنَّ لَنَا
يَجْرِي مَعَ الدَّهْرِ فِي أَعْقَابِ مُنْهَزِمٍ
مِنَ الذُّرَى قِمَّةٌ تَسْعَى إِلَى قِمَمٍ
إِلَى مَرَاقِي مِنْ عِزٍّ وَمِنْ شَمَمٍ
دَفَقَا إِلَى الْمَوْتِ سَيْلَ الْغَاظِبِ الْعَرِمِ^١

وهكذا نرى الشاعر يعيد إلى الأذهان ذكريات الماضي الحافل بالأمجاد ويفخر به فخرا طويلا عسى أن يستيقظ النائمون وينتبه الغافلون فيتخذوا من الماضي المجيد منطلقا لبناء حاضر مجيد أيضا . ويعود إلى هذا التاريخ الزاهي لأفغانستان مرة أخرى في قصيدة " شموخ الليالي " تحت عنوان (طيوف الأعراس والأجواد) فيقول مخاطبا ربوع الأفغان:

أَنْتِ "أَرْضُ الشُّمُوسِ" "لَأُلاَةِ النُّورِ"
أَنْتِ مِيدَانُنَا الْغَنِيِّ عَلَيْهِ
كُلَّمَا مَرَّتِ الْعُصُورُ عَلَيْهِ
مِنْ سَنَا لُؤْلُؤٍ وَمَاسَةٍ كَوْهِيٍّ
رِ "نِدَاءُ الْوَفَاءِ ، زَهْوَةٌ حَادٍ
مِنْ عَطَاءِ التَّارِيخِ وَفَرَّةٌ زَادٍ
وَهَبَّتْهُ مِنْ جَوَاهِرِ وَقِلَادٍ
وَبَرِيقِ مَمْوُجٍ وَاتَّقَادٍ^٢

فهذه أفغانستان في الماضي ، تاريخها من تاريخ الإسلام ، وعزتها من عزة الإيمان ، وخبث كل مأساتها، وزهت ماسة التقوى والرشاد فيها . ولكن حل بأفغانستان ما حل بفلسطين ولبنان ؟ لأنها مطمع أعداء الإسلام، فدخلوها على حين غفلة من أهلها . فيتساءل بلسان أفغانستان في قصيدته " يا أرض كابول " سؤال المنتبه من غفلة ، فيقول :

وَعُدْتُ أَسْأَلُ : كَيْفَ الْخَالِيَاتُ مَضَتْ
وَكَيْفَ هَبَّ عَدُوِّي عِنْدَهَا وَغَفَّتْ
كَأَنَّ دَارِي قَدْ ظَلَّتْ مُفْتَحَةً
أَيْنَ الْمَلَائِينُ ...؟! فِي لَهْوٍ وَفِي خَدَرٍ
وَمَا وَثَبْنَا لِدَفْعِ الشَّرِّ وَالنَّقَمِ
عَيْنِي عَلَى دَافِي الْأَشْوَاقِ وَالْحُلُمِ
أَبْوَابُهَا شُرْعًا لِلزَّاحِفِ النَّهَمِ
أَيْنَ الدَّعَاةُ وَصَفُّو النَّهَجِ وَالْهِمَمِ ...؟!^٣

^١ عدنان النحوي : ملحمة الجهاد الأفغاني ، قصيدة حنين ودموع ، ص ١٠٦

^٢ المرجع السابق ، ص ١١٨

^٣ ملحمة الجهاد الأفغاني ، ص ١٠٧

فالداء الذي أودى بالاندلس ، وأصاب فلسطين ولبنان ، أصاب أفغانستان . إنه التقاعس
عن الجهاد والنوم والغفلة عن مكائد الأعداء .

ويقول الشاعر محمد عبد الغني حسن في قصيدة " مبادئ ومبادئ " :

بَانتَ تَبَاشِيرُ الصَّبَاحِ المُتَجَلِّسِ	أَلْقِ السَّتَارَ عَلَى الظَّلَامِ وَأَسْدِلِ
يَا مَطْلَعَ الشَّمْسِ الْمُتَبَرِّجِ بِأَلْهَدَى	يَكْفِي رُقَاذُكَ بَعْدَ لَيْلٍ أَلِيلِ
كُنْتَ الدَّلِيلَ عَلَى صَبَاحِ مُشْرِقِ	لِلْحَانِثِينَ وَنُورَ فَجْرِ مُقْبِلِ
حَرَرْتَ عَبْدَانِ النَّفُوسِ فَأَنْزِلُوا	مِنْ قِمَّةِ الْأَيَّامِ أَكْرَمَ مَنَزِلِ
وَمَشُوا عَلَى هَامِ اللَّيَالِي هَامَةً	تَطَأُ السَّمَاءَ كَبَدْرِهَا الْمُتَهَلِّلِ
وَمَضُوا بِأَرْوَاحِ كِرَامٍ لَا تَنِي	عِنْدَ اللَّقَاءِ وَأَنْفُسٍ لَا تَأْتَلِي ^١

وهكذا فقد كثر في عصرنا هذا عصر الخن والبلاء للأمة الإسلامية ، كثر عزف الشعراء
على وتر التذكير بالماضي الجيد لهذه الأمة والمليء بالمفاخر والأعجاد والزاهر بالبطولات
والتضحيات وطال الاعتزاز به من أجل إيقاظ الأمة الراقدة . ويقول الشاعر أنور العطار في
قصيدة " أنتم الأسبقون " :

أَيْنَ قَوْمِي وَأَيْنَ مُلْكُ عَلَى الدَّهْرِ	— أُرِضَاءَتْ بِهِ اللَّيَالِي الْقَوَاتِمِ
زَيَّنُوا مَفْرَقَ الزَّمَانِ وَتَاهَتْ	بِهِمْ هَذِهِ النُّجُومُ الْخَوَالِمِ
يَا بَقَايَا السُّيُوفِ رَمَزَ الْأَضَاحِي	وَشِعَارَ الْفِدَا وَسِرَّ الْعِظَائِمِ ^٢

إنه الفخر بالماضي والتذكير بأعجاده لحفز النفوس على صنع حاضر مثله .

ومن قصيدة " هم ونحن " للشاعر أحمد بشار بركات :

مَاذَا سَأُرَوِي يَا صَغَارِي عَنْ جَدُودِكُمُ الْأَوَائِلُ ؟!
مَاذَا أَقُولُ عَنِ الْفَضِيلَةِ .. إِنَّهُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ ؟!
جَمَعُوا الْمَفَاخِرَ كُلَّهَا ... وَمَا حَالَ دُونَ الْقَصْدِ حَائِلُ

^١ مجلة الرسالة ، العدد ٢٥١ ، ص ٧٥٧

^٢ المرجع نفسه

سَبَقَ الْفَعَالُ مَقَالَهُمْ .. فَالْكَلُّ قَبْلَ الْقَوْلِ فَاعِلٌ
فَإِذَا أَحَاطَتْ بِالْدِيَارِ مَكَارَةٌ .. كَانُوا الْبَوَاسِلُ
وَإِذَا تَحَدَّاهُمْ دَخِيلٌ .. كُلُّهُمْ .. كَانِ الْمُنَازِلُ
صَارُوا جَمِيعاً وَحِدَةً .. وَهُمْ الْأَلَى كَانُوا قَبَائِلُ
حَمَلَ السِّلَاحَ جَمِيعُهُمْ مَا بَيْنَ دَاخٍ أَوْ مُقَاتِلُ
وَمَضُوا إِلَى كُلِّ الْخَطُوبِ بِقُوَّةٍ وَعَلَى جِحَافِلُ
كَانُوا دُعَاةً لِلْهُدَايَةِ فِي الْبُكُورِ وَفِي الْأَصَائِلُ
عَنْ دَعْوَةِ الْإِيمَانِ لَمْ تَشْغَلْهُمْ أَبَدًا شَوَاغِلُ
وَعَدُّوا لِهَذَا الْكُونِ نُورًا بَلْ هُمْ كَانُوا مَشَاعِلُ^١

نرى الشاعر يستعرض مآثر الأجداد للأبناء ولسان حاله يقول : عليكم أن تكونوا مثلهم
أيها الأبناء وتصنعوا صنيعهم لتصلوا إلى ما وصلوا إليه من عزة وسؤدد ومجد رفيع وقوة كانت
مضرب المثل في مشارق الدنيا ومغاربها .

ومن قصيدة "رسالة إلى هند" للشاعر حيدر الغدير :

أَجْدَادُكُمْ عُقْبَانُ مَجْدٍ بَاذِخٍ وَالْعَارُ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْأَبْنَاءُ
الْعَجْزُ أَيْكُمْ ضَارِبٌ أَطْنَابَهُ وَرِجَالُكُمْ يَوْمَ اللَّقَاءِ نِسَاءُ^٢

نرى الشاعر يصنع صنيع غيره من الشعراء في التذكير بالماضي ومآثر الأجداد والغرض
واضح من ذلك الصنيع كما بينا سابقا .

حال المسلمين اليوم :

لم يعودوا أهل قتال ، لا يدرون ما يفعلون ، أما من آتاه الله علما ، فجريح قلب ، لا
يملك حولا ولا قوة .

^١ المرجع مخطوط في مكتبة الباحثة

^٢ مجلة البيان المرفوض ، العدد ٣٥ ، جماد الأول ١٤١٠ هـ - ديسمبر ١٩٨٨ م ، ص ٦٧

(أخوة) أصبحت كلمة تقال ، دون أن تترجم إلى عمل ، كانت من قبل حية ، تنبض بالحياة ، تثير الهمم ، فغدت اليوم نائمة ، مريضة ، ليت مسلمي اليوم يعودون إلى دينهم ، لتعود لهم الحياة ، إنه لفسق أن لا تهتم الأمة بالجرح الأفغاني ، وبلا اكتراث ، إنه لفجور ، ﴿ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾^١ ، على الأمة أن تقاتل الملحدين ، فهم كفرة فجرة ، فتطهر الأرض من شرورهم . وتدع المتاجرة بالكلام الرخيص ، والركون إلى الماضي ، عليها نبذ الحاضر ، فأمة الإسلام في بلاد الأفغان تذبح على أيدي الحمقى الأراذل الدينين !

خيول المسلمين الناطقين بالضاد ...

هل هُزِمَتْ ؟ .. !

وسوقُهم ، هل أصبحت مثلومة ؟ .. !

والآخرون ..

مضيّعون .. وذاهلون .. وتائهون !!

والمخلصون .. قلوبُهم مكلومة !!

لكن صيحات الجياد

تشد أجفان النيام

وتوقظ المستضعفين^٢

وهكذا فإن الشاعر يعرض واقع المسلمين العرب في هذا النص بكثير من الغضب ومزيد من الاستغراب والدهشة لما هم عليه من جمود وضياح وغفلة في عالم الشرور فما عادت تهزهم (وإسلاماه) وما عادت تقض مضاجعهم محن المسلمين المتلاحقة ولم يعودوا يطهرون لنجدة إخوانهم المسلمين وإذا فعلوا فبالكلام دون الفعل . ولكن ماذا فعلت أمنا الإسلام والعرب ؟ مازالوا لاهين !، أحيانا يجودون بكلام !، ولكنه مومج ، عدمه يعين على العافية ، يستجدون الحلول ، ومن أعداء الأمة ، أعداء الله ، معطلين ما منحهم الله من قوة ، أصبحوا هينين في نظر الأمم ، فطمعت في أرضهم ، ولن يعيد الأرض هذه غير مسلم يرفع شعار (الله أكبر)

عَلَّمَ أَعْرَابَ الْعَصْرِ فَمَا مَعْنَى التَّوْحِيدِ مَعَ الْأَرْكَانِ

^١ سورة الإنفطار ، آية رقم ١٤

^٢ الشاعر فاروق حسنين مخلوف : من قصيدة لمن الرصاص ، مجلة صوت الجهاد ، العدد المزدوج ٧٠٦ ، شعبان ١٤٠٨ هـ ، ص ٣٢

عَبَدُوا الطَّاغُوتَ بِلَا حَجَلٍ وَأَقَامُوا الشِّرْكَ بِلَا أَوْثَانٍ
نَامَ الْأَعْرَابُ عَلَى جُرحٍ مَا اهْتَزَّ الْقَلْبُ وَلَا الْأَجْفَانُ
وَكَاَنَّ الْعَرَبَ بِلَا دِينٍ قَدْ فَقَدُوا الْعِزَّةَ وَالْوُجْدَانَ^١

اللوم بالتقصير واضح في قول الشاعر لقومه أبناء جلدته منصرفون عن قضاياهم الكبرى بالانشغال بالدنيا وملذاتها ولو شاؤوا لاتخذوا من إيمانهم قوة ترهب العدو وتردعه ولو شاؤوا لأعادوا صلاح الدين ثانية وصنعوا حطين وغيرها مرة ثانية . كان المجاهدون الأفغان مثالا لنا ، حين غمنا وحقوقنا ضائعة ، وعزنا مفقود ، وكرامتنا مهينة ، وكأنا نحن بلا دين ، وكيف ينাম من جرح ١؟ ، وكيف ينَام هنيئاً من طعن ١؟ وكيف ينَام قريـر العين من مرغ بالتراب وجهه ١١؟ إن كان المنكوب هذا ذا دين !

ويقول أبو الحسن في قصيدة "لن يضيع الثار ":

لَا تُنَادِي وَأُخْيَا لَمْ يَعُدْ فِي الْعَرَبِ سَامِعٌ اقْطَعُوا حَبْلَ إِلَهِي لِصَلِيبِي وَطَامِعٌ^٢

والشاعر هنا يحمل على العرب بشدة أيضا كما فعل غيره من الشعراء فقد تخلوا عن رباط الأخوة الدينية وأقاموا وشائج المحبة والود مع الأعداء الكفرة . ويقول الشاعر سعيد سعد العوفي في قصيدة "استقبالات شولتز":

تَصَرَّفُ كَمَا شِئْتَ فِي حَقِّنَا وَلَا تَخْشَ مِنْ قَوْلِهِمْ قَاتِلُوا
فَشَعْبُ الْعُرُوبَةِ عَنْ حَقِّهِ وَعَنْ نَفْسِهِ غَائِبٌ ذَاهِلٌ^٣

والشاعر يلجأ إلى السخرية والاستهزاء بقومه العرب الذين انحدروا بشدة إلى حفر الحياة ومستنقعاتها الآسنة بسبب بعدهم عن دينهم .

^١ مجلة الجهاد ، العدد ٦٩١ ، رجب ١٤١١هـ - مارس ١٩٩٠ م ، ص ٤٢

^٢ المرجع السابق ، العدد ٨ ، رمضان ١٤٠٦ - أبريل ١٩٨٥ م ، ص ٣٤

^٣ مجلة المجتمع ، العدد ٤٧٢ ، أغسطس ١٩٨٩ م ، ص ١٠

قال الشاعر أنور العطار في قصيدة " أنتم الأسبقون " :

وَأَمْنُهَا دَمَاءُكُمْ تَتَنَزَّى	وَأَمْنُهَا أَرْوَاحُكُمْ وَالْجَمَاجِمُ
وَأَمْلِكُوا الْأَرْضَ أَنْتُمْ سَادَةُ الْأَرْضِ	وَأَنْتُمْ بَنُو اللَّيْثِ الضَّرَاجِمُ
أَنْتُمْ الْأَسْبِقُونَ فِي حَلَبَةِ الْعِزِّ بِكُمْ	تَنْجَلِي الْعَوَادِي الْغَوَاشِمُ
كَذَبْنَا أَحْلَامَنَا وَالْأَمَانِي	فِيَا ضَيْعَةَ الذَّلِيلِ الْحَالِمِ
وَحَسِرْنَا أَمْجَادَنَا وَعُلَانَا	وَذَلَّلْنَا كَمَا تَذِلُّ الْبَهَائِمُ

تلك هي الأمة العربية لم تعد تعرف من أساليب المواجهة إلا البكاء والعيول ففقدت إرث الأجداد ولم تكن امتدادا حسنا لهم . والتاريخ يشهد بأن البكاء والنواح لا يرد حقا مسلوبا ولا يغير شيئا من الواقع الدليل.

المبحث الثاني : دعوة الشعراء العرب الأمة الإسلامية لحمل مسئولياتها التاريخية.

الحث على ربط قضية الشعب الأفغاني بقضايا العالم الإسلامي الأخرى :

ما من إنسان عاقل واع مستوعب أحداث العالم يماري في أن العالم الإسلامي في هذا العصر وقبله مستهدف فكرا وعقيدة وترابا . وليس من سبب لهذا العداء القديم الجديد إلا كون الدين الإسلامي يشكل فيما ينطوي عليه من مبادئ سامية خطورة حقيقية على الطغاة الظالمين أتباع الطاغوت في الأرض ، ويرتقي بالإنسانية جمعاء إلى أمثل أشكال الحياة وأقوم أنماط السلوك وأفضل أنواع التفكير وأكمل صور العدالة وعندما يتحقق هذا يلغي دور رواد الظلم ومجبي استعباد البشر والتحكم بمصائرهم ، وتبقى نزواتهم الشيطانية حبيسة في نفوسهم تقض مضاجعهم ، ولعل هذا هو سبب اتحاد ملة الكفر ووثوبهم على العالم الإسلامي . ومن هنا اتسعت دائرة هموم المسلمين وتعددت قضاياهم وكثرت الجراح في جسد هذه الأمة . ومن هنا ينبغي أن يشكل المسلمون على اختلاف مشاربهم وألوانهم وحدة في المشاعر والأهداف والمصير وهذا ما يدعوههم إليه دينهم يقول الله عز شأنه ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾^١ ويقول الرسول صلى الله

^١ مجلة الرسالة ، العدد ٢٥٤ ، أبريل ١٩٨٩ م ، ص ٣٤

^٢ سورة المحررات ، آية رقم ١٠ .

عليه وسلم : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً)^١ ومن هنا جاء استنجاد الشعب الأفغاني بإخوانهم المسلمين للوقوف معهم في وجه البلاء الأحمر الداهم . بل تساءلوا عن تباطؤ هذه النجدة أو تجاهل نداءاتها . وقد جسد شعر الجهاد الأفغاني هذا الربط بين قضية أفغانستان وقضايا العالم الإسلامي وأبرزوا الوحدة الإسلامية التي ينبغي أن تكون بين أبناء الأمة . وكان للشاعر الدكتور عبد الرحمن العشماوي قصب السبق في هذا المجال وخير مثال على ذلك قصيدته " أحمد عبد الله الزهراني " الذي استجاب لنداء الجهاد وقضى نحبه شهيدا على التراب الأفغاني مجسدا وحدة الأمة الإسلامية . يقول الشاعر مغلدا ذكرى هذا الشهيد مزهوا بما قدمه من تضحية رائعة:

هَذَا رَبُّ زَهْرَانَ أَثْمَرَ لَوْزَهَا
شَغَفًا وَأَيْنَعَ شَوْقَهَا وَتَجَدَّدَا
أَحْيَيْتَ بِالتَّقْوَى سَعَادَةَ قَلْبِهَا
وَعَدَوْتَ فِيهَا بِالشَّهَادَةِ أَسْعَدَا
وَالطَّائِفُ الْوَلَهَانُ شَدَّ إِزَارَهُ
فَرَحًا وَأَحْيَا لَيْلَهُ وَتَهَجَّدَا
يَهْدِي إِلَيْكَ سَلَامَ كُلِّ شَيْءٍ
طَرِبْتَ لِلْحَنَكِ حِينَ كُنْتَ الْمُتَشَدِّدَا
وَيَصَّبُ فِي كَفِّكَ مِنْ أَزْهَارِهِ
عَطْرًا تَجُودُ بِهِ أَزَاهِيرُ الْهُدَى
أَرَأَيْتَ بِأَمِيرٍ الَّتِي فَرَحَتْ بِهِ
فَغَدَتْ تَمُدُّ إِلَيْهِ مِنْ شَوْقٍ يَدَا^٢

إنها وحدة المشاعر التي تربط المسلمين ، تجاوبت بها (زهران) والطائف في المملكة العربية السعودية مع بامير في أفغانستان بافتخارها وفرحتها بالشهيد الشاب . أما في قصيدة " وسام العز في وجه عائشة " فإن عائشة في أفغانستان تنظر إلى أخواتها في فلسطين ولبنان اللواتي عانين وما زلن من مثل ما تعاني هي الآن ، فتأخذ من ذلك عبرة لتصمد وتصبر وتجاهد ،

^١ صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، رقم الحديث ١٧٧٣ .

^٢ ديوان عندما يعزف الرصاص ، ص ٢٧ - ٣٦ .

وخصوصا قد ذهب لتجديتها رجال غيرون مع زوجاتهم وبناتهم مثل أم محمد عزام ، وعير بنت عدنان التميمي وغيرهما .

ويقول الشاعر أحمد محمد الصديق في قصيدته لشيد الجهاد الأفغاني :
لَهيبُ الجَرْحِ في (أَفْغان) يَنْزِفُ في (فَلِسْطين)^١

وحبذا لو أُلِفَ كتاب في النساء اللواتي جاهدن في أفغانستان وغيرها لتبقى للتاريخ صفحة مشرقة تفوح بعطر الخنساء وأم نسيبة رضي الله عنهما . ونعود إلى عائشة لنسمعها وهي تنادي أباه لتصبره وتُخَفِّفَ عنه مما أصاب ابنته - وهي عائشة فتقول :

أَلَمْ تَسْمَعْ
أَلَمْ تُبْصِرْ
فَلِسْطِينَ الَّتِي ضَاعَتْ
وَلِبْنَانَ الَّتِي تَاهَتْ مَعَالِمُهَا
فُكِّمَ مِنْ طِفْلةٍ مَاتَتْ
وَكَمَ مِنْ طِفْلةٍ صَارَتْ مَشْرَدَةً بِلا مَأْوَى
وَكَمَ مِنْ طِفْلةٍ
لا تُحَسُّ الشُّكُوى^٢

إذا فعائشة واحدة من بنات المسلمين أصابها ما أصابهن فلتصبر كما صبرن .
وفي قصيدة " عندما يعزف الرصاص " ينتقل من تحاذل المسلمين عن نصرة الشعب الأفغاني إلى تحاذلهم عن إنقاذ المسجد الأقصى مسرى الرسول صلى الله عليه وسلم وثالث الحرمين وأولى القبلتين ، شاهدا على تقاعس الأمة الإسلامية عن حماية مقدساتها . ولذلك لا عجب إن تباطؤوا أو تحاذلوا عن نصرة الشعب الأفغاني، يقول على لسان الطفل الأفغاني الذي يخاطب أباه :

هَذَا هُوَ الْأَقْصَى يَلُوكُ جِرَاحَهُ
وَالْمُسْلِمُونَ جُمُوعُهُمْ أَحَادُ

^١ أناشيد الصخرة الإسلامية شعر أحمد محمد الصديق ص ٥٧ - ٦١ ، مجلة الجهاد العدد ٤٠٣ ، ذو القعدة ١٤٠٩ هـ - ص ٥٣ .

^٢ ٥٠٩ هـ عندما يعزف الرصاص ، ص ٣٧ .

دَمْعُ الْيَتَامَى فِيهِ شَاهِدٌ ذُلَّةٍ وَسَوَادُ أَعْيُنِهِنَّ فِيهِ حِدَادٌ^١

فقد ارتبط هنا شعور الأسى من الواقع الإسلامي وتوحد بين أفغانستان وفلسطين مثلما ارتبط شعور الفخر والفرحة في قصيدة " أحمد عبد الله الزهراني " بين بامير والطائف وزهران . أما في " يا رافعا علم الجهاد " فإن الشاعر يخاطب القائد المجاهد عبد رب الرسول سيف خطابا مباشرا معبرا عن معنى الوحدة الإسلامية بينهما فيقول :

لَمْ نَنْسَ يَا سَيِّفُ مَا قَاسَيْتُمْ فِي نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ مِنْ آلامِ
سَيِّفٌ .. هَذِي نَفْحَةٌ مِنْ خَاطِرِي أَلْبَسْتُهَا ثَوْبًا مِنَ الْأَنْفَامِ
انْظُرْ إِلَيَّ فَلَنْ تَرَى فِي مُقْلَتِي إِلَّا بَرِيقًا مِنْ مَنَبَعِ الْإِسْلَامِ^٢

وهكذا يدخل الشاعر خط الجهاد مع القائد الذي يرفع علم الجهاد لأنه لا فرق بينهما ، فالمسلمون جسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .
الإيقاظ من غفلتهم ما يجري لإخوانهم في أفغانستان :

لقد كانت غفلة المسلمين عما يجري لإخوانهم في أفغانستان ومن ثم تقاعسهم عن نصرتهم ، كانت مؤشرا قويا على تصدع وحدة المسلمين وانقسامهم إلى كيانات متنافرة ضمن حدودهم الإقليمية ، كما كان انفراد الإخوة في أفغانستان في مواجهة الغزو الأحمر وحدهم مظهرا من مظاهر انقسام المسلمين ، وقد كان وراء تلك الغفلة دوافع مختلفة فكان بعضها بسبب من ضعف الإيمان ، وكان بعضها بسبب من خوف الحكام الذين يكبلون إرادة شعوبهم ويعنونهم من التعاطف مع الأشقاء في الدين بسبب ميولهم نحو المعسكر الشرقي . وقد كان دور الشعراء بارزا في هذا المجال فقد أشاروا إلى تلك الغفلة وعملوا على إيقاظ المشاعر الهاجعة ودعوا إلى مساندة الشعب المسلم والوقوف معه في محنته القاسية باعتبارها محنة المسلمين جميعا . يقول الشاعر د . عبد الرحمن العشماوي في " هؤلاء الأبرياء " :

هؤلاء الأبرياء
في زمان الرعب ظلُّوا يصرخون

^١ من ديوان عندما يعرف الرصاص ، ص ٦١ - ٦٩

^٢ ١١ - ١٢ : ٢٧ - ٣٦

أَيْنَ مِنَّا الْمُسْلِمُونَ ؟!

أَيْنَ مِنَّا الْمُسْلِمُونَ ؟!

يا سؤالاً

لَمْ أَزَلْ أَدْفِنُ بِالصَّمْتِ جَوَابَهُ^١

هل سمعت تلك الصرخة المؤلمة (أين منا المسلمون ؟) التي كانت تطلقها العيون قبل الحناجر هناك وآلة الدمار الشيوعي الحمراء تحصد الأبرياء حصداً . وهل وجدت جواباً لذلك السؤال الحائر ؟ لعلك وجدت الجواب ولكن آثرت الصمت . وفي قصيدة الجهاد العظيم للشاعرة فاطمة الزهراء :

والروس جاؤوا هادمينَ لديننا بدؤوا بشعبِ الله في الأفغان^٢

ويقول د. عبد الرحمن العشماوي في " على أنقاض مدينة هرات " :

تبكي هرات وتستجير

تدعو ولكن من يجب

وتكادُ تنقها الدموع

يا غائباً عني أما حان الرجوع ؟!^٣

ترى من كانت تنادي هرات المنكوبة هذه ؟ وأي غائب كانت تنتظر رجوعه ؟ إنه الأخ المسلم الذي كان ينبغي أن يخف إليها منجداً عبر كل الحدود . ويقول في " عندما يعزف الرصاص " :

أنا إلى ساح الفناء نُقَادُ
فيهم من العوز المميت سَدَادُ
لا شامنا انتفضت ولا بغدادُ
أو مالنا سعد ولا مقدادُ

أَيْنَ الْأَحِبَّةِ يَا أَبِي أَوْ مَا دَرُوا
أَوْ مَالَنَا فِي الْمُسْلِمِينَ أَحِبَّةُ
مَا بَالُ إِخْوَتِنَا اسْتَكَانُوا يَا أَبِي
يَا وَيَحْنَا مَاذَا أَصَابَ رِجَالَنَا

^١ من ديوان عندما يعزف الرصاص ، ص ٧ - ١٥ .

^٢ مجلة الجهاد ، العدد ٣٠ ، رمضان ١٤٠٧ هـ - مايو ١٩٨٧ م ، ص ٦٤

^٣ الشاعر عبد الرحمن العشماوي : ديوان عندما يعزف الرصاص ص ١٦٨

نَامَتْ لَيَالِي الْغَافِلِينَ وَلَيْلُنَا
سُلَّتْ سَيُوفُ الْمُعْتَدِينَ وَعَرَبِدَتْ
أَرْقُ يُذِيبُ قُلُوبَنَا وَسُهَادُ
وَسُيُوفُنَا ضَاقَتْ بِهَا الْأَغْمَادُ^١

أسئلة ممضة تقطع لياط القلب تلك التي تدور على لسان ذلك الطفل الأفغاني (أين الأحبة) ؟
أين المسلمون (ما بالهم استكانوا) ؟ إنهم غافلون منشغلون عن إخوانهم بزهات الحياة
وملذاتها الزائفة . ويقول في "أشلاء أغنية حزينة " :

هَلْ يَفْتَحِ الْإِنْسَانُ مُقْلَتَهُ
لِيَعْرِفَ مَا جَرَى
إِنَّا نُدُّكَ هُنَا وَنُسْحَقُ
وَمَرَاكِبُ الْأَحْلَامِ تَغْرَقُ^٢
وَرُؤُسُنَا بِمَطَارِقِ الْإِرْهَابِ
تُطْرَقُ
وَالْعَالَمُ الْمَسْحُورُ يَنْظُرُ فِي وُجُومِ
عَارٍ عَلَيْهِ وَأَيُّ عَارٍ^٣ !

ونحن نقول هل فكر الإنسان المسلم مرة واحدة ماذا جرى في أفغانستان من بلاء عظيم
وأساليب قهر واضطهاد طبقها الغازي المجرم هناك على شعبنا البريء . ويقول في " من أين أبدأ
رحلتي " ؟ :

أَوَاةٌ مِنْ جُورِ الْعَدُوِّ
وَمِنْ مُجَافَاةِ الصَّحَابِ
مِنْ أَيْنَ أَبْدَأُ رِحْلَتِي
وَوُجُوهُ أَصْحَابِي غَضَابُ
يَبْسَتْ عَلَى دَرْبِي الْخَطَا

^١ الشاعر عبد الرحمن العشماوي : من ديوان عندما يعزف الرصاص ، ص ٦١ - ٦٩

^٢ المصدر السابق ، ص ٦٥

^٣ المصدر السابق ، ص ٧١ - ١٠٠ .

وَتَنَابَحْتُ حَوْلِي الْكِلَابُ^١

إنه أمر مؤلم حقا أن يقع المرء بين جور العدو وخذلان أصحابه له هنا تكبر المأساة وتتسع دائرة الحيرة وتتبع الخطأ على الطريق .

إيقاظ المسلمين وفتح عيونهم على المخاطر المحدقة بهم :

ماذا يفعل الشاعر أمام هذا الذي يراه من سقوط بلاد المسلمين ونهب الأعداء ؛ بسبب غفلة أهلها وانشغالهم بأهوائهم ؛ إلا أن يطلق لداءات التحذير ، وصيحات النفي ! وهما هو الدكتور عدنان النحوي ينهي قصيدته الأولى " يا أرض كابول " بذلك الاستفهام الذي يحث به الجمهور على النهوض ، ويحث الدعاة على الاستيقاظ للقيام بواجبهم ، فيقول :

أَيْنَ الْمَلَائِينُ ؟!..؟ فِي لَهْوٍ وَلِي خَدَرٍ أَيْنَ الدَّعَاةُ وَصَفَوْا النَّهْجَ وَالْهِمَمَ ..؟^٢

ويلقي الاستفهام بظلاله في الحس ، فيدرك في الحال الداء والدواء في هذا البيت الخاتمة !.

ويقول في قصيدة " الدماء التي صببت حياة " مخاطبا العالم الإسلامي كله :

يَارُبِّي الصِّينِ ! يَارُبِّي الْهِنْدِ ! يَا شَا م ! وَيَانِيْلُ يَا مَلَا حِم ! عُودُوا^٣

ويقول في قصيدة " شموخ الليالي " تحت عنوان (فاطمي من الغيوب) مواليا

بالاستفهامات التي تنم عن الأسف والأسى لما حل بالمسلمين من ذل ، وتستنهض فيهم المهمة والعزيمة :

ذَكَرِيَّاتٌ حَمَلْنَ فِي الدَّهْرِ آمَا	لَا تَلَفْتَنَ أَيْنَ عِزَّةُ الْأَحْفَادِ
أَيْنَ أَبْنَائِي الَّذِينَ رَعَتْهُمْ	خَلَجَاتُ الْأَحْنَاءِ وَالْأَكْبَادِ
أَيْنَ إِشْرَاقَةُ الْهُدَى فِي الدِّيَا	جِيرٍ وَلَمَعِ الْأَنْصَالِ بَيْنَ السَّوَادِ

^١ مجلة الجهاد، العدد ٦٩٢، شعبان ١٤١١هـ - إبريل ١٩٩٠م، ص ٢٣

^٢ من ديوان مهرجان القصيد، ص ١٧٣، ملحمة الجهاد الأفغاني، ص ١٠٦-١٠٧، مجلة الجهاد، العدد ٦٧، شوال ١٤١٠

هـ - مايو ١٩٩٠م، ص ٤٧

^٣ من ملحمة الجهاد الأفغاني، ص ١١٠-١١١.

أَيْنَ أَشَوَأْنَا الَّتِي حَمَلَتْهَا

لِلْبَرَايَا عَزَائِمُ الرُّوَادِ ١٢

ويجب هو نفسه عن هذه التساؤلات الأسيفة إجابة دافعة :

غَمَرَتْهَا إِحْنَاءَةُ الذِّلِّ لَمَّا رَكَعَتْ لِلْهُوَى نُفُوسُ الْعِبَادِ ٢

إحياء الجهاد والحث عليه :

نورد في هذه الفقرة ما قاله الشعراء في تحريض قادة المسلمين على الجهاد ومساندة الشعب الأفغاني في استعادة حريته الدينية والاجتماعية وإن كانت بعض الأبيات تساهم في مساندة الجهاد في لبنان وفلسطين وغيرها من الدول لأنها جزء لا يتجزأ من القضية وباعتبارها أجزاء من الأمة الإسلامية ومن واجبنا تحريرها مهما بذل من مال أو نفس .

أَشْهَدِي الْكَوْنَ سَمَائِي وَاهْتَفِي	أَنْتَ سَيْفُ الْحَقِّ لَمْ يَنْعُطِفِ
فِي رَبِّي الْأَفْغَانِ قَامَتْ رَايَةٌ	تَهْزِمُ اللَّيْلَ بِنُورِ الْمُصْحَفِ
فَاصْغَعِي يَا عُصْبَةَ الْإِيمَانِ مَنْ	قَدْ تَمَادَى بِغُرُورِ الصَّلَفِ
جَيْشَ رُوسِيَا أَيْدِي وَاسْـحَقِي	كُلَّ جَبَّارٍ كُنُودٍ مُتَرَفٍ
إِنَّهُمْ قَدْ أَحْرَقُوا الْحَرْتَ وَقَدْ	أَهْلَكُوا النَّسْلَ بِجَيْشٍ زَاخِفٍ ٣

واضح أن ناظم الأبيات متشاعر لا شاعر ، إذ تبدو في نظمه الركاقة ، ويبدو التكلف والتصنع ، وإن كانت صورة راية التوحيد الأفغانية تهزم الليل ، التي جاءت في البيت الثاني جميلة ، كما أن محتوى الأبيات ونفسها إسلامي جميل .

ثُورُوا عَلَى الْأَعْدَاءِ ثُورَةَ مُؤْمِنٍ	هَيَّا قُلُوبُوا صِيْحَةَ لَجْهَادٍ
الْكُفْرُ لَنْ يَقْوَى عَلَى إِذْلَالِكُمْ	أَبَدًا - فَإِنَّ اللَّهَ بِالْمِرْصَادِ ٤

^١ من ملحمة الجهاد الأفغاني ، ص ٧٣ - ٧٥

^٢ المرجع نفسه

^٣ الشاعر محمد عبد الله الخليدي : من قصيدة جهاد الأفغان ، مجلة الإصلاح ، العدد ٦١ ، ص ٣٣

^٤ الشاعر محمد ضياء الدين الصابوني : من قصيدة الحرب دائرة الرحي ، مجلة الجهاد ، العدد ٢٣٤ ، صفر ١٤٠٦ هـ ، ص ٣٦

والشاعر يحث رجالات الأمة أن يثوروا ، لكن ، لا ثورة عصبية أو قبلية ، وإنما (ثورة
مؤمن) وأن يلبوا صيحة (الجهاد) وليقفوا كالأسود ، وليقاتلوا بعزة الإيمان ، ومن قاتل بعزة
إيمان لن يقوى على إذلاله كفر أو كافرون ﴿ إِنَّ رَبَّكَ بِالْمِرْصَادِ ﴾^١ وقد وفق الشاعر كثيراً
في تأكيد المعاني لاستثارة النخوة والحمية وتثبيت العزم واستجالة القوة

يا مُسلمي القرن العشرين !!

فَلْتَدْفَعُوا ثَمَنَ الرِّصَاصِ ..

كأضعف الإيمان !!

لمجاهدي أفغانستان ..

فهناك عند ثغوركم ..

يستبسل الشُّجعان ...

ويجودُ بالنفس الرجال ...

يرابطون على القمم ...

يستحكمون على السفوح ...

رصاصكم يحمي لكم أطفالكم ...

من أجل ألا ترحفَ القدمُ الدنيئةُ

صوبكم !!^٢

يهيب الشاعر بالمسلمين ، أيا كان موطنهم ، أن يؤازروا إخوانهم المجاهدين ، ولو بثمان
الرصاص ، فهم جدراء بالمساعدة ، وبالعون ، وبالتضحية ، فهم مرابطون على ثغورنا ، ببسالة ،
يضحون بأرواحهم ، رصاصهم يحمي أطفالنا ، ويبعد الشر المخبوء ، ولكن ، ما موقف أمة
الإسلام من الجهاد والمجاهدين . ومن قصيدة " صرخة أفغاني " للشاعر أسامة الآغا :

هَلُمُّوا لِلشَّهَادَةِ وَالْقِتَالِ	وَقُودُوا أُمَّتِي نَحْوَ الْمَعَالِي
وَصَبُّوا نَارَكُمْ فَوْقَ الطُّغَاةِ	فَدِينِي عِزَّتِي دِينَ الثَّبَاتِ

^١ سورة الفجر ، ١٤ .

^٢ الشاعر فاروق حسنين مخلوف : من قصيدة ثمن الرصاص ، مجلة صوت الجهاد ، العدد المزدوج ٧٤٦ ، شعبان ١٤٠٨ هـ ، ص ٣٢

وللإسلام أُسْدٌ في العرينِ أَجِيبُوا دَعْوَةَ الْحَقِّ الْمُبِينِ^١

يدعو الشاعر إلى القتال والشهادة تحقيقاً لعزة الأمة وصون دينها من أيدي العداة المجرمين

فإن العزة لا تتأتى إلا عن هذا السبيل .

دَمَدَمَاتُ الرِّصَاصِ أَجْدَى وَأَقْوَى	مِنْ بَيَانٍ وَخُطْبَةٍ وَأَقْتِرَاحٍ
إِنَّ خَيْرَ الْيَّانِ نَارٌ تَلْظَّتْ	مِنْ فَتَى مُؤْمِنٍ كَثِيرِ الْجِرَاحِ
فَتَوَثَّبَ أَخَا الْهَدَايَةِ أَقْدَمَ	أَنْتَ فِي ذِرْوَةِ الْفِدَا وَالْفَلَاحِ
أَنْتَ فَخْرُ الزَّمَانِ بِالصَّدْقِ وَالْعَزَمِ	وَفِي الْحَرْبِ وَالتَّقَى وَالصَّلَاحِ ^٢

الحقوق لا غنى لها عن قوة تثبتها وتدعمها ، وفي عصرنا الذي نعيش غدا الضعيف مهضوم الحقوق ، فكان لا بد لنا من سلاح ، نتسلح به فوق سلاح الإيمان ، فما عاد يسمع كلام لا تسنده قوة ، لغة الرصاص هي التي تفهمها أمم هذا الزمان ، ثم وإن ديننا دين القوة ، ولا يرضى لأهله ضعفا ولا استكانة . وينتهز الشعراء كل فرصة للتعبير عن تطلعاتهم إلى تحقيق النصر النهائي ، ويحثون القائد والمقاتلين على تحقيق النصر بالعزم والإقدام حتى تتحرر جميع البلاد .

هَذَا زَمَانُ الصَّحْوَةِ الْكُبْرَى أَتَى	مَعَهُ لِكُلِّ مُكَابِرٍ إِنْذَارُ
هَذَا زَمَانُ الْإِنْتِمَاءِ ، وَمَنْ أَبَى	إِلَّا الْخُنُوعَ .. فَدُونَهُ الْأَحْجَارُ
طَلَعَ الصَّبَاحُ بِنَصْفِ لَيْلٍ حَالِكٍ	عَجَبَ الشُّيُوعِيِّينَ مِنْهُ وَحَارُوا ^٣

كان قتال الأفغان وجهادهم من مظاهر الصحوة الإسلامية وتعبيرا عن الانتماء الصادق للأمة الإسلامية . وقد أحدثت تلك الحنة فرزا عميقا في صفوف المسلمين وتحديا صارخا لإثبات الانتماء الصحيح .

^١ مجلة المجتمع ، العدد ٩٧٥ ، يوليو ١٩٩٠ م ، ص ١٦ .

^٢ الشاعر محمد راجح الأبرش : من قصيدة جهاد الأفغان ، مجلة المجتمع ، العدد ٥٤٤ ، ص ٤٠ .

^٣ الشاعر محمد مأمون عبد الغني نغم : من قصيدة رسالة من عربي إلى المجاهدين الأفغان ، مجلة الأمة ، العدد ٥٤ ، جماد الآخرة ١٤٠٥ هـ ، ص ٦٢ .

إخواننا الأفغان قد عطش الثرى
كم ظامي للساح كبل خطوه
لكنها الفرسان فوق خيولها
لكنها لا تعطش الأنهار
قهر وسيف مسلط وإسار
تبقي وملء كيانها إصرار^١

أثبت المجاهدون وجودهم ، فهل ثبت نحن كذلك وجودنا ونحطم القيد ، ونأبى الذل ،
ونحقق عزة الإيمان ؟

ويقول الشاعر أحمد سالم باعطب في قصيدة "أين الجراح ":

أطبّق الليلُ بالهوانِ عَلَيْنَا
حَطَمَ القَيْدَ فَالحَيَاةُ انتَفَاضٌ
وَتَمَرَّدٌ عَلَى التَّخَاذُلِ وَأَنْشُدُ
كُنْ سِرَاجًا يَشِعُّ بُلًا وَجُهْدًا
دَعْ صُرَاخَ الجِرَاحِ مَا عَادَ يُجَدِّي
فَمَتَى يَسْتَبِينُ فَجْرُ الكِفَاحِ
لَا يَنَالُ الْمُنَى مَهِيضُ الجَنَاحِ
حُلُمًا تَاهَ فِي مَهَبِّ الرِّيحِ
يَبْعَثُ النُّورَ لِسُرْبَى والبَطَاحِ
بَعْدَ طَوْلِ الْأَسَى صُرَاخُ الجِرَاحِ^٢

فجر الكفاح ينتظر فرسان الجهاد ولكن أينهم ؟ القيود تثقل أرجلهم فهل يأتي يوم
يحطمون فيه هذه القيود على رؤوس صانعيها ؟ وهل يأتي يوم يداوون فيه جراحهم ببلسم الحرية
والعدالة ويسكنون صراخها بالتشفي ممن أحدث تلك الجروح في أجسامهم ؟ فالأسى والصراخ
لا يجديان شيئا في زمن القوة هذا .

العتب على الأمة الإسلامية لعدم اهتمامهم بقضية الجهاد الأفغاني :

فأمتنا - يا للأسف !! ، (هجرت طريق أمجادها) ، وإذا كان الغزاة يقاتلون ، فالأحرى
بأمة الإسلام أن تهب وتثار ، وتقف كالطود ، والشاعر يثير في رجالات الأمة مشاعرهم ، ويهز
عواطفهم ، ويحرك أحاسيسهم قائلا لهم (أيسركم أن تستباح نساؤكم ؟) (ومن تستباح ؟)^١
من حفنة العملاء والإفساد) وقد ثار الشاعر ثورة عنيفة ، ويستنكر بشدة الحالة المزريّة التي
وصل إليها المسلمون ويعتب على الأمة الإسلامية هجران أمجادها الذي أوصلنا إلى هذه الحالة ؟

^١ مجلة الأمة ، العدد ٥٤ ، جماد الآخرة ١٤٠٥ هـ ، ص ٦٢

^٢ ديوان الروض الملتهب ، ص ٢٩ - ٣٥ .

أصبح الهزل وقد انقلب الأمر إلى جد ؟ وتكررت التساؤلات الاستنكارية لكي تقرر حقيقة ملموسة ، وأراد بها دفع الأمراء والمقاتلين لاستعداد لمقاومة العدو الكاسر .

يَا أُمَّةً هَجَرْتَ طَرِيقَ جِهَادِهَا هَلَّا اتَّعَظْتُمْ بِالْعَدُوِّ الْعَادِي ؟
أَيَسِّرُكُمْ أَنْ تُسْتَبَاحَ نِسَاؤُكُمْ مِنْ حِفْنَةِ الْعُمَلَاءِ وَالْإِفْسَادِ ؟^١

فالشاعر يستنكر بشدة تردي الأمة الإسلامية وسقوطها في منحدر سحق من الذل والهوان فالعدو يستبيح حرمتها ويعيث في ربوعها فسادا و تخريبا وهي ساكنة غافلة راضية لا تفعل شيئا ينقذها من هذا الهوان . الأمة مقصرة التقصير كله ، لا تفعل شيئا ، لا تقول حقاً ، طلقت المروءة ، وتخلت عن النخوة ، بعدما تخلت عن الإيمان ، تقول ما لا تعي ، وتستحكم فيها نزاعات ، حتى أنها لتعين أعداءها على أهلها ، وهي تظاهر الغاصبين ، لا تقول كما قال موسى عليه السلام ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ ﴾^٢ ، فإن هي دفعت مالا ، فهو تافه ، زهيد ، لا يسمن ، ولا يغني .

وفي قصيدة " نداء إلى أفغانستان " للشاعر المجهول :

إِنَّ أَفْغَانِسْتَانَ تُنَادِي وَشَبَابُ أُمَّتِنَا فِي رُقَادِ
لَجَنَةِ الدَّعْوَةِ قَوْمِي قَدْ دَعَا دَاعِيَ الْجِهَادِ
وَانْقُضِي عَنْكَ غُبَاراً وَاقْبِضِي فَوْقَ الزَّنَادِ
دِيْنُكَ الْيَوْمَ بِوَادٍ أَنْتِ تَبْدِيْنِ بِوَادٍ^٣

فالشاعر عاتب على الأمة لانشغالها بملذات الدنيا من زواج وطعام وشراب عن المشاركة الفعالة في الجهاد في أفغانستان التي تنادي شباب الأمة الإسلامية للوقوف إلى جانبها في محنتها بالمقاتلين فضلا عن المساعدة المادية .

^١ الشاعر محمد ضياء الدين الصابوني : من قصيدة الحرب دائرة الرحي ، مجلة الجهاد ، العدد ٢٣٤ ، صفر ١٤٠٦ هـ ، ص ٣٦ ، ومجلة

الاجتمع الكويتية ، العدد ٧٠٠ ، يناير ١٩٨٥ م ، ص ٩٤

^٢ سور القصص ، آية رقم ١٧ .

^٣ مجلة المنار ، العدد ٣٢ ، يوليو ١٩٨٨ م ، ص ١٤

ويقول الشاعر أحمد الحسن ولد الشيخ في قصيدة "صرخة الحق":

كَذَا تُقَطَّعُ أَيْدِينَا وَتَبْتَسِمُ ذُلًّا لِأَعْدَائِنَا كَيْ تَقُطَّعَ الْقَدَمُ
لَهْفِي عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ لَيْسَ لَهُمْ مِمَّا يَحِلُّ بِهِمْ مِنْ ضَرْبَةِ أَلَمٍ
مَاتَ الضَّمِيرُ فَلَا إِيمَانَ يَجْمَعُهُمْ عَلَى التَّعَاطُفِ وَاللَّأْوَى ، وَلَا قِيمٌ^١

والشاعر هو الآخر عاتب على الأمة حقن عليها فهي لا ترضى بالذل فحسب بل تقبل أيدي مذلها وتبتسم لهم وتجري خلف حكامها كقطيع من البهائم وقد نبذت هدي القرآن الكريم ورضيت بحكم الطواغيت.

ويقول أيضا :

وَذِي الشُّيُوعِيَّةِ الْحَمْرَاءُ قَدْ زَحَفَتْ
تُلْقِي بَعْفَ عَلَى كَابُولَ كُلِّهَا
أَنَاتُهَا تَقْرَعُ الْأَسْمَاعَ صَارِخَةً
عَلَيْكُمْ مَوْجُهَا كَاللَّيْلِ مُلْتَطِمٌ
وَتَسْتَغِيثُ فَلَا تُرْعَى لَهَا رَحِمٌ
أَيْنَ الْإِبَاءُ وَأَيْنَ النَّبْلُ وَالْكَرَمُ^٢

وهكذا تتصاعد لديه موجة الغضب والعتاب مبينا سببها ، فالصليبية الحاقدة لها مستقر حسن في ديار المسلمين والشيوعية الملحدة تزحف كالليل على الديار وتسوم أهلنا في أفغانستان أشد ألوان الخسف والعذاب والأمة لاهية عن ذلك . ويقول إسماعيل أبو العزائم في قصيدة " أفغانستان " :

أَيَا أَرْضَ الْعَرُوبَةِ .. مِنْ مُحِيطٍ
تُرَى مَاذَا دَهَانَا الْيَوْمَ حَتَّى
وَيَا قَوْمِي أَلَسْتُمْ خَيْرَ قَوْمٍ
تُرَى هَلْ ذَاكَ أُنْدَلَسٌ جَدِيدٌ؟
إِلَى أَرْضِ الْخَلِيجِ الْمَطْمُونِ
تَمْنِينًا فَلَمْ يُجِدِ التَّمَنِّي ؟
بِفَضْلِكُمْ كَتَابُ اللَّهِ يُشْنِي ١٩
مَعَاذَ اللَّهِ .. هَذَا مَحْضُ ظَنٍّ !
وَمَاذَا صَارَ جَمْعُكُمْ شَتَاتًا
وَضَاعَ الشَّمْلُ فِي سَهْلٍ وَحَزَنٍ^٣

^١ مجلة الجهاد العدد ٢٢ ، محرم ١٤٠٧ هـ - سبتمبر ١٩٨٦ م ، ص ٤١

^٢ المرجع نفسه .

^٣ مجلة الأمة ، العدد ٢٤ ، ذو الحجة ١٤٠٢ هـ ، ص ٢٩

فهذا الشاعر كما نرى يتوجه إلى الأمة العربية باللوم والعتاب فهي تطلب المجد عن طريق
الأماني دون أن تفعل شيئا في سبيله . وتطلب الحياة الكريمة دون عناء أو جهاد وهي تعرف أن
المطالب لا تنال بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابا . ويقول الشاعر حسان محمد في قصيدة
"بشراك أفغان ":

مَا بَالُ قَوْمٍ إِلَى التَّشْكِيكِ قَدْ رَكَنُوا	مَا بَالُ فِكْرٍ عَنِ التَّحْقِيقِ مَعْقُولُ
وَصَاحِبُ الْعَوْنِ تُرِثِيهِ حَوَاسِبُهُ	يُرِثِيهِ كَفٌّ عَنِ الْإِمْدَادِ مَغْلُولُ
وَعُصْبَةُ الشَّرِّ بِالْأَجْنَادِ مُرْسَلَةٌ	وَأَيْنَ مُنْتَسِبٍ لِلدِّينِ مَشْمُولُ
فَأَيْنَ مِلْيَارُ مُسْلِمٍ لِرَازِنَةٍ	وَأَيْنَ مُنْتَسِبٍ لِلدِّينِ مَشْمُولُ ^١

إنها أمة تستحق أن يكي عليها الشاعر وأن يرثي لحالها المزرية فهي أمة مستضعفة بين
الأمم تهاب كل الأمم ولا أمة تهابها وقد لصق خدها بالتراب وأمعنت أقدام عاهرة فاجرة تدوس
عليها وكأنها ليست خلفا لسلف ملؤوا الدنيا مآثر خالدة . أين إخوان العقيدة من جوع هؤلاء
؟ ، أليس من أسس الأخوة الإيمانية أن نعزيهم ونسليهم ؟ ، فإن أخاك من آسأك ، لقد استغل
دعاة التنصير فقرهم ، فجاؤوا إليهم بمدون الرغبة بيد، والإنجيل باليد الأخرى . لقد ركنست
أمتنا إلى ماضيها ، وقنعت بتاريخها الغابر ، دون أن يكون لها دور ، تخلت عن سلاحها البتار
الدين ، ولكن ، ومع ذلك ، هناك تبشير عودة حميدة قريبة إلى النبع ، ليعود للإسلام القيادة ،
فتعود أخوة الدين الأساس كما كانت ، وتعود أمتنا خير أمة أخرجت للناس ، كما أراد لها الله
سبحانه.

هُنَاكَ الْبَرْدُ يَقْتَلُهُمْ
هُنَاكَ الْجُوعُ يَنْشِبُ فِيهِمُ الْأَظْفَارُ
وَيَأْكُلُ شَعْبَهَا الْأَعْشَابُ
مَنْ سَغَبَ - بِهَا يَقْتَاتُ
مَلَائِينَ لَهُمْ حَقُّ
عَلَى إِخْوَانِهِمْ فِي اللَّهِ
فَهَلْ تَأْسُوا جِرَاحَهُمْ ؟؟

رَأَيْتُ مُرَاسِلِينَ هُنَاكَ
وَلَكِنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِي
أَتُوا لِيَمَارِسُوا التَّبَشِيرَ
أَتُوا لِيَنْصُرُوا الْأَطْفَالَ
رَأَيْتُ هُنَاكَ مَعُولَهُمْ
رَأَيْتُ بِهَا أَيَادِيَهُمْ
رَأَيْتُ الطَّبَّ يَحَاكِيهِمْ
فَوَا عَجِبِي لِأَهْلِ عَشِيرَتِي نَامُوا
تَوَسَّدَ شَعْبُنَا الْأَمْجَادَ
أَمْجَادًا لَنَا غُبِرَتْ
أَضَعْنَاهَا وَخَنَاهَا..^١

ويقول الشاعر المجهول في قصيدة "هولاكو الجديد":

حَرَامٌ عَلَى أُمَّةٍ دِينُهَا الْجِهَادُ تَذَلُّ وَتُسْتَعْبَدُ
وَمِلْيَارُهَا الضَّخْمُ هَلَا أَفَاقَ وَضَجَّتْ بِرَاكِينِهِ الْهُمَمُ
أَيُّقَى مَزَادًا بِسُوقِ الرِّقِيقِ وَثَرَوْتُهُ الْبَكْرُ تُسْتَنْفَدُ
وَأَعْلَامُهُ الْكَثْرُ مِلءَ الْفَضَاءِ مَتَى تُشْعَلُ الْبَرْقُ أَوْ تُرْعَدُ^٢

فالشاعر في غاية الاستغراب وفي قمة الغضب من أمة ترضى بالذل والهوان والجهاد واحد من أهم مقومات دينها هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن تاريخنا مجيدا حافلا بالأمجاد وقد كان لها فيما سلف ، أليس هذا من مفارقات الحياة القاسية .

ويقول الشاعر عبد الله بن سليم الرشيد في قصيدته "بلا عنوان":

يَا أُمَّةٌ قَدْ أَتَخَنْتَ بِجِرَاحِهَا لَيْلُ الْأَسَى وَصَرُوحُهَا تَنْهَارُ

^١ الشاعر محمد عبدالقادر شراف : من وحي الجهاد في أفغانستان ، أغيث أم سحابة صيف ، مجلة الجهاد ، العدد ١٣ ، ربيع الآخر

١٤٠٦ هـ - يناير ١٩٨٦ م ، ص ٣٤

^٢ مجلة المنطلق ، العدد ٨ ، فبراير ١٩٨٤ م ، ص ٤٤

قَدْ عَشْتُ دَهْرًا فِي سَرَادِيبِ الْوَنَى وَعَلَا بَيْنِكَ مَذَلَّةٌ وَصَفَارُ
فَتَذَكِّرِي عَهْدًا تَوَلَّى مَجْدُهُ عَهْدَ السُّيُوفِ يَسِلُّهَا الْأَخْيَارُ^١

والشاعر هنا يذكر الأمة بجراحها وليل مآسيها الطويل ويتخذ من تذكيرها بماضيها المجيد سبيلا إلى صحتها ونهوضها من كبوتها وبالتالي جهادها من أجل تجاوز واقع الذل والهوان إلى عالم العزة والكرامة والمجد الرفيع . ويقول :

يَا بَاكِيًا أَلْفَ رَاقٍ أَحَبَّةٍ يَذْزِي الدَّمُوعَ عَلَيْهِمْ إِذْ سَارُوا
هَلَا بِكَيْتِ الدِّينِ فِي أَبْنَائِهِ هَجَرُ الْكِتَابِ ، وَأُعْلِي الْمَرْمَارُ^٢

هل أمتنا مدركة واجبها ؟ ، وهل تشد من عضد الواقفين يدافعون عن حمى الإسلام ؟
هل تستعيد نخوتها ؟ وتنهض ، لتنفض غبار الذل ؟ ، أتدرك أنها باتت في عداد الأمم المتخلفة ، بعد السيادة ؟ ، فهل نصون الأمانة ؟

بني قومي
بني ديني ... أَعِينُوهُمْ
إِعَانَتَهُمْ ... لَكُمْ عَوْنٌ
فَزَحُفَ الْكُفْرِ يَذْهَبُكُمْ وَهُمْ فِي وَجْهَةٍ يَقْفُونَ
كَالْبُرْكَانِ
فَهَلْ مَاتَتْ بَنَا الْأُخُوَّةَ ؟
وَهَلْ لَمْ يَبْقَ ((مُعْتَصِمٌ))^٣

إننا نرى الشاعر في هذا النص يدعو الأمة الإسلامية إلى الصحوه وتبين موقعها المتخلف بين أمم الأرض والاندفاع إلى موقع متقدم كما كان أجدادنا الأوائل والوقوف صفا واحدا أمام

^١ مجلة الجهاد ، العدد ٢٣ ، نوفمبر ١٩٨٦ م ص ٣٤

^٢ المرجع نفسه .

^٣ الشاعر محمد عبدالقادر شواف : من وحي الجهاد في أفغانستان ، أغبث أم سحابة صيف ، مجلة الجهاد ، العدد ١٣ ، ربيع الآخر

زحف قوى الشر والعدوان على بلادنا المسلمة فما الاعتداء على أفغانستان إلا اعتداءً على الأمة الإسلامية جمعاء . فهل أمة الإسلام صانت الجهاد ؟ أم أن النعيم ألهاها ، فاستسلمت للدنيا ؟^١

مَا بَالُ قَوْمِي فِي النَّعِيمِ تَقَلَّبُوا وَاسْتَسْلَمُوا لِرَفَاهَةِ الْأَبْدَانِ
وَرَضُوا الدُّنْيَا فِي الْحَيَاةِ تَهَاوُنًا فَسَقُوا كُؤُوسَ مَذَلَّةٍ وَهَوَانٍ^٢

فالشاعر هنا غاضب على الأمة الإسلامية كغيره من الشعراء ولا عجب في ذلك فإنها تخلت عن الجهاد وتصامت عن ندائه مستسلمة للمذات الحياة فهانت وذلت فلقد أوهن السجن جسده وأذله ، ولكنه يرجو من الأصحاب عدم نسيانه ، وتذكر ما كان منه من مواقف إيمانية كريمة .

أَظَلُّ وَحْدِي أَعَانِي وَأَنْتُمْ مَا تَخْرُجُونَ
يَا صَاحِبِي اغْتِرَابِي لَدَى الصَّحَابِ أَذْكُرُونِي
أَخْشَى عَلَيْهِمْ زَمَانًا يَجِيءُ بِالنَّسْيَانِ
فَلْيَذْكُرُوا لِي عَهْدًا كَانَتْ مِنَ الْإِيمَانِ^٣

فالشاعر يحذر من التفرق شيعة وأحزابا في عالم مليء بالأخطار منذر بالهلاك . ويقول أيضا :

وَلَقَدْ تَنَكَّرَتِ الدِّيَارُ وَأَهْلُهَا فَمَنْ الْمُجِيرُ ؟ وَأَيُّ حُرٍّ يَصْبِرُ
وَهَلْ اخْتَفَتْ سِيرُ الْبُطُولَةِ فَاعْتَدَتْ شَبَحًا يُجَلِّلُهُ الظَّلَامُ الْأَكْدَرُ
هِيَ نَكْسَةٌ فِي الطَّعَنِ أَبْطَأَ بَرُّهَا هِيَ صَدْمَةٌ تَرَعُ الْحَلِيمَ وَتَرْجُرُ^٤

ونراه يتساءل عن سير البطولة التي كانت لأجدادنا فأين مثلها في أيامنا الحاضرة ؟ .

^١ الشاعر محمد هاشم عبدالدائم : من قصيدة من أدب المعركة ، مجلة صوت الجهاد ، العدد ١٦ ، جماد الأول ١٤٠٢ هـ ، ص ٢٨ ،

مجلة البيان المرموض ، العدد ٣٢ ، صفر ١٤١٠ هـ - أغسطس ١٩٨٨ م ، ص ٣٨

^٢ الشاعر يحيى بشير حاج يحيى : من قصيدة رباعيات أسير ، مجلة الإصلاح ، العدد ١٠٦ ، نوفمبر ١٩٨٦ م ، ص ٢٦

^٣ مجلة الحصاد ، العدد ٦٩٣ ، رمضان ١٤١١ هـ - مايو ١٩٩٠ م ، ص ٥١

ويقول الشاعر محمد عبد الغني حسن في قصيدة "هؤلاء الصامتون":

وَيَكُونُ دُونَكُمْ الْقَضَاءُ وَيُسَبِّرُ؟	مَا بِالْكُمْ تَقْضَى الْأُمُورُ بِغَيْرِكُمْ
وَتَعِجُّ حَوْلَكُمْ الْوَعَى وَتَدْفَعُ	تَتَكَلَّمُ الْأَسْلَاتُ فَوْقَ رُؤُوسِكُمْ
وَتَنَالُ مَا تَرْجُو الْمَطَامِعُ مِنْكُمْ	وَتَكَادُ كَفُّ الطَّامِعِينَ تُصِيبُكُمْ
أَضْحُوا ، وَهُمْ فِي كُلِّ أَرْضٍ مَغْنَمٌ ^١	الغائغونَ الْأَرْضَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ

إن الشاعر يحذر أمته مستنكرا جهودها المذهل وتأخرها عن أمم الأرض لما هي من الأمم ذات الحل والعقد كما كانت سابقا ، وقد بلغت من العجز والضعف ما لم تبلغه أمة أخرى فأصبحت عرضة للمطامع وهدفا للعدوان ومغنا لكل طامع بعد أن كانت رائدة العالم وسيدة الموقف يوم كان الجهاد سبيلها في التعامل مع كل معتد أثيم .

إن الشاعر ينكر في هذه الأبيات على الأمة الإسلامية تحبطها في السعي إلى المجد المنشود ويرسم لها الطريق الصحيح للوصول إليه ، فما المجد إفاك وحديث يفترى إنه استقامة وإيمان حقيقي يباشر النفوس أولا ثم سعي جاد وعمل حثيث ثانيا . أما ما يقومون به من ثورات ليست خالصة النية فلن تغير من الأمر شيئا .

فالشاعر هنا يبحث بعيون الأمة المنكوبة عن منقذ يدفع عنها أذى المعتدين ويرد كيدهم وينكر على الأمة مقابلة العدوان بالشكوى فذاك شأن العاجزين الضعفاء ويتطلع إلى حشد إيماني يوقف المعتدي عند حده .

ويقول الشاعر أحمد سالم باعطب في قصيدة "أنين الجراح":

وَصَدَّقُ الْإِبَا وَرَوْحُ الصُّمُودِ	قُتِلَتْ فِيكَ عِزَّةُ النَّفْسِ وَالنُّبُلِ
تَتَجَلَّى بِهِ سِمَاتُ الْعَبِيدِ	كَبَلْ عِزْمَكَ الْفُضُوبُ بِقَيْدِ
الْحُرِّ وَبَشَتْ سُمُومَهَا بِالْوَعِيدِ	أُلْجِمَ بِالضَّجِيجِ مَقُولُكَ
وَالشُّكُّ فَأَصْبَحْتَ عَاشِقًا لِلْقِيُودِ	غُرِسَتْ فِيكَ بَذْرَةُ الْخُوفِ
عَبَقْرِي السَّنَا بِسِفْرِ الْخُلُودِ ^٢	كَيْفَ تَرْضَى وَلِلْعُرُوبَةِ مَاضٍ

^١ من مجلة الرسالة ، العدد ٨٠٩ ، إبريل ١٩٨٧ ، ص ٢٣

^٢ الجراح ، العدد ٨٠٩ ، إبريل ١٩٨٧ ، ص ٢٩ - ٣٥

إن الشاعر ينكر على الأمة ذات المجد والرفعة والماضي المجيد أن ترضى بعيش العبيد بكل ما فيه من مذلة وهوان وسكوت على الظلم ورضي به وعشق للخوف والقيود ولا تفكر ولو لمرة واحدة بعيش حر كريم فتذهب مضحية من أجله .

التحذير من مكائد الأعداء ومؤامراتهم :

ما زال الشرفاء من أبناء هذه الأمة يحذرون المسلمين من التفرق والغفلة عما يحاك ضدهم من مكائد وكان دور الشعراء المسلمين واضحا في هذا المجال فما يزالون يقرعون أجراس الخطر ويطلقون الصيحة تلو الصيحة للإفاقة والتنبيه للخطر المحدق بالأمة الإسلامية ويدعون إلى لبذ الأحقاد والخلافات واتخاذ الحيلة والحذر من الأعداء وهم على نوعين أعداء من غير المسلمين وعملاء من داخل المسلمين وهم منافقو هذه الأمة وهم أشد خطرا من أعدائها الآخرين لأنهم يفسدون بين الصفوف ويزرعون الفتنة ويفرقون الأهواء ويصدعون الكيان الواحد ويشيعون الفوضى ويثبون الأحقاد .

الآيات التالية تحكي قصة منافق ، يظهر خلاف ما يبطن ، يتظاهر بالصلاح والتقوى وبالورع ، ولكنه يخفي حقيقة عمالته وخيائنه ، إنه مثال للجاسوسية ، التي باعت الدين والضمير ، ورضيت أن تكون ذنبا لهذا الطرف أو ذاك ، إنه يسعى حثيثا ليزرع الفتنة ، لينشر الأضغان ، ليشيع الفوضى ، لتتسلى يغتاب بعضنا بعضا ، وكأننا نأكل لحوم بعضنا بعضا ميتين ١١: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا ، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ الآية .

انتبهوا

قَدْ عَادَ ابْنُ سَبَأٍ ...

رَأَيْتَهُ عَلَى بَابِ الطَّائِرَةِ - بِسَوَادِ الْفَتْنَةِ - يَتَّحِي !!!

وَفَجْأَةً ... أَخْفَى نَظَارَتَهُ الْأَمْرِيكِيَّةَ وَجِهَارَ الْمُخَابِرَةِ

وَأَخْرَجَ الْمَبْخَرَةَ وَالْمِسْبَحَةَ !!!

يَأْقُومُ انْتَبَهُوا

قَدْ أَطَالَ صَلَاتَهُ ... فَلَقَدْ صَلَّى الْمَغْرِبَ أَرْبَعُ

انتبهوا قد عاد ابن سبأ^١

نشاهد أن الشاعر قد اتخذ من سبأ رمزا لكل جاسوس عميل للأجنبي . فقد اتخذ هذا الرجل المنافق من الدخول في الإسلام ستارا تخفى خلفه ليكيد لهذه الأمة ويهد بنيانها من الداخل كما تفعل الديدان بجذع الشجرة الصماء . وحين تشب الفتنة ، يأتي دور الشرفاء ، ليوقفوها ، ليخمدوها ، ليصونوا الدم المسلم ، وليحفظوا للأمة أن يكون لها رأي يرتفع ، ورأية تعلو ، يأتي هؤلاء المنافقون ليقوموا بتنفيذ رغبات سادتهم ، الذين كُشِفَ زيفهم وحقدهم . وحين تنشب الفتنة ، يطعن بعضنا بعضا من الخلف ، فيفرح العملاء ، ويتهيج الجواسيس ، ويغبط أعداء الأمة وَحَقَّ لهم أن يغبطوا، فلقد أرضاهم ما حدث ، وَصُنَّا دماءهم ، وأرقنا دماءنا بأيدينا ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وفي ظروف هذا شأنها ، يختلط الحابل بالنابل ، وتنقلب المفاهيم ، وتلبس الحواس ، فتسمى الأشياء بغير أسمائها .

يَا قَوْمِي انتَبَهُوا ... مِنْ يَكْسُرُ رَأْسَ الْفِتْنَةِ
هَآ أَنَا أَمْدُ جِسْرِ الصَّرْحَةِ

فَمَنْ يَعْبُرُ مِنْ صَدْرِي إِلَى قَلْبِي ... ؟
وَمَنْ يَنْزِعُ وَشَمَ الْفِتْنَةِ مِنْ صَدْرِ الْأُمَّةِ ... ؟
أَيَا قَوْمِي انتَبَهُوا ... مِنْ يَكْسُرُ رَأْسَ الْفِتْنَةِ
هَآ أَنَا أَمْدُ جِسْرِ الصَّرْحَةِ

فَمَنْ يَعْبُرُ مِنْ صَدْرِي إِلَى قَلْبِي ... ؟
وَمَنْ يَنْزِعُ وَشَمَ الْفِتْنَةِ مِنْ صَدْرِ الْأُمَّةِ ... ؟
أَشْجَارُ الْحَقْدِ ، الْبُغْضِ الْمَوْتِ
تَنْبَتُ فِي كُلِّ الْأَرْضِ

يُسْقِيهَا ابْنُ سَبَأٍ ... يَحْرِثُهَا ابْنُ سَبَأٍ^٢

أما في هذا المقطع فإن الشاعر يعرض بعضا من ألوان الفتنة التي يثيرها العملاء ويرسم أثرها على الأمة الإسلامية ، ويدعو للتفريق بين السياسة والخيانة ، وبين من يريد صلاح الأمة وخيرها ، وبين من يريد تدميرها ويستنهض همة الرجال الشرفاء لممارسة دورهم في قمع الفتنة والقضاء

^١ الشاعر مهدي شبانه : من قصيدة انتبهوا قد عاد ابن سبأ ، مجلة البيان المرقص ، العدد ٥ ، فبراير ١٩٨٦ م ، ص ٥٤ .

^٢ المرجع نفسه .

على العملاء . في الأرض التي ضحت بأبنائها وبالدماء وبالشهداء في سبيل نصرة الإسلام ، ورفع راياته مرفرفة مدى الزمان . وأوصيكم بالإيثار والقوة وتأدية الأمانة الجهادية حين يفتالنا أعداء الله أو تظهر وتثار الفتنة بين فئات المسلمين ، فإن عدو الله يدمر كل شيء ، يحرق فيفرح الخائن ، بل إنه يحرض لتزداد الفتنة اشتعالا واتقادا ، إنه يحث أطراف الفتنة لتصمد .. لتحدى .. لتستبسل ليكون لها السيادة أخيرا .

انْتَبَهُوا يَا قَوْمِي ...
هَآ أَنَا أَقْفُ فَوْقُ كَفِّ الْأَرْضِ الْمَخْصُوبَةِ ...
أَنْظُرُ خَلْفِي
تَجْرَحْنِي أَرْضُ الْحُبِّ الْمَحْرُوقَةِ ...
وَابْنُ سَبَّأٍ يَدْعِي الْفِتْنَةَ
يَهْتَفُ بِي ... لَمْ تَرَحَلْ
هُنَا دَارَكَ وَأَنْتَظَرُكَ ...
يَا قَوْمِي انْتَبَهُوا إِنِّي رَاحِلٌ ...^١

وفي هذا المقطع يشير الشاعر إلى حرص العملاء على بقاء نار الفتنة مشتعلة ضمانا لمصلحتهم وإبقاء على وجودهم . ويكرر الشاعر تحذيره أبناء الأمة من خطر مثيري الفتن والأحقاد داعيا إلى فرزهم من الصفوف .

النداء إلى إقامة التضامن مع الشعب الأفغاني :

يهيب الشعراء بأمة الإسلام أن تقف إلى جوار أخوة الإيمان الأفغان ، وعلى أمة الإسلام أن تعين ، وأن تشد عضدهم ، ليعرف عدو الله حجمه الحقيقي ، عليها أن ترفع علم الجهاد خفاقا ، لا كما كان يوم القدس ، حين بان ضعف أمة الإسلام وانكسارها ، فالمسلمون جسد واحد ، كما أخبر الصادق الأمين عليه الصلاة والسلام ، مهما نأت الديار ، إنهم جسد متصل عصب أعضائه ، إن اشتكى عضو اشتكت الأعضاء الأخرى ، وكتاب الله يدعونا أن ننفر لملاقاة الأعداء ، فهم جاحدون ، أنكروا الله الخالق البارئ المصور ذا الأسماء الحسنی سبحانه ، علينا أن نصون الحمى ، بالدماء وبالقلوب ، فالعدو خطير وخطير وما سبق يتبين أن شعراءنا تنازعت أفندتهم ثلاث عواطف ، العاطفة الأولى هي عاطفة الإعجاب بالمجاهدين الأفغان ، أنهم لم يشتم

^١ الشاعر مهدي شهاب ، فصبدة فد عاد ابن سبأ ، مجلة البيان المرفوض ، العدد ٥ ، فبراير ١٩٨٦ م ، ص ٥٤

ثلج أو مطر عن صد الكفر ، وهم (ما خافوا ملاحدة) ، وهم ملئت صدورهم (بالإيمان والصور) ، أما العاطفة الثانية فهي الحقد على أعداء الله الغازين ، فهم (كفر وضرر) ، وهم (عاثوا فسادا) ، وهم أهل أحقاد ومستكبرون . أما العاطفة الثالثة فهي الحث على إعانة الأفغان والوقوف إلى جانبهم في محنتهم التي يعاونون ويقاسون ، فهم (أخوة) لنا ، والمسلمون ، وإن نأت بهم الديار (جسم) واحد ، وكتاب الله العظيم يدعونا أن نقاتل الكفار .

إِنِّي لَأَدْعُوهُمْ وَأَعْلَمُ أَنَّهُمْ	فِي النَّائِبَاتِ إِذَا حَمِينَ أُسُودِي
هَيَّا افْتَحُوا لِلْعَامِلِينَ مَنَافِذًا	تَمْضِي إِلَى نُورِ الْهُدَى الْمَسْدُودِ
فَعَلَامٌ تُلْقِي بِالْمَلَامَةِ ، عِنْدَنَا	سِرُّ الْبَلَاءِ وَلَعْنَةُ التَّشْرِيدِ
أَيْنَ الشُّعُوبُ وَأَيْنَ ضَاعَتْ أُمَّةٌ	كَانَتْ تَقُومُ مِنْ طَغَى بِحْدِيدِ
إِنِّي أَرَى رَغَمَ الظَّلَامِ أَحِبَّةٌ	هَتَفُوا بِأَنَّ الْفَجْرَ غَيْرُ بَعِيدِ
غُرَبَاءُ مَا عُرِفُوا دُعَاةَ تَفْسُخٍ	لِلْغَرْبِ ، حَتَّى يَنْعَمُوا بِرَغِيدِ
كَلَّا ، وَلَيْسَ الشَّرْقُ يَعْرِفُ ذُلَّهُمْ	فِيثُورُ يَحْمِي حَزْبَهُمْ بِوَعِيدِ
دَفَعُوا إِلَى السَّجْنِ الرَّهِيْبِ أَعْزَةَ	زُعِمُوا دُعَاةَ تَشَدُّدٍ وَجُمُودِ

فالشاعر كما نرى يحشد الثورة في النفوس ويجعل رابطة الإخاء الديني فتيلها محذرا أبناء الأمة الإسلامية من التواني والغفلة التي تجر على قضايانا عواقب وخيمة .
ويقول الشاعر أسامة الآغا في قصيدة " صرخة أفغاني " :

أَلَا يَا أُمَّةَ الدِّينِ الْجَمِيدِ	أَغْيِثِي مَوْطِنِي بِيَدَيْكَ جُودِي
فَتَى الْإِسْلَامِ حَطَمَ لِي قُودِي	فَكَمْ أَحْتَاجُ لِلْقَلْبِ الْحَنُونِ ^٢

تلك هي صيحة مدوية انطلقت من ربا أفغانستان إلى أبناء الأمة الإسلامية جمعاء فإن الخطب عظيم والعدو شرس والموقف يحتاج إلى توحيد كل الطاقات وتلاحم كل الجهود لإزاحة كابوس الاحتلال الروسي اليهيض الجاثم على الصدور المسلمة هناك .

^١ مجلة المجتمع الكويتية ، العدد ٦٤٥ ، نوفمبر ١٩٨٣ م ، ص ٦٦

^٢ مجلة المجتمع المصرية ، العدد ٩٧٥ ، ١٩٩٠/٧/٢٤ م

ومن قصيدة "أطفال أفغانستان" للشاعر أبو أسامة :

يَا مُسْلِمًا فِي شِعَابِ الْكَوْنِ هَلْ نَظَرْتَ
عَيْنَاكَ لِلزُّغْبِ وَالْحَرَمَانِ يَكْوِيهَا ؟
هَذِي الطُّفُولَةُ فِي أَحْضَانِ شِقْوَتِهَا
نَارُ الْحُرُوبِ تُعْرِيهَا وَتَشْوِيهَا^١

فأي مشهد يهز النفوس ويحرك المشاعر أكثر من مشهد شقاء الأطفال واحتراقهم بلظى الحرب وحرمانهم من بسملة بريئة طاهرة .

المعركة هناك معركتنا ، والدفاع عنهم دفاع عنا ، عن أرضنا ، عن أهلنا ، عن أعراضنا وعن كرامتنا ، إذ هدف الملاحدة أبعد من أفغانستان ، إنهم يقاتلون هناك ، وعيونهم على المياه الدافئة ، على الخليج ، وعلى المقدسات ، فلو أن الملاحدة تخطوا الحاجز الأفغاني - لا قدر الله ، ولا شاء ولا أراد ، ولا سمح - ، لو انكسر الكمأة الشجعان هناك ، لو هزم الأبطال هناك ، فسيأتي دورنا نحن ، ولكن ، وبعون الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، لن يتأتى للملاحدة ذلك . ما زال على أرض الأفغان كام ، لن يتأتى لهم ذلك ، ما دام هناك على الثرى الأفغاني كمي تنبض فيه العروق ، لو هدم السد الأفغاني أمام الزاحفين الروس ، التتار الجدد ، سيحين دفع ثمن قعودنا وتحاذلنا ، وحتى لا يكون ذلك ، علينا مقارعة الأعداء ، علينا أن نكون شركاء للمجاهدين ، وعلى قدم وساق معهم ، لنأخذ بأيديهم ، لنرد الحاقدين الطامعين المعتدين ، وإلا ، فإن أضعف الإيمان أن ندفع ثمن رصاصات الأبطال هناك .

ويقول الشاعر فاروق حسنين مخلوف :

يا مسلمي القرن الهجري الخامس عشر مصائرُكم ...

في الأرض الأفغانية تتقررُ

فلتنبهوا ... وتقاتلوا عن دينكم

وإن لم تكونوا فاعلين .. !!

فأضعف الإيمان ...

أن تبرعوا ... !!

أن تدفعوا ... ثمن الرصاص^٢

^١ مجلة الجهاد ، العدد ٦ ، صفر ١٤٠٦ هـ ، فبراير ١٩٨٥ م ، ص ٢٤

^٢ الشاعر فاروق حسنين مخلوف : من قصيدة ثمن الرصاص ، مجلة صوت الجهاد ، العدد المزدوج ٧،٦ ، رجب وشعبان ١٤٠١ هـ

في هذه المقاطع نجد أن شعر الجهاد واکب الأحداث الكبرى خلال فترة الحرب ، وأن الشعراء كانوا يؤدون دورهم في حمل المسلمين على الجهاد ، ومقاومة الاعتداء ، وبذل النفس في سبيل الله ذلك كما نلاحظ أن معظمهم اشتركوا في إثارة حمية المسلمين عن طريق حماية الديار والدفاع عن الدين .

ويقول أبو الحسن في قصيدته "حب البندقية ":

دُحْرًا لِلْحَادِ طَغَى فِي الْأَرْضِ مَفْسَدَةٌ يَا غَيْرَةَ اللَّهِ جُدِّي السَّيْرَ فِي الْجَدِّ
هَذِي بِلَادِي بِسَيْفِ الْغَزْنَوِي فُتِحَتْ أَضْحَى يُهَانُ بِهَا دِينِي وَمُعْتَقَدِي
وَعُصْبَةُ الْإِلْحَادِ تَجْتُو فَوْقَ هَامَتِهَا وَلَاغَةً مِنْ دَمٍ وَالتُّرْبُ مِنْهُ نَدِي¹

كما يقول أيضا :

رُضِيَ صُفُوفًا رَسُولُ اللَّهِ قَائِدُهَا بَغَيْرِ دِينٍ إِلَهِ الْعَرْشِ لَمْ تَقْدِ²

فإن سبيل الخلاص واضح غير أننا نتعamy عنه ونأبى السير فيه بسبب ضعف إيماننا وضعف ارتباطنا بديننا وبعдна عن نهجه الواضح المستقيم . إنه الجهاد ورض الصفوف خلف قيادة إسلامية مستنيرة . وهكذا كانت دعوة شعراء الجهاد عامة والجهاد الأفغاني خاصة نحو الترابط ، الدال على وحدة أيادي المسلمين حتى في أقصى بقاع المعمورة ، وحثهم دائما والتذكير بتشبيه جهادنا المجيد هذا كجهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم قلبا وقالبا . ولا بد من الاعتقاد الجازم بأن غير راية الله لم ترفع ، وغير دين الحق تبارك وتعالى لم ينتشر .

ويقول أبو الحسن في قصيدة أفغانستان :

يَا طَالِيْ إِنْصَافِ مِمَّنْ لَمْ يَنْصَفُوا مَعَ رَبِّهِمْ صَادَتْكُمْ الْأَوْهَامُ
مُرُوا بِأَفْغَانِ الْجَرِيْحَةِ وَانْظُرُوا مَا قَدْ أَتَاهُ الدُّبُّ وَالْأَزْلَامُ³

فلا يزال الوهم والأفكار المستوردة تغشى البصائر فإن ما جرى في أفغانستان يكفي وحده لاستيقاظ المسلمين وجعلهم يدركون الحقيقة .

¹ مجلة البيان المرفوض ، العدد ٢ ، أغسطس ١٩٨٥ ، ص ٥٦

² المرجع السابق ، العدد ٢ ، أغسطس ١٩٨٥ ، ص ٥٦

³ مجلة الجهاد ، العدد ١١ ، يوليو ١٩٨٥ م ، ص ٢٢

ويقول الشاعر عبد الرحمن بعكر في قصيدة " هولاءكو الجديد ":

لَعَلَّ الْمَذَابِیحَ فِي قُنْدَهَارٍ يَثُورُ لَهَا النَّاعِسُ الْأَبْلَدُ
وَالَا .. فَلَا اكْتَحَلَتْ مُقْلَةً مَنَامَهَا وَلَا هُنَا الْمَرْقَدُ^١

ويقول الشاعر أحمد الحسن ولد الشيخ في قصيدة " صرخة حق ":

أَيْنَ الْأُخُوَّةُ فِي الْإِسْلَامِ تَجْمَعُنَا صَفًّا عَلَيْهِ قُوَى الْإِلْحَادِ تَرْتَطِمُ
تَذَكَّرُوا قَوْمَكُمْ كَالزَّرْعِ يَحْصُدُهُمْ دُبُّ الْكِرْمَلِينَ وَالهَيْجَاءُ تَحْتَدِمُ
تَذَكَّرُوا الْفَتِيَّةَ الْقَتْلَى لَغَيْرَتِهِمْ عَلَى حِمَى اللَّهِ مَا خَارُوا وَلَا سَمُوا
تَذَكَّرُوا كَمْ جَرِيحٍ لَيْسَ يَسْعُهُ إِلَّا الْقَذَائِفُ وَالنِّيرَانُ تَضْطَرِمُ^٢

وهكذا تتوالى نداءات الشعراء إلى الأمة الإسلامية وتذكيرها بما يجري في أفغانستان البلد المسلم من مذابح وجرائم ودمار على أيدي الغزاة الظالمين عسى أن يكون هناك من يسمع النداء فيدفعه إيمانه إلى مساعدة إخوانه المسلمين المنكوبين .

ويقول أحمد المانع في قصيدة " من مآسي ودعوة إلى الجهاد ":

يَا مُسْلِمُونَ تَيَقَّظُوا فَدَيَارَكُمْ وَقَعَتْ فَرِيْسَةٌ حَاطِمِ الْأَدْيَانِ
قَدْ طَالَ نَوْمُكُمْ وَعَزَّ قِيَامُكُمْ وَالْجُرْحُ يَنْزِفُ مِنْ دَمِ الْإِخْوَانِ
حَقُّ الْجِهَادِ وَلَا خِيَارَ فَسَارِعُوا وَتَقَدَّمُوا بِالْمَالِ وَالْأَبْدَانِ
مُدُّوا أَيَادِيَ الْعَوْنِ لِلْمَنْكُوبِ لَا تَسْتَأَثِّرُوا دُونَ الضَّعِيفِ بَنَانِي^٣

وهذا نداء آخر يتوجه به الشاعر نحو الأمة الإسلامية يطالبها باليقظة والقيام بحق الجهاد لدفع الظلم والاعتداء عن عضو جريح من جسد الأمة الإسلامية . بمد يد العون للمتضررين من جراء القتال .

^١ من ديوان أجراس ، ص ٣٧ - ٣٨

^٢ مجلة المنار ، العدد ١٣٤ ، مارس ١٩٨٩ م ، ص ٦٢

^٣ المرجع السابق ، العدد ٨٣ ، ربيع الآخر ١٤٠٥ - ديسمبر ١٩٨٤ م ، ص ٤٣

يقول الشاعر حسام الدين حامد في قصيدة " أفغانستان في دروب النصر ":

هَبُوا إِلَى الْأَمْجَادِ حَانَ قَطَافُهَا	وَدَعُوا الْقُوَى فِي ذُرْوَةِ الْإِعْدَادِ
فَلَقَدْ مَضَى لَيْلُ الضِّيَاعِ وَهُونِهِ	وَصَحَا الْهُدَى فِي أُمَّةِ الْإِرْشَادِ
تَلَكَ التَّبَاشِيرُ الَّتِي أَحْيَتْ رَجَالًا	مِنْ ثَائِرِ الْأَفْئَانِ كَالْأَجْدَادِ
مُدُّوا يَدَا بِالْعَوْنِ إِنْ أَهْوَتْ بِكُمْ	رِيحُ الْوَنَى عَنْ سَاحَةِ وَجْهَادٍ

وهذا نداء آخر للأمة الإسلامية الغافلة ، فقد مضى زمن الهجود وحن أن تفتح هذه الأمة عيونها على نور الصباح المنبعث من ربى أفغانستان الثائرة التي أعادت للأذهان بمجاهدها البطولي الرائع سيرة الأجداد الأوائل الزاخرة بالبطولات . والآن لابد من المهمة والمساندة والموازنة سواء كان ذلك بالنفس أو المال والمتاع ، وآن كانت النخوة قد ضاعت وسط الركون إلى الدنيا وأصابنا الوهن ، وفقدنا الشجاعة على خوض غمار الحروب فيجب علينا التضرع إلى الله وبالاتتهال إليه جل وعلا وتقديس أن يتم عليهم النصر المؤزر .

يقول الحضرمي في " أمة المجاهدين ":

أَيَا أُمَّ لَا تَسْمَعِي لِلنُّبَاحِ	يَقُولُونَ حَرْبُ الْهُدَى خَاسِرَةٌ
قَدِيمًا بِبَدْرِ تَعَالَى الصِّيَاحِ	وَغَلَبَتِ الْفِتْنَةُ الصَّابِرَةَ ^٢

ولكن ، ألا يكفي ذلك كله لجعل المسلمين ينهضون ، إن كانت فلسطين الدرس الأول ، فأفغانستان الدرس الثاني ، وأمجادنا لن يعيدها غير القتال صفا واحدا كالبنيان المرصوص كما أراد لنا الله سبحانه ، عندها لن يخيب الله الآمال ، فإما نصر ، وإما شهادة ، وكلاهما شرف ، لا يساويه شرف . فالذي نصر المهاجرين ببدر وهم قلة وأمدتهم بمجنود لم يروها قادر على نصر أمتنا بإنه تعالى وتبارك اسمه . وستغلب فئات المجاهدين المخلصين لله الفتنة الظالمة بإن الله .

يقول الشاعر موفق الشاريش في قصيدة " الحمد لله ":

فَلَقَدْ تَجَرَّأَ كُلُّ نَذْلٍ سَاقِطٍ	مَاجُورٌ يَنْفُثُ حِقْدَهُ شَتَانِي
بِمَقَالَةٍ بِصَحِيفَةٍ أَوْ قَالَةٍ	فِي مَجْلَسٍ أَوْ مُحْفَلٍ بِلِسَانٍ

^١ مجلة الإصلاح ، العدد ٦٥ ، يوليو ١٩٨٣ م ص ٣٤

^٢ مجلة البنيان المرصوص ، العدد ٦ ، مايو ١٩٨٦ م ، ص ٤٣

وَقَحَّ وَمَوْقَظُ فِتْنَةٍ مَرْفُوضَةٍ
يَهْذِي كَمَحْمُومٍ أَضْيِرَ بِعَقْلِهِ
كَلْبٌ عَقُورٌ نَاشِزٌ بِنَاحِهِ
الْيَوْمَ يَوْمَ الْمَرْحُمَاتِ تَرَاحُمُوا
رُصُّوا الصُّفُوفَ حَذَارِ أَنْ تَفَرَّقُوا
أَرْسُوا الْأَسَاسَ عَلَى هُدَى الْقُرْآنِ
شَلَّتْ يَدَاهُ وَأُطْفِئَتْ عَيْنَانِ
مَهْمَا تَطَبَّبَ عَادَ لِلْهَذْيَانِ
ذُو خِسَّةٍ ، وَبَنُو الْخَسِيسِ زَوَانِ
يَا إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ فِي أَفْغَانِ
شِيعَا ، فَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ لِهَوَانِ
وَالسُّنَّةُ الْغَرَاءُ فِي الْبُنْيَانِ

الآيات - كما هو ظاهر - أهم ما تمتاز به الوضوح والسهولة والإشراق التام لشمسها وهذه من سمات البلاغة ، التي أهم سماتها الفصاحة ، فلا أرني احتاج إلى شرحها أو تحليلها ، فقراءتها نفسها أجدى وأبلغ ، وأعم نفعاً من قراءة تحليل يكتبه مثلي ، ولكن أستطيع أن أقول : الآيات فيها ألم ، فيها تألم ، وهذا التألم منشؤه شعور لدى الشعراء بواجب إسلامي يحثهم ويقلقهم ، منشؤه إيمان يقيني لا يتزعزع فإن أمة الإسلام واحدة ، وأمة الإيمان مصابها واحد ، كجسد واحد ، كما بين الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه ، التواد والتراحم ، والتعاطف مقومات كيانهما واحد ، وتألم عضو واحد من أعضائها نذير بتألم الأعضاء الأخرى ، ذلك إذا آمن العضو بعضويته قلباً وقالها ، أما إذا آمن بالعضوية فهذه في هويته الشخصية ، أو جواز سفره ، ونبذها قلباً ، فهذا كفيلاً أنه لن يكون من المتألمين ، ولربما كان سماع (أم كلثوم) عنده أولى وأكثر أهمية من سماع أنباء التقتيل والتذبيح لأناس براء يشهدون (لا إله إلا الله ، محمد رسول الله) . شعراؤنا - ولا أزكيهم على الله - عضو من أعضاء الجسد الإسلامي الكبير هذا ، فلا أشك أنهم متألمون ، قلباً وقالها ، وأكثر من نفر تشير هويتهم أنهم أعضاء ، بل من أبناء جلدة هؤلاء الذين يذبحون ، من أبناء النكبة أنفسهم ، غلفت قلوبهم بالران ، واتخذوا دينهم هزوا .

عَادَ التَّارُ يَقُودُهُمْ جَنَكِزُ ذُو الْوَجْهِ الْوَقَاحُ
عَادَتْ جِيُوشُهُمْ تَهْدُّ دُبَا الْخِرَابِ وَالْاجْتِيَاخُ
عَادُوا وَلَا ((قُطَزْ)) يُنَا دِي الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْكِفَاحِ^١

الشاعر هنا يذكر بجرح فلسطين الراحف دما وألما ويستنهض همم المسلمين للجهاد ومتابعة سيرة الأولين في هذا الجانب المهم ففيه العزة والقوة والمنعة .

ويقول الشاعر عبد القدوس أبو صالح في قصيدته " شيخ الجهاد " :

نَادَيْتَ كُلَّ أَخِي دِينَ وَمَكْرَمَةٍ يَا قَوْمُ لَا تَهْنُوا فَالشَّرُّ مُسْتَعَرُ
لَا تَقْبَلُوا الصَّلْحَ إِنْ الصَّلْحُ مَهْزَلَةٌ لَا تَرَكْنُوا لِيَهُودٍ .. كُلُّهُمْ غُدْرُ
قَوْمُوا ارْفَعُوا رَايَةَ الْإِسْلَامِ عَالِيَةً لَا يَلْفِتْكُمْ عَنْ دَرْبِهِ "الْحُمُرُ"^٢

فالشاعر يحذر من الوقوع في شرك الصلح والاستسلام للعدو ويحث قومه على التمسك بالدين الإسلامي ووقع راية الجهاد فهو السبيل الذي استنه الله لبلوغ العزة وصون الكرامة ودحر الأعداء ونيل الحقوق المسلوقة . وقوله :

إِنَّ الْجِهَادَ سَبِيلُ اللَّهِ مُشْرَعَةٌ إِنْ تَسْلُكُوهَا فِذَاكَ الْوَرْدُ وَالصَّدْرُ
وَتِلْكَ دَرْبُ رَسُولِ اللَّهِ قَدْ عَلِمَتْ يَهُودُ يَشْرِبُ إِذْ ذُلُّوا وَهُمْ كَثُرُ
وَتِلْكَ دَرْبُ صَلاحِ الدِّينِ قَدْ ثَارَتْ لَهُ بِحَطَيْنِ# أَرْمَاحُ الْقَنَا السُّمُرُ
يَا نَانِمِينَ عَنِ الْجُلْدَى وَصَرَخَتِهَا إِنْ الْحُسَيْنِيُّ سَيْفُ اللَّهِ يُدْخِرُ
مَا فَلَّ مَضْرِبُهُ كَيْدَ الْعُدَاةِ لَهُ إِنْ الْعَتِيقُ كَرِيمٌ حِينَ يُخْتَبِرُ^٣

^١ الشاعر د . يوسف الفرضاي : من قصيدة يا أميني وجب الكفاح ، مجلة الإصلاح ، العدد ٧٩ ، ربيع الأول ١٤١١ هـ ، ص ٣٢

^٢ مجلة البيان المخصوص ، ذو الحجة ١٤١٠ هـ - يوليو ١٩٨٩ م ، ص ٧٨

^٣ المرجع نفسه .

ويقول الشاعر محمد عبد الغني حسن في قصيدة "مبادئ ومبادئ":

النَّصْرُ لَمْ يَنْزِلْ عَلَى مُتَخَاذِلٍ	والرِّزْقُ لَمْ يُبْعَثْ إِلَى مُتَوَكِّلٍ
فَانْزِعْ لَوَاءَكَ مِنْ يَدِ الْمُسْتَقْتَلِ	وَانْزِعْ طَعَامَكَ مِنْ يَدِ الْمُتَطَفِّلِ
وَاطْلُبْ مَحَلَّكَ بِالسُّيُوفِ فَإِنَّهُ	بِالسَّيْفِ تَنْجَابُ الْغِمَارِ وَتَنْجَلِي
لَا تَسْتَعِيرُوا السَّيْفَ مِنْ يَدِ غَيْرِكُمْ	بَلْ فَاصْنَعُوهُ بِكَفِّ أَرْوَاعِ صِقَلٍ
وَالسَّيْفُ تَصْنَعُهُ بِكَفِّكَ يَتَّقَى	وَيُصِيبُ فِي الْأَعْدَاءِ أَسْوَأَ مَقْتَلٍ ^١

إن في الأبيات سياسة حكيمة ودعوة مخلصة لأبناء الأمة الإسلامية في فهم الدين فهما صحيحا ونبد الجهل والخرافات والاعتماد على النفس في إعداد القوة التي تحقق النصر على الأعداء .

ويقول الشاعر أنور العطار في قصيدة " أنتم الأسبقون ":

فَامْنَعُوها هُمُودَهَا وَكِرَاهَا	وَاسْتَشِيرُوا فِيهَا دَفِينِ الْعِزَائِمِ
لَا تَنَامُوا عَلَى الْأَسَارِ وَتَغْفُوا	فَلَقَدْ مَلَّتِ الْقِيُودُ الْمَعَاصِمِ
وَانْفُضُوا عَنْكُمْ الرُّقَادَ وَهَبُوا	لَنْ تَلَنَ هَذِهِ الْحَيَاةُ لِنَائِمٍ ^٢

الشاعر كغيره من الشعراء قد سئم حياة الغفلة والذل التي ركنت إليها الأمة الإسلامية ويدعو لليقظة والجهد ومقارعة الأعداء ندا لند .

وعلى الأمة أن تتوحد ، وأن تقف سدا منيعا أمام أطماع أعداء الله ، بذلك وحده تقهر الأعداء، فلا تفعل آلاتهم، بذلك تتحرر كابل ، وبذلك تتطهر القدس ، حين نغدو كلنا جنود محمد عليه السلام ، فعندها ... لا تهزمنا قوة.

فَتَكَاتَفُوا مُتَآزِرِينَ وَحَيْثَمَا	مَاتَ الشَّهِيدُ فَكُلُّكُمْ ثَوَارُ
وَدَعُوا التَّحْزُبَ غَيْرَ دِينِ مُحَمَّدٍ	إِنَّ الصُّفُوفَ إِذَا تُسَوَّ جِدَارُ ^٣

^١ مجلة الرسالة ، العدد ٧٥٧ ، يوليو ١٩٨٩ م ، ص ٦٥

^٢ المرجع السابق ، العدد ٢٥٤ ، أبريل ١٩٨٩ م ، ص ٤٥

^٣ الشاعر محمد فوزي مصطفى : من قصيدة إلى ثوار أفغانستان ، مجلة الأمة ، العدد ٦ ، جماد الآخر ١٤٠١ هـ ، ص ٢٨

ما من أحد يماري في أن في اتحاد السواعد المجاهدة وتلاحم جهودها قوة عظيمة تفل جبروت العدو وتقضم ظهره وتحيل آلاته الحربية كتلا من حديد هامد فضلا عن السلاح الأقوى والأمضى الذي يسري في تلك السواعد إنه سلاح الإيمان .

ويقول الشاعر الحضرمي في قصيدة " أمة المجاهدين ":

لَكَ اللَّهُ يَا أُمَّةَ الْمُحْسِنِينَ تَضَجُّ بِأَيْمَانِهَا هَادِرَةٌ
تَسْطُرُّ فِي الْأَرْضِ نُورُ الْيَقِينِ وَتَبْعُثُ أَيَّامَنَا الْغَابِرَةَ^١

حقا تعيد الأمة الإسلامية أيامنا الغابرة المليئة بالمفاخر والأعجاد إن هي شهت سلاح الإيمان في وجه المعتدين واتخذت الجهاد وسيلة للتحرور .

ويقول الشاعر عبد المنعم الهاشمي في قصيدة " أعينوا مسلمي الأفغان :

فَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَالَكُمْ فَرَضًا وَنَفْلًا تَنَالُوا الْبِرَّ أَلْوَانَا
إِنَّ الزَّكَاةَ لَفَرَضٌ: مِنْ مَصَارِفِهَا ذَا الْمَصْرَفُ السَّابِعُ الْمَذْكُورُ قُرْآنُ
أَوَّلَى بِذَا الْمَصْرَفِ الْأَفْغَانِ ، صَدَقَهُمْ فِي نُصْرَةِ الدِّينِ لَا يَحْتَاجُ بُرْهَانَا
أُخُوَّةَ الدِّينِ تَدْعُوكُمْ لِنُصْرَتِهِمْ أَمْ لَسْتُمْ لَهُمْ فِي الدِّينِ إِخْوَانَا ؟^٢
فَاغْزُوا بِهَا الْآنَ مِنْ قَبْلِ السَّلَاحِ غَدَا قُبِيلَ اقْتِرَابِ الْعَدَا مِنْكُمْ بِمَنْ خَانَا
اغْزُوا بِأَنْ تَدْفَعُوَهَا لِلَّذِينَ يُقَا تَلُونَ أَعْدَاءَكُمْ بِالسَّيْفِ شُجْعَانَا^٢

فالشاعر هنا يدعو المسلمين إلى الوقوف إلى جانب أفغانستان بالمال فضلا عن الوقوف معها بالنفس ، والتبرع بالمال هو مجد ذاته شكل من أشكال التكاتف والتعاون والمساندة لهذا البلد المنكوب والمبتلى بأشرس عدو عرفه التاريخ .

اتحاد الكفر ضد الإسلام :

كان عملاقا السياسة العالمية المعسكر الشرقي الشيوعي الملحد والمعسكر الغربي الرأسمالي الكافر ، كان على طرفي نقيض فيما يتعلق باقتسام مناطق النفوذ بالعالم والسيطرة على الشعوب الضعيفة . غير أنهما كانا على أتم اتفاق فيما يتعلق بقضايا الأمة الإسلامية فقد كانا متفقين تماما

^١ مجلة البيان المرفوض ، العدد ٦ ، مايو ١٩٨٦ م ، ص ٤٣

^٢ مجلة الدعوة الكويتية ، العدد ٧١٥ ، شوال ١٣٩٩ م ، ص ٢١٧

على عدا هذه الأمة والوقوف جبهة واحدة ضدها وسحق تطلعاتها وواد أمانها وكانا على أخوف ما يكون من نهضة هذه الأمة واتخاذ دورها القيادي في العالم . وقد أثبتت مجريات الأحداث على الساحة الدولية كذب هذين العملاقين وزيف مبادئهما التي كانا يناديان بها فكان الشرق يدعي العدالة الاجتماعية ونصرة العمال والفلاحين ومساندة الشعوب المظلومة وإبعاد خطر الغرب عنها وكان الغرب يدعي حفظ الحريات وصون حقوق الإنسان والعمل على سيادة القانون . وقد جاء اجتياح الاتحاد السوفييتي لأفغانستان المسلمة لفرض نوع من الحكم عليها لا ينسجم مع عقيدة شعبها، جاء هذا الاجتياح امتحانا للطرفين أمام شعوب العالم ومحكا لاختبار صدق النوايا والمبادئ من كذبها وقد عرى هذا الحدث الكبير عملاقي السياسة فبانت حقيقتهما جلية واضحة أمام أعين العالم قاطبة . وهذا الشاعر المسلم الدكتور عدنان النحوي يبرز هذه الحقيقة وينزع القناع بقوة عن وجههما الغارق بالأحقاد والضغائن على الأمة الإسلامية .

ليقول في قصيدته " يا أرض كابل " :

هَامَا وَقَدْ رَفَعَتْهَا عِزَّةُ الشِّيمِ	أَيَطْمَعُ الرُّوسُ أَنْ تُحْنِي الذُّرَى لَهُمْ
وَأَوْقَعَتْ نَفْسَهَا فِي مَسْرَحٍ وَخِمِ	يَا وَيْحَ "مُوسْكُو" ...! وَقَدْ جَالَتْ بِجَوَلَتِهَا
وَأَفْلَتَتْ نَفْسَهَا فِي كَفِّ "ذِي صَمَمٍ"	فِي لُعبَةٍ أَمْسَكَتْ فِي كَفِّهَا طَرْفًا
وَأَغْمَضَتْ عَيْنَهَا عَنْ ظَالِمٍ غَرِمِ	فِي كَفِّ "وَاشَنْطُن" سَدَّتْ مَسَامِعَهَا
مِنَ النَّسَاءِ .. وَطِفْلِ غَيْرِ مُنْقَطِمِ	فَمَا وَعَتْ صِيْحَةً دَوَتْ مُجَلْجَلَةً
مِنَ الْيَهُودِ فَأَوْقَتْ زَهْوَةَ الْكَرَمِ	وَكَمْ تُرَى سَمِعَتْ هَمْسًا لَغَائِيَةً
وَأَفْرَغَتْ كَفَّهُ أَحْقَادَ مُنْتَقِمِ	يَا شَرَّ "رِيغَان" كَمْ مَدَّتْ يَدَاهُ أَسَى
لِيَسْحَقَ الْأَرْضَ مِنْ زَرْعٍ وَمِنْ نَسَمِ	وَكَمْ هَوَى الْمُنْجِلُ الدَّامِي عَلَى بَلَدٍ
بَيْنَ الْكَوَالِيسِ مِنْ شَرٍّ وَمِنْ غَمَمِ	هُنَا التَّقَى الظَّالِمَانِ اسْتَحْدَثَا عَجَبًا
وَبَانَ زَيْفُهُمَا فِي وَقْدَةِ الضَّرَمِ	نَزَعْتَ يَا أَرْضَ كَابُولٍ قِنَاعَهُمَا

فالشاعر في أبياته هذه يبين طمع الروس في كسر عزة الشعب الأفغاني المسلم وتسويه وفق مشيئته وهواه ، ويبين تغاضي الغرب عن هذا الظلم واتفاقه مع الشرق عليه فأمة الكفر واحدة في مواجهة الإسلام ولا جدوى من اللجوء إلى المحافل الدولية لاسترجاع حقوق المسلمين

التي أصبحت نهبا بين الغرب والشرق . هذا ما يعرفه الشاعر من خلال تجربته في فلسطين وكيف أن ملة الكفر تمليء اليهود وتعادي المسلمين . ويتابع بيان هذه الفكرة ، وإظهار هذا المعنى في مواضع أخرى .

فيقول في قصيدة " شموخ الليالي " تحت عنوان فتنة الهوى وشباك الأعداء :

قَدْ شَكَّرْنَا أَمْرَاضَنَا وَتَعَبَنَا وَرَحَلْنَا "لِمَجْلِسٍ" وَ "نَوَادٍ"
وَبَلَوْنَا مِنْ ذَاكَ شَرَّ بَلَاءٍ وَحَصَدْنَا مِنْهُ فَرَاغَ الْأَيْدِي
أَيُّهَا الرُّوسُ ! يَا دُعَاةَ حَضَارًا ت وَدُنْيَا "مَبَادِي" وَ "حِيَادِ"
يَا دُعَاةَ السَّلَامِ ! أَيْنَ سَلَامُ مَزَقَّتْهُ نَوَافِرُ الْأُضْدَادِ
يَا هَلَاكَ الشُّعُوبِ ! يَا فِتْنَةَ النَّاسِ سِ ! ضَحَايَا الْغُرُورِ وَالْإِلْحَادِ
قَدْ بَلَوْنَا سِيَاسَةَ "الْغَرْبِ" حَتَّى قِيلَ فِي "الشَّرْقِ" ثَوْرَةٌ وَأَيَادِ
كُلُّكُمْ يَدْعِي الْمَبَادِي وَالْعَدَا لَ وَيُجْرِي الْهَلَكَ بَيْنَ الْعِبَادِ

فالشاعر في هذه الأبيات يؤكد على بطلان دعاوي الشرق فهم يسعون إلى هلاك الشعوب من خلال حرب ظالمة في الوقت الذي يدعون فيه أنهم دعاة حضارة وسلام وعدل . كما يؤكد على استرجاع الحقوق الضائعة لا يكون بالشكوى في المحافل الدولية فلم يمن المسلمون منها إلا فراغ الأيدي كما يقول الشاعر فالظالم لا يدعن لمنطق الحق ولا يقر به ، والقوة وحدها التي تجبره على الرضوخ والامثال والجهاد الأفغاني الرائع خير شاهد على ذلك . ولشدة اهتمام الشاعر بهذا الأمر ، واعتقاده الراسخ بأن أمة الكفر متفقة على ظلم الشعوب الضعيفة وتدميرها لا سيما الشعب المسلم وأن الظلم هو منطلق السياسة عندهم فإن الشاعر حريص على توعية الإنسان المسلم وفتح عينيه على هذه الحقيقة ليكون على بينة من أمره فقد خص له عنوانا جانبيا في قصيدته " على أبواب كابل " تحت عنوان (ظلم الغزاة وسقوط راياتهم ومبادئهم) يقول فيها:

سَيَّانَ "مُسْكُو" وَ "أَمْرِيكََا" فَكَفَرُهُمَا شَرَّانَ مَا بَيْنَ سَفَاحٍ وَمُضْطَهَدِ
هَذَا يُقْتَلُ فِي شَعْبٍ وَيَنْهَبُ وَذَا يُقَطَّعُ مِنْ سَاحٍ وَمِنْ بَلَدِ

وَكُلُّهُمْ فِي دَمَاءِ الْخَلْقِ غَارِقَةٌ أَكْفَهُمْ ! عَنْ هَوَى الْإِجْرَامِ لَمْ تَعُدْ
كَأَنَّمَا النَّاسُ أَنْعَامٌ مُذَلَّلَةٌ لَغِيَهُمْ ! وَبَسَاطُ الْأَرْضِ مُلْكُ يَدٍ

فلنأنا نرى الشاعر لا يفرق بين موسكو وأمريكا فهما وجهان لعملة واحدة وكلاهما
سفاح آثم يهوي بسيفه الثقيل على رقاب الشعوب وينهب خيراتها ويستعمر أوطانها . فكأنما
الأرض ملك مباح لهم وأن الناس قطع من الأنعام المذلة .
إدانة الحضارة الحديثة :

عمد الشعراء إلى إدانة الحضارة الحديثة وحملوها وزر المظالم التي تجري في العالم ، فإن هذه
الحضارة بما أحدثته من تقدم صناعي في الغرب والشرق دفعت أصحابها إلى غزو الشعوب
الضعيفة من أجل استغلال خيراتها ومواردها وتوظيفها في المصانع الحديثة . وهكذا تنافس
المستعمرون على احتلال العالم وارتكاب أبشع الجرائم غير مبالين بالقيم الإنسانية ما دام هدفهم
المادة والثراء على حساب جوع الآخرين وحرمانهم . وكان العالم الإسلامي ودول أفريقيا هو
الفريسة الأعلى والأثمن وكان النزاع حادا في الفوز بين الغرب والشرق . وقد تم استغلاله
بأساليب غير إنسانية البتة بحيث تدفقت خيراته على الغرب والشرق وبقي سكانه يعانون من
شعوب الأرض أقسى ألوان الحرمان وأمض أشكال الجوع . وقد عبر الشاعر عن هذا المعنى من
خلال إظهار همجية المعتدي الذي يمثل المعسكر الشرقي الشيوعي (الاتحاد السوفيتي سابقا)
وإبراز وحشيته في القتل والتدمير وانتهاك الأعراض ومن خلال إدانة كل الذين شاركوا في هذه
المأساة وأمثالها بشكل مباشر أو غير مباشر .

يقول في قصيدة " على أنقاض مدينة هرات " :

والمعتدون

والمعتدون يلقنون النار أغنية الجنون

ياويلهم كم يظلمون^٢

ووصفهم الشاعر بالجنون والجنون لا يتورع عن فعل مالا يخطر بباله. وفي " وسام العز في

وجه عائشة " يقول :

^١ ملحمة الجهاد الأفغاني ، ص ١٢٠

^٢ من ديوان عندما يعزف الرصاص ، ص ١٦٨

براءتها بَيَّانٌ يَفْضَحُ المَدِينَةَ الشَّوْهَاءَ
يَعْرَبُ عَنْ تَفَاهُتِهَا^١

ولم يسلم الأطفال من وحشية المدينة الشوهاء التي غرست مخالبها في وجوههم البريئة
ولوثت طهرهم بنزواتها

وقال د. عبد الرحمن العشماوي في " على أنقاض مدينة هرات " :

والمعتدون يلقنون النار أغنية الجنون

ياويلهم كم يظلمون

كم مزقوا أحشاء حُبلى

كم حطموا شيخاً ...

وكم ضربوا بسيف السم طفلاً^٢

فقد تحولت الحضارة الحديثة إلى وحش ضار ينشر الرعب والقتل في صفوف الناس

الآمنين ويروغهم بين حين وآخر بهجماتهم الشرسة وصيحاتهم المنكرة .

ويقول الشاعر مصطفى حيدر زيد الكيلاني في قصيدة " أفغانستان تفيض دماً " :

زَعَمَ السُّوْفِيَّتُ بِأَنَّهُمْ	يَبْغُونَ سَلاماً لِلأَفْغانِ
وَبِأَنَّهُمْ يَدْعُونَ	إِلَى عَدْلٍ وَمُساوَاةٍ وَأَمَانٍ
وَبِأَنَّهُمْ إِنْسَانِيُونَ	فَلا أَجْناسَ وَلَا أُلُوانَ
كَذَبُوا ، كَذَبُوا ، كَذَبُوا	دَعَوَاهُمْ إِفْكٌ بَلْ بُهتانٌ ^٣

تلك دعواهم سلام وأمن وعدل ومساواة وكان أفغانستان البلد المسلم تنقصه هذه

المبادئ . وعلى كل حال فإن الدماء التي أراقوها غدرا وظلما خير شاهد على كذب دعواهم

تلك .

^١ مجلة الجهاد ، العدد ٢٤ ، ربيع الأول ١٤٠٧هـ - نوفمبر ١٩٨٦م ، ص ١٩ .

^٢ من ديوان عندما يعزف الرصاص ، ص ١٦٨

^٣ مجلة المجتمع الكويتية ، العدد ٧٥٧ ، أغسطس ١٩٩١م ص ٤٣ و مجلة الجهاد ، جمادى الأولى ١٤٠٦هـ - يناير ١٩٨٦م ،

أي إصلاح وعدل يتحدث عنه أولئك المجرمون وأي وفاق يريدونه وهناك بحر من الدماء
يفصل الظالم عن المظلوم . ويقول الشاعر د. عدنان النحوي في قصيدة " لا تقل لي سياسة
وسلام " :

وَدَمَائِي تَجُودُ فِيهَا النُّجُودُ	لَا تَقُلْ لِي سِيَّاسَةً وَسَلَامُ
حَقُّ ؟ أَيْنَ الْوَفَاءُ ؟! أَيْنَ الْعُهُودُ	وَبَقَايَا الْأَشْلَاءِ تَصْرُخُ أَيْنَ الْ
مَمَّةٌ تَذُرُّ أَوْ أَطْفَالُهَا وَتَبِيدُ	وَالْأَعَاصِيرُ تَلِكُ تَقْتَلِعُ الْخَيْـ
وَتُكَالِي وَطِفْلَهَا الْمَوءُودُ	وَالصَّبَايَا وَأَدْمَعُ ! وَيَتَامَى
تَ دِمَاءٌ وَلَا أَنْطَوَى تَشْرِيدُ	وَالدَّمَاءُ الَّتِي صَبَبْنَا وَمَا جَفَّ
لُ ! يُنَادِي : أَيْنَ الْكَمِيِّ النَّجِيدُ	وَرَضِيعُ يَكَادُ يُنْطِقُهُ الْهُو
بِ دَوَاهٍ يَشِيبُ مِنْهَا الْوَلِيدُ ^١	أَنْهَضِي أُمِّي ! أَفِيقِي ! عَلَى الدَّرْ

فما حضارتهم إلا زعم كاذب فليسوا في الحقيقة إلا طغاة متجبرين يفسدون الأمن
ويقتلون السلام . ويقول الشاعر (المسلم الحر) في " رباعيات كابل " :

كَابُولُ مَا كَانَ التَّحَرُّرُ فِي الْيَمِينِ أَوْ الْيَسَارِ
إِنَّ التَّحَرُّرَ بِالْتَّمَسُّكِ بِالشَّرِيعَةِ كَالْمَنَارِ
سَتَعُودُ أَسْرَابُ الطُّيُورِ إِلَى الْجِبَالِ بِلَا وَجَلٍ
سَتَظَلُّ يَا كَابُولُ دَرْسًا لِلطُّغَاةِ مَدَى الْأَزَلِ
سَتَظَلُّ أَنْتَ الرِّقْقُضُ ... فِي كُلِّ الْمُقَلِّ
سَتَظَلُّ أَنْتَ مَنَارَةٌ ... رَمَزَ الْحَيَاةِ مَعَ الْأَمَلِ^٢

وهكذا أدرك شعراؤنا المسلمون حقيقة الحضارة الحديثة الزائفة فما هي إلا شكل من
أشكال التسلط والاستعباد ، والتحرر الحقيقي والحضارة الحقبة يكمنان في التمسك بالشريعة
الإسلامية وإعلاء لوائها . وهكذا أدان الشاعر هذه المدينة الشوهاء التي قامت على إرضاء الجسد

^١ من ديوان مهرجان القصيد ، ص ١٦٣

^٢ مجلة الإصلاح ، أبريل ١٩٨٥ م ، ص ٤٣

ورغباته وأهمل الروح وأشواقها ، وأنى للجسد أن يسعد بدون روح أو بروح مريضة ، فمثل هذه النشأة تنتج حضارة من دم ونار ١١

المبحث الثالث : هجاء الروس وعملائهم المنافقين والثناء على المجاهدين الأفغان :

هجاء الروس وعملائهم :

وهنا نتحدث عن وجود طائفة من أمراء المسلمين وكذلك من الشيوعيين الأفغان لم يشاركوا في الجهاد، وكانت تمالي الروس ضد المسلمين ، تدفعها رغبة جامحة في الحكم والاحتفاظ به مهما كان الثمن . ولذلك إذا تتبعنا شعر الجهاد الأفغاني نجدهم يصورون نزعتهم للحرب والقتال ورؤية الدم . ومن ثم فقد رأوا أن تغير الأوضاع وإعادة الأمور إلى مجاريها لا يتم إلا عن طريق القتال والحرب ، وأصبحت الحرب في نظرهم رمزا لمعاني سامية ومبادئ عظيمة^١ ، ولم ينس الشعراء المسلمون هؤلاء الأمراء والعملاء فهجؤهم هجاء شديدا ، وفضحوا أفعالهم أمام شعوبهم ، وطلبوا منهم الكف عما كانوا فيه ، والعودة إلى حظيرة الإسلام . وقد ارتكب رجال السياسة الأفغانية المنافقين جرما في حق بلادهم لا يغتفر فما ذنب نساء المسلمين وأطفالهم الذين ذبحوا على أيديهم بأيدي الروس بممالة هؤلاء الروس فوصفهم الشعراء في أبيات تهكمية ووصفوا ضعفهم ورغبتهم في السلام الزائف مع الروس ، وصفوا هذه الأفعال بأنها مخزية ، ولاحظنا أن هذا النوع من الشعر كان قليلا جدا بالنسبة لما يجب أن يكون عليه نظرا لكثرة المنافقين والمتقاعسين عن الجهاد ولا سيما في بداية الحرب . (وبهذا يتضح لنا أن الميول السياسية كانت سببا في تشكيل التكتلات الحزبية التي أدت إلى نشوب المعارك في الإسلام ، وأدى هذا إلى ظهور نمط جديد من الشعر ألا وهو الشعر السياسي)^٢ ، ولذلك كان من العسير على الشعراء أن يوجهوا سهام هجائهم إلى المتقاعسين وهم كثير ، بل كان بعض الشعراء أنفسهم تتنازعهم الأهواء السياسية ، والعلاقات الشخصية بهذا الأمر أو ذاك مما صرفهم عن مقالة الحق في هجاء المتخاذلين . ولكن بعد برهة أصبح المتخاذلون عرضة للهجاء والتهكم وما لبث روح الجهاد أن أذكت الحماسة في القلوب فطوى أمراء المسلمين أهواءهم الشخصية في سبيل نصرة الدين إلا من قلة أبت إلا المخالفة ، ومع تضاول عدد المخالفين المتخاذلين لم نجد شعرا كثيرا في الهجاء .

^١ عبد القادر ، حامد : دراسات في علم النفس الأدبي ، ص ٥٨

^٢ راجع د. الهادي ، صلاح الدين : في تأثير الميول السياسي في ظهور الشعر السياسي : اتجاهات الشعر في العصر الأموي ، ص ٢٥٥

الآبيات التي نحن في ذكرها مشحونة بالحقد على أزام الشيوعية ، سواء الروس منهم والأفغان ، فالشاعر يذم كارمل ، الذي جاء بجيش الإلحاد يستبيح الحرمات ، بأنه جبان ، ولم يقل إن في قلب كارمل هذا حقدا على أمة الإسلام فحسب ، إنما قلبه (مملوء) بالأحقاد ، وذلك مبالغة في حقه ، فهو (حقير) و (عميل) للروس ، (فتبأله) ، وإليه (خائن) ، وإليه (منقاد) ، أما سادته الروس فهم (لثام وجبناء) فحين برز المجاهدون إلى ساحات الوغى ، وجدنا الروس (يذعرون) ، وهل يذعر في ساحات النضال غير الجبناء !! ، إنهم أرذال و (أوغاد) حقى دينون !

فيقول الشاعر محمد الصابوني من قصيدة " الحرب دائرة الرحي " :

وَفُؤَادُهُ الْمَمْلُوءُ بِالْأَحْقَادِ	ذَاكَ ((كَارْمِيلُ)) الْجَبَانُ الْعَادِي
تَبَّأَ لَهُ مِنْ خَائِنٍ مُنْقَادِ	يَرْضَى الْحَقِيرُ بَأَن يَكُونَ عَمِيلُهُمْ
ذُعِرَ اللَّثَامُ لَصِيحَةِ الْأُمَجَادِ	لَمَّا عَلَا فِي الْأُفُقِ صَوْتُ مُجَاهِدِ
وَعَقِيدَةُ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ	هَبَ الشَّبَابُ مُدَافِعًا عَنْ دِينِهِ
لِلظَّالِمِينَ وَطُغْمَةِ الْإِلْحَادِ	لَمْ يَضَعُفُوا أَوْ يَسْتَكِينُوا لِلْعَادَا
طَلَعُوا بِكُلِّ نِيَّةٍ وَنَجَادِ	أَرَأَيْتَ أَصْحَابَ النَّبِيِّ " مُحَمَّدٌ "
لَيْسَتْ مِنْهُمْ غَيْرُ الْإِسْتِشْهَادِ	وَلَكَمْ تَمَنَّوْا أَنْ يَنَالُوا جَنَّةَ
صَرَغَى فَيَا لِحُثَالَةِ الْأَوْغَادِ !	فَإِذَا عَدُوَّهُمْ عَلَى أَقْدَامِهِمْ

ويناشد شاعرنا الأمة الإسلامية لتعضد الدولة الأفغانية ، فإذا كان العزاة يقاتلون ، فالأحرى بأمة الإسلام أن تهب وتثار ، وتقف كالطود ، والشاعر يشير في رجالات الأمة مشاعرهم ، ويهز عواطفهم ، ويحرك أحاسيسهم قائلا لهم (أيسركم أن تستباح نساؤكم ؟؟) ومن تستباح !! (من حفنة العملاء والإفساد) ويحثهم ليثوروا ، لا ثورة عvisية أو قبلية ، وإنما (ثورة مؤمن) وأن يلبوا صيحة (الجهاد) وليقفوا كالأسود ، وليقاتلوا بعزة الإيمان ، ومن كان كذلك لن يقوى على إذلاله الكافرون (إن ربك لبالمرصاد) ، وواضح جيدا قلق الشاعر لعدم قيام أمة الإسلام بنجدة المجاهدين ، إذ وقوفها مكتوفة الأيدي ، والملحدون يفعلون هناك ما يفعلون ، أمر لا يقره دين ، ولا تجيزه قيم .

ويقول الشاعر سعد سعيد العوفي في قصيدة "استقبالات شولتز" :

وَهَشُّوا لَهُ إِنَّهُ الْقَاتِلُ	أَتَاكُمْ فَحَيُّوا بِهِ فِي الدِّيَارِ
وَقُولُوا لَهُ عَشْتُ يَا عَادِلُ	وَضُمُّوا فَحَامَتِهِ بَاشْتِيَاقِ
وَأَنْ ضَاقَ فِي حُبِّ الْعَادِلِ	قَدَمْتُ فَشَرَفْتُ أَسْرَاكُمْ
وَأَنْ لَأَمَّا فِيكُمْ جَاهِلُ	فَأَنْتَ الْغَرِيمُ وَأَنْتَ الْحَيِّبُ
يَقُولُ لَنَا حُبُّكُمْ فَاشِلُ	وَلَسْنَا نُبَالِي بِأَرْجَافِ مَنْ
وَقَوْلِكَ يَا سَيِّدِي الْفَاصِلُ	فَهَذَا احْتِجَاجٌ يَلِيهِ احْتِجَاجٌ
وَأَنْ أَجْهَشْتُ حَوْلَكَ الْتَاكِلُ ^١	فَلَا تَأْبَهُنَّ لِفِعْلِ الرَّعَاعِ

فقد سلك الشاعر العوفي في هذه الأبيات مسلكاً مؤثراً واعتمد لهجة ساخرة للوصول إلى قلب القارئ وبالتالي حفزه على الجهاد ودق عنق هذا الخبيث الوالغ في الدماء . فنراه يطلب من الشعب أن يستقبل القاتل بحفاوة وترحاب ويضموه باشتياق منادين (عشت أيها العادل) فأنت الحبيب وليس للائم في حبك نصيب عندنا ولا تلق بالآل لما يفعل الرعاع ولا تلتفت لبكاء باكينة على زوجها أو ابنها الذي قتله . ولتكن حشرجات الشعوب أنغاما عذبة يلذ لك سماعها وليكن دمها المراق منظراً شهياً لعينك التي ترتشفنا بسهام الحبة ولا عليك فأنت كما يقول الشاعر : جرح الأحبة عندي غير ذي ألم . فلسطين نصيب اليهود وأفغانستان نصيب الروس . فلا تخش أيها القاتل الظالم صيحات الجهاد . ونحن إذا تأملنا هذه المعاني فإننا ندرك بسهولة ويسر غرض الشاعر منها المتمثل في فضح جرائم الغزاة من يهود وروس وغيرهم وتحريض الأمة على الجهاد وفتح أبصارها لما يدور حولها وما يحاك ضدها من مكائد . ولا يخفى ما للأسلوب الساخر المتكلم من أثر بالغ في جذب السامع وتشويقه وحفزه على الثورة إذا كان هو المعني بالأمر والمتلقي للظلم .

ويقول الشاعر إسماعيل أبو العزائم في قصيدة "من وحي أفغانستان" :

أَرَى دَارَ السَّلَامِ بِأَلَا سَلَامٍ	بِهَا دَبَّ يَعِثُ بِكُلِّ رُكْنٍ
أَتَى كَابُولَ فَاسْتَعَصَى بَنُوها	وَرَا حَ يَجُوسُ فِي خَبَثٍ وَمَيْنٍ
وَبَثَّ بِكُلِّ نَاحِيَةٍ عُيُوناً	تَكِيدُ الْكِيدَ أَوْ تَسْعَى بِضَغْنٍ

^١ مجلة المجتمع الكويتية ، العدد ٦٢٧ ، يونيو ١٩٨٣ م ، ص ٤٤

فَفَرَّقَ اخْوَةَ كَانُوا جَمِيعاً وَأَسْرَفَ فِي الْمَكِيدَةِ وَالتَّجَنِّي
وَصَارَ عَمِيلُهُ فِي كُلِّ رُكْنٍ يُقَرِّبُ كُلَّ خَوَانٍ وَيُدْنِي^١

وهكذا يجلو الشاعر حقيقة ما يجري في أفغانستان وما يدور على أرضها من تخريب وقتل وتفريق بين الشعب الواحد باتخاذ العملاء وتقريب الخونة من ضعاف النفوس عديمي الإيمان . مزهوا بالشباب المجاهدين الذين يبيعون نفوسهم لله .

ويقول د. العوفي في قصيدة "استقبالات شولتز :

أَغْنَا بِقُبْلَةٍ لِلسَّلَامِ بِهَا دُنَا مُطَبَّقٌ شَامِلُ
سَلَامُ الْخِرَافِ وَجَزَارُهَا تَمُوتُ تَبَاعًا وَتُسْتَأْصَلُ
تَقْدَمُ فَمَا نَحْنُ مِنْ فَيْتَنَامِ وَعَرَبُذُ فَمَا هَهُنَا كَأَبُولُ
وَأَهْلًا وَسَهْلًا رَعَاكَ الْمَسِيحُ لَكَ الْبَرُّ وَالْبَحْرُ وَالسَّاحِلُ
أَتُنَكِّرُ فِينَا الْعُقُولَ النَّظَافَ وَأَنْتَ لِإِسْخَاطِنَا الْفَاعِلُ^٢

وهكذا يتابع الشاعر العوفي سخريته اللاذعة مبينا أن السلام الذي يدعيه العدو ما هو إلا استسلام وذل كبير مذكرا بما لقيه العدو من مهانة وخزي على أيدي الثوارين في فيتنام والمجاهدين في أفغانستان ميرزا تساؤلا خطيرا : ألسنا نحن العرب المسلمين أولى بالجهاد في فلسطين كما فعل أولئك في أوطانهم .

ويقول الشاعر سعد العوفي في قصيدة "هلاك طاغية " :

مُشْعَلُ الدُّيَا ضَرَامًا كُلُّهَا كَيْفَ أُمِسَتْ ذَاتُكَ الْيَوْمَ ضَرَامًا
صُرْتَ لِلدَّيْدَانِ طُعْمًا سَائِغًا مَانِحَ الْأَفْغَانِ لِلنَّارِ طَعَامًا
قَدْ وَجَدْتَ الْيَوْمَ مَا قَدَّمْتَهُ سُبَّةٌ لَا تَنْتَهِي حَتَّى تُقَامَا^٣ !..

^١ مجلة الأمة ، العدد ٢٤ ، أكتوبر ١٩٨٢ م ، ص ٥٤

^٢ مجلة المجتمع الكويتية ، العدد ٦٢٧ ، يونيو ١٩٨٣ م ، ص ٣٤

^٣ من ديوان ملاحم الشرف ، ص ١٥١ - ١٥٥

عاش الشاعر مع قلمه فيستشعر مدى العذاب الذي أذاقه برجيئيف وزبانيتة للشعوب
الوديعا وكيف حولوا الشباب إلى شيبان قد أحاطت بهم أنواع السقم ثم يمثل لنا كيف أصبح
اليوم بعد أن أكلته الديدان وأصبح ذميما وكيف ينال السباب من الناس في كل لحظة . ثم نراه
معجب من ضخامة تلك الحرب وشراستها . ألم يتساءلوا علام القتل والتخريب والبغي وفيما
يطيع أوامر ملوكهم وهم الضحية والغرم في حرب شعواء تديرها نزوات عابرة .

ويقول الشاعر إبراهيم مدالج في قصيدة " ما الخطب يا أمتي " :

مَا الْخَطْبُ يَا أُمِّي مَا بَالُ خَاطِرُنَا	مُحَلِّوْلُكَ اللَّيْلُ !! لَا قَمَرٌ وَلَا نَجْمٌ ؟
مَا بَالُنَا ضَاعَ مِنَّا الدَّرْبُ .. وَانْتَعَلَتْ	خَطَوَاتُنَا الشُّوْكَ وَالرَّمْضَاءُ وَهِيَ حَمُو ؟
وَاعْبَرَّ وَجْهَ الرُّؤْيَى أَمَامَ أَعْيُنِنَا	أَشَاحَ عَنَّا وَفِي شُحُوبِهِ السَّأَمُ ؟
وَاسْتَأْسَدَتْ حَوْلَنَا أَوْ هِيَ تَعَالِبُهَا	وَاسْتَنْسَرَ الْبُومُ وَالْبَغَاثُ وَالرَّخِمُ ؟
وَهَانَ أَمْرُكَ بَيْنَ النَّاسِ وَاتَّسَعَتْ	فِيكَ الْجِرَاحُ وَضَاقَ السَّهْلُ وَالْأَكْمُ ؟
مِلءُ الْبَسِيطَةِ أَنْثَاتٌ وَوَلَوَلَا	وَمَلَأُهَا لَكَ مَنْ أَزْرَى بِهِ الْأَلْمُ ؟
وَأَنْتِ أَنْتِ كَمَنْ يَمُوتُ مِنْ عَطَشٍ	وَالْمَاءُ فِي كَفِّهِ وَلَيْسَ ثَمَّ قَمٌ ؟
إِنِّي وَقَفْتُ مَعَ التَّارِيخِ أَسْأَلُهُ	مَاذَا سَيَكْتُبُ عَنْ جِيلِي وَمَا يَسِمُ
فَاطْرَقَتْ أَحْرَفُ عَنَّتْ لِنَالِدَةٍ	مِنَ الْمَآثِرِ تَرْوِيهَا بِكُلِّ سَمُو
وَأَجْهَشْتُ أَحْرَفُ تَذُوبٌ مِنْ كَمَدٍ	رَهْنِ الْمَآثِمِ !! لَا رَهْنَ الْأَلَى أَثْمُوا
مَاذَا سَتَكْتُبُ ؟ وَالْجِرَاحُ رَاعِفَةٌ	وَالْهَمُّ يَنْدَاحُ فِي آهَاتِهِ الشَّيْبُ
وَالْفَجْرُ لَمَّا يَزَلْ تَلْوِي أَعْتَنَهُ	سُودُ النُّوَابِ فِي لَأْوَانِهَا الْخَطْمُ

هذه هي حال المسلمين اليوم : ضائعون تائهون في شعار ملتوية مخوفة بالمهالك ،
عاجزون عن تحديد مسار صحيح ، قلقون يائسون ، يتخطفهم من كل جانب . ويحيط بهم الذل
والمهانة إحاطة السوار بالمعصم ، وهم ما بين سجين يسومهم الجلاد أبشع ألوان العذاب أو طليق
مطاطى رأسه ذلا وانكسارا ولعلنا ندرك غرض الشاعر من هذا الوصف إنه التحريض والإثارة
والنهوض من السبات لدفع الظلم ومعاقبة الظالمين .

ويقول الشاعر محمد عبد الغني حسن في قصيدة " من هؤلاء الصامتون ":

مَنْ هَؤُلَاءِ الْمَائِمُونَ كَأَنَّمَا	لَمْ يَهْدِهِمْ نَهْجُ الْكِتَابِ الْمُحْكَمِ
يَبْدُو الْعِيَاءُ مِنَ اللَّيَالِي فَوْقَهُمْ	وَيُرَى الْغُبَارُ مِنَ السِّنِينَ عَلَيْهِمْ
فَكَأَنَّهُمْ أَنْضَاءُ رَكَبٍ لَمْ يَبْنِ	لِلوَاخَةِ الْخَضِرَاءِ فِيهِمْ مَعْلَمُ
تَتَخَبَّطُ الْأَحْدَاثُ بَيْنَ صُفُوفِهِمْ	وَتَمُوجُ بِالْخَطْبِ الْجَسِيمِ وَتَفْعَمُ
أَعْيَاهُمْ خَبَبُ الطَّرِيقِ فَوْقَهُمْ	وَأَخَافُهُمْ فَرْعُ الطَّرِيقِ فَأَحْجَمُوا
مَا بَالُهُمْ لَمْ يُجَدِّ فِي أَسْقَامِهِمْ	طَبٌّ وَلَمْ يَنْفَعْ لَدَيْهِمْ مَرْهَمُ
عَجَباً أَتَبَرَأَ عَلَّةٌ فِي أُمَّةٍ	وَيَصِحُّ جِسْمُ وَالطَّيِّبُ الْمُسْقَمُ ^١

فالشاعر في هذه الأبيات يصف حال المسلمين في هذا العصر غير أنه لا يكفي بوصف الداء بل يحدد السبب ألا وهو بعد المسلمين عن دينهم وتخليهم عن هدي كتابهم المحكم القرآن الكريم وبالتالي خوفهم من عناء الجهاد ومشقته وتمسكهم بالحياة على الرغم مما يلاقونه فيها من الذل والمهانة .

ويقول الشاعر محمد عبد الغني حسن في قصيدة " مبادئ ومبادئ ":

قُلْ لِلسِّيَاسِيِّينَ دِينٌ مُحَمَّدٌ	فِيهِ مَبَادِي حُرَّةٌ لَمْ تُنْكَلِ
تِلْكَ الْوَعُودُ الْمُسْرِفَاتُ بَعْدَكُمْ	لَا تَمْنَعُ الْإِشْكَالَ إِنْ لَمْ تُشْكَلِ
غَنَيْتُمْ بِالسَّلَامِ وَهِيَ خَدِيعَةٌ	فَالْحَرْبُ بِالْأَبْوَابِ قَيْدَ الْأَنْمَلِ
وَوَضَعْتُمُ الْمِيثَاقَ فَوْقَ مُحِيطِكُمْ	وَرَمَيْتُمُوهُ بِمَائِهِ الْمُتَجَوَّلِ ^٢

فالإسلام هو دين المبادئ السامية الحرة وهو المنهل العذب لكل سياسي يريد خير الناس ونفعهم والارتقاء بهم إلى المجد والبعد عن مواطن الزلل والخطأ . وليس المبادئ والأنظمة الوضيعة التي يستنها البشر .

لقد أهانوا العدل واستباحوا الأموال وخانوا المواثيق فلا خير يرجى على أيديهم .

^١ مجلة الرسالة ، العدد ٨٠٩ ، أبريل ١٩٩٣ م ، ص ٢٥

^٢ المرجع السابق ، العدد ٧٥٧ ، مايو ١٩٩٢ م ، ص ٤٤

ويقول الشاعر أبو الحسن المصري في قصيدة "الجهاد المنصور":

هَذَا زَعِيمُ الْكُفْرِ (بُوشٌ) يَمْتَطِي	صَهْوُ التَّأْمُرِ خَلْفَ كُلِّ سِتَارٍ
أَمَّا الْيَهُودُ فَإِنَّهُمْ قَدْ أَرْسَلُوا	أَعْوَانَهُمْ بِالْبُوقِ وَالْأَخْبَارِ
وَأَبْنُ النَّصَارَى (بُطْرُسٌ) فِي مَكْرِهِ	لَمْ يَكْفِهِ (سَيْفَانِ) بِالْأَشْعَارِ
فَأَتَى إِلَى هَذِي الدِّيَارِ بِنَفْسِهِ	يَعْوِي يُرِيدُ الْمَكْرَ بِالْأَبْرَارِ ^١

ويقول الشاعر في قصيدة "بنس الاسم ماركس":

فَتَشْوِيشُهُ نَجَسٌ سُكْرٌ	وَفِي عَكْسِهِ السُّكْرُ بِنَسِ الشَّرَابِ
فَكَيْفَ إِذَا شَاعَ تَشْرِيعُهُ	تَمُوتُ الْحَيَاةُ وَيَبْقَى الْعَذَابُ
وَزُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا	وَلَمْ يَبْقَ فِي الْأَرْضِ غَيْرُ الْخَرَابِ
لَقَدْ عَشْتُ فِي دَارِهِمْ فَتَرَةً	عَرَفْتُ الْجَحِيمَ بِهَا وَالذَّيَابِ
رَأَيْتُ الْبَهَائِمَ مِنْ جَوْرِهِمْ	تَعَزُّ الْحَيَاةُ بِأَرْضِ يَبَابِ
إِذَا قِيلَ خَيْرًا وَرَاءَ السَّتَارِ	فَأَصْدَقُ مِنْهُ طَنِينُ الذُّبَابِ ^٢

وفي قصيدة "هؤلاء الأبرياء" يشير د. عبد الرحمن العشماوي إلى ثلاث فئات من هؤلاء

وهم:

- (١) الوجهاء الذين لا يريدون فقد مكانتهم الاجتماعية .
- (٢) وساسة الظلم الذين يريدون الحفاظ على كراسيهم بأي ثمن .
- (٣) والأغنياء الذين ييخلون بما آتاهم الله من فضله ، فيقول :

هؤلاء الأبرياء

يَمْضُغُونَ الْخَوْفَ وَالْجُوعَ

لِيَحْيَا الْوُجْهَاءُ

وَلِيَحْيَا سَاسَةُ الظُّلْمِ

ضَحَايَا الْكِبْرِيَاءِ

^١ مجلة الجهاد ، العدد ٨٨ ، محرم ١٤١٣هـ - يوليو ١٩٩٢م ، ص ٤٠ - ٤١

^٢ مجلة المجتمع ، أكتوبر ١٩٨٣م ، ص ٣٤

غَنِّ يَا فَجَرَ لَهُمْ لَحْنَ الْعَطَاءِ
فَلَقَدْ مَلُّوا فُتَاتَ الْأَغْنِيَاءِ^١

واضح من النص تعاطف الشاعر مع الطبقة الفقيرة البائسة من أبناء شعبه ونقمته على الأغنياء الأشحاء المتزلفون الذين يمالئون ساسة الظلم .

وأعطى إشارة واضحة إلى دور الخونة والعملاء في قصيدته " على أنقاض هرات " فقال :

هذي هرات ...

فَمَنْ يَرَى ؟!

صارتُ تسيرُ القهقري

وغدتُ كرامتها تُباع وتُشترى^٢

فالخونة يبيعون الأمة ، وأعداؤها يشترون .

وفي " عندما يعزف الرصاص " هذا المعنى صريح فيقول :

نُشْرَى كَأَنَّا فِي الْمَحَافِلِ سَلْعَةٌ	وَنُبَاعُ ، كَيْ يَتَمَتَّعَ الْأَسْيَادُ
أَنَّى اتَّجَهْنَا يَا ابْنِي ظَهَرْتَ لَنَا	إِحْنٌ يُحَرِّكُ جَمْرَهَا الْحُسَّادُ
أَوْ مَا تَرَى مِنْ فَوْقِ كُلِّ ثَنِيَّةٍ	صَنَمًا ، يُزِيدُ غُرُورَهُ الْعَبَّادُ
أَرَأَيْتَ أَظْلَمَ يَا ابْنِي مِنْ صَاحِبِ	تَخْتَالُ فِي أَعْمَاقِهِ الْأَحْقَادُ
يَسْعَى لِيَبْنِي بِالْخِذَاعِ حَيَاتَهُ	أَرَأَيْتَ صَرَحًا فِي الْهَوَاءِ يُشَادُ ^٣ ؟

فقد تحولت كرامة الشعب وحرية سلعة يتاجر بها العملاء الخونة حيث يسعى هؤلاء إلى

مغانم دنيوية رخيصة على حساب خيانة الوطن والدين . وتابع فضح هؤلاء الخونة بمختلف

أشكالهم الثقافية والعقدية والسياسية ، فعدد أمثلة لرموزها في التاريخ القديم والحديث .

^١ د. العشماوي ، عبدالرحمن : من ديوان عندما يعزف الرصاص ، ص ٧ - ١٥ .

^٢ المرجع نفسه .

^٣ المرجع السابق ، ص ٧ - ١٥ .

فقال :

يَا أُمَّةَ مَا زَالَ يَكْتَسِبُ نَثْرَهَا طَهَ ، وَيَرْوِي شَعْرَهَا حَمَادُ
وَيُرْتَبُ الحَلَّاجُ دَقْتَرَ فِكْرَهَا وَيُقِيمُ مَاتَمَ عُرْسِهَا حَدَادُ
تَرَعَى حِمَاهَا كُلُّ سَائِبَةٍ فِي تَمْزِيْقِهَا تَتَجَمَّعُ الأَضْدَادُ^١

فهو يرثي لحال هذه الأمة التي ابتليت بالخونة على مر تاريخها الطويل فضلا عن كونها ملك مباح لكل طارق ورقعة مزقتها أيدي العابثين شر ممزق . ويوضح المسلك المشين الذي يسير فيه هؤلاء فيقول :

تُصْغِي لِأُغْنِيَةِ الهَوَى فَنَهَارُهَا نَوْمٌ ثَقِيلٌ وَالْمَسَاءُ سِفَادُ^٢

تلك هي حياة أولئك الخونة أذئاب الغزاة عشق وغرام في النهار وسفاح وبغاء في الليل فما أشبههم بالبهائم السائمة .

وقال في " أشلاء أغنية حزينة " :

لُغْتَانُ جَانِرَتَانِ يَا وَلَدِي
فِي عُرْفِ الزَّمَنِ

لُغَةُ الحَيَانَةِ لِلْعَقِيدَةِ وَالْوَطَنِ .. لُغَةُ العَدَاوَةِ وَالْإِحْنِ^٣

وهنا يشنع عليهم سلوكين بغيضين خيانة الدين والوطن والعمل على بث العداوة والبغضاء بين أبناء الشعب الواحد .

وفي قصيدة " من أين أبدأ رحلتي ؟ " يكشف على لسان الطفل ستر العملاء والخونة ، فيقول :

أَتَظُنُّ أَنِّي لَا أَرَى
مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ اضْطِرَابٍ ؟
أَتَظُنُّ أَنِّي لَا أَرَى
سِجْنِي ، وَلَا تِلْكَ الرِّحَابُ

^١ من ديوان عندما يحزف الرصاص ، ٧ - ١٥

^٢ المرجع نفسه .

^٣ الم. حمة السان ، ص ٧١ - ١٠٠ .

إِنِّي لَأَسْمَعُ مَا يُقَالُ
عَلَى الْمَنَابِرِ مِنْ سَبَابٍ
إِنِّي لَأَعْرِفُ كُلَّ وَجْهِ
يَخْتَفِي خَلْفَ الْحِجَابِ^١

فأمر أولئك الخونة مكشوف ودورهم في زيادة حجم المأساة وعبء المعاناة واضح لا يخفى على أحد .

الإشادة بالمجاهدين الأفغان منهم والمسلمين عموماً والقيادة الأفغانية خاصة :
وهو غرض رئيسي من أغراض الشعر الذي تحدث عن الصراع البطولي للشعب الأفغاني المسلم وهو يواجه أعتى القوى الكافرة في العالم والمدججة بأحدث أنواع السلاح العصري المتطور . بينما كان الشعب الأفغاني أعزل لا يملك إلا إرادة الإيمان الجبارة . وعلى الرغم من ذلك فإن في قصة صراعه تلك قصة حافلة بالبطولات الرائعة والتضحيات النادرة وقد أثارت هذه البطولات وتلك التضحيات وجدان الشاعر المسلم وهزت لديه مشاعر الاعتزاز والفخر بذلك الشعب المجاهد البطل هذا عنيفا وأعادت إلى الذاكرة البطولات الخوالي لسلرغيل المؤمن الأول . وقد تقاطر الشعراء يشيدون بالمجاهدين الأفغان أيما إشادة ويشنون على إبانهم أيما ثناء ويتغنون طويلاً بجهادهم الرائع وملء نفوسهم فخر وتقدير وإعجاب بأبطاله الأفاضل . حتى تضاعل عندهم وهم يذكرون روائع الملاحم الأفغانية كل ما سجله التاريخ من بطولات عربية وملاحم أغريقية قديمة وصارت في نظرهم لا شيء أمام عظمة الجهاد الأفغاني وعلو همة أبطاله .
فيقول الشاعر د. جابر قميحة في قصيدة " أبطال الجهاد الأفغاني " :

لَا تَذْكُرَنَّ فَيَالِقًا مِّنْ تَغْلِبَ	وَفَوَارِسًا مِّنْ عَبَسَ أَوْ ذُبْيَانَ
دَعْ عَنْكَ هُومِيرَا وَدَعْ طِرْوَادَةَ	وَخَوَارِقَ الْيُونَانِ وَالرُّومَانَ
وَانْظُرْ ، سَيُنْسِيكَ الْمَلَا حِمَّ كُلِّهَا	أُسْطُورَةٌ تُدْعَى الْفَتَى الْأَفْغَانِي
صَنَعَ الْبُطُولَةَ - وَالْبُطُولَةُ هُمُهُ	بِعَزِيمَةِ عُمَرِيَّةِ الْإِيْقَانِ ^٢

فهو يزدري بطولات ما قبل الإسلام عند العرب (حرب داحس والغبراء ، بين عبس وذبيان ، وبملاحم اليونان هوميروس في حرب طروادة (الإلياذة الأودية) وبالملاحمة اليونانية

^١ من ديوان عندما يعزف الرصاص ، ص ١٠١

^٢ من ديوان لجهاد الأفغان أغني ، ص ٣٠-٣٦

(الإلياذة) لفرجيل ، هذه الملاحم وخصوصا غير العربية التي تقوم على الأسطورة التي يلعب الخيال فيها دورا كبيرا بعيدا عن حقائق الواقع . أما ملحمة الجهاد الأفغاني فهي حقيقة واقعة ، وبطلها الفتى الأفغاني يخوضها بالإيمان الذي يشبه إيمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعزيمته في تحدي الكفر ! .

ورأى الدكتور جابر قميحة في هذا الجهاد بعثا للماضي التليد بأمجاده العظيمة فيقول :

بَعُثُوا مِنَ الْمَاضِي التَّلِيدِ شَوَامِخًا وَمَحُوا حُدُودَ الْأَرْضِ وَالْأَزْمَانِ^١

وأن وقائعهم تشبه موقعة بدر الكبرى :

فَأَعَدْتُمْ أَيَّامَ بَدْرٍ حَيَّةً فِي عِزَّةٍ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ^٢

ورمز لأبطاله برموز الجهاد في العصور الماضية من الصحابة والفاحين بعدهم فيقول :

دَعْنِي أُمْلِي نَاطِرِي مِنْ مُصْعَبٍ وَأَعِيشْ مَعْنَى الْحَقِّ فِي سَلْمَانِ^٣

ويعدد أسماء (علي والحسين وجعفر وعثمان وحزرة وأسامة والمثنى وقتيبة ومحمد بن القاسم) ثم يقول :

هَذَا هُوَ الْمَاضِي الْجَلِيلُ بِمَجْدِهِ يُحْيِيهِ إِصْرَارُ الْفَتَى الْأَفْغَانِي^٤

ويثني على كتائب المجاهدين وفيالقهم الزاحفة الشاعر جابر قميحة وينشد ويعني لها فيقول في قصيدة "لجهاد الأفغان أغني" :

لِلشَّعْبِ الصَّخْرِيِّ
سَلِيلِ الْقَاسِمِ ...
ابْنِ مُحَمَّدٍ الْمُتَنَصِّرِ ..
أَغْنِي ..

^١ من ديوان لجهاد الأفغان أغني ، ص ٣٠-٣٦ .

^٢ المرجع نفسه

^٣ المرجع نفسه

^٤ المرجع نفسه

لَكَنَّا بَحَوْلَ جَلَالِ أَبَادٍ
أَوْ كَابُولِ
تَنْقُضُ كَبْرَكَانِ عَاتٍ
أَشْدُو وَأَغْنِي
لَفَيَالِقِ ... خَاصَمَتِ النَّوْمَ
لَتَزْحَفَ فِي إِصْرَارِ نَارِي
تَصْدَحُ قِيَارَتِي ..
وَتَغْنِي ..^١

وفي قصيدة " تحقيق صحفي " للشاعر الدكتور جابر قميحة يرى هذا الجهاد معجزة في أرض الأفغان ، لأنه لم يكن أحد يتوقع أن يقاتل الأفغان جيوش الشيوعية الجرارة بهذا الإصرار ، وكان العملاء يسمونها زوبعة في فنجان ، وتمر صبية ولكن الشاعر يقول في تحقيقه :

لكن الحق يقول :
هِيَ مُعْجَزَةٌ وَلِدَتْ فِي أَرْضِ الْأَفْغَانِ
فَهُنَاكَ كَتَّابُ خَرَسَاءُ
مَنْطِقُهَا الْمَدْفَعُ وَالنَّارُ^٢

وكانت عاقبة المعجزة هزيمة الشيوعية بإذن الله على يد المستضعفين من الأفغان بفضل عمرية الإيقان وقد نال المجاهد الأفغاني كل ثناء حسن من الدكتور جابر قميحة . فوصفه بصفات جعلت منه المجاهد المثالي ، فهم أبطال معاصرون يعيدون أمجاد أبطال الإسلام في الماضي من الصحابة وقادة الفتح ، بل لا يكاد الإنسان يصدق ما يسمع فيخالهم أسطورة بعيدة عن الواقع ، ولكنهم حقيقة واقعة . فالإيمان والشجاعة أبرز صفاتهم ، وعبر الشاعر عن هاتين الصفتين بالصفة التقليدية التي كان المسلمون يوصفون بها قديما في حروبهم ويعيد العبارة نفسها في قصيدة " أبطال الجهاد الأفغاني " فيقول :

عَاشُوا النَّهَارَ فَوَارِسَاءَ مَرْهُوبَةٍ وَهُمْ بِجُوفِ اللَّيْلِ كَالرُّهْبَانِ

^١ من ديوان لجهاد الأفغان أغني ، ص ٣٠-٣٦

^٢ المرجع السابق ، ص ٣٥-٤٧

عَزَمَ حَدِيدٌ فِي لِقَاءِ عَدُوِّهِمْ تَهْتَزُّ مِنْهُ جَوَانِبُ الْمِيدَانِ
أَمَّا مُحَارِبُ التَّقَى فَمَلَأْهُمْ وَدُمُوعُهُمْ فِيهَا كَمَا الْهَتَّانِ^١

فالفروسية صفة جامعة تعني الشجاعة والنجدة والمروءة والإقدام والعزم والصبر والعفة... إلخ ، و "رهبان الليل " تعني التعب والتقوى والزهد والخشية من الله .. إلخ . وركز د . جابر قميحة على إسلامية هذا الجهاد من خلال وصف المجاهد الأفغاني بأنه مسلم ، ينتمي إلى إسلامه ، وليس (مواطناً) ينتمي إلى بلده وكما التحق بهذا الجهاد مسلمون من خارج أفغانستان ، فإن المجاهد الأفغاني كان يفكر في البلاد الأخرى وهو يتابع جهاده في أفغانستان .

يقول على لسان المجاهدين في " نشيد الزحف الأفغاني " :

فَمَا كَانَ مِثْلِي لَيْسْتُ سَلِمًا وَمَا هُنْتُ يَوْمًا أَنَا الْمُسْلِمُ^٢

وها هو الشاعر محمد ضياء الدين الصابوني يشيد بقومه واندفاعهم في ساحة الوغى نحو العدو فكان المقاتل منهم مثل السهم المنذفع من الرمية وليس في هذا من عجب فإن اللجنة هي المأوى .

طِفْلٌ يَفْجَرُ وَحْدَهُ " دَبَابَةٌ " لِلرُّوسِ يَا لَشَجَاعَةِ الْأَوْلَادِ !
يَسْتَعْذِبُ الْمَوْتَ الزُّوَامَ مُفْضَلًا كَأَسَ الْحِمَامِ وَمَيَّةَ اسْتِشْهَادِ
لَا يُفْلِحُ الْإِنْسَانُ إِلَّا مُؤْمِنًا وَمُسَانِدًا إِخْوَانَهُ بِعِتَادِ^٣

الأطفال هناك يفعلون ما عجز عن فعل مثله رجال فمألوف أن ترى (طفلاً) يفجر (دبابة) غير هياب ولا وجل ، فهو (يستعذب) الموت (الزوام) ، الموت العاجل ، في الحال ، ليلقى ربه طاهراً عزيزاً شهيداً .

^١ من ديوان لجهاد الأفغان أغني ، ص ٣٠-٣٦

^٢ المرجع السابق ، ص ٢٤-٢٧

^٣ الشاعر محمد ضياء الدين الصابوني : من قصيدة الحرب دائرة الرحي ، مجلة الأمة الإسلامية ، العدد ٧٠٠ ، يناير ١٩٨٥ م ، ص ٩٤

المؤمنون مهتدون بأنوار كتاب الله العظيم ، يفتدونه بكل شيء ، فيملؤهم عزما ، يقارعون به أعداء الله ، لا يخشون موتا ، حيث ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ ، يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾^١ . وإنما هي إحدى الحسينين ، نصر أو شهادة ، إنهم جند الله ، وجند الله دائما غالبون ، وإلا فجنة ، ونعم المصير .

ويقول أبو الحسن في قصيدته "كابل يا قلعة الإيمان لا تهني" مشيدا بمجاهديها :

إِنَّا طَلَبْنَا الْهَدَى صَبْرًا وَتَضْحِيَةً وَقَدْ كَسَتْ دَرَبَنَا اللَّهُ أَشْلَاءُ
فَإِنْ حَكَمْنَا فَرَبُّ الْعَرْشِ يَحْكُمُنَا وَشِرْعَةً مَا بِهَا زَيْغٌ وَشَحْنَاءُ^٢

خاطب شاعرنا المجاهدين الأفغان بأن عليهم الصبر ، وليشتوا على الإيمان ، وليشتوا فوق القمم وأيديهم على الزناد ، فلقد أثبتوا أنهم جديرون بالأمانة ، بما تحملوا به من إباء وبطولة ، لن يضيع الله أجرهم أبدا ، فهم حملة مشاعل ، وهم بشائر نصر ، ترعاهم عين الله التي لا تنام . ويقول الشاعر أبو الحسن المصري في قصيدة "الجهاد المنصور" يمدح زعيم الحزب الإسلامي حكمتيار :

هَبِّي رِيَّاحَ النَّصْرِ بِالْأَنْوَارِ وَلْتَسْعِدِي (كَابُولُ) وَلْتَسْتَبْشِرِي
بَطْلٌ تَجَاوَزَ أَرْبَعِينَ بِأَرْبَعِ بَطْلٌ إِذَا قَالَ الْكَلَامَ تَسَابَقَتْ
بَطْلٌ إِذَا هَبَّتْ عَوَاصِفُ بَأْسِهِ أَسَدٌ إِذَا سَمِعَ الْعَدُوَّ زَيْيرَهُ
رَجُلٌ أَحَاطَ الْمُؤْمِنِينَ بِلِينِهِ أَعْطَاهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ شَهَامَةً
الْحَسْمُ سَيْفٌ وَالْعَزِيمَةُ خَيْلُهُ وَلْتَقْدِمِي بِالصَّيْدِ وَالْأَخْرَارِ
وَلْتَفْخَرِي بِقُدُومِ (حَكْمَتِيَّارِ) بَلْ فَاقَ كُلَّ شَيْوَحِنَا بِوَقَارِ
أَفْعَالُهُ بِالْعَزْمِ وَالْإِصْرَارِ صَعَقَ الطُّغَاةُ وَأَيَّقَنُوا بِخَسَارِ
بَاءَ الْعَدُوِّ بِذَلَّةٍ وَصَفَارِ لَكِنَّهُ بَأْسٌ عَلَى الْفُجَّارِ
وَشَجَاعَةٌ فَاقَتْ عَلَى الْأَخْطَارِ وَالْحَزْمُ فِي تَنْفِيذِ كُلِّ قَرَارِ^٣

^١ سورة التوبة ، الآية رقم ١١١

^٢ مجلة الجهاد ، العدد ١٤ ، ربيع الآخر ١٤٠٦ هـ - ديسمبر ١٩٨٥ م ، ص ٤١ .

^٣ المرجع السابق ، العدد ٨٨ ، محرم ١٤١٣ هـ - يوليو ١٩٩٣ م ، ص ٤٠ - ٤١ .

كما يقول أيضا عن حكمتار :

كُنَّا نُنَاجِي رَبَّنَا أَنْ هَبْ لَنَا
كُنَّا نُنَاجِي رَبَّنَا أَنْ هَبْ لَنَا
فَأَجَابَنَا رَبُّ الْبَرِيَّةِ : هَاكُمْ
فَتَأْمَلِي يَا أُمْتِي وَاسْتَبْشِرِي

بَطْلًا يُزِيلُ رُكَامَ كُلِّ غُبَارٍ
(طَالُوت) يَجْمَعُ شَمْلَنَا بِنَهَارٍ
بَطْلًا يُزِيلُ الْكُفْرَ بِالْبَشَارِ
وَلْتَحْفَظِي حَقًّا لـ (حِكْمَتُ يَار)^١

كما يقول مادحا الشهيد عزام :

وَلْتَسْأَلِي (عَزَّام) فِي هَذَا الثَّرَى
فَلَقَدْ تَكَالَبَتِ الذَّنَابُ لِسَحْقِهِ

أَوْ فَاسْمَعِي لِشَهَادَةِ الْكُفَّارِ
بِالْقَتْلِ أَوْ بِالْمَكْرِ وَ الْأَضْرَارِ^٢

كما يقول أيضا :

فَلْتَعْلَمِ الدُّنْيَا بَأَنَا اخْوَةَ
(بُرْهَانُ) أَوْ (سَيَّافُنَا) أَوْ (خَالِصُ)
وَلْتَعْلَمِ الدُّنْيَا جَمِيعاً أَنَّنا

لَنْ نَسْتَجِيبَ لِمَكْرٍ أَيْ شِرَارٍ
هُمْ اخْوَةُ لِلْفَارِسِ الْمَغْشُورِ
نَبْغِي أَمِيرًا وَاحِدًا بِنَهَارٍ^٣

هذا النص وأمثاله يذكرنا بشعر الفتح للمجاهدين المسلمين في الأيام الخوالي فنرى الشاعر يصنع صنيع أولئك الشعراء في عرض جانب من بطولات القوم واستبسالهم في ساحات الوغى ثم يشيد بتلك البطولات ويفخر بها فخرا طويلا وقد استحقوا هذا الفخر ألا تراهم يندفعون في شوق إلى الموت في سبيل الله. ويقول الشاعر أحمد محمد الصديق في قصيدة " نشيد الجهاد الأفغاني " :

نَجُوعٌ .. وَرَبَّمَا نَعْرَى .. نَكَابِدُ مَرَّ حَرَمَانَ
وَعَدَّتْنَا ثَبَاتُ الرُّوحِ .. لَا نَرْضَى بِخُذْلَانٍ
وَمَنْذَا يَشْتَرِي الْإِلْحَادُ بَعْدَ هُدًى وَإِيمَانٍ ؟

^١ مجلة الجهاد ، العدد ١٤ ، ربيع الآخر ١٤٠٦ هـ - ، ديسمبر ١٩٨٥ م ، ص ٤١

^٢ مجلة المجتمع الكويتية ، العدد ٩٤٨ ، جماد الأول ١٤١٠ هـ ، ص ٥٣

^٣ مجلة الجهاد ، العدد ٨٨ ، محرم ١٤١٣ هـ - يوليو ١٩٩٣ م ، ص ٤٠ - ٤١

فَلَا شَرْقَ وَلَا غَرْبَ .. وَلَكِنْ نَهَجُ قُرْآنَ
فَيَا دُنْيَا اشْهَدِي بِالْحَقِّ أَنَا جُنْدُ رَحْمَنِ
وَأَنَّ اللَّهَ فِي وَجْهِ الْأَعَادِي خَيْرٌ مَغْوَانٌ^١

هنا نلمح إشادة بالصبر على المعاناة والتمسك بالنهج الإسلامي وبذ كل ما سواه .
ويقول الشاعر إسماعيل أبو العزائم في قصيدة " أفغانستان " :

يَبِيعُونَ النُّفُوسَ بِغَيْرِ مَنْ	جَمَالَ الدِّينِ ، قُمْ وَاشْهَدْ شَبَاباً
وَصَدَقَ عَزِيمَةً وَصَفَاءَ ذَهَبٍ	لَقَدْ أَوْتُوا مَعَ الْإِيمَانِ بَأْساً
دَعَاهُ خَائِنٌ فِي لَيْلٍ دَجَنٍ	تَسَلَّلَ فِي عَرِينِهِمْ لَيْسَمٌ
وَهَبُوا لِلْجِهَادِ بِغَيْرِ وَهْنٍ ^٢	فَلَمْ يُرْهِبُهُمْ مِنْهُ سِلَاحٌ

هذا هو شأن الشباب المسلم يبيع نفسه لله بغير من ويتسلح بالإيمان ويقاثل العدو الجبان
دون خوف فالجهاد سبيله لتحرير الأرض وصون الكرامة وحفظ الدين .

ويقول الشاعر الحضرمي في قصيدة " أمة المجاهدين " :

يَخُوضُونَ حَرْباً عَلَى الْكَافِرَةِ	رَجَالٌ بِكَابُولَ لَا كَالرَّجَالِ
وَهَامَاتٍ أَعْدَائِهِمْ صَاغِرَةٌ ^٣	يُمْدُونَ هَامَاتِهِمْ كَالْجِبَالِ

ما أعظم همتهم يقاثلون الملحدون مرفوعي الرؤوس دون خوف . ويقول الحضرمي في
قصيدة اليتيمة والدهر:

يَجْزُونَ لَحْمَ الْوَحْشِ ، وَالْوَحْشُ يَنْبَحُ	أَرَى فِتْيَةَ الْإِسْلَامِ فَوْقَ عَدُوِّهِمْ
وَلَا خَيْلَهُمْ عِنْدَ الْكَرْبَةِ تَجْمَحُ	شَبَابٌ - بِفَضْلِ اللَّهِ - لَا يَكْرَهُ الرَّدَى
وَكَفَّتْهُمْ فِي سَاحَةِ الْحَرْبِ تَرْجَحُ ^٤	تَأَخَوْا عَلَى الْإِيمَانِ ، فَالْصَفِ وَاحِدٌ

^١ أناشيد للصحة الإسلامية شعر / أحمد محمد صديق ، ص ٥٧ - ٦١ ، مجلة الجهاد . العدد ٤٠٣ ، ذو القعدة ١٤٠٩ هـ ص ٥٣

^٢ مجلة الأمة الإسلامية ، العدد ٢٤ ، ذو الحجة ١٤٠٢ هـ ، ص ٢٩ .

^٣ مجلة البيان المخصوص ، العدد ٦ ، مايو ١٩٨٦ م ، ص ٤٣

^٤ المرجع السابق ، العدد ١١ ، يناير ١٩٨٧ م ، ص ٤٧

نرى الشاعر هنا يشيد ببطولة فتية الإسلام على طريقة الشعراء الأقدمين فهم يجعلون عدوهم طعاما للوحوش الجائعة ، وهم يحبون الموت في سبيل الله ، وقد جمعهم الإخاء الإسلامي تحت علم واحد فلهم النصر إن شاء الله تعالى .

ويقول الشاعر سعد سعيد العوفي في قصيدة "هلاك طاغية" :

أَعْمَلْتُ فِي مُهْجَةِ الْبَغْيِ الْحُسَامَا	أُمَّةٌ إِنْ هُمْ طُغْيَانٌ بِهَا
وَأَحَالَتْ عَرْشَهُ السَّامِي رُكَامَا	وَأَحَالَتْ جَيْشَهُ أَضْحُوكَةً
حِينَمَا رَامُوا اكْتِسَاحًا وَاقْتِحَامَا	سَلَّ بَنِي جُوْثُولَ عَنْ أَخْبَارِهِمْ
صَدَّ عَنْ أَغْرَاضِهِ جَيْشًا لَهَا مَا	رُبَّ وَضَّاحٍ مُحْيَا أَعْزَلَ
دُونَ أَشْبَالٍ بِهِمْ جُنَّ وَهَامَا	يَتَحَدَّى الْحُمْرَ كَاللَّيْثِ أَنْبَرَى
رَامَ حُكْمًا وَثَنَاءً أَوْ حُطَامَا	بَاعَ دُنْيَاهُ بِأَخْرَاهُ وَمَا
وَلَهُ فِي مَوْرِدِ الْحُسْنَى مَرَامَا	يَتَمَنَّى الْمَوْتَ فِي رَوْحَاتِهِ
والوهاد الخضر ، أهديكم سلاما	أَسودا حرروا أعلى الذرى
مثل ما كنتم بماضيكم عظاما !	قد وقفتكم وقفة دون الحمى
ولقد نلتكم ثوابا واحتراما ^١	وأجدتم دور تأديب العدى

فالشاعر يشيد بالأمة الإسلامية جمعاء فهي ترفض الطغيان وتدق هامة البغي ولا تخشى العدو مهما عظمت قوته ثم يخص الشعب الأفغاني بإشادته لوصله الماضي بالحاضر ببطولاته النادرة و أجاد تأديب الأعداء . فنال ثواب الله ونال احترام الأمة الإسلامية وتقديرها له .

ويقول الشاعر الدكتور عصام الحسيني في قصيدة " جنود الحق " :

حَيُّوا صَّادِدًا مِنَ الْأَفْغَانِ	حَيُّوا جُنُودَ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ
هُمْ سَجَّلُوا الْآيَاتِ فِي الْمِيدَانِ	اللَّهُ أَكْبَرُ قَوْلُهُمْ وَفَعَالُهُمْ
حَتَّى طَوَّاهُ الدَّهْرُ فِي النَّسْيَانِ	أَحْيَا جِهَادًا غَابَ عَنَّا حُقْبُهُ
ذَكَرَى الصَّحَابَةَ ... نُورُهَا قُرْآنِي	بَعَثُوا الْأَمَانِي فِي النُّفُوسِ وَجَدَّدُوا
تَسْمُو نَفُوسُ النَّاسِ بِالْإِيمَانِ	شَمِخَتْ رُؤُوسُهُمْ شُمُوخَ جِبَالِهِمْ

رَفَعُوا الْجَبَاهَ عَزِيزَةً وَضَاءَةً
بَاعُوا لِرَبِّهِمُ النُّفُوسَ رَخِيسَةً
جَعَلُوا الْجَمَاجِمَ وَالصُّدُورَ سُودَودَهُمْ
لَا تَنْشِي إِلَّا إِلَى الرَّحْمَنِ
وَأَبُوا حَيَاةَ الذُّلِّ وَالْخِذْلَانِ
فِي وَجْهِ سَيْلِ عَارِمِ الْكُفْرَانِ^١

والشاعر هنا يقف معجبا بالجهاد الأفغاني الذي أحيا جهادنا الغابر وبعث الأمان في النفوس وجدد ذكرى الصحابة الأبطال ورفع رؤوس المسلمين عاليا في سماء العزة والكرامة حيث كانت صدورهم سدا منيعا في مواجهة عاصفة الكفر والإلحاد .

أَيُّهَا الثَّائِرُونَ فِي أَفْغَانِسْتَانِ
فَوْقَ تِلْكَ الْجِبَالِ إِنِّي أَرَاكُمْ
مَا وَهَنْتُمْ عَلَى الطَّرِيقِ وَلَكِنْ
أَجْرُكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ لَا تَخَافُوا
أَنْتُمْ الْمَجْدُ وَالْبُطُولَاتُ تَزْهَوُ
أَيَّدَ اللَّهُ سَعْيَكُمْ وَاصْطَفَاكُمْ
صَبْرًا عَلَى طَرِيقِ الْكِفَاحِ
وَالْأَيَادِي تَشُدُّ حَوْلَ السَّلَاحِ
تَنْشُرُونَ الْأَبْطَالَ فِي كُلِّ سَاحِ
وَلَكِنْ وَارِفُ الْجِنَانِ الْفِسَاحِ
أَنْتُمْ النُّورُ وَانْبِلَاجُ الصَّبَاحِ
لِلْمَعَالِي وَالصِّدْقِ وَالْإِصْلَاحِ^٢

ثم ينتقل الشاعر للحديث إلى المسلمين ، حاثا إياهم ليتدربوا بالقوة بعد الإيمان الحق ، فهي خير (من بيان وخطبة واقترح ا) شريطة أن تأتي القوة من (فتى مؤمن) ، الإيمان أولا ، ثم الإعداد ، وبعدها طلب النصر من الله سبحانه ، فالمؤمن القوي خير ، وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وخير من يستأجر (القوي الأمين) كما جاء في القرآن الكريم ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وهبت الأمة هبة رجل واحد ، ترد كيد الأعداء ، حتى الأطفال هناك قاتلوا ، وكانما هم متمرسون بفنون القتال ، وكذلك الشيوخ ، صبا نيرانهم على أعداء الله ، وتجلى الإيمان بأجلى مظاهره ، وأوضح صوره ، لم يعبؤوا هناك ببرد ولا بجوع ،

^١ مجلة الشبان المرصوص ، العدد ١١ - يناير ١٩٨٧ م ، ص ٤٧

^٢ الشاعر محمد راجح الأرطس : من فصيحة جهاد الأفغان ، مجلة المجتمع ، العدد ٥٤٤ . سبتمبر ١٩٨١ م ، ص ٤٠

ويقول الشاعر عبد الله بن سليم الرشيد في إحدى قصائده " بلا عنوان " :

وَالْحَقُّ ، وَهُوَ الْمَاجِدُ الْمَغْوَارُ	حَرَّانُ ، فِي جَنْبِهِ يَصْطَرِّعُ الْهَوَى
وَمَشَى يُبَارِكُ سَيْرُهُ الْقَهَّارُ	لَكُنْهُ أَهْوَى عَلَى أَهْوَائِهِ
وَمَضَى يُتَرْجَمُ فَعَلَهُ الْبَتَّارُ	هَجَرَ الدِّيَارَ لِرَبِّهِ وَلِدِينِهِ
بِالْمَوْتِ ، فَهُوَ الْمَوْرَدُ الْمُخْتَارُ	مَسْكُ دِمَاؤُكَ يَا شَهِيدَ فَمَرْحَبًا
وَمُؤِيدًا إِنْ قُلْتَ الْأَنْصَارُ ^١	سِرِّ لَا تَهَبْ ، فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا

فالشاعر هنا يشيد بالبطولة الفردية ويثني على الشهيد الذي نبذ أهواءه وراء ظهره واندفع في طريق الجهاد مدافعا عن الحق متسلحا بالإيمان مرحبا بالموت في سبيل الله .

عزلاء يا أفغان إلا جنة	من هدي أحمد عمرتها صدور
ذخر من الإيمان ليس بخاذل	عند الشدائد مؤنة ونفير
فإذا بلاء القوم أذهل غازيا	وإذا هدير قد علاه هدير
ضربات موجعة بكل مدينة	جعلت رؤوس الظالمين تدور
ظن الطغاة بأن صيدا هينا	قد أدركته ذئابهم ونمور
فإذا الحمام كمان ومراصد	وإذا تراها للعدو قبور ^٢

كما أجاد الشاعر في إبراز جانب الإعجاب بالمجاهدين ، ذلك أنهم (زخروا بالإيمان ا) و (أذهلوا ا) الغزاة ، أما ضرباتهم فكانت موجعة و (جعلت رؤوس الظالمين تدور ا) فإذا بأفغانستان تصبح قبورا للغزاة . وشعب الأفغان أعزل من كل شيء ، إلا من الإيمان ، الذي صمد ، ونفع ، وكفى ، بل جاء منه ما أذهل الغزاة ، وأفقدتهم صوابهم وأعصابهم ، لقد ضرب شعب الأفغان - بفضل الإيمان - الغزاة ضربات موجعة ، فلقد وجدوها مقبرة للغزاة والطواغيت .

^١ مجلة الجهاد ، العدد ٢٣ ، والفصيحة بدون عنوان ، نوفمبر ١٩٨٦ م ، ص ٦٥

^٢ الشاعر علي شحاتة محمد : من قصيدة أفغانستان ، مجلة المجتمع ، العدد ٧٠٠ ، ربيع الآخر ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م ، ألفت بمناسبة أسبوع

ويقول الشاعر عبد المنعم الهاشمي في قصيدة "إلى جنود الثورة" الإسلامية الأفغانية:

أَكَلْتُمْ وَرَقَ الْأَشْجَارِ أَبِيَّةً	نَفُوسُكُمْ أَنْ تَرَى كُفْرًا وَطُغْيَانًا
جَاهَدْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ طَائِفَةً	تَأْتِي عَلَى النَّاسِ إِسْلَامًا وَإِيمَانًا
تُرِيدُ مَسْخَهُمْ دُنْيَا وَآخِرَةً	كُفْرًا وَذُلًّا وَيَوْمَ الدِّينِ نِيرَانًا
نِيرَانُ دُنْيَا وَلَا نِيرَانُ آخِرَةٍ	إِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَاخْتَارُوا الَّذِي هَانَا
لَكِنَّهُ الْآنَ يَلْقَى مَنْ يُحَارِبُكُمْ	كَلَّتِيهِمَا ، فَيَذُوقَ الْخُسْرَ أَلْوَانَا
وَقَدْ تَنَالُونَ دُنْيَا بَعْدَ نَصْرَتِكُمْ	عَلَيْهِمْ ثُمَّ يَوْمَ الدِّينِ رِضْوَانَا
وَمَنْ يَمُتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَحْيَى وَمَنْ	يَظْمُ فِي اللَّهِ يَلْقَ اللَّهُ رِيَانًا ^١

الآيات السابقة ربطت جهاد الأفغان اليوم بجهاد المسلمين في الماضي فقد أَرْضَى المجاهد

الأفغاني البطل رغباتنا في رؤية ذاك الجهاد المشرف لأجدادنا وجدد ذكره في عقولنا . وتصور لنا

الآيات الآتية غاية أمني المجاهدين :

أُسَدُّ رِجَالٍ تَبَارَوْا ، جَلَّ مَطْمَحُهُمْ	صَدَقُ الشَّهَادَةِ أَوْ يَعْلُو لَهُمْ عَالَمٌ
جَادُوا ، وَغَايَةُ مَا فِي جُودِهِمْ وَطَنٌ	لَا تَسْأَلُ الْأَجْرَ مَا جَادَتْ بِهِ الدِّيمُ
جَازُوا الْمَحَالَّ وَكُلُّ رَاحٍ مُبْتَهَلًا	اللَّهُ أَكْبَرُ مَا كَرُّوا وَمَا هَجَمُوا
كَانَتْ مَنَى النَّفْسِ أَنْ يَلْقَوْا عَدُوَّهُمْ	وَيُشْخِنُوهُ جِرَاحًا كُلَّمَا التَّحَمُّوا
فَلَقَّنُوهُ دُرُوسًا بَاتَ يَفْهَمُهَا	كَيْفَ الْحَقُوقُ تُصَانُ وَكَيْفَ تُحْتَرَمُ
وَيَعْجَزُ الْوَصْفُ عَنْ تَبْيَانِ مَا فَعَلُوا	وَيَعْجَزُ الشَّعْرُ وَالْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ ^٢

لقد أراد المجاهدون إحدى الحسنين ، نصرا أو شهادة ، وجادوا بأعلى ما يملكون ،

فحققوا الأحلام ، معتمدين على ربهم سبحانه ، حتى أصبح لقاؤهم مع عدو الله أمني لهم ،

ليعطوه درسا تلو درس ، وأصبح ما فعلوه يعجز المرء أن يصفه . ولكن أعداء الله حقدتهم

عظيم . فما موقف الأفغان من هذا الزحف الأحمر البغيض؟؟!!

لقد هبوا هبة رجل واحد ، متصدين للغزاة بكل ما يملكون ، هبوا للجهاد ، للصراع ، للقتال ، لم يذل الشعب ، تسليح سلاح الإيمان الذي لا يقهر ، أذاق المحتلين الزاحفين الهوان ، لقد ذهل العدو لما رأى ، تبين له . إن حساباته لم تكن أمينة أو سليمة ، لقد وجد ما لم يكن يظن أو يخمن ، رأى غضبة الإيمان بأم عينيه ، يصفع المجرمين ، ويعريهم ، ويكشف زيفهم ، مظهرًا للعالم كله ، أن الروس ملة كذب ، وافتراء ، وخداع ، وأن الشيوعي كان ، وما زال ، وسيبقى إفك أفك . إنه التدرع بالدين ، إنه الاتجاه إلى الله ، إنه الاعتماد على خالق أفغانستان وروسيا وكل شيء ، الدين الذي أذهب قوة الروس ، وأهلك جيوشهم وأبادها ، وجعل أطماعهم تتلاشى ، وأحلامهم تنكشف وتزول ، لقد جعل الدين الشيوعيين يحسون بالإغواء واللغوب ، فأحرق حقدهم الأخضر واليابس ، فجوعوا الناس ، بحرق محاصيلهم وأشجارهم ، وتدمير بيوتهم ، حتى ما شيتهم لم تسلم من الأحقاد ، قتلوها ، كل ذلك لم ينل من عزائم الرجال ، مما جعل الغازين يولون الأدبار ، أمام الضربات ، ويدوقون الحزن والغم ، ويعانون نذالة ما عالى مثلها عبيد ، لقد بدا الشيوعي ضعيف عقل ، غافلا ، أبله ، لقد ظنوا أن اجتياح أفغانستان سيكون رحلة ممتعة ! كما وجدوا في المجر أو تشيكوسلوفاكيا ، وحين وجدوا غير ذلك ذهلوا ، أحسوا بنقص في التفكير ، فأدرك الشيوعي عندها أنه مأفون أفين ، كبرت فيهم البطون ، وقلت العقول ، وصدق القائل (البطنة تأفن الفطنة) ، أفغانستان ليست كبودابست أو براغ ، هناك خنوع ، وهنا صلابة إيمان ، هناك ظلام ، وهنا نور يقين ، وضياء عقيدة ، هنا يظهر الدين ، ويظهر أثره وعمله ، الدين ليس منوما أو مخدرا ، الدين ليس أفيونا كما يشيع عشاق الخوض في أخبار السوء

الله أكبر رَغَمَ الثلجِ والمطرِ	هبوا سِراعاً لدفعِ الكفرِ والضررِ
ثَارُوا على الشرِّ ما خافُوا مَلاحِدَةً	إِذْ جاءَهُمْ غَازِيًا في البَرِّ والبحرِ
في الجَوِّ سَيرَ جِسراً من سَفائِهِ	والهَادرَاتُ بعمقِ البَدْوِ والحضرِ
عاثُوا فساداً وَصَبُّوا مِنْ قَنابِلِهِمْ	ناراً تَحرقُ أبراراً بلا وَزَرِ
أهلَ الشَّهامةِ يا أَفغانُ لا تَهِنُوا	وَلتَعلُنوها على اسْمِ اللهِ كالشَّرِّ
ضمُّوا الصَّفوفَ وعَيْنُ اللهِ تَرمقُكمُ	لا ترهبُنْ لِقاءَ الحَاقِدِ الأشرِ

بالسيف ، بالنار ، بالبارود أسلحة
فالمؤمنون بساح الحرب عدتتهم
بالصدر يملؤهُ الإيمان بالسور
تقوى الإله ، وذاك السر في الظفر^١

شاعرنا كمال الوحيد يهيب بأصحاب النخوة الأفغان ألا يهنوا ، وأن يدمروا كيـان
الإلحاد ، دعاهم أن يوحدوا الصفوف ، وأن يعتصموا بحبل الله المتين ، وألا يخافوا مقارعة عدو
بطر مستكبر كذاب ، فصدور المجاهدين يعمرها الإيمان والقرآن ، إلى جانب السيوف ، وهذا
يكفي لتلقي أعداء الله درساً لا ينسى ، وهل ينصر المؤمنين غير تقوى الله ؟؟ نعم ، هاهي
تبشير عودتنا إلى النبع بدت في أفغانستان ، فصدى (الله أكبر) هناك يزلزل قلوب طواغيت
الإلحاد ، لقد أعاد الأفغان أمجاد الإسلام حية هناك ، لقد عادت الكرامات ، وعاد الله بغد غياب ،
فانتصر الفئة الفقيرة الصغيرة على الفئة الكثيرة المدججة بأشد أنواع السلاح فتكا :

مختار يزحف بالرجال وقد بلوا
فروا من الواحات يلحق بعضهم
فاصبر ولا تقبل بحل يرتجى
والدب دب الشرك قد كمنت له
من كل أشرس ملتج بسلاحه
فمضى يزمر في العراء ويتقي
فاصبر ولا تيأس فقد لاح السن
عزماً تضعضع دونه استعمار
بعضاً وقد تبع الغزاة صفار
إن الخلول مع الجهاد قرار
أسد الجبال فما يفيد فرار
فالقلب صخر والعيون شرار
جر الثلوج دماؤها أنهار
نصراً : تشع على الملا أنوار^٢

لقد منحهم الله بأساً على أعدائهم وسطوة ، وقذف في قلوب أعدائهم الرعب ، فلم يعد
يفلت من بأسهم عدو ، ظن أعداؤهم أنهم مانعتهم حصونهم ، ولكن آمالهم خابت ، وبات
هتاف (الله أكبر) يقطع قلوبهم ، وغدوا في حيرة ومأزق ، فأمامهم أبطال وكأنهم الموت ذاته إن
هم تقدموا لقتال ، وخلفهم سادتهم يتوعدونهم بالسجون والنكال إن هم فروا ، إنهم أتباع
ماركس المضللون ، ظنوا أفكارهم تسعدهم ، وإذا بهم يذوقون الويل ، ما ينتظرهم عند ربهم
من عذاب .

^١ الشاعر كمال الوحيد ، من قصيدة نعمة المجاهدين ، مجلة الإصلاح ، العدد ٦٤ ، يونيو ١٩٨٣ م ، ص ١٤

^٢ الشاعر د . محمد فوزي مصطفى : من قصيدة ثوار أفغانستان ، مجلة الأمة ، العدد ٦ ، جماد الآخر ١٤٠١ هـ ، ص ٢٨

يقول الشاعر أبو الحسن في قصيدة "أفغانستان": مينا أن الحياة الحقة في الموت شهداء
وأعداء الله حياتهم تذرو بها الأيام ، ويوضح لنا أن الموت هو موت القلوب عن عبادة الله
سبحانه وتعالى ، وفي ذلك ذم للملاحدة وإثارة للمشاعر وحفز الهمم تجاه الجهاد .

أُسْدٌ جِيَاعٌ وَكَأْسُ الْمَوْتِ مَنِيَّتُهُمْ	يُجَاهِدُونَ لَهُمْ سَبَقٌ وَمَيِّدَانُ
أَكْفَانُهُمْ مِنْ دِمَاءِ الطُّهْرِ لَحْمَتُهَا	إِنَّ الشَّهَادَةَ لِلْأَبْطَالِ عَنْوَانُ
جَاءَ الْكِلَابُ كِلَابُ الرُّوسِ يَقْدُمُهُمُ	تِلْكَ الرَّعَادِيدُ خَدَامٌ وَشَيْطَانُ
الصَّامِدُونَ وَمَا لَأَنْتَ عَزِمْتُهُمْ	كَأَنَّهُمْ فِي جِهَادِ الْكُفْرِ بَنِيَانُ
مَسْعُودٌ إِنَّكَ فِي الْمَيْجَاءِ مُسْعِرُهَا	وَلِلْسَفِينَةِ عِنْدَ الْخَطْبِ رَبَّانُ
كَمْ إِخْوَةٌ لَكَ قَدْ شَدُّوا بِأَزْرَكِمِ	لَمْ يَنْتَهُمْ هُبْلٌ عَنْهَا وَأَوْثَانُ
وهذه ثورة الإسلام لاهية	يَقُودُهَا الْيَوْمَ سَيَافٌ وَبُرْهَانُ
حُبُّ الْجِهَادِ عَلَى الْأَيَّامِ شَرَعْتُهُمْ	هُمْ الْأَسْوَدُ فِي الظُّلْمَاءِ رُهْبَانُ ^١

فالشاعر يعقد مقارنة بين طائفة المؤمنين وأولئك الملاحدة الشيوعيين من حيث الحياة
والمات والهدف ليخلص إلى ذم مر وهجاء مقذع لتلك الطغمة الكافرة .

تشريد الأطفال والنساء وقتلهم :

يصف لنا الشعراء حال المشركين والملحدين وقسوتهم ، وحال المسلمين تحت وطأتهم ،
وكذلك حال المسلمين الذين تقاعسوا في بداية أمرهم وتركوا إخوانهم لقمة تحت أنياب الذئاب ،
وتركوا لهم حرية احتلال البلاد والتمثيل بأهلها ، وقد أثرت هذه الأفعال الشنيعة على الشعراء
فصوروا لنا كيفية قتل الرجال والنساء الضعفاء والأطفال دون تمييز ، وبينوا لنا أن النساء كن
يقتلن طعنا بالحرا ب ، والأطفال الرضع يختطفون بأرجلهم عن أئداء أمهاتهم ويقذف بهم من
فوق الأسوار ، وتهشم رؤوسهم بدقها بالأعمدة . وقد قال الشعراء عدة قصائد تصف الوقائع
المفجعة، تحسروا فيها على ما حل بالمسلمين ومدنهم وما أصابهم من الامتهان والازدراء .
وطالبوا المسلمين بالنهوض العاجل للجهاد . وكانت هذه القصائد معبرة عن الواقع بعيدة عن
الخيال والمبالغات والكلمات الزائفة . يقول د. عبد الرحمن العشماوي في قصيدة " هؤلاء
الأبرياء":

زُمِرُ الْأَطْفَالِ تَمْضِي

وَالنَّسَاءُ

وُلِدُوا فَوْقَ بَسَاطِ الْخَوْفِ

فِي مَهْدِ الشَّتَاءِ

هَؤُلَاءِ الْأَبْرِيَاءِ

غَرَقُوا فِي لُجَّةِ الْمَوْتِ الرَّهِيْبِ^١

أي صورة مأساوية حزينة تنطق بوحشية الأعداء وتشهد على خلوهم من أي عاطفة

إنسانية .

ويقول الشاعر مصطفى حيدر زيد الكيلاني في قصيدة "أفغانستان تفيض دما" :

حَرَقُوا الْأَطْفَالَ فَيَا رَبِّي أَطْفَالَ تُحَرِّقُ بِالنَّيِّرَانِ

هَتَكُوا الْأَعْرَاضَ فَوَيْلَهُمْ مِنْ بَطْشِ الْجَبَّارِ الدِّيَانِ^٢

وهل هناك جريمة أفظع من حرق الأطفال بالنار ، ويقول د. عدنان النحوي :

وَكَمْ هَوَى الْمُنْجَلِ الدَّامِي عَلَى بَلَدٍ	لَيْسَحَقَ الْأَرْضَ مِنْ زَرْعٍ وَمِنْ نَسَمٍ
هُنَا التَّقَى الظَّالِمَانِ اسْتَحْدَثَا عَجَباً	بَيْنَ الْكَوَالِيسِ مِنْ شَرٍّ وَمِنْ غَمَمٍ
نَزَعْتَ يَا أَرْضَ (كَابُولِ) قِنَاعَهُمَا	وَبَانَ زَيْفُهُمَا فِي وَقْدَةِ الضَّرَمِ
وَأَقْبَلَا بِزُخُوفِ الْمَوْتِ كَاسِحَةً	تَطْوِي الشَّوَاهِقَ طَيِّ الْجَارِفِ الْعَرَمِ
وَأَشْعَلَا النَّارَ مِنْ بَحْرِ إِلَى جَبَلٍ	إِلَى قِيَافِي مِنْ رَوْضٍ إِلَى أَجَمٍ

^١ الشاعر د. عبد الرحمن العشماوي : ديوان عندما يعزف الرصاص ، ص ٧- ١٥ .

^٢ مجلة المنهج الكويتية ، العدد ٧٥٧ ، أغسطس ١٩٩١م ، ص ٤٣ ، مجلة الجهاد ، جماد الأول ١٤٠٦ هـ - يناير ١٩٨٦ م ، ص ٣٠ -

كَأَنَّمَا رَاسِيَّاتُ الْأَرْضِ زَلَزَلَهَا
كَيْفَ اسْتَطَاعَ بَنُو (مُسْكُو) التَّسْلُلَ فِي
تَنَسَابٍ مِنْهَا الْأَفَاعِي وَهِيَ هَانِجَةٌ
تَنَاطَرُ النَّاسُ مِمَّا قَدْ أَلَمَ بِهِمْ
وَتَاهَتْ الْخُطْوَةُ الْخَيْرَى عَلَى سُبُلٍ

هَوْلٌ مِنَ الْمَوْتِ .. لَا هَوْلٌ مِنَ الْكَلِمِ
جُنَحٌ مِنَ اللَّيْلِ أَوْ فِي عَتَمَةِ التُّخَمِ
لَتَدْفَعُ السُّمُّ نَبْضَ الْعِرْقِ دَفْقَ دَمٍ
عَلَى الْهَوَى نَهْبَةً لِلشَّكِّ وَالتُّهَمِ
شَتَى فِي مَهْمِهِ دَاجٍ فِي بُهْمٍ^١

إن صورة القتل هذه تشير بجلاء إلى الحقد الدفين الذي يكنه المجرمون للدين الإسلامي وأبنائه . وإلا فما المسوغ لقتل المصلين في المساجد غير ذلك الحقد الأعمى .
ويقول الشاعر أحمد الأميري في قصيدة "حداد القوافي" :

وَجَبَالَ أَفْغَانَ الْجِهَادَ تَلَطَّخْتُ
مَنْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ حُرًّا جِهَادَهُ
مَنْ أَسْرَجَتْ شَهَوَاتُهُ صَهَوَاتِهِ
وَالْبُوسَنَةُ الْحُمُرَاءُ أَنْهَارٌ عَلَى
شُهَدَائِهَا زَرَعُوا الْبَطَاحَ بِطُولَةٍ
تَرْجُو مِنَ الْإِفْرِجِ إِنْصَافًا وَهَلْ
إِنِّي لِأَعْذُرُهُمْ عَلَى خِذْلَانِهِمْ

بِدِمَاءِ إِخْوَانِ الْجِهَادِ تُرَدَّدُ
يَخْدَعُهُ بَرْقُ الْحُكْمِ ، وَهُوَ مُفْنَدُ
لَا غُرُو يَغْتَالُ الصَّدِيقَ وَيَحْقُدُ
تَلَجِ الشِّتَاءِ دِمَاؤُهَا تَتَجَمَّدُ
الْمَجْدُ مَنْ لَأَنِّهَا يَتَوَقَّدُ
يَرْجُو الْأَمَانَ مِنَ الصَّلِيبِ مُوَحَّدُ ؟^٢
مَادَامَ قَوْمِي لِلْخِيَانَةِ أَيَّدُوا^٣ !!!

ويقول أبو الدرداء : في قصيدته " رسول الله لن أَرْضَى " :

طَغَى الْإِنْسَانُ فِي أَرْضِي
فَبَاتَ الْقَتْلُ شَرْعَتَهُ
حَيَاةٌ كُلُّهَا غَزْوٌ
وَتَصْنِيفٌ لِمُجْتَمَعٍ

وَهَامَ بِشَكْلِ طُغْيَانٍ
تَبَنَّى كُلُّ بُهْتَانٍ
وَتَقْتِيلٌ لِحَيَّرَانٍ
كَأَحْرَارٍ وَعَبْدَانٍ^٣

^١ من ملحمة الغرباء ، ص ٢٢-٢٩

^٢ مجلة منار الإسلام ، العدد ٨ ، شعبان ١٤٠٩ هـ - مارس ١٩٩٠ م ، ص ٩٠

^٣ مجلة الإصلاح ، العدد ٦٤ ، ص ٣٠

أرأيت كيف أصبح القتل والاعتداء سمة الإنسان في العصر الحديث ؟ .

ومن قصيدة "موكب الشهداء" للشاعر أحمد سالم باعطب :

أَمِنَ الْعَدَالَةَ أَنْ أَرَى وَطَنِي مُبَاحاً لِلطُّغَاةِ
وَأَرَى الْبَرِيَّ مُعَاقَباً ظُلْماً وَيُغْفَرُ لِلْجُنَاةِ ؟
يَا أُمَّةَ رَضَعْتَ لَبَانَ الْحَرْبِ لِلْمَوْتِ أَقْدَمِي
لَا تَرْهَبِي كَيْدَ الْعَدَا أَبَداً وَلَا تَسْتَسْلِمِي
هَبِي خُذِي بِالنَّارِ إِنَّ النَّارَ يَصْرُخُ فِي دَمِي^١

ويقول د. عبد الرحمن العشماوي في "على أنقاض مدينة هرات" :

كَمْ مَزَقُوا أَحْشَاءَ حَبْلِي

كَمْ حَطَمُوا شَيْخاً ...

وَكَمْ ضَرَبُوا بِسَيْفِ السَّمِ طِفْلاً^٢

فقد لا يقوم بهذا العمل الشنيع من في نفسه ذرة من العاطفة الإنسانية ناهيك عن

الضمير الإنساني .

ويقول د. عبد الرحمن العشماوي في قصيدة (وسام العز في وجه عائشة) : وبين لنا

الشاعر من أبياته كيف كان الروس عندما يدخلون مدينة أو قرية يمعنون في قتل كل من

صادفهم، ويقتحمون الدور وينهبونها ويحرقونها .

فُكِّمَ مِنْ طِفْلةٍ مَاتَتْ

وَكَمْ مِنْ طِفْلةٍ صَارَتْ مَشْرُدةً بِلا مَأْوَى

وَكَمْ مِنْ طِفْلةٍ

لَا تُحَسُّ الشُّكُوى^٣

عبر الشعراء عن حزنهم على هذا المصاب الجلل (قتل العلماء والصالحين) وكذلك

سحق الأطفال بقصائد تقطر أسى ولوعة .

^١ أحمد سالم باعطب : من ديوان الروض الملتهب ، ص ٤١ - ٤٥ .

^٢ من ديوان عندما يعزف الرصاص ، ص ١٦٨

^٣ المرجع السابق ، ص ٦١ - ٦٩

يقول أيضا في قصيدته (عندما يعزف الرصاص) :

نُصْحُو عَلَى عَزْفِ الرَّصَاصِ كَأَنَّا زَرَعٌ وَغَارَاتُ الْعَدُوِّ حَصَادُ
يَتَسَامَرُ الْأَعْدَاءُ فِي أَوْطَانِنَا وَنَصِينَا التَّشْرِيدُ وَالْإِبْعَادُ^١

ويقول أبو الحسن في قصيدة " حب البندقية " :

وَعُصْبَةُ الْإِلْحَادِ تَجَثُّو فَوْقَ هَامَتِهَا وَلَاغَةً مِنْ دَمٍ وَالتُّرْبُ مِنْهُ نَدَى
نَهَاشَةُ الْعَرِضِ مَا اهْتَزَّتْ ضَمَانُهَا لِهَتِكَ سِتْرٌ وَلَا آهَاتٍ مُضْطَهَدِ^٢

ويقول الشاعر أبو الحسن في قصيدة " حب البندقية " :

هَذِي بِلَادِي بِسَيْفِ الْغَزْنَوِيِّ فُتِحَتْ أَضْحَى يَهَانَ بِهَا دِينِي وَ مُعْتَقَدِي
وَعُصْبَةُ الْإِلْحَادِ تَجَثُّو فَوْقَ هَامَتِهَا وَلَاغَةً مِنْ دَمٍ وَالتُّرْبُ مِنْهُ نَدَى
نَهَاشَةُ الْعَرِضِ مَا اهْتَزَّتْ ضَمَانُهَا لِهَتِكَ سِتْرٌ وَلَا آهَاتٍ مُضْطَهَدِ
قَدْ لَمَلَمَ الْكُفْرُ وَالْإِلْحَادُ عُصْبَتَهُ يَا أُمِّي جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فَاتَّحِدِي^٣

ومن قصيدة " أطفال أفغانستان " للشاعر أبو أسامة :

مَنْ لِلطُّفُولَةِ يَا رَبَّاهُ يُنْجِيهَا ؟ مَنْ لِلتَّكَالِي سِهَامُ الْكُفْرِ تَرْمِيهَا ؟
مَنْ لِلصَّغَارِ عَلَى الْإِيمَانِ فِطْرَتُهُمْ ؟ وَالرُّوسُ تَبْغِي عَنِ الْإِسْلَامِ تُنْهِيَهَا
هَلْ كَانَ ذَنْبُ صِغَارِي أَنَّهُمْ رَضَعُوا حُبَّ الْعَقِيدَةِ وَاشْتَاقُوا لِمَاضِيهَا ؟
يَا مُسْلِمًا فِي شِعَابِ الْكُونِ هَلْ نَظَرْتُ عَيْنَاكَ لِلزُّغْبِ وَالْحَرَمَانِ يَكْوِيهَا ؟
هَذِي الطُّفُولَةُ فِي أَحْضَانِ شَقَوَاتِهَا نَارُ الْحُرُوبِ تُعْرِيهَا وَتَشْوِيهَا
لَمَّا تَقَهَّقَرَ جَيْشُ الْكُفْرِ مُنْكَسِرًا عَادَ اللَّعِينُ إِلَى الْأَطْفَالِ يَشْرِيهَا
بَلْ فِطْرَةُ الْأَطْفَالِ تَابَاهَا تُعَادِيهَا بَلْ فِطْرَةُ الْأَطْفَالِ تَابَاهَا تُعَادِيهَا
لَمْ يَخْلُ بَيْتٌ مِنَ الْأَفْغَانِ مِنْ أُمَةٍ تُكَلِّي وَقَدْ لَجَأَتْ لِلَّهِ بَارِيهَا

^١ مجلة البيان المرفوض ، العدد ٢ ، ذو الحجة ١٤٠٥هـ - أغسطس ١٩٨٥م ، ص ٤٨

^٢ المرجع نفسه .

^٣ المرجع نفسه .

سَاقَ الْحَبِيثِ جُمُوعاً مِنْ ذُرَارِينَا بِالْعُنْفِ يَجْذِبُهَا وَالْأُمُّ تَبْكِيهَا
هَذِي الْعَدَاوَةُ قَدْ عَمَّتْ حَبَائِلُهَا أُمِّي وَزَوْجِي فِي الْأَرْحَامِ بَاقِيهَا^١

لقد عاش شعراء الجهاد بمخيلاتهم فرسموا لنا صورة الأطفال الذين لا ترحم طفولتهم ولم تعد الكآلى تلقى عطفاً من جنود الشيطان ، وحين عجزت جنود إبليس أن تزرع الإلحاد في قلوب الشباب لجأت إلى الأطفال ، تنهيم عن دين الفطرة ، تنهيم عن الإسلام ، فصور لنا الشاعر هنا كيف مدت يد الطاغوت للأطفال الخبز وباليد الأخرى مدت الإلحاد ليتناول الأطفال سمومهم وكذلك ارتكبت جيوشهم جرائم يندى لها جبين القرن العشرين ، من هدم للبيوت وتشريد للأهل وقتل للرجال وعم الفساد في البحر والجبل والسهول .

ومن قصيدة " أفغانستان " للشاعر أبو الحسن :

مَا لِلْمَنَازِلِ أُجْثِيَتْ شُرْفَاتُهَا فَوْقَ الْأَحْبَةِ وَالِدَّهَانِ سَخَامُ ؟
مَا لِلْمَآذِنِ أُطْفِئَتْ أَنْوَارُهَا فِي شَهْرِ فَرَحَتِهَا وَعَمَّ ظَلَامُ ؟
فَأَجَابَنِي الصَّمْتُ الرَّهِيْبُ مِنَ الْأَسَى حَتَّى اعْتَارَنِي الصَّمْتُ وَالْإِفْحَامُ
هَذَا بِدَيْنِ الْكَافِرِينَ حَضَارَةٌ هَذَا بِزَعَمِ الْمُلْحِدِينَ سَلَامُ
وَسَأَلْتُ طِفْلاً سَاحَ فِي كَبَدِ الثَّرَى إِذْ كَانَ فِي الصَّدْرِ الرُّوْمُ يَنَامُ
ضَمَّتْهُ أُمٌّ لِلضُّلُوعِ مَخَافَةً وَالرَّعْدُ فِي حِمَمِ الْكَفُورِ حِمَامُ
حَتَّى تَطَايَرَ رَأْسُهُ مَعَ ثَدْيِهَا وَتَشَطَّتْ الْأَضْلَاعُ وَالْأَقْدَامُ
مَاذَا جَنَيْتَ أَكُنْتَ حَقّاً خَائِناً بَعْتَ الْبِلَادَ وَطَبَعْتَ الْإِجْرَامُ ؟

فَأَجَابَنِي وَالصَّمْتُ أَبْلَغُ نَاطِقٍ
وَسَأَلْتُ تُكَلِّمُهُ تَنُوحُ لَزْغِبَهَا
وَسَأَلْتُ كَوَخًا هَدَّهَتْهُ قَذَائِفُ
وَالصَّمْتُ مِنْ أَلَمِ الْكَلَامِ كَلَامُ
دَامَتْ بِحَسْرَتِهِمْ وَهُمْ مَا دَامُوا
وَالْمِيكَ سِرْبُهُ بِالرَّدَى حَوَامُ^١

هذه مقطوعة شعرية ضمن القصيدة تكشف عما في قلب الشاعر من ألم ، فهو سؤال يكشف عما في النفس من مقت وغيظ : ما جريمة المحصنات كي يلاقين مثل هذا الهوان ؟ إن الملحددين يديرون الظهر للأديان والملل والقيم ، فشكالي تبكي صغارها ففقدتهم حسرة استقرت في القلب واستوطنت الجوارح ، وما أبلغ قول شاعرنا حين قال (دامت بحسرتهم وهم ما داموا) وقذائف الطائرات لن تترك كوخا متواضعا إلا هدهدته وهذا لفظ يعطي صورة حقة لما يحدث ، فلعل القذائف حركته يعني ارتجاجه أو ضربه أو هدمه ، وقتل الآباء وسجنت الأمهات في سجون مظلمة تقاسي الموت وهذه كلها أسئلة دارت في خلد الشاعر والإجابة رسمها الشاعر بليغة وتدل على خيال رفيع .. ومن هنا يعرف شعر الطبع من شعر التكلف ، والشاعر ذو الإحساس المرهف ، ويفرق بين شعر العاطفة المتقدة المتناعة ، وبين شعر الصنعة وشعر الجمود . ويقول د. عبد الرحمن العشماوي في قصيدة " من أين أبدأ رحلتي ؟ " :

وَنِسَاءُ قَرِينَتَا عَلَيَّ الطُّرُقَاتِ
يَسْدُلْنَ الْحِجَابُ
يَخْشَيْنَ - يَا أَبَتِ - عَلَيَّ
أَعْرَاضَهُنَّ مِنَ الذَّنَابِ
وَبُكَائُهُنَّ يَشِيعُ فِي
أَفَاقِ قَرِينَتَا أَكْتَنَابًا
وَعَوِيلُ أَطْفَالٍ يُذِيبُ
الْقَلْبَ ، قَدْ فَقَدُوا الصَّوَابَ
مَا بِالْهَمِّ ، شَرِبُوا دِمًا^٢

ولقد صمد من قبلهم أبطال ، خلد التاريخ ذكرهم ، كعمر المختار ، الذي لم يرحم
الطليان شييته ، فكانت كلمتهم الرصاص ، فلتكن كلمات المجاهدين رصاصات كذلك ، وهامهم
يكمون للغزاة ، ويزيقونهم الموت الزؤام ، فلقد ساءت أخلاق الغزاة ، وشرست نفوسهم ،
وتحجرت قلوبهم ، أما عيونهم ، فانبعث منها شر الحقد ، على المجاهدين ألا يياسوا ، فقد لاح
بواد نصر يراه (المبصرون !) جلياً بارزاً .

هَيَا مُسْلِمِي الْأَفْغَانِ يَا جَيْشَ عَقِيدَةٍ	هَذَا الْجِهَادُ وَأَيُّقِنَ الْعُظَمَاءُ
لِللَّهِ سِرَّتُمْ فِي جُيُوشِ مُحَمَّدٍ	أَكْرَمَ بِجَيْشِ قَادِهِ الْعُلَمَاءُ
خَلَدْتُمْ الذِّكْرَى بِعِزِّ قُلُوبِكُمْ	حَطَّمْتُمُ الْأَطْوَاقَ يَا كُرَمَاءُ
جَنَاتِ رَبِّي لِلشَّهِيدِ مُعَدَّةٌ	وَالْخَالِدُونَ بِهَا هُمْ السُّعْدَاءُ

لقد كان لصد عدوان أكبر دولة ، وعلى أيدي رجال عزل من كل سلاح غير سلاح
الإيمان ، هزة في العالم كله ، فراح يوجه سهامه إلى كل ضعيف الذكاء مستكين يرضى بالضميم .
ولكن المجاهدين تسلحوا بالإيمان ، واعتصموا بمجل الله المتين ، وقادهم علماء الدين ، فنصرهم الله ،
ومنهم من قضى نحبه ناعماً بشهادة ، تنتظره جنات عرضها السموات والأرض ، ومنهم من
ينتظر ، محققاً لأمة الإسلام عزاً ومجداً لا يتزعزعان . والشاعر العربي كعب الأشقر يظهر بسالة
يزيد بن المهلب ، كما حاول إظهار شجاعة فرسانه ، وعزيمتهم ، وكيف أنهم لم يترجعوا عن
محاربة العدو مع كثرة عدوه ، وعدته فقد صمدوا له .

لقد استطاع القادة المسلمين بما حباهم الله من صفات عالية وإيمان رفيع ، وشجاعة
وحسن بلاء أن يقودوا المسلمين خير قيادة ، وأن يحققوا معهم أروع الانتصارات وأن يخرجوا
الروس الملاحدة من الأراضي الأفغانية وهم في حالة يرثى لها من الذل بعد أن خابت آمالهم بعد
أن حاولوا جاهدين أن يحصلوا على البلاد ويستأثروا بها . وقد حاول الشعراء أن يشبهوا القادة
تشبيهات جميلة تليق بهم وبجهدهم ، ويكسبون بذلك أيضاً حثهم على الإسراع والمواصلة في
الجهاد لإنقاذ البلاد وقد وفق كثير من الشعراء في الوصول إلى غايتهم . ويتركز مدح القادة
والثناء عليهم بمزايا طيبة تتعلق مباشرة بالجهاد ، وما يتطلبه من صفات القوة والتضحية ،
فوصفوهم كأنهم كأقذار الموت على العدى ، وثبات القلوب لديهم (ليس لها مثل) ، وبالصبر ،
وفي قوة الآساد والفهود ، وكيفية فرار الأعداء منهم خوفاً وهلعاً . وعموماً نقول أن القادة

المجاهدين قد حظوا باهتمام كبير ومجد الشعراء أفعالهم ، وعلقوا عليهم الآمال العظيمة للقضاء على كل ملحد وكل طاغ . وقد أثبت الشعراء بوصفهم للقادة أنهم مع شجاعتهم وقوتهم وإقدامهم ليسوا متهورين ففيهم أناة الجرب ، وحكمة العاقل لأن جهادهم لإعلاء كلمة الله في الأرض ، وليس لأهداف أخرى ، فيقينهم في الله لا تشوبه شائبة وكانت قصائدهم تدور حول إعزاز الدين الإسلامي ، وإذلال الشرك . إن الإعجاب بالجهاد الأفغاني ، لا بد أن يشمل الإعجاب برجاله الذين رفعوا لواءه ، وأذكوا بدمائهم ناره .

ويقول الشاعر إياد العكاري في قصيدة "أمل وجهاد" :

قَدْ خُضَّتُمْ نَارَ الْوُغَى بِبَسَالَةٍ	قَدَّمْتُمْ الْأَرْوَاحَ فِي إِنْشَادِ
ذَلَّلْتُمْ وَعَرَ الدُّرُوبَ بِلِيلِكُمْ	أَوْ قَدْ تُمْ شَمْسَ الْفِدَا بِمَدَادِ
أَرْخَصْتُمْ كُلَّ الْغَوَالِي وَالدَّمَاءِ	لِنَصْرَةِ الْإِسْلَامِ بِاسْتِشْهَادِ
مَرَّغْتُمْ وَجْهَ الْأَعَادِي بِالثَّرَى	قَدَّمْتُمْ صُورًا عَنِ الْأَجْدَادِ
سَطَرْتُمْ كُتُبًا عَلَى أَرْضِ الْفِدَا	تَحَكَّى عَنِ الْقَعْقَاعِ وَالْمَقْدَادِ
زَلَزَلْتُمْ جَيْشَ الْغُرَاةِ بِجَهْدِكُمْ	وَاللَّهُ لِلْأَعْدَاءِ بِالْمُرْصَادِ

نرى الشاعر قد رسم في هذا النص ملامح فتى الجهاد الأفغاني من خلال أوصاف متلاحقة عملت جميعها على جعل الصورة تنبض بقوة المحارب الجلد وسكينة الناسك الخاشع ووقاره الجم .

ويقول الشاعر (المسلم الحر) في "رباعيات كابول" : في هذه الأبيات يمتدح أفعال

المجاهدين وما يدل على شجاعتهم وقوتهم وحسن بلانهم في سبيل الله .

إِنِّي مَعَ الثُّوَارِ فِي قِمَمِ الْجِبَالِ الْعَالِيَةِ
هُمْ يَعْرِفُونَ حَيَاتَهُمْ ، سَتَكُونُ يَوْمًا فَانِيَةً
اللَّهُ بِشَرِّهِمْ بِجَنَاتِ الْخُلُودِ الدَّائِيَةِ
لَا يَرْهَبُونَ عَدُوَّهُمْ مَهْمَا الْمَعَارِكُ دَامِيَةً^١

رثاء شهداء الجهاد :

يعد الرثاء من الأغراض الشعرية الصادقة لأنه يقال والقلوب محترقة حزنا وأسى والنفوس تموج بالمرارة واللوعة على فقيد . (والشعر في هذا المجال يوضح بجلاء قيمة الفقيد وفروسيته ، وقيادته للمعارك ، ووقع قتله على ذويه ، وتهديد القاتل ، والانتقام منه ، وهذه النبرة كثيرا ما تصاحب شعر الرثاء ، بل تكون في كثير من الأحيان مرتكزا لأبيات الرثاء)^١ والشعراء هنا رثوا فرسان الجهاد وأبطاله الذين غيبتهم الحروب والأيام ، وذكروا كل المناقب الحميدة التي كانوا يحرصون على التحلي بها ، والرثاء عادة يكون مصحوبا باللوعة والأسى والحزن والألم ، ويسأتي بجمل بين طياته طلب الثأر من الأعداء . وفي خلال الحروب التي دارت على أرض أفغانستان ظهرت بعض الشخصيات الإسلامية التي قادت المسلمين ، وحقت لهم كثيرا من الانتصارات الباهرة، وجمعت شتاتهم بعد تفرق ، ومكنت للمسلمين استعادة بلادهم التي أخذت منهم . ومن هؤلاء القادة الدكتور عبد الله عزام والشيخ تميم العدناني ، أحمد الزهراني ، الشيخ جميل الرحمن . هؤلاء الذين وسعوا دائرة الانتصارات ، ومكنوا الدولة من إخراج الروس ومن والاهم من البلاد . وكان لهذه الشخصيات أثر بارز في حياة المسلمين إلى الآن ، لأن خطر الملاحدة كان عظيما ، فهم لا يتركون فرصة إلا استغلوها لمهاجمة المسلمين في كل مكان بطريق أو بآخر ، فقتل بطل له باع طويل في حماية المسلمين لم يكن بالأمر السهل ، وبذلك يضاف إلى خطر الكفار والمشركين خطر أعظم منه كان يحدث في حياة الأمة الإسلامية غالبا كلما مات زعيم أو بطل ، ألا وهو تفرق المسلمين واختلافهم لعدم وجود زعيم قوي آخر يخلف الزعيم الأول . ولم يكن مستغربا على الشعراء المسلمين إظهار الجزع والخوف على هؤلاء ورثاؤهم والتحسر على وفاتهم ، وذكر مآثرهم التي تركوها من بعدهم ونلاحظ أن الشعراء ركزوا على ذكر بعض الصفات حول حياتهم الجهادية ونضالهم في دينهم ، ونجدهم موضوعين في رثاء هؤلاء الشهداء . رثى الشاعر الدكتور من مات من المجاهدين رثاء عاما وخاصة . وخص لذلك عناوين في قصيدته (الشيخ عبد الله عزام وولده وإخوانهم الذين سبقوهم) . وقد وضع عناوين جانبية تعبر عن ذلك ، منها (جلال الموت) و (مواكب الشهداء في ملحمة الإسلام) و (بين ريحانتين : سباق على درب الشهادة) و (تميم العدناني) و (شهداء الأفغان أبطال ملحمة) . وفي هذه القصيدة صرح باسم الشيخ عبد الله عزام وولديه محمد وإبراهيم اللذين استشهدا في الحادث نفسه مع

أبيهم . وتميم العدناني الذي كان ملازماً لعبد الله عزام . وهؤلاء الأربعة ليسوا من أفغانستان وأما بقية المرثية فهي عامة .

يقول الشاعر في رثاء عبد الله عزام وولديه تحت عنوان (بين ريحانتين) :

ريحانتان على جنبيه أقبلتا	وَضُمَّتَاهُ ! فَصَبُّوا الشُّوقَ وَالْعَبْرَ
مَا كَادَ يَلْقَاهُمَا حَتَّى مَضَى بِهِمَا	رَكْضاً إِلَى اللَّهِ يَلْقَوْنَ الَّذِي قَدَرَا
بُشْرَى مِنْ اللَّهِ! عُنُقِي الْمُؤْمِنِينَ رِضاً	وَرَحْمَةً اللَّهِ تُوفِي كُلَّ مَنْ صَبَرَا
وَفَوْحَ الدِّمِّ مَسْكَاً لَيْسَ يَعْدِلُهُ	مَسْكٌ وَلَا نَشْرُ الْمَسْكَ الَّذِي نَشَرَا ^١

فما أروع ذلك المشهد وما أبلغ تأثيره في النفس وما أجل تلك المصارع الثلاثة وما أطيب العبق المنبعث منها وما أسمى الروح الإيمانية التي ترف فوقها لقد مثل هؤلاء الشهداء وحدة الأمة الإسلامية خير تمثيل فاستحقوا رضا الله وتقدير المسلمين لهم ، ونعم عقبى الدار لهؤلاء وأمثالهم . ويسترسل في إظهار الدور الذي قام به عبد الله عزام وأثره فيمن حوله من المجاهدين .

فقال الشاعر عدنان النحوي في قصيدة لله درك عبد الله من رجل :

وَجِئْتَ تَطْلُبُ أَشْوَاقَ الْجِهَادِ هُنَا	دَمًا تَفَجَّرَ فِي سَاحَاتِهَا فَجَرَى
أَتَيْتَهَا وَلَنَا فِي أَرْضِهَا نَسَبٌ	مِنَ الثُّقَى وَحِبَالٌ بَيْنَنَا وَعُرَا
وَنَقَّتْ فِي لَهَبِ الْمِيدَانِ آصِرَةً	وَلُحْمَةً تَجْمَعُ التَّارِيخُ وَالْعُصْرَا
وَفِي رَبَاهَا لَنَا ذِكْرَى مُعْطَرَةً	وَأُمَّةٌ دَفَعَتْ أَفْلَازَهَا الْفُرَا
صَحَابَةً لِرَسُولِ اللَّهِ يَحْمِلُهُمْ	شَوْقُ الْجِهَادِ وَدِينٌ عَلَّمَ الْبَشَرَا
طَيُوفُهُمْ لَمْ تَزَلْ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ	ذِكْرَى لَتَبْعَثَ فِي أَجْيَالِهَا الظُّفْرَا ^٢

وهل هناك أثر أعظم من الأثر الذي تركه هذا الشهيد فيمن حوله من المجاهدين لقد كان مدرسة في الجهاد ومدرسة في الدين فما أشبهه ورفاقه بالبدور التي أشرقت في جوف الليل فبددت ظلمته ، أجل لقد بددوا بجهادهم ليل الاحتلال البغيض . وكان عبد الله عزام قد واجه انتقادات من بعض الفئات الذين ضاقت نفوسهم بانطلاقة الجهاد في أفغانستان فراحوا يتساءلون : لماذا

^١ ملحمة الجهاد الأفغاني ، ص ١٤٢ - ١٤٣

^٢ مجلة البيان المرقوس ، العدد ٣٠ ، ذو الحجة ١٤٠٩ هـ - يوليو ١٩٨٨ م ، ص ٦٥

يجاهد عبد الله عزام في أفغانستان ولا يجاهد في فلسطين وهو ابنها ١٩ وهم يرومون من ذلك تشويه الصورة البيضاء الناصعة للرجل الفذ . فيرد الشاعر على هؤلاء بلسان عبد الله عزام تحت عنوان (لله درك عبد الله من رجل) :

عهد مع الله ، عبد الله قُمتَ له
تركت خلفك أشتاتاً يمزقها
ما زال يطحنهم حب الحياة على
عزماً تشق عليه دربك الوعراً
طول الهوان ويرميها الهوى زمراً
ذل يطويهم في جوفها خبراً^١

وهذه إشارة إلى جهود حركة الجهاد في فلسطين ، وسيطرة رايات ليست من الدين والأمر لدى المجاهد المسلم أمر إسلام ، لا فرق بين مكان ومكان .
فالشاعر يدعوهم بالسقيا كناية عن استنزال الرحمة عليهم وهي من المعاني المألوفة لديهم .

كان من بين المليونى شهيد أخو الشاعر جابر قميحة الذي استشهد في قندهار ١١

يقول الشاعر في " نشيد الزحف الأفغانى " على لسان المجاهد :

أخي استشهد الأمس في قندهار
فمات ليطلع شمس الفخار
قضى راضي القلب وهو يقول
إلى كابول يا جنود الرسول^٢
وكان أخي وأبي والنهار
ويسقي الكرملين ذلاً ونار

الآيات توضح معنى الشهادة الكبير والهدف النبيل الذي تمثله الشهادة إنه النصر على الأعداء وإحقاق المزيمة والذل والعار بهم . فالشاعر لا يبكي شقيقه لأنه مات !! بل يفخر لأنه أطلع شمس الفخار وارتفعت به الرؤوس عالية ، لأنه نكس رأس العدو الكافر وأذله . وكم روي عن المجاهدين أنهم إذا سمعوا ذكر الجنة في أرض المعركة اندفعوا نحو القتال غير آبهين ، يطلبون الشهادة التي هي طريق الجنة .

^١ مجلة البيان المخصوص ، العدد ٣٠ ، ذو الحجة ١٤٠٩ هـ - يوليو ١٩٨٨ م ، ص ٦٥ .

^٢ مـ. ده ان لجهاد الأفغان أغني ، ص ٢٤-٢٧

ومن قصيدة " شهيد الجهاد في أفغانستان " للشاعر أحمد الخاني :

قِيَارَةُ الشَّعْرِ عَيْنُ الْمَجْدِ حَمَاءُ
قِيَارَةُ الشَّعْرِ صُوغِي اللَّحْنِ أَوْسَمَةُ
مِنْ جَوْهَرِ النَّفْسِ يُعَلِّي النُّورُ رَايَتَهُ
حَتَّى اسْتَنَارَ الدُّجَى وَالْوَرْدُ مِنْ دَمِهِ
سِوَى السَّرَابِ عَلَى جَاجِي وَأُرْدِيَةِ
قَالَ الشَّهِيدُ يَصُوغُ الْمَجْدُ مَلْحَمَتِي
لِلَّهِ جَاجِي اقْتَحَمْنَا بِأَسْهَاءِ سَحَرًا
وَكَبَّرَتْ فِتْيَةُ الْيَرْمُوكِ وَأَشْتَعَلَتْ
بَعْدَ انْتِصَارِ جِهَادِي قَامَ يَنْهَشُنِي
عِزَامٌ مِنْ دَمِكَ الزَّاكِي مَنَارَتَنَا
وَعَانَقَتْ قُدْسُنَا أَفْغَانَنَا مَقَّةً
أَحْفَادُ بَدْرِ غَدَا عِزَامُ رَائِدَهُمْ
يَبْكِيكَ شِعْرِي فَوَادِي عَيْنِ مَلْحَمَتِي
فَالْبَغْيُ دَاءٌ وَحَقْدُ الدُّبِّ هَيْجُهُ

وَبِسْمَةِ الْجُرْحِ فِي الْمِيدَانِ غَرَاءُ
تَمْدُّهَا مِنْ دَمَاءِ الْحُرِّ وَطَفَاءُ
عِزَامُ مِشْعُلَهَا وَالْكُونُ ظُلْمَاءُ
يَسْقُسِي الْمَنَايَا وَلَا مَرَعَى وَلَا مَاءُ
وَرْدِيَّةُ الشُّفْقِ الزَّاكِي وَحَنَاءُ
عَلَى الرَّوَابِي يُنَادِي وَهُوَ وَضَاءُ
فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَالْأَمَالِ خَضْرَاءُ
إِلَى الرَّدَى وَهُوَ رَوَّاحٌ وَغَدَاءُ
دَبُّ حَرِيبٌ وَكَفُّ الدُّبِّ رَعْنَاءُ
نَاحَتْ بِشَاوُرُ فَا لَا كَوَانُ دَهْيَاءُ
وَالثَّارُ يَلْهَجُ وَالْآهَاتُ حَمَاءُ
وَبِتَّ تَسْهَرُ لَا يُلْوِيكَ إِغْفَاءُ
فَأَنْتَ وَالْمَجْدُ وَالْجَلَى أَشَقَاءُ
وَمِنْ عَطَاءِ الضَّحَايَا يُحْسِمُ الدَّاءُ^١

إن سقوط شهيد على الدرب معناه نهوض منارة عالية تنير الطريق للقادمين وتحفز الماضين على متابعة النضال حتى النصر الأكيد (حتى استنار الدجى والورد من دمه) كما يرفد بسقوطه قافلة الشهداء الطويلة الممتدة عبر تاريخنا الإسلامي العريق ويعلي قمة جديدة من قمم الأمجاد الإسلامية ويقرب موعد النصر خطوة إلى الأمام فإن البغي داء ودماء الشهداء دواؤه .

ويقول الشاعر أبو الحسن في قصيدة " الجهاد المنصور " :

وَلِكُلِّ مَنْ صَارُوا مَعَ الْأَبْرَارِ^٢ وَ(الْعِزَامُ) فَلْتَدْعُوا لَهُمْ

^١ مجلة الدعوة السعودية ، العدد ٢٠٠٨ ، محرم ١٤١١ هـ ، ص ٣٠ .

^٢ مجلة الجهاد ، العدد ٨٨ ، محرم ١٤١٣ هـ - يوليو ١٩٩٢ م ، ص ٤٠ - ٤١ .

ويقول الشاعر أسامة الآغا في قصيدة "عظم المصاب":

عَظُمَ الْمَصَابُ وَزَادَتْ الْآلَامُ
وَتَوَالَتْ الْأَحْدَاثُ تَتَرَى لِلْوَرَى
يَا حُزْنَ قَلْبِي بَعْدَ فَقْدِ أَمِيرِنَا
أَوْ بَعْدَ فَقْدِكَ هَلْ لَشِعْرِي لَذَّةٌ
كَمْ مِنْ شَهِيدٍ قَدْ رُئِيَتْ وَفَاتَهُ
هَذِي الْمَصَائِبُ قَدْ كَوَتْ مِنْ أَضْلَعِي
وَحْدَائِقُ الدُّنْيَا أَتَاهَا صَاعِقُ
وَالطَّائِرُ الرِّقَافُ فَوْقَ غُصُونِهَا
إِنِّي أَرَى الْأَنْصَارَ إِثْرَ غِيَابِهِ
جَمَعْتَهُمْ وَرَحَلَتْ عَنْ سَاحَاتِهِمْ
فَلَفَقْدَهُ حَزْنَ الْوَرَى وَبِمَوْتِهِ
مَنْ لِلْمَنَابِرِ يَعْتَلِي صَهَوَاتِهَا
قَدْ كَانَ كَالْعِمْلَاقِ فِي عِزَمَاتِهِ
بِعِزِّمَةِ أَبْتِ الْخُنُوعِ لِظَالِمِ
عَلَّمْتَنَا أَنَّ الْجِهَادَ سَبِيلُنَا
عَقَمَ النِّسَاءُ بَأْنَ يَلِدْنَ شَبِيهَهُ
لَا لَا تَلْمُنِي إِنْ حَزَنْتُ لِفَقْدِهِ

وَهَجَرْتَنَا يَا شَيْخُ يَا عِزَامُ
الْمَوْتُ خَطْبٌ وَالْخُطُوبُ جِسَامُ
فِي الْقَلْبِ جَرْحٌ قَدْ رَمَتْهُ سِهَامُ
أَمْ بَعْدَ فَقْدِكَ لِلْأَدِيبِ كَلَامُ
أَوْ بَعْدَ فَقْدِكَ تَكْتُوبُ الْأَقْلَامُ
فَتَأَلَّمْتُ صُلْبٌ بِهَا وَعِظَامُ
فَرُهِرَهَا نَارٌ بِهَا وَضِرَامُ
رَفَضَ الْغِنَاءَ فَمَاتَتْ الْأَنْغَامُ
وَكَانَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ أَيْتَامُ
فَاغْتَمَّتِ الْوُدْيَانُ وَالْآكَامُ
رَحَلَ الْأَمِيرُ الْقَائِدُ الْمَقْدَامُ
قَدْ غَابَ عَنْهَا قَائِدٌ وَإِمَامُ
وَالْآخَرُونَ بِقُرْبِهِ أَقْزَامُ
وَشَجَاعَةٌ شَهِدَتْ لَهَا الْأَعْوَامُ
وَبَدُونِهِ آمَانُنَا أَوْهَامُ
وَبِمَثَلِهِ لَمْ تَحْمَلِ الْأَرْحَامُ
أَوْ إِنْ بَكَيْتُ فَمَا عَلَيَّ مَلَامُ^١

رثاء الديار والمدن المنكوبة :

كان من أنواع الرثاء الذي وجد ضمن قصائد الجهاد للشعراء العرب هو (رثاء الديار)
فقد حدث على مر السنين الحروب الكثيرة ضد أعداء الله وكان يصحب ذلك إحداث الزلازل
العنيفة من جراء القصف ، وتهدم الديار والمنشآت ، وتحطم المساجد ودور العبادة ، وأكلت
النيران الأخضر واليابس ، مما دعا ذلك الشعراء إلى نظم قصائدهم في هذا المجال .

لم يتوقف شعراء الجهاد الأفغاني عند رثاء الأبطال وحدهم بل جاوزوا ذلك إلى رثاء بعض الديار الإسلامية عامة والمدن الأفغانية خاصة التي سقطت في أيدي الروس وكان ذلك مؤثرا وأكثر بلاء في نفوس الشعراء المسلمين وقد عبروا عن آلامهم وأحزانهم بمجملات قصائد سنستعرض بعضها لإعطاء صورة واضحة عن مضمون رثاء الديار لدى الشعراء خلال فترة الحرب الطاحنة التي دارت في أفغانستان . ونجد من خلال الأبيات أن الشعراء يبكون بحرق تلك المدن المهدمة ، ويتأسفون عليها كثيرا ، ويطلبون من غيرهم مشاركتهم ، وفي ثنايا القصائد نجد العبرة التي أرادوا توصيلها إلينا من خلال التدمير البشع للعراق من يتعظ بغيره ، ولعل في هذا المعنى إشارة إلى شدة التدمير الذي حصل في المدن ، وكثرة قتلاها ، لأن العبرة لا تقع إلا بحدوث مصاب عظيم . ومن خلال القصائد نجد تهديم المساجد وقتلهم المصلين الأبرياء وقتل أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم ، وبذلك يكون الكفار قد أوقعوا الضيم بالإسلام ، ونلاحظ في رثاء الشعراء للمدن أنهم اهتموا وتحدثوا عن نكبات المسلمين ، وما حل بهم من قتل وتدمير وتشريد ، وتحدثوا عن الروس واستهانتهم واستهتارهم بالمساجد والديار .

وكان الهدف من ذكر هذه الأمور بل من الرثاء في جملته إثارة النخوة الإسلامية في نفوس المسلمين ، ودفعهم إلى الجهاد واسترداد ديارهم وأوطانهم ، ونلاحظ أن عاطفة الشعراء في هذا الفصل عاطفة صادقة جياشة فحزنهم حقيقي بعيد عن الافتعال والتصنع ، وقد انعكست على الكلمات فبعدت عن التكلف أو التعقيد مما جعلها تؤدي دورها كاملا في التأثير على نفوس السامعين . وقد تبين أن كل الشعراء قدموا موضوعاتهم بأسلوب (براعة الاستهلال) ودخل في موقف القصيدة مباشرة ، وهو رثاء المدينة المقصودة ، وقصيدة الرثاء كما هو معروف لا طراز لها ، بعكس قصيدة المدح مثلا . وقد يتعرض الشاعر إلى مكونات المدينة أو جزء منها . وقد يلجأ الشاعر في هذه الأبيات للتأثير على القارئ بالمدينة ككل ، وقد كانوا موفقين كل التوفيق ، حين بدأوا بنغمة قديمة تراثية تذكروا بالوقوف على الأطلال ، وفي الواقع لقد أصبحت المدينة أطلالا حزينة ، ومن هنا لا مناص من استدعاء فكرة الوقوف على ذلك .

يقول الشاعر يوسف أبو هلاله في قصيدة " شعب وشعب ":

كَابُولُ فِي الْقَيْدِ نَاءَتْ	تَشْكُو الْأَذَى وَاللَّوَاذِغُ
تَصِيحُ هَلْ مِنْ أَبَاةٍ	عَنِّي تَفُكُ الْمَقَامِغُ
فَأَيْنَ سَيِّفُ (عَلِيٍّ)	وَأَيْنَ عَزَمُ (ابْنِ نَافِعٍ)¹

يحدثنا الشاعر عما يدور في خلدته وتخيله لكابول وكأنها بعيدة مقيدة ، وتشتكي ما تعانيه وعبر عن الهدم والتدمير بالأذى .. وترفع صوتها تنادي الأباة الأحرار الأبحاد لينقذوها من التفكك وليكونوا كعلي وابن نافع .

ويقول الشاعر الدكتور عبد الرحمن العشماوي في قصيدة " هؤلاء الأبرياء ":

كَمْ دِيَارٍ شَرَبْتُ كَأْسَ الْخَرَابِ
كَمْ حُصُونٍ قَبَلْتُ بِالْهَدْمِ
أَذْيَالَ التُّرَابِ
أَنَا لَا أَلْمَحُ فِي هَذِي الدِّيَارِ
غَيْرَ كُوحٍ وَدَمَارٍ²

فلقد عاش الشعراء بأفلامهم حياة الشعب الأفغاني خلال المعارك فأوضحوا ما أصاب البلاد من الدمار وما دل عليه من ألفاظ بحيث صوروا أعظم صورة له وكيف أصابهم الدمار من الداخل والخارج فعبّر عنه شاعرنا بقوله (شربت كأس الخراب) والحصون المرتفعة التي تحمي الديار والأهل من الغارات كيف هوت على الأرض والتصقت به كأنها تقبلها . ويقول أيضا :

هَذِي هُرَاتٌ

فَمَنْ يَرَى ١؟

رُعْبٌ وَأَشْلَاءٌ وَنَارٌ³

¹ مجلة الجهاد ، العدد ٢٤ ، ربيع الأول ١٤٠٧ هـ - نوفمبر ١٩٨٦ م . ص ٣٨ - ٣٩ ، كتاب شعراء الدعوة الإسلامية في العصر

الحديث ، ص ٩٢ .

² د . العشماوي ، عبد الرحمن : من ديوان عندما يعزف الرصاص ، ص ٢٥ .

يقول في " على أنقاض مدينة هرات " وما آلت إليه هذه المدينة الجميلة ولماذا هرات ؟
لشهرتها بأنها مركز هام للثقافة الإسلامية . ثم يتحدث الشاعر عن الحالة التي وصلت إليها فلا
تستطيع أن تميز فيها شيئا غير النيران الملتهبة وأشلاء الضحايا والرعب الذي يسود المدينة .

ومن قصيدة أفغانستان في " دروب النصر " للشاعر حسام الدين حامد:

رَأَمُوا لَكَ الْكِيدَ الْمُمِيتَ دَمَارُهُ مِنْ قَاتِلِ بِالْغَازَاتِ فِي الْأَطْوَادِ
حَرَقُوا الزُّرُوعَ وَمَاشِيًا فَوْقَ الثَّرَى هَدَمُوا الْمَسَاجِدَ فَوْقَ هَامِ عِبَادِ^١

وينقل لنا الشاعر ما قد سمعه أو تخيله أو رآه في بلاد الأفغان من قتل بالغازات السامة
وحرق للزروع والماشية ، حتى المساجد لم تسلم من طغيانهم .

ومن قصيدة " نداء من الرمضاء " للشاعر محمد ناصر القرني:

هَدَّتْ مَسَاجِدُنَا وَكَمْ مِنْ مَعْشَرٍ مَاتُوا فَلَمْ تُعْرِفْ لَهُمْ أَسْمَاءُ^٢

يتضح لنا من الأبيات كره الشاعر للشيوعية وحقده على نظمها وأفكارها فحربها شعواء
وحقدهم لم يسلم منه شيء حتى دور العبادة فيتابع تعديد الخسائر في الأموال .

ومن قصيدة " أين الأخوة " :

دَكُّوا الْمَسَاجِدَ هَدُّوا كُلَّ مَنْدَنَةٍ وَأَزْهَقُوا كُلَّ مَنْ صَلَّى بِإِيمَانٍ
وَأَحْرَقُوا صُحُفَ الْقُرْآنِ بَلْ وَطِنُوا سَطُورَهُ بَيْنَ أَيْدِي الْقَارِي الْحَانِي^٣

ومن قصيدة " أفغانستان " لأبي الحسن :

مَا لِلْمَنَازِلِ أُجِيتْ شُرُفَاتُهَا فَوْقَ الْأَحْبَةِ وَالذَّهَانِ سَخَامُ ؟
مَا لِلْمَآذِنِ أَطْفَأَتْ أَنْوَارُهَا فِي شَهْرِ فَرَحَتِهَا وَعَمَّ ظَلَامُ ؟
فَأَجَابَنِي الصَّمْتُ الرَّهِيْبُ مِنَ الْأَسَى حَتَّى اعْتَارَنِي الصَّمْتُ وَالْإِفْحَامُ

^١ مجلة الإصلاح ، العدد ٦٥ ، ص ٣٤

^٢ حريدة الدعوة الإسلامية السعودية ، العدد ٧٥٤ ، شعبان ١٤٠٠هـ ، ص ٤٧

^٣ مجلة الدعوة ، العدد ٦٠٠ ، الجزء ٦

هَذَا بِدِينِ الْكَافِرِينَ حَضَارَةٌ هَذَا بِزَعْمِ الْمُلْحِدِينَ سَلَامٌ^١

ويحدثنا الشاعر هنا عن كيفية تدمير المساجد وخاصة مآذنها .. وكذلك هزت الألسنة بحرق صحف القرآن وإهانتها وكذلك يصور لنا كيف أن النواقد تحطمت وسقطت بصورة عشوائية كأنها جثيت على ركبتيها وانطفأت أنوار المساجد في رمضان شهر القرآن ومن كثرة ما عانى الشاعر من الألم والأسى وأحس أن الصمت يجيبه لقد ادعى الملحدون أن ما يفعلوه بالمسلمين سلام .

ويقول الشاعر عبد الغني التميمي في قصيدة صرخة الأمة :

يَغُونُ مَحْوُكَ مِنْ أَيَّامِكَ التَّجَبُّبِ	قَدْ سَامَكَ الْحَسَفُ أَعْدَاءُ وَمَا بَرَحُوا
مَقَالَةً أَصْبَحَتْ ضَرْبًا مِنَ الْكَذِبِ	قَالُوا: الْحَضَارَةُ سَيِّمَ الْعَصْرِ وَيَلْهَمُ
أَجْسَامَ شَيْبٍ وَشُبَّانٍ بِلَا سَبَبِ	أَيْنَ الْحَضَارَةُ فِي النَّبَالِمِ قَدْ حَرَقَتْ
فِي دَمْعَةِ الْوَلَدِ الْمَحْرُوقِ : أَيْنَ أَبِي ؟	فِي صَرْخَةِ الْوَالِدِ الْمَشْلُولِ : يَا وَلَدِي !
سَحَقِ الشُّعُوبِ فِي الْإِذْلَالِ وَالرُّعْبِ ؟	هَلِ الْحَضَارَةُ فِي بَسْطِ النُّفُوزِ وَفِي
خَلَوْ مِنَ الرُّوحِ وَالْإِيمَانِ .. وَالْأَدَبِ ؟ ^٢	هَلِ الْحَضَارَةُ لَا دِينَ .. وَلَا خُلُقٍ ؟

ويقول د. عبد الرحمن العشماوي في قصيدة " وسام العز في وجه عائشة " :

وَقَرِئَتْنا مَلْفَعَةً^٣ بِحَسْرِتِهَا

نَلْمَلِمُ ثَوْبَهَا الْبَالِي

أَسْأَلُ عَنْكَ قَرِئَتْنا

وَأَسْأَلُ عَنْكَ مَنْزِلَنَا الَّذِي تَاهَتْ مَعَالِمُهُ^٤

وقد وصف الشاعر القرية وشبهها بامرأة تلفعت بالحسرة وهي تلملم ثوبها الذي تهتك

وتشقق وهذا دال على مدى التخريب الذي أصاب تلك القرى .

^١ مجلة الجهاد ، ذو القعدة ١٤٠٥ هـ - يوليو ١٩٨٥ م ، ص ٣٣ .

^٢ مجلة الأمة ، العدد ، ٤١٠ ، ذو القعدة ١٤٠١ هـ ، ص ٥٩ .

ثم يقول د. عبد الرحمن العشماوي :

وَأَشْبَاحُ الْأَسَى تَسْرِي

وَعَاصِفَةُ الدَّمَارِ

تَهْبُ سَاخِطَةً

وَدَاءُ الرُّعْبِ يَسْتَشْرِئُ^١

كانت أفعال الروس والشيوعيين الموالين لهم الشيعة التي ارتكبوها في حق الشعب الأفغاني المسلم لها أثر بارز في تأجيج عواطف الشعراء المسلمين وتقوية شعورهم بالحزن لما يرون من الدمار والرعب في القلوب .

ويقول د. عبد الرحمن العشماوي في قصيدة " عندما يعزف الرصاص " :

فِي نَهْرٍ جِيحُونُ الْحَزِينَ مَرَاكِبُ غَرَقَتْ ، وَدَنَسَ صَفْوَهَا الْإِلْحَادُ

وَعَلَى ضِفَافِ النَّهْرِ جُثَّةُ زَوَرَقٍ يَبْكِي عَلَى أَشْلَانِهَا الصِّيَادُ

وَأَمَامَهُ دَارٌ عَلَى جُذُرَانِهَا صُورٌ يُجَدِّدُ رَسْمَهَا وَيَعَادُ^٢

وقد أثرت هذه الحوادث المفجعة على كثير من الشعراء فألهبت عاطفتهم وأججت الحزن في نفوسهم ، فتخريب المراكب وتكدس الجثث على ضفاف الأنهار ليس بالأمر الهين على المسلمين ، وما نتج عن هذا التدمير كان أشد وأدهى .

ويقول د. عبد الرحمن العشماوي في قصيدة (أشلاء أغنية حزينة) :

يَا رَبَّ عَفْوِكَ

سَوْفَ يَطْحَنُنَا الدَّمَارُ

كَانَتْ هُنَا بِالْأُمْسِ مِئْذَنَةٌ

وَكَانَ هُنَا صَلَاةٌ

وَالْيَوْمَ ..

أَشْلَاءٌ وَأَنْقَاضٌ^٣

^١ من ديوان عندما يعزف الرصاص ، ص ٣٧

^٢ المرجع السابق ، ص ٧٢

^٣ " " " " " "

وهنا يناجي الشاعر ربه ويستعيذ به حتى لا يطحنه الدمار ويورثي مدينة ويتذكر الأمس القريب أنه كانت توجد به الأبنية والمدن العامرة والمآذن وغدت اليوم أشلاء وأنقاضاً . ويقول أيضاً د . عبد الرحمن العشماوي في قصيدة (من أين أبدأ رحلتي ؟) :

الَّيْلُ مُكْتَسَبٌ وَقَرِينَا
يُضَاجِعُهَا الْخَرَابُ^١

وقد صور لنا الشاعر مدى الدمار الذي حدث للقرى حتى كادت تعانق الخراب .

ويقول الشاعر الحضرمي في قصيدة اليتيمة والدهر:

فَمَدَّتْ إِلَى الْعَيْنِينَ وَالْدَّمْعُ نَازِفٌ	عَلَى وَجَنَّتَيْهَا وَهِيَ تَبْكِي .. وَتَشْرَحُ
كَانَ لِي بِالْأَمْسِ أُمٌّ وَوَالِدٌ	وَدَارٌ يَجُوبُ الْأَمْنُ فِيهَا وَيَسْرَحُ
وَفِي لَيْلَةٍ مِنْ غَفْلَةِ الْحَقِّ جَاءَنَا	مِنَ الشَّرْقِ وَخَشَّ بَارِزُ النَّابِ يَضْبَحُ
جُمُوعٌ مِنَ الْغُرَبَانِ تَغْزُو سَمَاءَنَا	وَحَرْبٌ عَلَى الْخَضِرَاءِ .. وَالنَّارُ تَقْدَحُ
تَدَاعَتْ عَلَى شَمْسٍ الْمَغِيبِ فَلَا تَرَى	سِوَى الْهَدْمِ ، وَالنِّيرَانِ وَالْبُؤْسِ يَطْفَحُ ^٢

وكذلك يصور الشاعر الطفلة التي تتذكر منزلها وعائلتها وكيف كان الأمن والمرح وكيف تتصور العدو كالوحش يبرز أنيابه ، وأفواج الغربان (الطائرات) وكيف تهدم المنازل وتمر الحرب سريعة وعند الغروب نجد كل شيء وقد آل إلى الزوال .

وتتداول المآسي بمقللة شاعرنا فبين لنا حال نساء القرية العفيفات ومدى خوفهن على أعراضهن ، وصور لنا كيف حالهن بين أنياب الذئاب ، وصور لنا مدى الفزع الذي أصاب الأطفال من هول ما يشاهدون. هذا هو شأن المعتدين ينشرون الرعب والخوف في كل مكان نزلوا فيه بما يفعلونه من جرائم منكرة لا يقرها عقل ولا دين .

وقد أثار الشاعر جابر قميحة إلى هذا تحديداً فقال في قصيدته " لجهاد الأفغان أغني " :

وَلَمْلِيُونَيْنِ مِنَ الشُّهَدَاءِ

زَرَعُوا الْأَرْضَ عِظَامًا
وَنَخَاعًا
وَعِيُونًا^١

فقد تناثرت عظام مليونين من الشهداء ونخاعهم وعيونهم ، كما ينتشر الحب على الأرض ، وسقيت بدمائهم ، فكان جهادا خصباً مثمراً أتى أكله . ومن قصيدة أرض لا تعرف الربيع للشاعر أحمد سالم باعطب :

لَمْ يَبْقَ مِنْ حِصَصِ الْمِيرَاثِ يَادَارُ	إِلَّا خِرَافٌ هَزِيلَاتٌ وَجَزَارُ
وَأَرَيْتَ جُثْمَانِ مَنْ تَهَوَّيْنَ خَاشِعَةً	وَعُدَّتْ وَالْحُزْنَ فِي الْأَحْشَاءِ مَوَارُ
رَأَى الظَّلَامُ عَلَى الْأَحْدَاقِ فَانْطَفَأَتْ	بَصَائِرُ مُسْتَتِيرَاتٍ وَأَبْصَارُ
مَا فِي الشَّوَارِعِ مِنْذُ الْأَمْسِ سَيِّدَتِي	إِلَّا النَّفَايَاتُ وَالْغُرَبَانُ وَالْعَارُ ^٢

مر المعتدون على تلك الديار التي كانت عامرة بأهلها فجعلوها أطلالا هامدة تنعق فوقها الغربان ، فأى جريمة أفظع من إطفاء نور الحياة في ديار كانت بالأمس عامرة بها .

المبحث الرابع : توضيح معالم الجهاد الأفغاني :

حسن التوكل بشدة الصمود والعزم :

المؤمنون ، الذين استعاضوا بالله من شياطين الجن والإنس الشيوعيين ، فباتت طائرات الإلحاد لا تضرهم ، طاشت سهامها بإذن الله العظيم ، وصمد المجاهدون بعتادهم البسيط ، وإيمانهم العظيم ، وأذل الله الملحدين الطامعين ، كما أذل من قبلهم الإنجليز ، وغيرهم من جند الشيطان الظالمين .

وَلَاذِ الْمُؤْمِنُونَ وَقَدْ أُجِيبُوا	بِرَّبِّ عَادِلٍ بَرٌّ غَفُورٌ
تَحُومُ الطَّائِرَاتُ تَرِيدُ شَرًّا	بِهِمْ وَاللَّهُ قَصَامُ الشُّرُورِ
تَحَاوَلُ قَصْفُهُمْ لِقِصَالِ عَنْهُمْ	وَقَدْ حَجَبُوا بِآلَافِ الطَّيُورِ
جَنُودُ اللَّهِ فِي بَرٍّ وَجَوٍّ	تَرُدُّ الْبَاسَ عَنْ شَعْبٍ فَقِيرٍ

^١ من ديوان : الجهاد الأفغان أغني ، ص ٧-١٠

^٢ مجلة الحرس الوطني ، ربيع الثاني ١٤١٥ هـ - سبتمبر ١٩٩٤ م ، ص ٦١

أَعَدُّوا مَا اسْتَطَاعُوا ثُمَّ سَارُوا بِإِيمَانٍ يَعْزِزُ عَلَى النُّظَيْرِ
فَقُلْ لِلطَّامِعِينَ بِأَرْضِ شَعْبٍ أَمِينٍ صَادِقٍ عَفِيفٍ صَبُورٍ
سَلُّوا الْغَازِينَ كَمَا ذَلُّوا وَهَانُوا وَأَمْسَى ذَكَرَهُمْ عِبْرُ الدَّهْورِ^١

فالشاعر يتحدث عن ثمار التوكل وأثره الحميد عند المجاهدين الأفغان الذين دحروا بتوكلهم على الله ثم بجهادهم المشرف أكبر قوى الشر والعدوان في العالم وجعلوهم كأسلافهم من الغزاة حكاية تروى وأخبارا يتندر بها .

حقد الملحدون على الإسلام وأهله لن ينال من مضاء العزيمة ، ولن يثني العزم ، مهما تفتنوا في أساليب الحقد واللؤم ، ومهما ملؤوا الأرض مصائب وأهوالا ، فامتنا ذات العقيدة لن نعرف ذلا ولا انكسارا ، لن نخضع لغير الله ، ولن نتخلى عن القيم ، فإن العليا همة نفسها ، ولن تبلغ المجد حتى تعلق العلقم ، إنها تنزع إلى الجنة نزوعا ، ونحن إليها وتشتاق ، وأقرب طريق لها الجهاد ، فلا خير في حياة تزيد من رصيد المرء من الآثام ، وصدق الرسول صلوات الله وسلامه عليه حيث يقول : (فطوبى لعبد جعله الله مفتاحا للخير مغلقا للشر ، وويل لعبد جعله الله مفتاحا للشر مغلقا للخير) رواه ابن ماجه في المقدمة .

وَيَا رَفَاقَ الْمَعَاصِي أَعْدَاءَ كُلِّ الشَّرَائِعِ
صُبُّوا اللَّهْيَبَ وَدُكُّوا صُدُورَنَا وَالْأَضَالِغِ
وَفَجِّرُوا الْأَرْضَ هَوْلًا وَلتَغْمُرْهَا قَوَارِعُ
فَلَنْ تَلَاقُوا جَبَانَنَا لَمَّا تُرِيدُونَ رَاكِبِغِ
إِنْ لَمْ نُظْهِرْ حِمَانَنَا عَنْ دِينِنَا سَنُدَافِغِ
وَطَالِبِ الْخُلْدِ دَوْمًا يَلْقَى الرَّدَى غَيْرَ جَاذِغِ
يَرَى الْمَمَاتَ بَعِزٍ مَنَى لَهَا الشُّوقَ نَازِغِ
وَالْعِيشَ إِنْ جَلَّتْهُ الْآ ثَامَ كَالسُّمِّ نَاقِغِ^٢

^١ الشاعر يمي بشير حاج يمي : من قصيدة قلاع البطولة في أفغانستان ، مجلة المجتمع ، العدد ٧٩٣ ، صفر ١٤٠٦ هـ ، ص ٤٤

^٢ الشاعر د . يوسف أبو هلاله : من قصيدة شعب وشعب ، مجلة الجهاد ، العدد ٢٤ ، ربيع الأول ١٤٠٧ هـ - نوفمبر ١٩٨٦ م ،

فالشاعر يحي بشير يعرض أساليب القهر والاضطهاد التي يمارسها المعتدون في أفغانستان بقصد إذلال شعبنا هناك والنيل من صموده وإلحاق الوهن في عزيمته لكن الجواب والرد المشير على هذه الأساليب الوحشية : لن تلاقوا منا جبانا أيها المجرمون ولن نركع لإرادتكم الخسيسة فلا معنى للحياة بدون كرامة وعمل صالح .

ويقول الشاعر أحمد محمد الصديق في قصيدة "توقيعات مجاهد أفغاني" :

ويوماً جاء لي ولدي .. بثوب الحزم مشتملاً
يقول : كبرتُ يا أبتاهُ .. لستَ الخائفَ الوجلاً
فدعني كي أخوضَ الحربَ .. أروي بالدم الغللاً
وراحَ إلى المدى كالبرق .. حتَّى جاوزَ الجبالَ
يواري نفسه .. ينسلُّ بين الصخر منفعلاً
يوجِّجُ غيظَه المكبوتَ ناراً .. أبرقتُ شعلاً
فحرقَ معقلَ الأعداء .. خلفَ النهر و انفتلاً
وأصبحَ طفلنا للناس في إقدامه مثلاً ..^١

هذا الصبي الذي ولد تحت قصف المدافع وزغرودة الرصاص قد صقلته الحرب وجعلت منه رجلاً يمتلك حزم الرجال وقوة شكيمتهم ، إنه أعطى بعمله البطولي الرائع مثالا يحتذى في الصمود والتصدي للأعداء . وقد عانت بلاد الأفغان سواء من الروس أو من الشيوعيين الأفغان ما لا يتصوره عقل أو يقصه راء ، وقد احتل الروس أجزاء كبيرة من البلاد بمساعدة عملائهم في داخل البلاد ، وكانت كابول العاصمة وعدد كبير من المدن الكبرى من جملة المدن الهامة التي سيطر عليها الشرذمة الخبيثة ، وقد قتلوا في تلك المدن مئات الألوف من المسلمين الأبرياء العزل . ولما شاء الله للمسلمين أن يستيقظوا من سباتهم العميق ، هيا الله لهم قادة كانوا قمة في علو الهمة والشجاعة والدين واستطاعوا أن يأخذوا بيد المسلمين الأفغان والأنصار الذين أتوا من كل فج لمساندة إخوانهم في محنتهم وقد وصلوا بهم إلى مدارج الرقي والصلاح ، وحققوا كثيراً من الانتصارات ، حتى استطاعوا أخيراً استرجاع كثير من الولايات التي احتلت من سابق .

وكان المجاهدون كلما دخلوا معركة وانتصروا فيها حث الشعراء قادة المجاهدين على مواصلة الجهاد ، والاستمرار فيه ، حتى يحقق الله للمسلمين النصر النهائي ، وحتى يخرج آخر

روسي ملحد من البلاد ، وتظهر الأرض من كل عميل شيوعي دنس الأرض بخيائته لدينه أولا ثم لوطنه ثانيا . ولذا فليس من المستغرب أن نلاحظ أن الشعراء يؤكدون هذا المعنى في أغلب قصائدهم ويلحون عليه بشكل واضح . وقد فضلت أن أورد بعض ما قاله الشعراء في تحريض قادة المسلمين عامة وقادة الأفغان خاصة والمجاهدين عموما من ورائهم على استرجاع باقي الولايات والمثابرة والقتال ضد أعداء الله ، نظرا لأن هذا الشعر هو المعنى البارز في التحريض على مواصلة الجهاد . وقد كان الشعراء يستغلون كل مناسبة للتذكير بالجهاد ، حتى تلك الحروب التي كان يخوضها المسلمون في وجه المنافقين الذين يمالئون الروس ومن والاهم بهدف الإبقاء على إماراتهم ، وحتى هذه المعارك الجانبية كانت فرصة للتذكير ببقية الولايات الداخلية في أفغانستان والدول الإسلامية في جميع أنحاء العالم الخاضعة لحكم الصليبية واليهود .

في الأبيات التالية يشجع الشعراء الشعب الأفغاني على القتال حتى النصر ، فالمجاهدون يستحقون حياة شريفة عزيزة ، ذلك أنهم يحققونها بالدماء ، بالسواعد ، وبالرصاص ، بعد الاعتماد على الله ، وهم لا يتنافسون على مغنم دنيوي ، إنما تنافسهم إلى العلا ، ولن ينال من عزائمهم إنكار عدو لهم ، فالرصاص الرد الناجع ، وهم - وفي كل معركة - يعطون العدو درسا يقبح وجهه ، ويرفع من شأنهم ، ويجعل رأسهم عاليا وما بالك بمجاهد يحمل القرآن الكريم بيد ، والسيف بيد ؟^١ ، فالسيف والقرآن كفيلا بالنصر .

لَكُمْ الْحَيَاةُ وَلِلطَّغَاةِ الْعَارُ	مَهْمَا طَغَتْ بِدُرُوبِكُمْ أَخْطَارُ
وإِلَى الْعُلَا يَتَنَافَسُ الْأَخْيَارُ	تَتَنَافَسُونَ إِلَى الْعُلَا بِجَهَادِكُمْ
فَلْتَهَنُّوا وَلِيَخْسَأَ الْأَشْرَارُ	مِنْ سُورَةِ الْأَنْفَالِ يَبْدَأُ زَحْفُكُمْ
مَنْ بَعْدَ مَا أَكَلَتْ رَوْاهُ النَّارُ	دُمُوءُ الرِّيَاسَاتِ تَأْكُلُ قَلْبَهَا
كَمْ يُنْكِرُونَ وَيَخْجَلُ الْإِنْكَارُ	كَمْ يَدْعُونَ بِأَنْكُمْ لَسْتُمْ هُنَا
فَطَغَتْ عَلَى بُهْتَانِهِ الْأَخْبَارُ	نَطَقَ الرِّصَاصُ مَعَ ادْعَاءِ عَدُوِّكُمْ
وَعَلَى عِمَائِكُمْ يَضُوعُ الْغَارُ	فِي كُلِّ مَعْرَكَةٍ تَشُوهُ وَجُوهُهُمْ
إِلَّا وَزَالَ الْغَدْرُ وَالْغَدَارُ ^١	فَالسَّيْفُ وَالْقُرْآنُ مَا اجْتَمَعَا مَعَا

^١ الشاعر محمد مأمون نجم : من قصيدة رسالة من عربي إلى المجاهدين الأفغان - مجلة الأمة - العدد ٥٤ ، جماد الآخر ١٤٠٥ هـ ،

فلنحن كما نرى من النص أمام مقاتلين أشداء يتنافسون إلى العلا ونصرة عقيدة التوحيد وهم ماضون في إحراز النصر تلو النصر رغم إنكار العدو . وهم الغالبون بإذن الله فإن قوة الإيمان مضافة إلى قوة السلاح كفيلة بإبادة العدو وسحقه . وقد رأينا مدح الشاعر لهم وفخره ببطولاتهم حتى يزدادوا بسالة في مواجهة العدو . وهنا يمدح الشاعر المجاهدين حتى يشعروا بقيمة ما يقدمون من الأرواح والعتاد في سبيل الله وبذلك يزيدوا البذل والعطاء إما بالشهادة وإما بالنصر .

فَقَدَتْ عُقُولُ الْغَرْبِ مِنْهُ صَوَابَهَا	وَبِمَا انْبَهَارَ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ
قَالُوا : أَمِنْ لَيْلِ الطَّغَاةِ وَلِيْلِهِمْ	وَالْقَتْلُ يَسْتَشْرِي أَفَاقَ نَهَارُ
قُلْنَا : وَمِنْ عَرَسِ الشَّهَادَةِ دَائِمًا	تَثْبُ الشَّمْسُ وَتَعْرُشُ الْأَقْمَارُ ^١

لقد فقد الغرب صوابه ودهش ، حتى مال صبره عن الحق ، أو مال عن مستوى النظر حيرة وشخوصا ، وأصبح زائغا ، فعجبوا ، كيف يزرغ نهار ، بعد ليل وتقتيل .

ويقول الشاعر أبو الأدهم في قصيدة "إلى المجاهدين الأفغان" :

اللَّهُ أَكْبَرُ زَحْفُكُمْ إِعْصَارُ	اللَّهُ أَكْبَرُ جَيْشُكُمْ جَرَارُ
يَا ثَوْرَةَ بِاسْمِ الْإِلَهِ تَفَجَّرَتْ	وَأَلْتَفَ حَوْلَ زَنْبِرِهَا أَنْصَارُ ^٢

يحث الشاعر المجاهدين على مواصلة الجهاد وتحويل الجنان إلى جحيم والهدوء إلى قصف وشهبا تتطاير فوق رؤوس الأعداء ، ويسقونهم السموم ويطحنونهم بالأنياب ونلاحظ أن الشعراء يذكرون غرضهم من أشعارهم مباشرة بطريقة موضوعية .

ويقول الشاعر أحمد محمد الصديق في قصيدة "جبال الأفغان" :

وَاجْعَلِي جَنَّةَ الْعَدُوِّ جَحِيمًا	يَخْصُدُ الْمَوْتَ دُونَهَا وَالْعَذَابَ
حَيْثُ شَدَّوْا الْهَزَارَ يَصْبِحُ قَصْفًا	وَجَنَاحُ الْفَرَّاشِ يَغْدُو شِهَابًا

^١ الشاعر محمد مأمون نجم : من قصيدة رسالة من عربي إلى المجاهدين الأفغان - مجلة الأمة - العدد ٥٤ ، جماد الآخر ١٤٠٥ هـ ،

^٢ مجلة المجتمع ، العدد ٦٦٧ ، أبريل ١٩٨٤ م ، ص ١٧

^٣ مجلة الأمان ، نوفمبر ١٩٨٩ م ، يناير ١٩٨٠ م ، ص ٢٥

وَعَبِيرُ الْأَزْهَارِ سُمًّا زَعَافًا
وَمِيَاهُ الْأَنْهَارِ تَسْرِي حَمِيمًا
كُلُّ شَبْرٍ .. وَكُلُّ حَبَّةٍ رَمَلٌ
يَتَلَطَّى التُّرَابُ غَيْظًا وَحَقْدًا
لِلْأَعَادِي .. وَالْبُرْعَمِ الْغَضُّ نَابًا
وَمَذَاقُ الثَّمَارِ وَالشَّهْدُ صَابًا
فَجَرِيهَا .. سُهُولُهَا وَالهَضَابُ
تَحْتَ أَقْدَامِهِمْ .. وَيَأْبَى اغْتِصَابًا^١

فكان الشاعر يحدو صفوف المجاهدين بهذه الأبيات التي تفيض حماسة وقوة ولا يفتأ يشد أزرهم ويثني عليهم ويحرضهم على مواصلة القتال .

وللشعراء دور كبير في زيادة الفتوحات والتشجيع على مواصلة القتال وهنا يحفز الشاعر المجاهدين على قتال الروس حتى في قعر ديارهم خارج أفغانستان وتفتيت دولة روسيا الكبرى وبين لهم أن أراضيتهم لا تستعصى على المسلمين المجاهدين .

ويقول الشاعر عبد المنعم الهاشمي في قصيدة "إلى الثورة الإسلامية الأفغانية ":

إِنْ هَدَدَ الرُّوسُ أَنْ يَغْزُوا أَرْضِيكُمْ
حَتَّى يَذُوقُوا وَبَالَ الْبَغْيِ ، إِنَّهُمْ
لَيْسَتْ أَرْضِيهِمْ مَعْصُومَةٌ وَأَرَا
أَعَانَكُمْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاءِ يَجْعَلُ
فَلْتَجْعَلُوا أَرْضَهُمْ لِلْحَرْبِ مِيدَانًا
أَهْلٌ لَهُ وَيَرَوْنَ مَنْ ذَا الَّذِي هَانَا
ضِيَكُمْ مُشَاعًا لِمَنْ يَبْغُونَ عُدْوَانًا
لَكُمْ دَمُهُمْ فِي الْحَرْبِ قُرْبَانًا^٢

فإننا نرى الشاعر يطلب من المجاهدين توسيع رقعة الحرب ونقل رحاها إلى داخل الحدود الروسية ليعلموا أن أراضيتهم ليست في مأمن عن أيدي المجاهدين .

ويقول الشاعر محمد عبد الغني حسن في قصيدة "من هؤلاء الصامتون ":

مَنْ هَؤُلَاءِ الْحَائِرُونَ كَأَنَّمَا
فَعَلَى غَوَارِبِهِمْ ضَنْىٌ وَتَهْدُمُ
صَبْرًا إِذَا مَشَتْ الرِّيحُ بِرُكْبِكُمْ
طَالَ الطَّرِيقُ بِهِمْ ، وَلَمْ يَتَقَدَّمُوا
وَعَلَى مَلَامِحِهِمْ أَسَىٌ وَتَجَهُهُمْ
وَأَنَاخَ كُلِّكَلَهُ الزَّمَانُ عَلَيْكُمْ

^١ مجلة منار الإسلام ، العدد ١١ ، ذو القعدة ١٤٠٩ هـ - يونيو ١٩٩٠ م ، ص ٩٨

^٢ مجلة المجتمع ، العدد ٤٥٧ ، ذو الحجة ١٣٩٩ هـ - مارس ١٩٧٩ م ، ص ٣٣ .

صبراً إذا الحادي استبان سبيله
صبراً إذا انبهر الحداة فلا ترى
هذى سبيل سار فيها قبلكم
غلبت وتغلب كل من سئم السرى

فإذا الطريق على الرواحل مظلم
في الركب من يشدو ومن يترتم
مترسّم في أثره مترسّم
ويكاد يغلبها الذي لا يسأم^١

والشاعر في هذه الأبيات يحث ركب السائرين ويذكرهم بحقيقة هامة وحكمة بالغة بأن الغلبة في النهاية للصابرين المثابرين الذين لا يعرف السأم سبيلا إلى نفوسهم ولا الوهن طريقا إلى عزائمهم . ويقول أيضا :

يا أيها الأفغان إن سبيلكم
لا يُسننكم الطريق إذا بدا
يكفي الصياح فما الحياة عبارة
الحق تحميه الصوارم والقنا

للمجد والعلواء أن تتقدموا
وعليه أشواك وفيه تجشّم
جوفاء فارغة يرددها الفم
والعدل تحفظه الضحايا والدم^٢

وهنا يستمر تشجيع الشاعر وحث القوم على المثابرة من أجل التغلب على المصاعب وتجاوزها إلى الهدف المرسوم مذكرا بأن سياج الحق والعدل هو الصارم وبذل الضحايا رخيصة في سبيله .

نبذ المذلة والإصرار على النصر أو الشهادة :

إن حياة لا خير فيها ، خير منها عدمها ، ولا يرتضي حياة الذل إلا الأذلاء ، وإن بدوا منتفخين ، فلا خير في قول لا يؤيده عمل ، أما الأفغان ، فأمرهم مختلف ، عملهم تابع لقولهم ، وأفعالهم شهد بها الأعداء قبل الأصحاب ، حين أراد بهم العدو شرا ، مشعلا النار في الأخضر وفي اليابس ، ولكن الرجال صمدوا .

فلنسمع الشاعر عمر الراكشي حيث يصور هذا المعنى في قصيدة له بعنوان "تحية إلى أفغانستان" فيقول:

^١ مجلة الوعي الإسلامي ، العدد ٢٣٨ ، يوليو ١٩٨٤ م ، ص ٢٣

^٢ المرجع نفسه .

فَلَيْسَ مَنْ عَاشَ مَنْ عَلُوا وَمَنْ طَعَمُوا
 حَتَّى لَوْ نَفَخْتَ أَضْلَاعَهُ النَّسَمُ
 وَأَضِيعَ الْحَقُّ إِنْ لَمْ تَحْمِهِ الْهَمَمُ
 وَتَهْضُرَ الْحَرْبُ أَكْبَادًا وَتَخْتَرِمُ
 وَيَكْبُرُ الْقَيْلُ وَالتَّأْوِيلُ يَحْتَدِمُ
 (وَيَسْهَرُ الْخَلْقُ جَرَاهَا وَيَخْتَصِمُ)
 فَأَرْهَفَ الْخَصْمُ أُذُنًا عَابَهَا الصَّمَمُ
 وَقُوْدَهَا النَّاسُ وَالْأَحْقَادُ وَالنَّقَمُ
 حَرْبٌ هِيَ النَّارُ وَالْبَارُودُ وَالْحِمَمُ

لَيْسَ طَعْمُ حَيَاةٍ مِثْلُهَا الْعَدَمُ
 مَنْ يَحْمَدُ الْعَيْشَ ذُلًّا إِنَّهُ جَيْفُ
 مَا أَوْهَنَ الْقَوْلَ إِنْ لَمْ يَحْمِهِ بَطْلُ
 أَفْغَانُ تَعَصُّمُهُ زَمَنًا وَيَعَصْمُهَا
 وَيَكْثُرُ الْقَوْلُ حَوْلَ الْهَوْلِ مُخْتَلِطًا
 وَيَغْرَقُ النَّاسُ فِي تَفْسِيرِ حَرْبِهِمْ
 فَكَمْ تَكَلَّمَ تَحْتَ الشَّمْسِ سَاعِدُهُمْ
 أَرَادَهَا الْبَغْيُ حَرْبًا بَنَسَ مُشْعَلُهَا
 قَصَفُ الرُّعُودِ مَعَ الزَّلْزَالِ تَنْشُرُهُ

فالنص كما نرى يوضح معنى الحياة ومفهومها الصحيح فما الناس أحياء إلا بقدر ما
 يملكون من العزة والكرامة ويرفضون الذل والمهانة وقد جسد المجاهدون الأفغان هذا المفهوم
 وعبروا عن هذا المعنى خير تعبير عندما هبوا في وجه الغزاة الملاحدة متمسكين بعزتهم النابعة أمام
 لظى الحرب وقسوتها البالغة . ويقول الشاعر عبد المنعم الهاشمي في قصيدة مجلس الخوف :

تَحِيدُ بِهِمْ عَنْ دِينِ رَبِّ الْبَرِيَّةِ
 عَلَى أَرْضِهِمْ يَمْشِي بِعَسْكَرِهِ الْعَتِي
 عَنِ الْبَلَدِ الْمُحْتَلِّ دَابُّ الْأَذْلَةِ
 عَلَيْهِ اللَّعْنَةُ بَلَا أَيَّ كَلِمَةٍ
 يُضِلُّونَ مَنْ ضَلُّوا بَتَرَكَ الْحُكُومَةِ
 بِإِيمَانِهِمْ بِاللَّهِ رَبِّ الْخَلِيقَةِ
 أَتَوْهُ فَرَادُوا مِنْ ضِيَاعِ الْقَضِيَّةِ
 وَفَتَحَ يَضَاهِي فَتَحَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ
 لَضَجَةِ أَعْلَامٍ وَأَقْوَاسٍ خَفِيَّةِ

لَقَدْ رَفَضَ الْأَفْغَانُ أَيَّ خُدْعَةٍ
 فَلَيْسُوا كَمَنْ فَاوَضُوا الْعَادِي الَّذِي
 مُفَاوَضَةُ الْمُحْتَلِّ قَبْلَ جَلَائِهِ
 عَلَى أَيِّ شَيْءٍ فَاوَضُوا أَعْلَى الَّذِي
 وَمَا حُكْمُ الْأَفْغَانِ عُصْبَةٍ مَجْلِسِ
 أَلَا وَهِيَ الْحَرْبُ الْعَوَانُ مَقَامَةٍ
 فَمَا فَكَّرُوا فِي مَجْلِسِ الْخَوْفِ كَالْأُلَى
 وَقِيلَ لَهُمْ فِي الصُّحُفِ قُمْتُمْ بِغَزْوَةٍ
 وَعَادُوا إِلَى مُسْتَقْبَلِهِمْ بِنَفْخَةٍ

وَلَكِنَّمَا الْأَفْغَانُ فِي عَالَمِ الْعُلَا
فَلَمْ يَعْرِفُوا غَيْرَ إِلَهِ نَصِيرَهُمْ
يَعِينُهُمُ اللَّهُ الْعَلِيِّ وَإِنْ أَبَى
وَلَيْسُوا كَأَقْوَامٍ بِقَاعِ هَوِيَّةٍ
وَنَعَمَ النَّصِيرُ اللَّهُ رَبُّ الْبَرِيَّةِ
إِعَانَتُهُمْ مَنْ قَدْ رَضُوا بِالْدُّنْيَةِ^١

النص على ضعف نسجه وخلخله بنيانه وركاكة أسلوبه فإنه يشير إلى تمسك المجاهدين المؤمنين في أفغانستان بعقيدتهم وعزتهم ورفضهم ذل المستعمر ومهانة الانقياد لإرادة غريبة كالفرة ملحدة خسيصة دينية . ويقول الشاعر أبو الحسن في قصيدة أفغانستان :

فَأَجَابَنِي الصَّمْتُ الرَّهِيْبُ مِنَ الْأَسَى
أَنَا بِنُ مِنْ يَأْبَى الْجَرَائِمِ وَالْخِنَا
هَذَا بِعُرْفِ الْكَافِرِينَ خِيَانَةٌ
حَتَّى اعْتَارَنِي الصَّمْتُ وَالْإِفْحَامُ
يَأْبَى سَيَادَةَ مَنْ طَغَوْا وَأَضَامُوا
وَبَدِينَ مَنْ جَحَدُوا الْإِلَهَ حَرَامُ^٢

وهكذا فقد ضرب المجاهدون الأفغان مثالا يحتذى في رفض سيادة الطغاة الظالمين على أرضهم وخروجهم عن رغبة طغمة خائنة تمالي المعتدي وتعينه على بني جلدتهم من المواطنين الأفغان . ويقول الشاعر يحيى بشير في قصيدة إرادة وإباء :

لَكِنْ لَنْ أَخْضَعَ فِي يَوْمٍ
أَنَا لِي هَدَفٌ أَسْمَى ، أَعْلَى
أَنَا لَسْتُ أُخَاصِمُ لِلدُّنْيَا
لِلذُّلِّ بِضَعْفٍ أَوْ لِيْنِ
نَفْسِي لَا تَرْضَى بِالدُّوْنِ
دُنْيَاكُمْ لَيْسَتْ تُغْرِينِي^٣

هكذا يكون الخصام من أجل الدين وليس من أجل الدنيا مهما عظم إغراؤها وهكذا تكون نفس المؤمن ترفض الذل والهوان وتعشق العزة والكرامة .
ويقول الشاعر أبو الحسن في قصيدة الجهاد المنصور :

لَا نَرْتَضِي فِي دِينِنَا أَوْ شَرَعِنَا
بِتَعَدُّ الْأَمْرَاءِ وَالْأَسْوَارِ

^١ مجلة المجتمع ، العدد ٧٤٧ ، ديسمبر ١٩٨٥ م ، ص ٢٤

^٢ مجلة الجهاد ، ذو القعدة ١٤٠٥ هـ - يوليو ١٩٨٥ م ، ص ٣٣ .

^٣ مجلة الإصلاح ، العدد ١٠٧ ، ديسمبر ١٩٨٦ ، ص ٣٤

لَا نَرْتَضِي بِحُكُومَةٍ مَهْزُوزَةٍ
لَا نَرْتَضِي بِحُكُومَةٍ مَطْوَاةٍ
بَلْ إِنَّا نَرْضَى أَمِيرًا وَاحِدًا
وَزَرَاؤُهُ يَخْتَارُهُمْ كُلُّ قَوْمٍ قَالَهُ
إِنْ قَالَ نَقَذَ كُلُّ قَوْمٍ قَالَهُ
حَتَّى تَكُونَ حُكُومَةٌ فِيهَا بَهَا
وَيُطِيعُهَا أَبْنَاؤُهَا فِي عِزَّةٍ
وَلَتَعْلَمِ الدُّنْيَا بَأَنَّا هَاهُنَا
لَا نَرْتَضِي وَطَنًا رَقِيقًا نَاعِمًا
لَكِنَّا نَرْضَى - فَقَطْ - يَا اخَوَتِي
يَحْمُونَ دِينَ (مُحَمَّدٍ) لِيُشِيدُوا
وَلِذَا فَإِنَّ الْأَمْرَ يَبْغِي اخَوَتِي
تَقْوَى الْإِلَهِ لِبَاسِهِ وَحَيَاتِهِ
فَأْمَلِي يَا أُمَّتِي وَتَقَدَّمِي

فِي سَيْرِهَا رَقِصٌ عَلَى الْأَوْتَارِ
يَوْمًا تُطَافُ بَدَارُهُمْ أَوْ دَارِي
لِلْمُؤْمِنِينَ يَقُودُ كَالْإِعْصَارِ
لَا يَفْرِضُونَ عَلَيْهِ بِاسْتِكْبَارِ
حَسْمٌ وَحَزْمٌ زَادَهُ بَوَقَارِ
كُلُّ الطَّغَاةِ وَحَفْنَةُ الْكُفَّارِ
أُسْدُ الْجِهَادِ وَثَلَّةُ الْأَنْصَارِ
لَا نَرْتَضِي بِحُكُومَةِ الْخَوَارِ
بَعْرِينَ أُسْدِ مُؤْمِنِينَ ضَوَارِي
عِزًّا لَأُمَّتِنَا بِكُلِّ فَخَارِ
بَطْلًا يَصُونُ الدِّينَ بِالْبَتَارِ
فِيحْكُمُ الْقُرْآنُ بِالْأَمْصَارِ
وَلَتَحْكُمَنِي بِالْحَقِّ لِلْأَحْرَارِ
(كَابُولُ) بَعْدَ الصَّبْرِ وَالْإِصْرَارِ^١

يكاد لا يخلو نص شعري في الجهاد من الحديث أو الإشارة إلى هذا الأمر : النصر أو الشهادة وكلاهما مغنم كبير يحرص كل مجاهد على ألا يفوته كسبه وقد كان هذا الأمر هو المحرك الرئيسي للقتال والحافز على الاستبسال في ميادين الصراع عبر التاريخ الإسلامي المليء بالمصادمات مع الغزاة الطامعين وهو العامل في تحقيق معجزة النصر في أفغانستان وغيرها على العدو المدجج بأحدث آلات الدمار ، ولا عجب فإن المجاهد المسلم لا يتراجع حتى يفوز بإحدى الحسينين : النصر أو الشهادة . وقد أكثر الشعراء من الحديث عنهما بالإشارة والعبارة وقرنوا الشهادة بالحديث عن الدنيا الفانية وملذاتها التافهة وذكروا المجاهدين بما ينتظرهم من ثواب عظيم ونعيم مقيم عند رب العالمين .

يقول د. عبد الرحمن العشماوي في قصيدته " على أنقاض مدينة هرات " مشيراً إلى ظهور

بوادر النصر بوصول العون من المسلمين إلى إخوانهم الأفغان :

ها أنتَ تقربُ يابعدُ

ها أنتَ تسكبُ في مسامعنا الحزينة

لحنَ عيد

هذي يدُ الاسلامِ قد مُدتَ إليك

صافحَ وسلّمها يديك

هذي هراتُ يلوحُ في أنقاضها

نورُ اليقين

رفعتَ يديها للسماء

تدعوُ إلهَ العالمين

وتضجُ أحجارُ المدينة بالدعاء

ويجيءُ صوتُ بالبشارة من بعيد

بُشراك بالنصرِ المبين .. بشراك بالنصرِ المبين^١

هكذا تلاقت الأيدي وتلاحمت الزنود المؤمنة مصممة على كسب النصر وسحق العدو

حتى أن أحجار المدينة (مدينة هرات) قد أحست بقرب انبلاج فجر النصر فضجت بالدعاء

لربها سائلة إياه حصول البشرى السنية عما قريب . ويمثل أحمد عبد الله الزهراني رحمه الله -

الشاب السعودي الذي استجاب لنداء الجهاد ، وصرخات الاستغاثة التي انطلقت من الأطفال

والنساء والشيوخ فكان بذلك رمزا ليد الإسلام التي امتدت هرات وغيرها ، يقول الشاعر

د. عبد الرحمن العشماوي عن انطلاقة أحمد الزهراني للجهاد :

أرأيتَ أحمدَ كيفَ جردَ نفسهُ

في نُصرةِ الحقِّ المبينِ مهتداً

ومَضَى عَلَى دَرْبِ الجهادِ مُبَكِّراً

لَمْ تَبْلُغِ العِشرونَ مِنْهُ الْمُقْصِداً

جَعَلَ الشَّبابَ مَطِيَّةَ الجهادِ

فَشَدَا بِالْحَنِّ الْجِهَادِ وَغَرْدًا^١

إنه مثال رائع للشباب المسلم الذي ينبذ الدنيا وراء ظهره ولم يزل في مقتبل العمر ويقبل على ربه مجاهدا حتى سقط شهيدا مجسدا بشهادته وجهاده وحدة الصف المسلم ومعبرا عن الأخوة الدينية خير تعبير . ولما رزقه الله الشهادة نال بها السيادة :

أَحْيَيْتَ بِالتَّقْوَى سَعَادَةَ قَلْبِهَا

وَعَدَوْتَ فِيهَا بِالشَّهَادَةِ أَسْعَدًا^٢

وفي " وسام العز في وجه عائشة " تمثل عائشة الفتاة المسلمة المجاهدة مقابل أحد الزهراني الذي مثل الشاب المسلم المجاهد . وعائشة التي كادت تفارق طفولتها حين أصيبت في أنفها وشفتها يشتعل في قلبها عزم الجهاد وتنطلق في آفاق بعيدة لترى نفسها واحدة بين عرائس الإسلام المجاهدة فتقول :

لَقَدْ أَصْبَحْتُ يَا أَبَتِي

مُجَاهِدَةً

سَأَسْتَرُّ هَذِهِ الدُّنْيَا بِمِلْحَفَتِي

سَأَجْعَلُهَا

تُرْدَدُ لَحْنُ أَغْنِيَتِي

سَأَغْسِلُ هَذِهِ الْأَدْرَانَ

أَغْسِلُهَا

سَأَحْمِلُ رَايَةَ الْإِسْلَامِ

أَحْمِلُهَا

وَسَوْفَ أَزِفُ لِلدُّنْيَا

ضِيَاءَ الْفَجْرِ يَا أَبَتِي

^١ من ديوان عندما يعزف الرصاص ، ص ٤١

^٢ المرحع نفسه

وَأَنْسُجُ مِنْ خُيُوطِ الْمَجْدِ

خَاتَمَتِي

مجاهدة ..^١

أما هذه الفتاة فإنها مثال الفتاة المسلمة التي ضحت بحياتها لتساهم في صنع مجد الإسلام وإعلاء رايته خفاقة رغم أنف المعتدين الحاقدين . وفي قصيدة " عندما يعزف الرصاص " يخاطب الطفل الصغير أباه بلغة المجاهدين الكبار فيقول :

أَنَا يَا أَبِي طِفْلٌ وَلَكِنْ ، هِمَّتِي فَجَرُّهُ بِهِ يَحُلُّو لِي اسْتِشْهَادُ^٢

لله ما أعظم همة هذا الطفل الذي يريد أن يشارك في الجهاد كي يساهم في نصر شعبه أو يسقط شهيدا .

ويسل سيف عنزة الفوارس رافضا الذل ويسير في دروب الآباء المجاهدين :
دَعْنَا نُسَافِرُ فِي دُرُوبِ آبَائِنَا وَلَنَا مِنَ الْهَمَمِ الْعَظِيمَةِ زَادُ
مِيعَادُنَا النَّصْرُ الْمُبِينُ ، فَإِنْ يَكُنْ مَوْتُ ، فَعِنْدَ هُنَا الْمِيعَادُ
دَعْنَا نَمُتْ حَتَّى نَنَالَ شَهَادَةً فَالْمَوْتُ فِي دَرْبِ الْهُدَى الْمِلَادُ^٣

هكذا يعرف المجاهد مآله بوضوح إما النصر المبين على الأعداء وإما الشهادة في سبيل الله فلا داعي للخوف من الموت الذي هو حياة منعمة في جنة الخلد . وفي " أشلاء أغنية حزينة " د. عبد الرحمن العشماوي بينما يبحث الأب الشيخ عن ولديه القتيلين بين أنقاض مدينة (فرح) يأتي سمعه صوت أحدهما مجيبا عن سؤاله :

وَلَدَيَّ .. كَيْفَ أَرَاكُمَا ؟

أُتْرَى غِيَابَكُمَا يَطُولُ ؟

وَأَتَاهُ صَوْتُ كَالْتَنَمُّ :

جَاهِدْ وَجَالِدْ يَا أَبِي

^١ من ديوان عندما يعزف الرصاص ، ص ٣٧

^٢ المرجع السابق ، ص ١٧

^٣ المرجع نفسه

حَتَّى نَرَاكَ هُنَا وَنَحْيَا خَالِدِينَ
بِجَوَارِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^١

لأن الجهاد طريق الاستشهاد ، والاستشهاد هو الحياة الأبدية الكريمة عند الله سبحانه وتعالى .

أما في " من أين أبدأ رحلتي للدكتور عبد الرحمن العشماوي " فالطفل هو الذي يسأل وأبوه يجيب بثقة بأن النصر آت لأنهم يعضون باليقين .

بَيَقِينَنَا نَمْضِي وَنَهْزُمُ
كُلَّ شَكٍّ وَارْتِيَابٍ
وَأِلَى مَتَى ؟؟ هَذَا السُّؤَالُ
وَعِنْدَنَا نَحْنُ الْجَوَابُ
سَنَسُدُّ بَابَ الظُّلْمِ
يَا وَلَدِي وَنَفْتَحُ أَلْفَ بَابٍ^٢

أجل فإن في النصر إغلاق لباب الظلم وفتح لأبواب الحياة الكريمة العزيزة . أما قصيدة " يا رافعا علم الجهاد " فهي مخصصة للدعوة إلى الجهاد والحث عليه وبيان حسن خاتمته ، فيقول مخاطبا الشيخ المجاهد عبد رب الرسول سيف :

يَا رَافِعًا عِلْمَ الْجِهَادِ ، وَأُمْتِي
اضْرِبْ بِسَيْفِكَ فَالرُّؤُوسُ وَإِنْ بَدَتْ
سِرٌّ ، فَالطَّرِيقُ طَوِيلَةٌ ، لَكِنَّهَا
مَشْغُولَةٌ بِتَّاحِرٍ وَخَصَامِ
مَلَى مُفَرَّغَةً مِنَ الْأَحْلَامِ
تُقْضَى إِلَى عِزٍّ وَحُسْنِ خِتَامٍ^٣

نرى الشاعر الدكتور عبد الرحمن العشماوي في هذه الأبيات يتنازعه شعوران متناقضان فهو يلوم أمته ويعتب عليها لانشغالها عن الجهاد بالخصومات التافهة ويفخر من جهة أخرى بالجهاد الأفغاني البطولي الذي سيفتح طريق العزة والكرامة والمجد عريضة مأمونة . فهذه المعاني التي أظهرها الشاعر في قصائده بوضوح بحيث تكرر بعضها في معظم القصائد ، والتنظم بعضها الآخر القصائد كلها . هذه المعاني تعد من الأفكار الرئيسة في شعر الجهاد الأفغاني وهي تتسلسل

^١ من ديوان عندما يحرق الرصاص ، ص ٥٤ .

^٢ المرجع نفسه .

^٣ مجلة الأمة الإسلامية ، العدد ٥٣ ، فبراير ١٩٨٥ م ، ص ٤٥ .

بعضها فالحرب الظالمة التي شنها معتد كافر عات على شعب مسلم ضعيف لم يحسب له أي حساب هب من بين الأنقاض والركام ، وانطلق من الخيام التي امتلأت بالأراامل والأيتام نافضا عن روحه اليأس والاستسلام متذرعا بالإيمان ، ورافعا لواء الإسلام ، يحارب بصبر وثبات يطلب إحدى الحسينين : النصر أو الشهادة ؛ حتى فتح الله عليه ، وقهر جيوش الإلحاد ، وزالت دولة الشيوعية الحمراء من الأرض . لا ريب في أن للشهادة مكانة خاصة في الإسلام ، فتوابها عند الله عظيم ومكانة صاحبها عند البشر لا تعد لها مكانة ، وهي المحرك على الجهاد والباعث على الاستبسال عند اللقاء ، وحيثما سقط الشهداء أشرفت الأرض بنور الحرية وفاحت بعبق الإيمان الخالد . وحيثما انطلق الجهاد ، وتجاوب معه الشعراء أولوا الشهادة والشهداء أهمية خاصة في شعرهم .

وهذا هو الشاعر الدكتور عدنان النحوي يخصصهم بعنوانين في مراثية في الملحمة (مواكب الشهداء في ملحمة الإسلام)^١ و (سباق على درب الشهادة)^٢ و (شهداء الأفغان أبطال ملحمة)^٣ . وما ذلك إلا لأن المجاهد يضع نصب عينيه أرقى المراتب وأعلى الدرجات ، ولا درجة أعلى من درجة الشهيد ، فهي الجنان :

رِجَالُهَا وَمَعَالِي الْمَجْدِ حَيْثُ تَرَى	هِيَ الشَّهَادَةُ أَعْرَاسٌ يُزَفُّ لَهَا
إِلَى مَنَازِلِهَا الْأَحْدَاثُ وَالْغَيْرَا	تَزَاحِمُوا فِي دُرُوبِ الْحَقِّ وَاسْتَبَقُوا
وَأَقْبِلُوا وَثَبَاتَ بَيْنَهَا زُمَرَا	تَنَافَسُوا فِي مَيَادِينِ الْمُدَى شَرَفَا
رَاضِينَ ، كُلُّ عَلَى إِحْسَانِهِ ظَفَرَا	وَأَيَّةُ اللَّهِ فِيهِمْ أَنَّهُمْ سَبَقُوا
قُلُوبُهُمْ بِهِوَ مِنْهُ وَمَنْ قَصَرَا	وَخَلَفُوا فِي وَحُولِ الْأَرْضِ مَنْ عَلَقَتْ
إِلَّا الْهَلَاكَ وَلَمْ يَلْقُوا بِهَا وَطَرَا	تَنَافَسُوا شَهْوَةَ الدُّنْيَا فَمَا رَبِحُوا
تِجَارَةً ، وَيَلْهُمَّ ، يَا ذُلَّ مَنْ خَسِرَا	لَمَّا انْتَهَى أَجَلُ قَالُوا : إِذَنْ خَسِرَتْ

^١ ملحمة الجهاد الأفغاني ، ص ١٤١ - ١٤٢

^٢ المرجع السابق ، ص ١٤٢ - ١٤٣ .

^٣ المرجع السابق ، ص ١٤٤ .

^٤ من ديوان عندما يعزف النضال ، ص ١٤١ - ١٤٢

الأمل في النصر واتخاذ أسبابه :

لابد أن يعقب الليل نهار ، والكرب فرج ، فلقد هب مجاهدون ، رفعوا راية التوحيد ، فبدا الفجر قريبا ، والخلاص مؤملا ، قبضوا على دينهم فبدوا غرباء ، تصدهم شباك غرب متفسخ ، ولم يذلم شرق جاحد ، امتلأت قلوب أعداء الله عليهم غيظا ، فمنهم من سجن ، ولكنه ظل عزيزا ، محتفظا بكرامته وإبائه ، لقد حرص الملاحدة على محاربة الدين ، ولكن الله أحبط أعمالهم ، وبدأت الأمة تنهض . وبدأت الآمال تتحقق ، فما أن يسمع الملاحدة شعار (الله أكبر) حتى وكأنما الأرض تنزل من تحت أقدامهم ، فكان الشعار إنذارا لعروشهم التي آن دمارها ، وأصبح الجبناء الحمر يرتعدون عند القتال ، ويضطربون جبنا وهلعا ، وكانت (الله أكبر) إيذانا جليا بأن نصرنا على أعداء الله قد اقترب .

هتَفُوا بِأَنَّ الْفَجْرَ غَيْرُ بَعِيدٍ	إِنِّي أَرَى رَغَمَ الظَّالِمِ أَحَبَّةً
لِلْغَرْبِ ، حَتَّى يَنْعَمُوا بِرَغِيدٍ	غُرَبَاءُ مَا عُرِفُوا دُعَاةَ تَفْسُخٍ
فَيُثَوِّرُ يَحْمِي حَزْبُهُمْ بُوْعِيدٍ	كَلَّا ، وَلَيْسَ الشَّرْقُ يَعْرِفُ ذُلَّهُمْ
زُعَمُوا دُعَاةَ تَشَدُّدٍ وَجُمُودٍ	دُفِعُوا إِلَى السَّجْنِ الرَّهِيْبِ أَعَزَّةً
فِي النَّائِبَاتِ إِذَا حَمِينَ أُسُودِي	إِنِّي لَا دَعُوهُمْ وَأَعْلَمُ أَنَّهُمْ
تَمْضِي إِلَى نُورِ الْهُدَى الْمَسْدُودِ	هَيَّا افْتَحُوا لِلْعَامِلِينَ مَنَافِذًا
عَرْشَ الْبُغَاةِ ، وَعَصْبَةَ الرَّعْدِ	اللَّهُ أَكْبَرُ زَلَزَلَتْ ضَرْبَاتُهَا
تُوحِي بِمَقْدَمِ نَصْرِنَا الْمَشْهُودِ ^١	اللَّهُ أَكْبَرُ فِي الطَّرِيقِ مَعَالِمٌ

ويقول الشاعر أبو أسامة في قصيدة سقوط الطغاة :

لُتَطَهَّرَ الْأَرْضُ مِنْ أَدْنَسِ مَنْ جَارُوا	هَذِي كِتَابُ جُنْدِ اللَّهِ قَدْ قَدِمَتْ
حَتَّى رَأَيْتَهُمُ لِلْحَرْبِ قَدْ طَارُوا	مَا أَنْ تَدَاعَى إِلَى أَسْمَاعِهِمْ ، وَثَبُوا
بُؤْجُوهُمْ عَزَمَ ، فِي الْقَلْبِ إِصْرَارُ	تَهْفُو قُلُوبُهُمْ لِلِقَاءِ خَالِقِهِمْ
رَجُلُ الْعَقِيدَةِ لَا تُشِيهِ أَخْطَارُ ^٢	لَمْ يُشْنِهِمْ عَنْ غِمَارِ الْحَرْبِ خَوْفُ أَدَى

^١ الشاعر محمد عبدالقادر القادسي : من قصيدة يا أمة الاسلام ، مجلة المجتمع ، العدد ٦٤٥ ، نوفمبر ١٩٨٣ م ، ص ٥٢

^٢ مجلة الإصلاح ، العدد ٣٧ ، رمضان ١٤٠٧ هـ ، ص ٣١

إن الدين وأثره وعمله وصداه سبب حقيقي وراء النصر حيث أن الدين حماية للأمة ،
يقيها ، ويصد عنها ، ويرعاها ، الدين ينير لها الدروب ، ويضيء لها المسالك ، حين تجابهها
نوازل ، الدين أمل الأمة في غد باسم جميل هنيء ، الدين محرك الأمة لتهدب وتنهض من نومها ،
لتجاهد ، صونا لراية التوحيد خفاقة ، الدين نعم المحرك ، نعم المثير ونعم الحافز ، لتصمد الأمة
في وجه الملحدين وأمثالهم وتدحرهم وتجعلهم يجرّون أذيال الخيبة والهوان ، فلا يبقى طاغ متجبر
غشوم ، إلا وشرب كأس الذل ، الدين نعم النشيد يثير الأحاسيس ، يحرك الوجدان ، ويلهب
المشاعر ، فتقبل النفوس على الموت راضية قريرة العين من غير خوف ، ومن غير ملل أو نصب
، لتدحر الطغاة ، وتنال إحدى الحسينين ، شهادة أو نصرا ، فوق أجساد الزاحفين هواة الغدر
الجبنةاء ، ونعم الحسينيان .

المبحث الخامس : بشائر النصر وعوامله :

الوحدة بين المسلمين :

وقد عبر الشعراء عن هذا المعنى بإنكار تمزيق العالم الإسلامي إلى دول ، وإقامة حدود
فاصلة بينها مما سهل وقوعها فريسة للعدو . فقال الشاعر د . عدنان النحوي في قصيدة " الدماء
التي صبت حياة " :

يَا دِيَارَ الْإِسْلَامِ! مَزَّقَكَ الشُّـ	رُّ وَهَذَا الْهَوَانُ وَالتَّشْرِيدُ
نَصَبُوا فِيكَ يَا دِيَارُ حُدُودًا	خَنَقْتَنَا حَوَاجِزٌ وَحُدُودٌ
قَدْ رَضِينَا بِمَا أَقَامُوا فَضَاقَتْ	مِنْ رِضَانَا عَلَى التَّشْرِيدِ اللَّحُودُ ^١

فالشاعر يرى بلاد الإسلام دارا واحدة تسكنها أسرة واحدة ، أما الحدود المقامة بينها
فهي مما صنعتها يد الشر من أجل تضيق الخناق على أبناء الأمة وزرع الخصومات بينهم بحيث
صار الكيان الواحد كيانات مستقلة بذاتها ترفض أي وافد مسلم مشرد أن يأوي إليها ، وصارت
تلك الحدود أشد ضررا على الأمة من الأعداء أنفسهم . واسترسل في بيان هذا المعنى وهو يربط
بين أفغانستان وفلسطين .

فيقول د. عدنان التحوي في قصيدة " على أبواب كابول " تحت عنوان نجوى بين كابول وفلسطين :

كابولُ لي مَنزَلُ كَانَتْ مَلاعِبُهُ	مَعْنَى الصَّبَا وَرَفِيفَ الطَائِرِ الْغَرْدِ
هَنَّاكَ بَيْنَ ظِلَالِ الْبِرْتَقَالِ سَرَى	نَفْحُ الْعَصُورِ غَنَى الْجُودِ وَالْمَدَدِ
هَلْ الْبَسَاتِينُ مَازَالَتْ تَلْمُ بِهَا	أَحْلَى الثَّمَارِ وَأَحْلَى الْعَطْرِ وَالشَّهْدِ
هَلْ الْعَصَافِيرُ مِنْ أَعْشَاشِهَا خَرَجَتْ	مَعَ الْبُكُورِ وَهَلْ زَهْرُ الرِّيَاضِ لَدَيِ
هَلْ الْمَرْجُ هَلْ الْأَنْسَامُ هَلْ زَهْرٌ	يَمُوجُ بَيْنَ غَنَى الْحُلِيِّ وَالسُّبْرِ
كَأَنَّ وَشُوشَةَ الزَّيْتُونِ أَغْنِيَةً	تَقُولُ هَذِي مَيَادِينُ الرَّدَى فَرْدٌ؟ ^١

والشاعر في هذه الأبيات لا يقر بهذه الحدود وينكر تقسيم الجسد الواحد إلى أعضاء ميتة لا حياة فيها، ويرى في ذلك مؤامرة كبيرة ومكيدة خبيثة ترمي إلى إضعاف قوة المسلمين بالقضاء على وحدتهم فبلاد المسلمين واحدة ولا فرق بين فلسطين وأفغانستان أو أي بلد مسلم آخر . والشاعر يكشف هنا ما يدبر لفلسطين من مؤامرات لتمزيقها ، وما فلسطين إلا أخت أفغانستان وبنت الإسلام . لذلك يؤكد على ضرورة توحيد صفوف المجاهدين ، وإقامة وحدة المسلمين على أساس منهج الله القويم . فهو ينادي العالم الإسلامي كله للجهاد .

فيقول الشاعر أيضا في قصيدة " الدماء التي صببت حياة " :

يَا رَبِّي الصِّينَ ! يَا رَبِّي الْهِنْدَ ! يَا شَا مُمْ ! وَيَا نَيْلُ يَا مَلَا حِمُّ ! عُدُودُ^٢

ويؤكد رباط الأخوة الإسلامية مع الشعب الأفغاني ، فيقول نفس الشاعر تحت عنوان "

طيوف الأعراس والأجواد " :

بَيْنَنَا مِنْ وَشَانَجِ الدِّينِ قُرْبَى وَحِبَالُ مِتِينَةٍ مِنْ وَدَادِ^٣

^١ من ديوان مهر جان القصيد ، ص ١٧٥

^٢ مجلة الرسالة ، العدد ٨١٧ ، ديسمبر ١٩٨٧ م ، ص ٤٣

^٣ من ملحمة الجهاد الأفغاني ، ص ١١٧ - ١٢٠

ويقول تحت عنوان " شوق الجهاد و جلال النصر " مؤكدا أنه لا فرق عنده بين (كابول)
وغيرها من بلاد المسلمين ، لأن نسب المسلم إسلامه :

كَابُولُ دَارِي وَإِنْ شَطَّ الْمَزَارُ فَمَا يَقْرَبُ الدَّارَ إِلَّا لَهْفَةَ الْكَبْدِ
فَحَيْثَمَا كَانَ ذِكْرُ اللَّهِ عُدْتُ إِلَى حَبْلِ مِنْ اللَّهِ مَوْصُولٍ وَمَتَّعِدٍ^١

فنحن نراه يؤكد على رابطة الدين ويجعلها وشيجة أقوى من كل الوشائج فالنسب الصحيح هو نسب الدين لا غيره ، لذا فهو ينادي اخوته في الدين فوق الأرض الإسلامية كلها ، ويرى أن داره هي كل بقعة إسلامية يذكر فيها اسم الله وأهلها هم أهله أيضا لا فرق في ذلك بين عربي أو أعجمي . وقال أيضا تحت عنوان " مواقع وملاحم " يدعو قادة المجاهدين إلى توحيد الصف ، محذرا من تفرق الأهواء :

مِيلُوا "لِكَابُولَ" صَفَا لَا يُمَزَّقُهُ هَوًى عَلَى فَرْقٍ شَتَّى وَلَا قَدَدٍ
صَفَا إِلَى اللَّهِ مَرْصُوصَا دَعَانُمُهُ تَقْوَى تُثَبِّتُ مِنْ أَسٍّ وَمِنْ عُمْدٍ
أَمَّا سَمِعْتُمْ نِدَاءً مِنْ مَآذِنِهَا "اللَّهُ أَكْبَرُ" مَنْ يَصْدُقْ بِهِ يَرِدِ
فَالْهَبُوا الدَّرَبَ مِنْ إِقْدَامِكُمْ شُعَلًا لِيُشْرِقَ الْفَجْرُ مِلءَ الْأَفْقِ وَالنُّجُودِ
وَفَتَحُوا دُونَهَا الْأَبْوَابَ ، عَهْدُكُمْ عَهْدٌ مَعَ اللَّهِ لَمْ يُنْكَثْ وَلَمْ يَحِدِ
ضَيْقُ الْحَصَارِ عَلَى عِزِّ التَّقَى فَرَجُ وَفُسْحَةُ الْكُفْرِ ضَيْقُ الذِّلِّ وَالنَّفْدِ^٢

ونراه هنا يؤكد على وحدة الصف الأفغاني المسلم ، حفاظا على قوته وخشية من إضاعة الفرصة في تحقيق النصر وتحرير الأرض ودحر العدو وليكن نداء (الله أكبر) الشعار الأمثل والأعلى الذي تذوب معه كل الخلافات وتتساقط عنده كل الأهواء وتأتلف حوله كل القلوب . وفي قصيدة "ظلم الطغاة " :

أَيْنَ الْمَبَادِي وَالرَّايَاتُ يَرْفَعُهَا بَيْنَ الْمَجَازِرِ غَازٍ غَيْرُ مُقْتَصِدِ
دَيْسَتْ بِأَحْذِيَةِ الْغَازِينَ أَوْ سُحِقَتْ بَيْنَ الْجَمَاجِمِ وَالْأَشْلَاءِ وَالْعُدَدِ

^١ من ملحمة الجهاد الأفغاني ، ص ١٢٥ - ١٢٧

^٢ المرجع السابق ، ص ١٣٠ - ١٣٢ .

وَصَاعَ كُلُّ فَتْسَى أَدَلَى بِدَلْوِهِمْ
 كَمْ لَوْحُوا بِيدِ حُرْيَةٍ وَلَدَى
 سَيَّانٍ "مُسْكُو" وَ "أَمْرِيكَ" فَكَفَرُهَا
 هَذَا يَقْتُلُ فِي شَعْبٍ وَيَنْهَبُهُ
 وَكُلُّهُمْ فِي دِمَاءِ الْخَلْقِ غَارِقَةٌ
 كَأَنَّمَا النَّاسُ أَنْعَامٌ مَذَلَّلَةٌ
 حَتَّى رَأَوْا آيَةً لِلَّهِ صَادِقَةٌ
 حَتَّى عَزَمَ أَشْعَثُ خَطَّارٍ بِمَكْرَمَةٍ
 أَوْ غَرَّةٍ زُخْرُفِ الْأَوْهَامِ وَالْجَحْدِ
 جَلَادِهِمْ جُثَّتْ الْأَحْرَارُ لَمْ تَبْدِ
 شَرَّانَ مَا بَيْنَ سَفَاحٍ وَمُضْطَهْدِ
 وَذَا يَقْطَعُ مِنْ سَاحٍ وَمِنْ بَلَدِ
 أَكْفُهُمْ ! عَنْ هَوَى الْإِجْرَامِ لَمْ تَعُدْ
 لَغِيهِمْ ! وَبِسَاطِ الْأَرْضِ مُلْكُ يَدِ
 عَلَى ذُرَاكٍ وَفِي الْوُدَيَانِ وَالْجُدَدِ
 لَمَّا تَفَجَّرَ مِنْهُ الدَّمُ قِيلَ هُدَيُ

استجابة نداء الشعب الأفغاني للجهاد والقيام معه :

لم يدم الانتظار طويلا بعد دخول الاتحاد السوفيتي إلى أفغانستان ، فهب هذا الشعب العريق بماضيه العزيز مجاهدا في سبيل الله ، فاشربت إليه الأعناق ، وأرهفت الأسماع ، ورنّت العيون ، ورقّت القلوب . وكان الشعراء لسان حال المسلمين ، أشادوا بالشعب الأفغاني المسلم المجاهد ، وحثوا المسلمين على مساعدته ، ورأوا في جهاده جسرا يصل الحاضر بالماضي .

ويقول أبو الحسن في قصيدته " لن يضيع الثأر " :

إِنَّا لِلَّهِ قُمْنًا لَا لَغْنَمٍ أَوْ مَنَافِعٍ
 وَأَثَرِنَاهَا إِخَاءَ وَفِدَاءَ لَا مَطَامِعٍ
 وَتَوَحَّدْنَا اعْتِقَادًا وَجَرَا حَا وَمَصَارِعُ
 لَمْ يُفَرِّقْنَا لِسَانَ أَبَدًا فَالْدِّينُ جَامِعٌ^٢

فالشاعر يوضح سبب قيام الشعب المسلم هناك بثورته العارمة في وجه الأعداء ألا وهو نصرة دين الله وإعلاء كلمته وقد جمع الدين الشعب كله في خندق واحد وقد زاد عمق الجراح في نفوسهم من رص الصفوف واتحاد الكلمة . ومن يقرأ (ملحمة الجهاد الأفغاني) للدكتور

^١ ملحمة الجهاد الأفغاني ، ص ١٢٨ - ١٢٩

^٢ مجلة الجهاد ، العدد ٨ ، شوال ١٤٠٥ هـ - يونيو ١٩٨٥ م ، ص ٢٦

عدنان النحوي يدرك عمق أثر هذا الجهاد في نفس الشاعر . فهو لا يفتأ يردد نداء الإعجاب بكابول خاصة ، وبديار الأفغان عامة .

يقول في قصيدة " الدماء التي صببت حياة " :

يَادِيَارَ الْأَفْغَانِ عِنْدَكَ يَحْثُو
الْدَّمَاءُ الَّتِي صَبَّيْتَ حَيَاةً يَادِيَارَ
جَلَّ فِيهِ الْفِدَاءُ وَالتَّمْجِيدُ
مَا تَلَفَ مِنْ عَزِّنَا الْمَفْقُودُ
عَزَّ فِيهَا الْفَتَى وَعَزَّ الْوَلِيدُ^١

فالنصر الأفغاني حمل في ثنياه نصرا لجميع المسلمين فكان محل إكبار وإعجاب لقد عظمت فيه التضحيات وجل الفداء ومهرت الحياة العزيزة بالدماء الطاهرة .

ويقول في قصيدة شموخ الليالي تحت عنوان " فأطلي من الغيوب " :

يَارُبُّوعَ الْأَفْغَانِ أَيُّ حَدِيثٍ
رَجَعِي اللَّحْنَ إِنَّهُ نَفْحَةٌ خُلُّ
أَيُّ لَحْنٍ بَعَثْتُ أَيُّ جِهَادٍ
سَدَّ وَنَجَوَى الْقُلُوبِ وَالْأَكْبَادِ
رَجَعِيهِ فَإِنَّهُ هَمْسَةُ الشُّو
ق نَدِيَا وَلَفْتَةُ الْأَمْجَادِ
فَأُطْلِي مِنَ الْغُيُوبِ أَجِيبي
يَا زُحُوفَ الْأَفْغَانِ شَوْقُ مُنَادٍ
وَأُطْلِعِي طَلْعَةَ الشُّرُوقِ وَهَزِي
مِنْ غُفَاةٍ وَأَيْقِظِي مَنْ رُقَادٍ
شَرَفَ الْعُمُرِ مَا بَنَتْهُ يَدَاهَا
وَرَضَا النَّفْسِ مَا رَأَاهُ فُؤَادِي^٢

إن الشاعر في هذه الأبيات شديد الفخر بالجهاد الأفغاني عالي الزهو بالبطولات التي طال شوق المسلمين إلى مثلها وطال انتظارهم لإطلالة الفارس المسلم الصنديد لقد أنهى الجهاد الأفغاني الرائع زمن الجذب وآذن بزمن خصب زاخر بالأمجاد . فالشاعر يرى الجهاد الأفغاني عودة الماضي الجيد إلى الحاضر المهيئ للمسلمين .

فاسمع إليه كيف يقرن بين ملحمة كابل وملاحم الإسلام الأولى " شعلة من رؤى حنين وبدر " تحت هذا العنوان .

^١ من ملحمة الجهاد الأفغاني ، ص ١١٠-١١١ .

^٢ ملحمة الجهاد الأفغاني ، ص ٧٣-٧٥ .

يقول :

— نَ طَوَافَ الْوَلَهَانَ شَوْقَ الصَّادِي
حُ تُتَاجِي فُرْسَانَهَا وَتُنَادِي
يَا رَوَابِي بَرْهَوَةَ الْمِيْلَادِ
فِي زُحُوفِ غَيْبَةِ الْإِمْدَادِ
— هَذِي مَوَاقِبُ الرُّوَادِ
شَمَخَتْ فِي إِبَاءَةٍ وَاعْتَدَادِ
قَبَسًا مِنْ نُبُوَّةٍ وَجَهَادِ
وَعَطَاءٍ مِنْ بَاذِلِ جَوَادِ

طَوْفِي يَا قُلُوبُ حَيْثُ تَشَانِي—
وَقِفِّي يَا طُيُوفُ هَذِي هِيَ السَّاءِ
هَاهُنَا تُوَلَّدُ الْبُطُولَاتُ تِيهِي
هَاهُنَا تُوَلَّدُ الْبُطُولَاتُ مَا جَتُ
هَاهُنَا مَصْنَعُ الْمَلَا حِمِّ وَالْمَجْ—
هَاهُنَا "كَابُولُ" وَهَذِي ذُرَاهَا
فَكَأَنِّي أَرَى امْتِدَادَ اللَّيَالِي
شُعْلَةً مِنْ رُؤَى حَيْنٍ وَبَدْرِ

حقاً لقد رفد الجهاد الأفغاني تاريخنا الإسلامي بحقبة جديدة مليئة بالبطولات التي تذكرنا
ببطولات أجدادنا الأولين في بدر وحنين وغيرهما من مآثر جهادنا الإسلامي الرائع وأيامه الخالدة
على الزمن وتوالي العصور .

وفي "طيوف الأعراس والأجواد" يقول :

— حَنِينَ الْأَبَاءِ وَالْأَجْدَادِ !
تِ ! وَيَا حِصْنَ أُمَّةٍ وَبِلَادِ^٢

يَا دِيَارَ الْأَفْغَانِ ! يَا قِمَمَ الْمَجْ—
يَا جِبَالَ الْأَفْغَانِ ! يَا قَلْعَةَ الْمَوِ

وقد كان نصرها شذى فواحاً يضمخ التاريخ الإسلامي مدى الدهر بأزكى العطور .

وقال تحت عنوان "موكب الأبطال وبر الرجال" :

ومن حَنِينَ إِلَى بَرِّ الرِّجَالِ نَدِي
مِنْكَ الْبُطُولَةُ وَثْبًا وَاسِعَ الْمَسَدِ !
فَسَوْفَ يَأْتِيكَ بَرْدُ الْفَارِسِ النَّجِدِ

ظَمِئَتْ "كَابُولُ" مِنْ شَوْقٍ إِلَى بَطْلِ
ظَمِئَتْ يَا مَصْنَعُ الْأَبْطَالِ ، كَمْ وَثَبَتْ
كَابُولُ ! طَيْبِي إِذْنِ نَفْسًا وَعَافِيَةً

^١ ملحمة الجهاد الأفغاني ، ١١٦ - ١١٧

^٢ المرجع السابق ، ص ١١٧ - ١٢٠

صَبْرًا فَهْذِي زُحُوفُ الصَّادِقِينَ أَتَتْ لَتَسْكُبَ الرَّيَّ مِنْ قَلْبٍ وَمِنْ كِبْدٍ^١

وقد تواصل بر الرجال لتلك الأم المنكوبة المستغيثة فسقوها دماءهم وأطعموها قلوبهم
فحق لها أن تطيب نفسها وتفخر بأبنائها البررة الكرام وإن ثرى كابول ليشهد على هذا التواصل
في العطاء دون حساب حيث اختلطت فيه دماء ثرية نزلت من عروق مختلفة من أبناء هذه الأمة .

ويقول الشاعر أحمد محمد الصديق في قصيدة " يا جبال الأفغان " :

يَا جِبَالَ الْأَفْغَانِ قَدْ حُزَّتِ السَّحَابَا	وَتَسَامَيْتِ لِلنُّجُومِ اقْتِرَابَا
أَنْتَ مِنَّا .. وَنَحْنُ مِنْكَ .. كَلَانَا	رَحِمُ الدِّينِ شَرَفْتَنَا انْتِسَابَا
وَحَدَّثَنَا رُغَمَ الْمَسَافَاتِ قَلْبَا	وَشُعُورًا .. وَمِحْنَةً .. وَمُصَابَا
طَافَ كَالنَّسْرِ فِي هَمَّاكَ فَوَادِي	يَتَنَزَّى فَوْقَ الْهَمُومِ اضْطِرَابَا
كَيْفَ يَحْلُو الْمَقَامُ وَالْغَاصِبُ الْمَلَا	يَعُونُ يَخْتَالُ جِيئَةً وَذَهَابَا؟! ^٢

الشاعر هنا يتغنى بالوحدة الإسلامية واتحاد المسلمين ضمن رابطة الدين شعورا وهدفا
ومصيرا وعملا جادا للذود عن الحمى .

الإرادة والإباء والإيثار :

فالمؤمن في كل أرض ملاحق ، مطارذ ، ومراقب ، ومحاولات حيثة تجري لمنعته من العمل ،
بل حتى من الكلام الحق الصريح ، ولكن ستتحطم كل المكائد على صخرة الإيمان الصلدة ،
وتياره لن توقفه أشواك أو سدود ، أو عراقيل ، ومهما اشتدت أو كثرت ، وسيقوى الخير ،
وسيشد بأسه ، وسيندحر الشر مهما عظم ، وستبزغ شمس الإسلام لا محالة .

ويقول الشاعر يحيى الحاج يحيى في قصيدة " هو الإسلام علمهم صمودا " :

يُلاقُونَ الْحِدَائِدَ بِالْحَدِيدِ	مِنَ الْعَزَمَاتِ تَبْرِقُ بِالرُّعُودِ
وَكَيْفَ يَهَابُ مَنْ عَشَقَ الْمَنِيَا	وَعَايَنَهَا جَهَارًا مِنْ وَعِيدِ
لَقَدْ زَرَعَ الْعَدَا قَصْفًا وَرَجْمًا	ثَرَى الْأَفْغَانِ فِي لُؤْمِ حَقُودِ

^١ مجلة منار الإسلام، العدد ٢٤، ص ١٢٩ - ١٣٠

^٢ المرجع السابق ، العدد ١١ ، ذو القعدة ١٤٠٩هـ - يونيو ١٩٩٠م ، ص ٩٨

فكل قذيفة قتلت برياً
ستنبت بعدها أشواك ثار
مضى الأبطال شباناً وشيئاً
من الأطفال في عمر الورود
وجيلاً رافضاً ذل القيود
كما يمضي الودود إلى الودود^١

كما يقول في قصيدة "ليا بخارى انهضي":

مهاجرون لأجل الله هجرتهم
وزاحفون ، غدا التاريخ مبتهجاً
وثائرون على الطغيان ، لم يهنوا
عن كل شبر من الإسلام قد دفعوا
وواجهوا الروس في عزم وفي شمم
أسمى أمانهم رضوان خالقهم
ومؤمنون رسول الله قدوتهم
لما دعتهم إلى العلياء أمتهم
والله ربك - جل الله - غايتهم
دماً زكياً وما هانت عزيمتهم
والحق في حومة الميدان عدتهم
وأن تكون لوجه الله ميتتهم^٢

كما يقول في قصيدة "الفجر لاح بقندهار":

وكتائب التوحيد ترميهم
أين المفر وقد ملأنا
قالوا : انسحاب؟! بل هزيمة
ماذا جنى (اللب البليد)
ستظل (كابول) للغزاة
براجمّة ونار
الأرض لن ينجي الفرار
خائب العزيمات خار
بغزوة غير الحسار
مقابراً وجنى مرار^٣

وهكذا فلن تقوى أساليب القهر والاضطهاد التي يمارسها أتباع الطاغوت على شل عزم
المؤمن وسحق إرادته ومنع شمس الحق من الشروق فوق الربوع المؤمنة وقد لاحت تبشير

^١ مجلة الجهاد ، العدد ٣٧ ، ذو القعدة ١٤٠٦ هـ - يوليو ١٩٨٦ م ، ص ٥٢ .

^٢ مجلة منار الإسلام ، العدد ٧ ، رجب ١٤٠٩ هـ - فبراير ١٩٨٩ م ، ص ٥٣ .

^٣ المرجع السابق ، العدد ٨ ، شعبان ١٤٠٩ هـ - مارس ١٩٨٩ م ، ص ٤٣ .

الشروق في الآفاق بعد أن انتظم عقد الشباب المؤمن وتوحد صفه وتحدد هدفه واتضحت معالم الطريق أمامه .

المعارك ومواقع الجهاد التي تم فيها النصر :

إذا ما تحدث الشاعر عن زحف جيش الأعداء ومسار المعركة جعلنا عن طريق النغم نسمع ونرى معركة حقيقية تشهد فيها المطاردة والكر والفر ، وتسمع قعقة السلاح وجرجرة الحديد وصوت الطعنات . فينتقل إلينا الشاعر حركة المعركة عن طريق سلسلة من الأصوات ينبعث عنها المعنى فالجاهدون أسد جياح يتمنون الموت في سبيل الله ويتسابقون في كل ميدان .

يقول الشاعر أبو عبد الله في قصيدة " أسود قندهار " :

أودى بنو الإسلام إلا ثلثة	في قندهار تسير في الأكفان
ومجاهدين مصابرين رأيتهم	مثل الأسود الصيد والعقبان
برزوا لجند الروس مثل أشاوس	والروس خلف معاقل الجدران
لا يبرزون لهم وأن سمعوا بهم	جاؤوهم بالدرع .. والطيران
عظمت عزائمهم وقل سلاحهم	إلا سلاح الصبر والإيمان
وترى عداهم والخطوب تنوشهم	نعشاً يسير وراء نعش ثان
يحكون للندى صمود .. عقيدة	في وجه صولة آلة العدوان
يحكون قصة شرة الطغيان	وتجبر الإنسان بالإنسان
ومهاجرين تابعت أفواجهم	يمشون فوق مفاوز الأحزان ^١

ويقول الشاعر أحمد محمد الصديق في قصيدة " يوم الفصل في جاجي " :

هناك .. في حومة الميدان صيحتُهُ	" الله أكبر .. " و الأهوال تنفجرُ
وتعصف الحرب نيراناً مؤججة	لهيها في هشيم الكفر يستعرُ
حيث الكرامات للأبرار شاهدة	جزاء ما بذلوا لله .. واصطبروا
حيث البطولات .. لا يرقى لذروتها	سبح الخيال .. ولم يخطئ لها خبرُ

حيثُ الدَّمُ الطَّاهِرُ المَوَّارُ.. قَدْ نَشَرَتْ أَشْدَاءُ الرِّيحِ .. وَهُوَ العَابِقُ العَطِرُ^١

كما يقول الشاعر سليم عبد القادر في قصيدة " غضبة مجاهد " :

نُسِبَتْ لِنُصْرَةِ دِينِهَا الْأَفْغَانُ #
فِي غَضَبَةِ اللَّهِ نَارَ سَاعِيرِهَا
وَرَمَى الْعُدَاةَ بِكُلِّ حَقْدٍ فَاتَكَ
وَقَتِيلُهُمْ يَسُودُ ثُمَّ يَلْفُهُ
فَالْأَرْضُ خَيْلٌ وَالْفَضَاءُ سَنَانٌ
حَتَّى كَأَنَّ ضَرَامَهَا بُرْكَانٌ
قَدَرُوا عَلَيْهِ لَا فَعَلَهُ الْإِيمَانُ
قَتَرٌ وَتَأْكُلُ جِسْمَهُ الدِّيدَانُ^٢

ويقول الشاعر حسن الأمراني في قصيدة " قلوب على بركان " :

يَا صَاحِبِي تَقْصِيَا نَظْرِيكُمْ مَا
تَرِيَا قُلُوبًا مَا فَتَنَ رَوَاجِفَا
مُرَاكِشُ اشْتَعَلَتْ وَكُنْتُ بِيَابِهَا
مُرَاكِشُ اشْتَعَلَتْ لُتُورِقَ غَابَتَا
جُرْحَانِ فِي الْأَعْمَاقِ غَانِرَانِ
أَدْمِي إِذْنُ ذَاكَ الْمُطَارِدُ فِي رَبِّي
يَسْعَى عَلَى جَسَدِ الْخَلِيجِ مُغَاضِبَا
أَمْ أَنَّهُ وَجْهِي الْقَدِيمَ تَلْفُهُ
يَاطَايِرَ الْحَرَمَيْنِ ذَاكَ رَمَادُنَا
وَحَوَافِرُ الْغُبَرَاءِ مَا زَالَتْ هُنَا
هِيَ أُمَّةٌ لَفَظَتْ قَلْبَهَا بَغْتَةً
تَرِيَا قُلُوبًا فِي الصُّدُورِ تُعَانِي
وَوَقَفْنَ وَاعْجَبَا عَلَى بُرْكَانِ
وَتَرَا يَقْصُ فَجِيعَةَ الْإِنْسَانِ
نَخْلٍ وَبَانِ فِي ذُرَى الْأَفْغَانِ
جُرْحَانِ مُلْتَقِيَانِ مُفْتَرَقَانِ
مَصْرُورِي بَيْرُوتَ وَالْجَوْلَانِ
وَيَغُورُ يَا لِلْهَوْلِ حِينَ يَرَانِي
وَسَطَ الرِّصَاصِ بُرُودَةُ الْأَوْثَانِ
قَدْ سَقَطَ مِنْ عَبَسَ وَمِنْ ذِيَانِ
تَعْدُو تَخْضُ جَمَاجِمَ الصَّبِيَانِ
فَمَضَى يُسَائِلُ أَيْنَ ؟ أَيْنَ مَكَانِي^٣

^١ مجلة الأمة الإسلامية ، العدد ١٥ ، مايو ١٩٨٧ م ، ص ٦٤

^٢ المرجع السابق ، العدد ١٢ ، فبراير ١٩٨٧ م ، ص ٥٣

^٣ مجلة منار الإسلام ، العدد ١٢ ، ذو الحجة ١٤٠٨ هـ - يوليو ١٩٩٠ م ، ص ٦٧

الباب الثاني

الدراسة النقدية

الفصل الثاني : الدراسة الفنية

المبحث الأول : الجمال البلاغي في شعر الجهاد الأفغاني .

أولا : الجمال البلاغي ودور الألفاظ والتراكيب فيه .

لغة شعر الجهاد الأفغاني مظهرة لخصائص اللغة العربية الفصحى :

(الزيادة في ثروة اللغة العربية ، السهولة ، الانسجام ، الجزالة ، رونق الألفاظ والتراكيب ، أساليب التعبير الرائعة ، دلالة الكلمة علي مدلولها تماما)

أ - الزيادة في ثروة اللغة العربية :

لكي تكون صورة شعر الجهاد واضحة المعالم وجدت أنه من الضروري أن أعقد فصلا للحديث عن الظواهر الفنية في شعر الجهاد في فترة الحروب الدائرة في أفغانستان ، أتحدث فيها عن لغة الشعر وموسيقاه وعن الصيغ البديعية التي استعملها شعراء الجهاد وكذلك الصورة الفنية والنهج الذي كان سائدا في قصائد شعراء الجهاد. وتتميز اللغة العربية بأنها لغة شاعرة وكانت مصدرا لصناعة العرب الأولى الشعر وقد أحسن شعراء العربية منذ القدم استخدام اللغة فشكّلوها أحسن تشكيل وصاغوها صياغة بارعة في قالب شعري رصين^١. وقد فطن النقاد قديما وحديثا إلي أهمية الصياغة اللغوية في الشعر فعبد القاهر الجرجاني يري أن (الألفاظ أدلة علي المعاني وليس للدليل إلا أن يعلمك الشيء علي ما يكون)^٢ وابن رشيق يكون أكثر تحديدا للشعراء عندما يقول: (وللشعراء ألفاظ معروفة ، وأمثلة مألوفة ، لا ينبغي للشعراء أن يتعدوها ولا أن يستعملوها غيرها)^٣ وهذه الألفاظ هي التي تجعل للشعر تأثيرا في النفوس (إنما الشعر ما أظرب ، وهز النفوس وحرك الطباع)^٤ . وعندما يخلو الشعر من الصياغة اللغوية الموحية كان بعض القدماء يخرجونه عن دائرة الشعر حتى ولو كان موزونا مقفي ، وكان ابن سلام يقول عنه (إنما كلام مؤلف معقود بقواف)^٥ وأورد المرزباني رأيا قريبا من هذا (ليس من قال وزنا بقافية فقد قال شعرا ، الشعر أبعد من ذلك مراما وأعز انتظاما)^٦.

^١ د. الوصيفي ، عبد الرحمن ، المستدرك في شعر بني عامر بن صعصعة ٢٢٣/١ ، الخصائص الفنية في شعر محمد هاشم رشيد ٢٧ ، د. أبو زيد ،

علي إبراهيم : الروية الفكرية والتشكيل الجمالي في شعر السيد الحميري ، ص ٣٢٠

^٢ الجرجاني عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، تحقيق عمود محمد شاكر ، ص ٤٣٢

^٣ المقرواني ، ابن رشيق : العدة في صناعة الشعر ونقده - تحقيق وشرح د. مفيد محمد قمبيح (١٢٨/١)

^٤ المرجع نفسه

^٥ المحمدي ، ابن سلام : طبقات فحول الشعراء ، تحقيق محمد أحمد شاكر ، ص ٨

^٦ المرزباني : الموشح ، تحقيق عمود علي البحايي ، ص ٤٧٥

وقد تنبه (هيجل) إلى قضية اللغة في الشعر العربي فقال : (إن العرب في حرصهم علي أن يلعبوا لعبة اللغة الشعرية علي أكمل وجه أكدوا أنهم شعب ذا طبيعة شعرية رفيعة)^١. ويؤكد د. شكري عياد علي أن (المدخل الأسلوبى لفهم أي قصيدة هو لغتها)^٢ ، والشاعر المبدع هو الذي يشكل لغته تشكيلا مؤثرا ، حتى تغدو وعاءً لفكره وعاطفته ، وينبغي أن تنبّه إلى أن لغة الشعر لغة خاصة فهي (ليست وسيلة لأداء شيء ما بمقدار ما هي غاية في حد ذاتها . والشاعر يبحث عن المعنى ويؤثر عليه ، وينبئ ببناء شعريا من خلال اللغة ، وفي أثناء صراعه معها ، وليست ثمة معان شعرية كائنة خارج التركيب اللغوي للشعر ، كما أنه ليست ثمة معني يتكامل دون بحث لغة ، ودون إعادة تشكيل العلاقات اللغوية ، الموجودة والمبتدعة ، في نسق خاص ، أو هيئة خاصة . ولا أعني بهذا أن كل قصيدة جيدة تقدم اللغة علي نحو جديد مطلق ، وإنما أعني أن كل قصيدة جيدة تقدم اللغة في سياق خاص بها ، ويصدق هذا علي الكلمات كما يصدق علي العبارات ، والتركيب ، والرموز ، والصور)^٣ فخصوصية اللغة وتشكيل الصياغة اللغوية عساها تضعنا علي أول الطريق الصحيح لفهم أسلوبى للقصيدة)^٤ وهذه أبرز سمات شعر الجهاد الأفغاني . فيقول الشاعر عمر بهاء الدين الأميري من قصيدة " شعب أفغانستان المسلم المجاهد " :

عَقَدَ الْعَزْمَ وَاسْتَعَدَّ وَأَبْرَمَ	جَعَلَ اللَّهُ قَصْدَهُ ثُمَّ أَقْدَمَ
بَطْلٌ مُؤْمِنٌ سَدِيدٌ عَنِيدٌ	لَا يُبَالِي فِي اللَّهِ مَهْمًا تَجَشَّمُ
مَعْدَنٌ فِي صَلَابَةِ الْمَاسِ شَعْبٌ	عَبْقَرِيُّ الْجِهَادِ .. حُرٌّ مُطَهَّرٌ

إننا لا نملك إلا أن نقف معجبين مأخوذين بسحر هذا الوصف الرائع للشعب الأفغاني الذي زحف نحو الشهادة ونوي أن يحج إلي جنان الفردوس منصرفا عن الدنيا الزائفة وبها رجهما الخادعة وفي مخيلته تترأى كعبة الله وحجر إسماعيل وعين زمزم ماثلة كلها في جنات عدن . ونحن إذا تساءلنا عن سر إعجابنا بهذا المقطع الشعري فسوف نجده كامنا في تقديم اللغة وعرضها عرضا جديدا في نسق أخاذ فريد حيث لم يأت الشاعر بألفاظ مبتكرة بل إنه استخدم ألفاظا مألوفا يتداولها حتى العامة من زمن موغل في القدم حيث يتحدثون عن أعمال الحج . فالكلمات

^١ هيجل : فن الشعر ، ترجمة جورج طرابيش ، ص ٢١٠

^٢ د. عياد ، شكري : مدخل إلى علم الأسلوب ، ص ١٣٨ ،

^٣ د. الربيعي ، محمود : قراءة الشعر ص ١٦١ انظر كذلك Donal Astauffer . The Nature Of Poetry . P. ٢٣٠

^٤ د. عياد ، شكري : مدخل إلى علم الأسلوب ص ١٣٨

(نوي - الحج - أحرم - كعبة - حجر - زمزم) هي كلمات ليست في القاموس الشعري غير أن الشاعر استطاع براعة فائقة أن يدخلها في قاموسه الشعري ويوظفها توظيفاً بارعاً ضمن النسق اللغوي فجاءت خفيفة رشيقة تضفي علي المعنى جمالا ورونقا عجبيا وهذا يدل علي قدرة الشاعر علي إكساب الألفاظ مدلولات جديدة وإلباسها أثوابا قشبية تبعد عنها ابتذال الاستعمال . ومن الأمثلة علي استخدام اللغة في سياق خاص عند شعراء الجهاد .

ومن ذلك قول الشاعر محمود مفلح من قصيدة " عشاق الفجر " :

أَنْتُمْ الْقُوَّةُ الَّتِي تَكْنِسُ اللَّيْلَ وَأَنْتُمْ مَلَامِحُ الْتَّيَّارِ
لَا تَنْظُرُوا : اللَّهُ أَكْبَرُ قَدْ شَاخَتْ وَشَاخَتْ مَوَاقِفُ الْأَنْصَارِ^١

فالشاعر يخاطب عشاق الفجر (المجاهدين) بأنهم القوة قوة الحق والعدل التي تهزم قوة الباطل والظلم وأنهم تيار الهدي الجارف ، وأن نداء (الله أكبر) ما يزال النداء الخالد الذي يبعث الرعب في قلوب الأعداء الكافرين . حين عندما نقرأ البيتين نقف طويلا عند لفظة (تكنس) معجبين بجمال التصوير من جهة وروعة الاستخدام من جهة أخرى . وإذا نظرنا إلي هذه اللفظة مفردة عن البيت لبدت لنا باهتة لا تعني شيئا وربما أثارت في نفسنا شيئا من النفور . لكنها بتناسقها مع بقية ألفاظ البيت أصبحت موضع إعجاب القاريء وإثارة افتتانه بها خاصة وبالمعنى عامة . وهذا ما نقصده بالاستعمال الخاص والتوظيف الجديد لألفاظ اللغة^٢ .

ومن أمثله المثيرة قول الشاعر جابر قميحة من قصيدة " لجهاد الأفغان أغني " :

وَلَمَّا يُؤْنِسُ مِنَ الشُّهَدَاءِ
زَرَعُوا الْأَرْضَ عِظَامًا
وَنَخَاعًا
وَعُيُونًا
وَسَقَوْهَا
عَرَقًا .. وَدَمَاءً
أَمْضِي .. وَأَغْنِي^٣

^١ من مجلة منار الاسلام ، جمادى الآخر ١٤٠١هـ - ابريل مايو ١٩٨١م ، ص ٣٢

^٢ أنظر د. الساسي عمر الطيب : دراسات في الأدب العربي على مر العصور ، ص ١٩ .

^٣ من ديوان لجهاد الأفغان أغني ، ص ٧ - ١٠ .

تأمل لفظة (نخاع) وهي من لغة الطب أو غيره كيف نقلها الشاعر إلى القاموس الشعري واستخدمها استخداما جديدا مبتكرا في نسق لغوي مثير فأبعد عنها جفاءها وخشونتها .
ثم تأمل توظيف بقية مفردات المقطع توظيفا طريفا ضمن نسق تصويري جميل فقد أصبحت العظام والنخاع والعيون (وهذه من لغة الغزل) والعرق والدماء مادة للزراعة .
والحديث يطول والأمثلة تكثر في شعر الجهاد الأفغاني حول الاستخدام الخاص للغة وإقامة علاقات خاصة بين الألفاظ . علي أنه يحسن أن نورد هذا المثال :

يقول الشاعر أحمد محمد الصديق من قصيدة " توقيعات مجاهد أفغاني " :

أوصارَ الغاصِبُ الملعونُ .. لما أَسْتَفْذَ الحَيَلا
كوحشِ الغابِ يَغْتالُ الربيعَ الغَضُّ والأَمَلا
يقاومُ فَجْرَنا المولودَ .. يهصرُ عودَهُ الخَضَلا
يَحِيلُ القرِيَّةَ العذراءَ تحتَ جَحيمِهِ طِلَلا^١

فالشاعر يقرر فيما يقرر من معني أن الغاصب الملعون لما تيقن من أنه لن يستطيع أن يكسر صمود الشعب الأفغاني المجاهد أو يخترق صفوفه المرصوفة تحول إلى وحش شرس فأخذ يدمر كل شيء أمامه : يحرق الأرض ، يهدم القرى ، يقتل الأبرياء . وقد أدّى هذا المعنى بألفاظ تبدو متنافرة لا يجمعها رابط : (وحش الغاب - الربيع - يغتال - يقاوم - الفجر) إلى ما هنالك من ألفاظ لكنه استطاع أن يقيم بينها علاقة خاصة جمعها في نسق معنوي مؤتلف وإطار تصويري أخاذ . فإذا أدرك القارئ أن سلامة البلاد من الاحتلال يترتب عليه حياة رغدة وأرض خضراء أدرك العلاقة بين الوحش والوحش واغتيال الربيع وسحق العود الأخضر وأصبحت العلاقة تلك منطقية بل هي تحصيل حاصل . فالاحتلال الروسي البغيض قد أطاح بمظاهر الحياة في أفغانستان وألسد علي الشعب هناك كل شيء . ومثل هذا قوله :

قريبٌ فَجْرَنا الزَّاهي يَشْرُنَا بتمكينٍ
فلا الأرزاءُ تَطْفُئُهُ .. ولا نفخُ الثعابين^٢

فقد أقام الشاعر علاقة خاصة بين الفجر والفعل تطفئ إشارة إلى أن هذا الفجر هو فجر النصر الذي ستبقي شعلته متقدة أبدا ولن تستطيع الحن ولا الأعداء إطفاءها .

^١ من مجموعة الإيمان والتحدى ، أناشيد الصوحة الإسلامية للشاعر ص ٥٧ - ٦١ .

^٢ المرجع نفسه .

ب - السهولة :

قسم الباحثون لغة العرب من حيث السهولة والوعورة ، واعتبروا لغة الحجاز والحضر أكثر سهولة من لغة البدو ومن يسكنون نجدا^١ ، وأن لغة البدو ونجد تتميز بالوعورة وغريب اللفظ^٢ وشعر الجهاد الذي بين أيدينا أتى سهل اللفظ والعبارة غالبا خارجا عن قياس البداوة والمكان الجغرافي ومقياس اللغويين^٣ . ولعل الأمثلة التي سنسوقها تقدم الدليل على ما نقوله ويقول الشاعر أحمد محمد الصديق من قصيدة " مقاطع أفغانية " :

وَ جَاءَ الْعَدُوُّ الْغَشُومُ
وَ فِي أَرْضٍ (بَانْشِير) كَانَ اللَّقَاءُ
تَقْدَمَ قَائِدُنَا الْفَذُّ (مسعود) ..
يَسْتَنْزِلُ النَّصْرُ ..
فَاضَتْ ضِرَاعُهُ لِلسَّمَاءِ ..
وَ أَحْكَمَ خَطَّتَهُ فِي دِهَاءِ ..
وَ أَمَلَى تَعَالِيْمُهُ لِلرَّجَالِ ..
وَ خَاضَ الْقِتَالَ^٤

فالشاعر يتحدث بلغة بسيطة الألفاظ سهلة العبارات عن مجيء العدو الغاشم لأفغانستان ومواجهة المجاهدين الأبطال له بقيادة البطل الفذ مسعود وعند التدقيق في هذا النص فلن نجد لفظة صعبة معجمية أو عبارة تحتاج إلى أعمال الذهن فيها لمعرفة معناها . بل إن النص مما يدور بين الناس العاديين ومما يتحدث فيه العامة منهم. ويقول الشاعر (المسلم الحر) من قصيدة " رباعيات كابول " :

يَا ثَوْرَةَ الْإِسْلَامِ فِي كَابُولِ أَهْدِيكَ التَّحِيَّةَ
أَنْتَ الْفِدَاءُ بَعَيْنِهِ قَدْ صِرْتَ مَنْزِلَةً عَلَيْهِ
طُوبَى لِكُلِّ مُجَاهِدٍ قَدْ مَاتَ مِنْ أَجْلِ الْقَضِيَّةِ

^١ الأصغهاني ، أبو فرح : الأغاني ص ١٢٨ - ١٢٩ ، د . الجندي ، علي : في تاريخ الأدب الجاهلي ، ص ٥١٥ .

^٢ د. الوصيفي ، عبد الرحمن ، المستدرك في شعر بني عامر بن صعصعة ٢٢٣/١ ، أنظر الحموي ، شهاب الدين : معجم البلدان ج ٥ ص ٢١٣ .

^٣ جبرا ، إبراهيم : الناس والموهر ص ١٢٣ ، جمال ، عبد الملك : مسائل في الإبداع والتصور ، ص ٥٥ .

^٤ من مجموعة (جراح و كلمات) ، ص ١٠٦ .

طُوبَى لِكُلِّ مُجَاهِدٍ قَدْ جَادَ بِالنَّفْسِ الزُّكِّيَّةِ^١

هذه التحية لثورة الإسلام في كابول وهذا الثناء العريض علي أبطالها من المجاهدين الأفغان كله جاء في سياق لفظي مانوس مألوف سهل العبارة سهل اللفظ .

ويقول الشاعر يوسف العظم من قصيدة "حوار في بلاد الأفغان" :

حَدَّثْنِي أَخْتَاهُ خَيْرَ حَدِيثٍ	عَنْ رَجَالٍ فِي شَرْقِ الشَّمْسِ قَامُوا
عَبَدُوا اللَّهَ وَحَدَهُ دُونَ شَرِكٍ	زَانَهَا فِي ضُحَى النَّهَارِ احْتِشَامُ
إِنَّهُمْ فِتْيَةُ الْجِهَادِ أَبَاةَ	يَحْرِقُ الْمُعْتَدِي فِرَادَ الضَّرَامِ
عَشَقُوا الْحَقَّ وَاهْتَدَوْا بِهِدَاهُ	وَعَلَى الْعَهْدِ وَالطَّرِيقِ اسْتَقَامُوا ^٢

هكذا يسترسل الشاعر في وصف أولئك الرجال فتية الجهاد والتقوى في لغة سهلة وعبارات مفهومة بمجرد قراءتها دون أن يقطع هذا الانسياب اللفظي والمعنوي كلمة وعرة يحتاج القاريء معها أن يسأل المعاجم عن معناها أو عبارة غامضة . وهكذا جاء شعر الجهاد الأفغاني إن لم يكن كله فمعظمه خاليا من الألفاظ والتعقير اللغوي والتحمل في المعاني. علي أن هذا ليس حكما ثابتا أو وصفا منسجبا علي شعر الجهاد جميعه فقد تفاوت الشعراء في هذا المجال ومال بعضهم إلي الإغراب والوعورة في اللفظ ويمكن أن نعد د. عدنان رضا النحوي من أبرز أولئك الشعراء في معظم ما كتب .

يقول د. الشاعر عدنان رضا النحوي من قصيدته "وأطلي من الغيوب" :

يَا رَبُّوعَ الْأَفْغَانِ إِنَّ هَوَانَا	شَبَّ فِي صَدْقِهِ وَطِيبَ جِهَادِ
أَنْتَ مِيدَانُنَا الْغَنِيِّ عَلَيْهِ	مِنْ عَطَاءِ التَّسَارِيخِ وَفِرَّةِ زَادِ
كُلَّمَا مَرَّتِ الْعُصُورُ عَلَيْهِ	وَهَبَتْهُ مِنْ طَارِفِ وَتِلَادِ
مِنْ سَنَّا لَوْلُوٍ وَمَاسَةِ كُوْهِِي	وَبَرِيقِ مُمُوجٍ وَقَادِ ^٣

^١ مجلة الجهاد ، العدد ١ ، ربيع الثاني ١٤٠٥ هـ - ديسمبر ١٩٨٤ م ، ص ١٥

^٢ المرجع السابق ، العدد ٤٩ ، ربيع الآخر ١٤٠٩ هـ - ديسمبر ١٩٨٨ م ، ص ٤٦

^٣ ملحمة الجهاد الأفغاني للشاعر عدنان النحوي ص ٧٣ - ٧٥

فالشاعر يخلص أفغانستان المجاهدة بهوي صادق ويراها امتدادا لتاريخنا الإسلامي الزاخر بالبطولات . وقد جاء استخدامه للغة استخداما تقليديا فضلا عن استخدامه ألفاظا معجمية مجافيا بذلك قاعدة السهولة والبساطة التي رأيناها في شعر الجهاد الأفغاني عبر الأمثلة المتقدمة . تأمل هذه الألفاظ (طارف ، تلاد ، سنا ، بريق ، كوهي) فهي ألفاظ عسيرة. وقد خرج عن مقاييس اللغة في قوله (تلاد) وكان يجب أن يقول (تالد) ثم يقول في قصيدة " نجوي بين كابول وفلسطين ":

يُطهرُ الأرضَ مِنْ رَجَسٍ أَلَمَ بِهَا وَمِنْ فَوَاجِرِ آفَاقٍ وَمِنْ شَرْدٍ^١

فقد خرج بقوله (فواجر) عن مقاييس اللغة السليمة فهي جمع مؤنث لمفرد مؤنث هو (فاجرة) وهو يقصد الجمع المذكور . ثم إن إضافة (آفاق) إليه إضافة غير سليمة من حيث المعنى . ويقول في قصيدته " علي أبواب كابول " :

لله دُرْكٌ يَا كَابُولَ أَيُّ شَذَا أَحَلِّي مِنَ الدَّمِ دَفَاقًا مِنَ الْوَرْدِ
أَزْكِي مِنَ الْوَرْدِ فَوَاحًا بِرَوْضَتِهِ أَغْنِي مِنَ النَّبَعِ فَوَارًا عَلَيَّ جُدَدٍ^٢

فهو يشتم من بطولات كابول شذا أحلي من الدم وأزكي من الورود وأغني من النبع غير أن المعنى مشوش غائم في قوله : أحلي من الدم دفاقا من الورد . فهل الدم يدفق من الورد أم الشذا أحلي من الورد ؟ هذا بالإضافة إلى غرابة لفظة (جدد) المعجمية . ومما يحسن ذكره في هذا المقام قول الشاعر عبد الرحمن العشماوي من قصيدته " في رثاء الشهيد أحمد عبد الله الزهراني " :

هُوَ عُمَرُنَا جَمْعٌ مِنَ السَّنَوَاتِ لَمْ
تَسْلَمْ صِيَاغَتُهُ فَأَصْبَحَ مُفْرَدًا
هُوَ عُمَرُنَا وَالْمَوْتُ أَسْلُوبُهُ
خَبَرٌ مُفِيدٌ وَالْوِلَادَةُ مُبْتَدَأٌ^٣

فقد وظف بعض قواعد النحو في إلغاز المعنى ففقدت تراكيبه السهولة والبساطة التي جري عليها أغلب شعراء الجهاد . وثبت ذلك المقاييس التي ارتضاها الباحثون من قبل ، وتلك

^١ من ديوان مهر جان الفصيد ، ص ١٧٥

^٢ المرجع السابق ، ص ١٧٣

^٣ من ديوان عندما يعزف الرصاص ، ص ٤١

المقاييس التي تعد المكان الجغرافي والحالة الاجتماعية والظروف الاقتصادية والتحضر والبداوة أساسا في الحكم العام علي سهولة ووعورة اللغة ، وهذا هو الأرجح من وجهة نظر الباحث ؛ لأن هذه المقاييس الشعرية وحدها في القوالب التي حتمت علي الشعراء السهولة أو الصعوبة ، فعندما يتحدث الشاعر عن المرأة جسدا وروحا ، أو يفتخر بنفسه ويقومه ويهجو الأعداء ، أو يتحدث عن معركة حربية حامية الوطيس ، إذا تحدث عن هذه الأغراض مال إلي السهولة للتعبير عنها ، وعلي العكس من ذلك إذا أراد أن يصف ناقته أو فرسه أو الحيوانات المفترسة أو دروب الصحراء أتت الألفاظ - رغما عنه - وعرة لا مكان ليسر فيها^١

ج - الإنسجام :

لغة الجهاد لها سمات خاصة ؛ لأنها (مستمدة من واقع الحياة اليومية لمفردات الحرب ، ومعبرة عن الإحساس الغامر الذي يحكم هذه المفردات ، وهي لغة مباشرة لا يتكلف فيها الشعراء في ما يريدون أن يعبروا عنه ولا يفتش عن اللفظة التي يسعى إلي وضعها لتبدو الصورة متكاملة لأنه في موقف يقتضي منه الحديث السريع ، واللفظة العابرة ، والموقف الذي تستدعيه المعركة ، والرد الذي يجابه به الخصم ، وقد جرت هذه المحاولات التي حرص عليها الشعراء علي الوفاء بها الالتزام بأدائها ، حرصا منهم علي تثبيت واقعية الحدث وتسجيل الخواطر المقترنة بهذا التسجيل ، والتأثر الصادق الذي يثيره في نفس الشاعر^٢.

وقول الشاعر (يحيى الحاج يحيى) من قصيدة "قلاع البطولة في أفغانستان " واصفا جانباً

من حياة المجاهدين

لَهُمْ بِجَاهِهِمْ مَاؤِي الصَّقُورِ	مَنَازِلُ لِلْسَّعَادَةِ وَالسَّرُورِ
وَرَائِحَةُ الدُّخَانِ لَهُمْ عُطُورٌ	فَأَطْيَبُ بِالْدُّخَانِ شَذَا عُطُورِ
وَلِلْبَارُودِ فِي الْهَيْجَا عَبِيرٌ	أَرْقُ مِنَ النَّسِيمِ عَلَي الزُّهُورِ
رِجَالٌ كَالْمَنُونِ فَأَيْنَ مِنْهُمْ	مَقَرٌ لِلْجَبَانِ الْمُسْتَطِيرِ ^٣

والشاعر استخدم في هذا الوصف لغة مستمدة من واقع الحياة التي تعيشها المجاهدون

^١ د. الرصيفي ، عبد الرحمن : المستدرك في شعر بني عامر بن صعصعة ١ / ٢٢٣ ، ٢٢٤

^٢ د. القيس ، نوري ، شعر الحرب حتى نهاية القرن الأول الهجري ص ٤٠ .

^٣ مجلة المجتمع ، العدد ٦٩٢ ، صفر ١٤٠٦ هـ ، ص ٤٤

(الجبال - الدخان - البارود - الهيجاء - المنون) علي أنه لم يغفل عن تحسين المعني وإخراجه إخراجاً مؤثراً تبدو فيه الصناعة الشعرية واضحة لا سيما الشطر الثاني من كل بيت حيث استخدم فيه مفردات رقيقة شفافة

(الشذا - النسيم الزهور - السرور). لكنه إذا تحدث عن مواجهة العدو فليس هذا شأنه يقول :

وَإِنْ قَصَفُوا فَمَنْ حَمَمِ السَّعِيرِ	إِذَا جَاؤُوهُ جَاءَ الْمَوْتُ يَسْعِي
عَصِيبُ فِي مَهَاوِي بَنَجَشِيرِ	وَجَاءَ عَلَي الشُّيُوعِينَ يَوْمُ
بِهِمْ وَاللَّهُ قَصَّامُ الشُّرُورِ	تَحُومُ الطَّائِرَاتُ تَرِيدُ شَرًّا
وَقَدْ حَجَبُوا بِآلَافِ الطَّيُورِ ^١	تَحَاوُلُ قَصْفَهُمْ فَتُضِلُّ عَنْهُمْ

فالشاعر يصف الصراع مع العدو وصفا عاما فالمجاهدون يقصفون العدو الشيوعي بحمم السعير وطائرات العدو تحاول قصفهم فتضل عنهم . ونري الشاعر قد استخدم لغة ذات مفردات مستمدة من واقع الحياة اليومية للحرب (القصف - الحمم - الطائرات) ولم يتكلف الشاعر في ألفاظه ولم يحاول تنميق المعني إنما استخدم لغة مباشرة وحديث سريع وألفاظ عابرة . وإذا تأملت هذا النص تري لغة مباشرة تنساب انسيابا عفويا لتؤدي معاني عفوية أيضا ولا نقع علي أدني أثر للتكلف في اختيار الألفاظ إنها لغة الحرب السريعة التي تواكب الأحداث السريعة . بل هي لغة التقرير المباشر التي يؤدي فيها اللفظ معناها بدقة من غير انفلات في عالم الخيال والوهم كقول الشاعر عبد الرحمن بعكر " من قصيدة هولاكو الجديد " :

جَلَالَاتُهُمْ أَمْ فَخَامَتُهُمْ	نُنَادِي وَكَابُولُ تَسْتَشْهَدُ
وَلَغَطُ الإِذَاعَاتِ مَاذَا يُفِيدُ	إِذَا نَامَ قَلْبٌ وَغَلَّتْ يَدُ
هُوَ النَّصْرُ بِالْمَالِ ، بَلْ بِالرَّجَالِ	وَلَيْسَ بِمَا يُنْشَدُ الْمُنْشَدُ
هُوَ الزَّحْفُ مِنْ مَوْقِعٍ وَاحِدٍ	لِيَنْدَحَرَ الْغَاشِمَ الْمُلْحَدُ
حَرَامٌ عَلَي أُمَّةٍ دِينُهَا الْجِهَادُ	تَذُلُّ وَتَسْتَعْبُدُ ^٢

وهكذا يستمر الشاعر في قصيدته معبرا عن معانيه بوضوح تام بلغة مباشرة لا تحمل التهويم في الخيال فبدت قصيدته كأنها خطاب سياسي وتلك هي سمة شعر الجهاد الأساسية حتي

^١ مجلة المجتمع ، العدد ، ٦٩٢ ، صفر ١٤٠٦ هـ ، ص ٤٤

^٢ من ديوان : أجراس ، ص ٣٧-٣٨

يؤدي الدور المنشود منه . إذن المقصود بلغة الشعر في جانب منها مدي توفيق الشاعر في اختيار ألفاظه للدلالة على المعنى الذي يريده ، وذلك من ناحية المضمون والجرس الموسيقي وتناغم الشكل والمضمون في العبارة الشعرية . ومن قديم ربط النقاد العرب بين اللفظ والمعنى كارتباط الروح بالجسم ، يضعف بضعفه ، ويقوي بقوته) فهذا ابن رشيق يقول : (وكذا إن ضعف المعنى واختل بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظ)^١ ، أما عبد القاهر الجرجاني فقد أسس نظرية النظم على فكرة الارتباط العضوي بين المعاني والألفاظ . ولما كانت الألفاظ وسيلة مهمة للتعبير عن الفكرة وجه النقاد عنايتهم لدراساتها من نواح مختلفة يأتي في أولها فصاحة اللفظ . وقد اشترط عبد القاهر الجرجاني لفصاحة اللفظ أن يكون (مما يتعارفه الناس في استعمالهم ، ويتداولونه في زمانهم ، ولا يكون وحشيا غريبا ، أو عاميا سخييا)^٢ . فإذا طبقنا هذا المبدأ على لغة شعر الجهاد ، وجدنا أن شعراءنا في هذه الفترة الجهادية ابتعدوا عن استعمال العامية في كثير من أشعارهم ومع أنهم فعلوا ذلك وجدنا كلمات أجنبية دخلت عليهم بفعل تأثرهم واختلاطهم بالشعب الأفغاني وهذا ما ندر . فإذا تناولنا أي نص شعري منه لمسنا حرص شعرائنا على استخدام اللغة الفصيحة وعزوفهم عن العامية ولا نريد أن نسوق أمثلة على ذلك فإن جميع الأمثلة الشعرية المتقدمة تشهد بهذه الظاهرة .

كما سبق لاحظنا أن شعراء الجهاد في فترة الحروب دائرة الرحي في أفغانستان استخدموا في شعرهم اللغة الفصحى ، وابتعدوا عن استعمال العامية سواء في الألفاظ المفردة أم في العبارة الشعرية .

د - الجزالة :

رأينا كذلك أن شعر الجهاد يتميز بجزالة الألفاظ والتراكيب ، مع الدقة التامة في صياغتها وأحكام تأليفها . وهذه الجزالة فيما نعتقد جزالة أصيلة ، لأن شعراء الجهاد كانت لديهم الثقافة الشعرية القديمة الواسعة التي أهلتهم لهذه الجزالة ، كما كان موضوع الجهاد نفسه محتاجا إلى إبراز معاني الفخر والقوة والبطولة ، وكان لابد للألفاظ أن تتلاءم مع هذه المعاني . وفي ذلك يقول الشاعر أحمد محمد الصديق من قصيدة " توقيعات مجاهد أفغاني " :

عَلَيَّ تِلْكَ الْجِبَالِ الشَّمَّ حَيْثُ يَدْمَدُمُ الْحَجَرُ
وَحَيْثُ تَحَلَّقُ الْأَرْوَاحُ .. يَصْفُو الْفِكْرُ وَالنَّظَرُ

^١ القيموي ، اس رشيق : المعجزة في محاسن الشعر وأدابه تنفيق محمد محبي الدين عبد الحميد ٢- ١٢٤ ، اللغة الفنية تعريف الدكتور محمد حسن

عبد الله ص ٢٧

^٢ الجرجاني ، عبد القاهر : أسرار البلاغة : تنفيق عمود شاكر ، ص ١ - ٩٨

عروق الأرض بالعزمات كالبركان تستعر
ومن أعماقنا يا (قندهار) تفجر الشرر
ويا (كابول) معجزة الجهاد .. يخطها القدر
وباسم الله .. باسم القاهر الجبار نتصر^١

فإن عنصر القوة يسري بل يدمدم في ثنايا النص من بدايته حتى نهايته للألفاظ قوية جزلة
(الشم - يدمدم - تستعر - الشرر - الجبار) . كذلك التراكيب فهي قوية جزلة هي الأخرى (يدمدم الحجر - تفجر الشرر) ولا يخفي أن جزالة الألفاظ ومثانة التراكيب هما اللتان منحتا
النص قوته وجزالته فجاء قويا كقذائف الثوار . ويقول الشاعر د. بركات من قصيدته " دعوة
إلى الجهاد " :

يا اخوة الإسلام هبوا للوغي	أفغان دنس روضها الأعداء
حرقوا النفوس مع الزهور وعربدوا	في كل ناحية لهم ضوضاء
هدموا المساجد والبيوت تجبرا	وتناوشوا الأعراض أني شاؤوا
في كل شبر في العراء مجندل	ومقطع ومحرق بكاء ^٢

هكذا تستمر القصيدة في تدفقها القوي وجلبتها الصاخبة مستمدة قوتها من جزالة
الألفاظ وقوة التراكيب تأمل هذه الألفاظ التي تكاد أن تتمزق من قوتها (مجندل - مقطع -
محرق - بكاء) وما هذا إلا لتؤدي معاني فخمة قوية مثلها (حرقوا النفوس - هبوا للوغي)
علما أن العاطفة السائدة في النص هي عاطفة حزن محرق وألم ثائر .

هذا شأن القصائد علي البحور والأوزان التقليدية . أما القصائد التي اعتمدت التفعيلة
الواحدة إذا تأملنا موسيقاها فإنها لينة هادئة في أغلب القصائد وليس لألفاظها وتراكيبها جزالة
القصائد العمودية التي مر بنا الاستشهاد بها .

وتتميز ألفاظ الشاعر د. عبد الرحمن العشماوي بالوضوح في معانيها ، سواء في ألفاظه
المباشرة ، أو غير المباشرة التي رمز بها إلى المعنى بطريق الاستعارة أو الإشارة التاريخية . وجرت

^١ مجموعة (الإيمان والتحدى) ، أناشيد للصخرة الإسلامية شعر / أحمد محمد صديق ، ص ٥٧ - ٦١

^٢ مجلة الجهاد ، العدد ٥٩ ، صفر ١٤١٠ هـ - سبتمبر ١٩٨٩ م ، ص ٤٥

ألفاظه منسجمة مع فواصله في قصائد التفعيلة كما في " هؤلاء الأبرياء " مثلا ، أو في القصائد العمودية كما في " يا رافعا علم الجهاد " فمن ألفاظه المباشرة في معناها في " هؤلاء الأبرياء " :
كَانَ بِالْأُمْسِ لَهُمْ مَالٌ وَفِيرٌ
وَرِيَاشٌ وَحَرِيرٌ^١

فالألفاظ لا تتجاوز معانيها القاموسية كما أن المعنى يفهم من ظاهر اللفظ ، فإن هؤلاء الأبرياء كانوا يملكون أموالا وفيرة وينعمون بحياة هادئة ويرتدون الحرير والرياش . وأيضا قوله :
أَنَا لَا أَلْمَحُ فِي هَذَا الدِّيَارِ
غَيْرَ كُوخٍ وَدَمَارٍ^٢

فهذه الألفاظ تؤدي معانيها مباشرة ولا حاجة للتفكير في إدراك المعنى وتمثله في الذهن فإنه أي المعنى يتبادر إلى الذهن مباشرة وبشكل تلقائي آلي فالشاعر نظر فلم يلمح في الديار غير كوخ وبيوت مدمرة .

وفي " رثاء عبد الله النهمي " للشاعر عبد الولي الشميري :
يَا جُنُودَ الْفَلَاحِ بِالرُّوحِ بِالْأَلَمِ هَلُمُّوا بِصَارِمٍ وَسِنَانِ
أَيُّ دَرْبٍ إِلَيَّ الْجِنَانِ تَوَخَّيْ ضَمَخْتُ شَاطِئَهُ الدَّمَاءِ وَالْقَوَانِي^٣

نلمح في هذين البيتين معنى واضحا يتمثله القاريء في ذهنه بمجرد قراءته الأولى لهما فالمعنى محدود اللفظ مع ميل الشاعر إلى الارتقاء بألفاظه عن المستوي العادي كقوله (توخي - ضمخت - صارم - القواني) فالشاعر يدعو جنود الفلاح أن يبذلوا أرواحهم ودماءهم ثمنا للجنان التي عطرت الدماء جانبي الطريق المؤدي إليها .

وفي قصيدة " علي أنقاض مدينة هرات " :

يَا وَيْلَهُمْ كَمْ يَظْلَمُونَ
كَمْ مَزَقُوا أَحْشَاءَ حُبْلِي
كَمْ حَطَمُوا شَيْخًا ..^٤

^١ د. العثمانوي ، عبد الرحمن : من ديوان عندما يعزف الرصاص ص ٧ - ١٥

^٢ المرجع السابق

^٣ مجلة الجهاد ، العدد ٦٠ ربيع الأول ١٤١٠ هـ ، ص ٢٢

^٤ من ديوان عندما يعزف الرصاص ، ص ١٦٨

ونلمح في هذا النص أيضا ألفاظا مباشرة تكشف عن معانيها بسرعة ويسر ولا نجد لفظا واحدا ينطوي علي معني أكثر من المعني المألوف، فقد بلغ الظلم عندهم مبلغا عظيما فكـم من حيلي مزقوا أحشاءها وكم من شيخ كبير قتلوه دون وازع من ضمير . وفي قصيدة " أحمد عبد الله الزهراني " :

وَمَضَى عَلَي دَرْبِ الْجِهَادِ مُبَكَّرًا
لَمْ تَبْلُغِ الْعَشْرُونَ مِنْهُ الْمُقْصِدَ^١

لقد مضى ذلك الشهيد البطل علي درب الجهاد ولما يزل صغير السن إذا لم يتجاوز عمره العشرين عاما فجمع بذلك تقوي الشيوخ وورعهم وحماسة الشباب واندفاعهم . وأي قارئ لا يدرك هذه المعاني من خلال القراءة الأولى للنص فالألفاظ واضحة تؤدي معانيها بشكل مباشر دون غموض أو لبس^٢ .

وتصير الألفاظ مباشرة أكثر في التعبير عن معني الشهادة والحياة كما في حديث عائشة في " وسام العز " :

هِيَ الْأَجْسَامُ أَعْرَاضُ
إِذَا سَلِمَتْ مِنَ الْآفَاتِ فِي الدُّنْيَا
فَسَوْفَ تَكُونُ زَادَ الدُّودِ حِينَ يَضُمُّهَا قَبْرُ^٣

فنحن إذا تأملنا ألفاظ النص وجدنا ألفاظه مباشرة تؤدي المعني بطريقة تقريرية بحتة بل أن بعض الألفاظ تفرض نفسها علي الشاعر (الدنيا - الدود - القبر) هذا لأن الشاعر يتحدث عن موقف محدد يتعرض له الإنسان في القبر ألا وهو فناء الجسد بفعل ديدان الأرض .

ومن أمثلة ألفاظه المستعارة وغير المباشرة :

وَسَوْفَ أَزِفُ لِلدُّنْيَا
ضِيَاءَ الْفَجْرِ يَا أَبَتِي
وَأَنْسُجُ مِنْ خُيُوطِ الْمَجْدِ
خَاتَمَتِي
مُجَاهِدَةً

^١ من ديوان عندما بعزف الرصاص « ص ٢٧-٣٦

^٢ د. نافع ، عبد الفتاح صالح : في النص الشعري ، ص ٤٥

^٣ من ديوان عندما بعزف الرصاص ، ص ٣٧

وَمُؤْمِنَةٌ بَأَنَّ إِلَهَنَا أَكْبَرُ
وَأَنَّ الْحَقَّ لَا يُقْهَرُ
هُنَا أَهْتَرْتُ جِبَالَ الْخَوْفِ
وَارْتَدَّتْ أَعَاصِيرُ الضَّلَالِ
وَأَشْرَقَ الْمَنْظَرُ
تَلَاشِي اللَّيْلُ وَاسْتَعْبِرُ^١

كما يقول أيضا :

غَنِّ يَا فَجَرَ لَهُمْ لَحْنَ الْعَطَاءِ^٢

في البيت السابق يستعمل الألفاظ استعمالا غير مباشر كي تؤدي معني مجازيا لا يفهم من ظاهر اللفظ كما كان الحال في الأمثلة المتقدمة فالشاعر رمز بالفجر والضياء لمعني الخلاص والنجاة من الظلم والضييق والمعاناة إنه فجر الحرية والخلاص من الاحتلال البغيض الذي جر ما جر علي الشعب البريء من المظالم والنكبات الشيء الكثير . ثم قوله :

كَانَتْ الْأَرْضُ تُغْنِيهِمْ
أَنَاشِيدَ السَّخَاءِ^٣

ويقول الشاعر أحمد با عطب في قصيدة موكب الشهداء :

يَا جَنَّةَ عَصَفَتْ بِهَا أَيْدِي الْحَوَادِثِ وَالْخُطُوبِ
يَا مَوْطِنًا هَتَكَتْ قَدَاسَتَهُ زَبَانِيَةُ الْحُرُوبِ
يَا رَوْضَ عُشَاقِ السَّلَامِ وَقَبْرِ أَعْدَاءِ الشُّعُوبِ
يَا دُرَّةَ فِي شَرْقِنَا الزَّاهِي تَهَيَّمُ بِهَا الْقُلُوبِ
يَا مَهْدَ أَجْدَادِي وَيَا أَنْشُودَةَ الْمَاضِي الْمَجِيدِ
يَا حُلْمَ أَبْنَائِي وَيَا أُمِّيَّةَ الْجِيلِ الْجَدِيدِ^٤

^١ من ديوان عندما يعزف الرصاص ، ص ٣٧ .

^٢ المرجع نفسه .

^٣ المرجع نفسه .

^٤ ديوان الروض الملهب ، ص ٤١ - ٤٥ .

يقيم الشاعر هنا علاقة قوية بين الشعب والأرض تتمثل في العطاء السخي من الأرض إلى الشعب حيث كانت الأرض تجود عليهم بإذن ربها بأكرم المواسم وأوفرها وقد ذهبَت حالة الحرب بهذه المواسم وأوقفت ذاك العطاء الكريم ومن كانت حالته هذه أي حصوله على مواسم سخية فلا ريب في أنه كان يحيا حياة كريمة منعمة . وقد أشار الشاعر إلى هذا المعنى بتلك الألفاظ المجازية بعيدا عن إبطارها الدلالي المعروف .

وفي قصيدة " أحمد عبد الله الزهراني " عبر عن الحزن الدائم بالظلام السرمدي وهو تعبير مألوف :

لولا شعاعٌ من يقين صادق
لغداً ظلامُ الليلِ بعدَكَ سَرْمَدٌ^١

في هذا البيت يتحدث الشاعر عن دور الإيمان في إزاحة الألم والحزن من النفوس بمصرع الشهيد البطل أحمد عبد الله الزهراني وقد استعمل كلمة شعاع استعمالا غير مباشر وبمدلول مجازي وكذلك كلمة الظلام وذلك حتى يؤدي المعنى الذي أشرنا إليه وقد قيل لولا انجياز (أي استعمال الألفاظ على غير وجهها المعروف) لعجزنا عن التعبير عن كثير من أفكارنا . ووصف الشيوعيين بأنهم حمر فقال وسام العز في وجه عائشة :

وَحَقْدُ الْمُعْتَدِينَ الْحُمْرِ
يَسْخَرُ مِنْ بَرَاءَتِهَا
أَبُوها يَمْنَحُ الْأَحْدَاثَ مِنْ دَمِهِ
يُوَارِي صَرْخَةَ الْأَلَامِ فِي فَمِهِ^٢

فنتع أولئك الأعداء الحاقدين باللون الأحمر (وهو لفظ مستعار) هو رمز واضح الدلالة فقد عرف الشيوعيين بهذا النعت لما سفكوا من الدماء . هذا وقد استعمل الشعراء الألوان رموزا لمعاني عديدة فالأبيض للسلام والبراءة والأحمر للموت والأسود للظلم والأخضر للعيش الرغيد وغير ذلك .

وأما الألفاظ والتراكيب والأساليب التعبيرية عند د. عدنان النحوي فإنه قد نظم قصائده في ملحمة " الجهاد الأفغاني " وقد تخيل نفسه داخل هذه الملحمة ؛ يخوض غمارها ، ويعيش أحداثها ، ويسجل تاريخها . فأعطاه ذلك دفقا حماسيا جارفا غطي ساحة الملحمة إلا نادرا كما في

^١ ديوان الروض الملتهب ، ص ٤١

^٢ المرجع السابق ، ص ٣٧

حديثه عن ذكرياته في فلسطين ، وتذكره داره وبساتين البرتقال والليمون فإن حدة الحماس تنخفض ليحل محلها أحزان الذكري !! والأسلوب الحماسي ذو النبرة الخطابية العالية أخذ صورة الكر والفر علي ساحة المعركة ؛ فهو يغير بين الجمل الخبرية والإنشائية بصورة مستمرة ومن النادر أن تجد عنده قصيدة تسير علي وتيرة هادئة . وظهرت الخطابية أيضا في أسلوب التكرار الذي يرد كثيرا في الجمل الخبرية والإنشائية، بالإضافة إلي الجزالة التي هي سمة بارزة من سمات القصيدة تنقلك إلي أجواء قصائد الحماسة والفخر في العصور المتقدمة، والجزالة تأخذ عنده سمته في اختيار الكلمات القاموسية واستعمال صيغ المبالغة ، والكلمات المناسبة لموضوع الملحمة التي تتسم بعنصر القوة المادية والمعنوية.

يختار د. عدنان النحوي الكلمات التي تملأ الفم بنطقها ، وتناسب جو الملحمة مثل " عبقرى " التي نقلناها في أمثلة التكرار . فيتوقع أن تكون ألفاظه أرق وألسن لما في معنى الغربة من انكسار نفسي ولكن الشاعر بمعنويته الجهادية العالية يضيفي الجزالة عليهما باختيار كلمات مثل " جرحه ، يشرق ، ظلمة الليل ، وانتظامها في البيت يزيد من جزالتها. فيقول في وصف دخول القوات الروسية :

وَأَقْبَلَا بِزُحُوفِ الْمَوْتِ كَاسِحَةً تَطْوِي الشَّوَاهِقَ طَيَّ الْجَارِفِ الْعَرِمِ
كَأَنَّمَا رَأْسَيَاتُ الْأَرْضِ زَلَزَلَهَا هَوْلٌ مِنَ الْمَوْتِ .. لَا هَوْلٌ مِنَ الْكَلِمِ^١

وتجد في القصيدة نفسها كلمات مثل : شمنت ، شاهقة ، انطلقت ، فانتقلت حمر البطاح في مهمة داج بهم " .

وتقرأ تحت عنوان " فتنة الهوى وشباك الأعداء " هذه الأبيات :

أَطْلِقِي مِنْ أَعْنَةِ جَامِحَاتِ أَطْلِقِي حَمَحِمَاتَهَا فِي الْبَوَادِي
أَطْلِقِيهَا أَعْنَةً تَجْتَلِي الْمَجْـ دَعْلِي سَاحَةً وَفِي أَنْجَادِ
أَطْلِقِيهَا فَإِنَّهَا هِيَ وَالنَّصْـ رُؤْيِي حَوَمْتُ عَلِي مِعَادِ^٢

فتجد الجزالة في اختيار مفرداتها " أطلقي ، جامحات ، حمحاتها ، تجتلي ، حومت " وتكرار " أطلقي " نفسها.

^١ من ديوان : ملحمة الغرباء ، ص ٢٢-٢٩

^٢ ملحمة الجهاد الأفغاني ، ص ١٢٠ - ١٢١

والأمثلة تفوق الحصر ، لأن القصائد في أبياتها كالسيل الجارف بقوة سبكها وتوالي كلماتها الرصينة . وقد حاول الشاعر أن يغير من طريقته الإلقائية الخطابية إلى أسلوب الحوار القصصي الذي يتسم بالهدوء في عدة مواضع ، لكن محاولاته لم تنجح ، وبقي الحوار ضعيفا وانتهي بسرعة أمام إحساس التدفق الملحمي في الأسلوب الإلقائي ، والمواضع التي نقصدها في قصيدة " علي أبواب كابول " تحت عنوان " طفل من أفغانستان " يقول :

رَأَيْتُ طِفْلاً مِنَ الْأَفْغَانِ يَسْأَلُنِي مِنْ جَاءَ "بِالرُّوسِ" زَهْوُ الظَّالِمِ الْحَرْدِ
أَلَيْسَ عِنْدَهُمْ مَأْوَى يَلْمُهُمْ وَغَرَسَةُ حَمَلَتْ زَاداً لِمُرْتَفِدٍ^١

فيجيبه الشاعر :

فَقُلْتُ : مَهْلِكٌ ! شَرُّ الْمُحَدَّثَاتِ هَوَى وَشَرُّ مَا فِي الْهَوَى قَتْلُ عَلِي عَمَدٍ
لَوْ كُنْتُ تَعْلَمُ مَا ضَمِنَ النُّفُوسِ وَمَا يَدُورُ مِنْ طَمَعٍ فِيهَا وَمِنْ حَسَدٍ^٢

وانتهي الحوار معجبا بحكمة الطفل الافغاني :

عَجِبْتُ لِلطِّفْلِ صَاغَ الْحَقُّ مَنَظَقَهُ وَلَمْ يَجِدْ مَنَظِقُ الْكُفَّارِ مِنْ سَنَدٍ
الْحَقُّ أَبْلَجُ نَلْقَاهُ بِفَطَرَتِنَا عَفْوُ الطُّفُولَةِ صِدْقُ الشَّيْبِ وَالْمَرَدِ^٣

وكان يمكنه أن يتخذ هذا الطفل دليلا يتنقل به في مخيمات اللاجئين والمشردين ، والأيتام ، ويتنقل لتصوير الأحداث الملحمية بين المنازل المتهدمة فيحاور آلام الشكلي ، والشيخ الفاني ، والمشررد بأسماله البالية ، وجوع الجوع الذين يصطادهم التنصير بلقمة العيش .^١ ولكن كما قلت : لم يستطع الشاعر أن يتخلى عن دوره القيادي في الملحمة .

وسجل أسلوبا حواريا آخر تحت عنوان " بين كابول وفلسطين " و " غصبة الزيتون

وعتاب النسيم "

^١ ملحمة الجهاد الأفغاني ، ص ١٢٧ - ١٢٨

^٢ المرجع نفسه

^٣ المرجع نفسه

يقول في الاول " :

كأن وشوشة الزيتون أغنية تقول هذي ميسادين الردي فرد
وقال لي زهر الليمون: مهلك لن أجود بالعطر! قد أمسكت جود يدي^١

وينتهي الحوار " ويعود إليه في " غصبة الزيتون ... " قائلا :

وقال لي زهر الليمون: مهلك لن أجود بالعطر! قد أمسكت جود يد
خبأت كل عطوري في مجامرها ندية لشهيد الحق والسدد
يعيد لي مهجة كم كنت أرقبها نقية صدقت للواحد الأحد
يظهر الأرض من رجس ألم بها ومن فواجر آفاق ومن شرد^٢

ويتلاشي الحوار بانتقاله من حوار الواحد " وقال لي شجر الزيتون " إلى الحوار الجماعي

الكلبي "

ويستكمل الطفل الحديث مطولا مسترسلا إلى آخر القصيدة حول الملاحم في خوست

وجلال أباد وهرات وغيرها :

سألوا مراع "خست" عن وقائعها وعن لهيب علي الساحات متقد
وعن فوارس طاروا كالبروق لها برق الخوف وبرق الزحف والرعد
سألوا "جلال أباد" كم أحاط بها عزائم الحق من صبر ومن جلد
يلتف حول روايبها غطارفة صيد تدافع كالأمواج والزبد
سألوا "هراتا" و "بلخا" كل موقعة أي علي طارف الأجداد والتد
والمؤمنون حماة ، عنك كم دفعوا من الوحوش ومن ذنب ومن قرد
سألوا "سنج" وما صب العدو به من اللطي حمما فتاكة العدد
جعلت منه مع التقوي حياة أخ وللعدي هبوات الموت والرصد
علي "جبال سليمان" الدما ، تشرت نورا تفتح زهو الحسن والرأد

^١ من ديوان مهر جان القصيد ، ص ١٧٥

^٢ المرجع نفسه

وَمِنْ ذُرَيِّ "هَنْدُكُوش" أُمَّةٌ طَلَعَتْ
وَعِنْدَ "جِيحُون" فَوْحُ الْمَكْرُمَاتِ شَدًّا
"بَنْشِيرُ" يَا وَادِي الْأَبْطَالِ هَاتِ لَنَا
وَأَجْعَلْ لِهَيْبِكَ دَفْقًا مِنْ دَمَاءٍ فَتِي
أَرْضَ الشَّهَادَةِ حَتَّى خِلْتُ سَا حَتَّهَا
تَمُدُّ أَمْجَادَهَا فِي السَّاحِ وَالْأَبَدِ
لِلَّهِ دُرُكٌ يَا أَفْغَانُ مِنْ بَلَدٍ
رَوَانِعًا وَصُغِ الْأَمْجَادِ وَاتَّقِدِ
لِلَّهِ أَخْلَصَ فِي بَذْلِ وَفِي زُهْدِ
فَوْحَ الْجِنَانِ وَنَشْرَ الْعِطْرِ وَالْوُرْدِ

ويستمر الحديث علي وتيرة واحدة إلى النهاية . ومع أن هذه المواقف : لقاء الطفل الأفغاني والطفل الفلسطيني والحديث إلي الزيتون وزهر الليمون، ولقاء فتیان الجهاد في مريثة عبدالله عزام _ هذه المواقف كان الشاعر يمكنه أن يجعل فيها الأسلوب حواريا حيويًا بتبادل الحديث بينه وبينهم . ويلاحظ تشابه بدء الحوار أيضا:

* رأيت طفلا في الأفغان في (طفل من أفغانستان)

* رأيت طفلا علي ساحتها في (طفل في فلسطين)

* وقال لي زهر الليمون في (بين كابول وفلسطين)

* وقال لي شجر الزيتون في (غضبة الزيتون وعتاب النسيم)

وفي مقارنة الطفل الأفغاني بالطفل الفلسطيني نجد أن الطفل الفلسطيني أخذ دورا إيجابيا في الجهاد بحجارته التي دوخ بها جنود الاحتلال الصهيوني، بينما اكتفي الطفل الأفغاني بالسؤال عن دوافع الاحتلال الروسي لأفغانستان ولعل السبب في ذلك يعود إلي الفرق بين عمري الطفلين في الجهاد. فعمر الطفل الفلسطيني أطول، والطفل الأفغاني مازال يعيش هول الصدمة . فالطفل الفلسطيني أخذ مبادرة الجهاد علي نطاق واسع حتي رسم صورة جديدة في أذهان العالم عرف " بطل الحجارة " بينما الأخبار عن الطفل الأفغاني قليلة في هذا المجال ، ويعود ذلك إلي طبيعة المعركة التي تدور في فلسطين واختلافها عن تلك التي تدور في أفغانستان . ولكن هذا ما كان ليمنع الشاعر من الرصد والتقاط صور نادرة !!

هـ - رونق الألفاظ والتراكيب :

كانت اللغة العربية علي ألفاظ قوية الرنين تفتحم الأسماع وتملأ فم منسدها وآذان سامعها^١ ، وكان الشعراء القدامي يصطنعون هذه اللغة لأنها لغتهم بالفعل ونتاج بيئتهم وصدي مجتمعهم وحياتهم العامة^٢. لكن حين تطورت الحياة الاجتماعية والعقلية للمجتمع الإسلامي وشاعت مظاهر الترف والرفقة في أنغائه تغير إحساس الناس بالألفاظ فصاروا ينفرون من اللفظ الوحشي الغليظ ويميلون إلي الرقيق المعبر^٣.

ففي قصيدة إلي ثوار أفغانستان للشاعر محمد فوزي مصطفى :نراه يطرق باب الألفاظ والتراكيب الإسلامية وخاصة إذا كان الموضوع دفاعا عن العقيدة الإسلامية والجهاد في سبيل الله من أجل حياة أفضل للمجاهدين الأفغان الذين يفضلون الموت في كنف الله سبحانه وتعالى علي حياة الذل والهوان والصغار وإذا بحثنا في ألفاظ الشاعر وعباراته نجدها سهلة واضحة ، بعيدة عن الغموض الذي لا يتضح به المعني ، كذلك فإنها بعيدة عن الألفاظ الغريبة^٤ : أي ما صعب البحث عنه في قواميس اللغة ، أو ما صعب النطق به ، أو هجر استعماله . كذلك فإن الكلمات والعبارات متلائمة مع بعضها ومع عاطفة الشاعر ومع الموضوع إلا أننا في بعض الأحيان رأينا الشاعر قد استخدم بعض الألفاظ المستحدثة ولكنها تخدم قصيدته وموضوعه والغرض الشعري الذي يقول فيه مثل قوله : (أبكي علي كابول) ، (ويقل من زرد الحديد) ، (الدين أفيون الشعوب) وكذلك كلمة (إشاعة) وبعض من الألفاظ التي دخلت في قصائد الشعر حديثا كذلك قوله : هذه السياسة لا سياسة غيرها ، وكذلك : ما الميج ، ما الصاروخ وهي من الألفاظ التي جاءت في العصر الحديث ومن الأسلحة المستخدمة في الحروب والقتال في هذا العصر وهذا يدل علي بيئة الشاعر وحياته . وقوله الاستعمار والثوار . وفي القصيدة نري الشاعر قد استعمل أسلوب التوكيد أكثر من مرة وهذا لأنه يصف حقائق واقعة لا شك فيها فغاص وراء المعاني والتراكيب والأساليب التي تؤكد هذا المعني الشعري الذي يريده فمثلا : بدايته بالجملة يصوره ، كذلك قوله : الدين دين الله وهو صلاحنا ، إن الجهاد يخافه الفجار . فنلاحظ أنه استخدم أساليب التوكيد المتنوعة ، ثم استخدم بعض الأفعال الماضية التي تدل علي الحسرة والألم لما فات ، وما صارت إليه كابول من خراب ودمار . خذ مثلا قوله : أبكي علي كابول ، حتي ينجلني ،

^١ جبري ، شفيق : مقال غادة الكاميليا ، مجلة المجمع العلمي ، ج ١ ، العدد ١١ ، ص ٣٨

^٢ عسري ، انعام بنت حمزة عبد الرحمن : أدب الزهد في العصر العباسي الأول ، ص ١٥٨ ،

^٣ الجمحي ، محمد بن سلام : طبقات فحول الشعراء ، تحقيق محمد أحمد شاكر ، ص ٨

^٤ أبو غزالة ، سميرة محمد ركي : الشعر العربي القومي في مصر والشام بين الحريين العالميتين ، ص ٩٧ ،

ويزول عنها العار ، وتشع من أرجائها ، ويفل من زرد الحديد ستار . فقد نوع بين الأفعال الماضية والمضارعة والأمر ، كل يخدم المعنى في زمنه وحدثه ، كذلك استخدم الأفعال المتنوعة : (يزحف فروا من الواحات ، يلحق بعضهم بعضا ، وتبع الغزاة صغار ، فاصبر ولا تقبل ، فما يفيد قرار ، فمضي يزجر ، فاصبر ، ولا تيأس ، لاح السنا ، هانت الأخطار ، فتكاتفوا) ومع ذلك فالقصيدة لا تخلو من تكلف وصنعة فانتقاله من فكرة إلي أخرى دون الفصل بين الأفكار جعل ألفاظه مضطربة بين الماضي والمضارع والأمر وتكرار الأفعال والسعي وراءها دون أي مبرر يحتاج له الوزن أو المعنى . وفي قصيدة أحمد محمد الصديق (علي المفقود) فإن الألفاظ والتراكيب تظهر كما يلي :

قدم الشاعر موضوعه بما يسمى (براعة الاستهلال) ودخل علي موضوع القصيدة مباشرة ، وذلك لأنه سيرثي المجاهدين المقاتلين من قادة الجهاد الأفغاني ، وقصيدة الرثاء كما هو معروف لا طراز لها ، بعكس قصيدة المدح مثلا التي تقدم بالحديث عن المحبوبة والأطلال ثم يكون التخلص ... إلخ ، لقد بدأ الشاعر بمقدمة بالنسة حزينة تعتبر ثمرة لكل ما حدثت وهي الفجعة لدي الشاعر والمستمعين ، بل إنه لهول الفاجعة - كعادة الإنسان حين تقع به نكبة أكبر مما يتصور - يكاد لا يصدق ما حدث ، ومن هنا كانت صرخته بأن هذا الأمر كاد أن لاتدركه الأفهام ذلك لأنه لم يستوعب بعد ما حدث : إن هذه الأبيات التي تعتبر مقدمة حزينة ، تصور حال الإنسان الذي يتفجر باكيا ثم يقول كلاما عاما متشنجا ، ثم بعد أن تنجلي عنه غمرة البكاء يبدأ في سرد قصة ما يكيه . وتتميز ألفاظ هذه القصيدة بأنها سهلة واضحة بعيدة عن الغموض الذي لا يتضح به المعنى ، وبعيدة عن الألفاظ الغريبة ، كما نلاحظ أن الألفاظ والتراكيب متلائمة مع بعضها ومع عاطفة الشاعر ومع الموضوع مطابقة لقواعد النحو والصرف ، والألفاظ بعيدة عن الابتذال ، كذلك فإن الألفاظ والتراكيب موحية بما فيها من إيماءات وظلال وإشعاع ، وبعيدة عن المحسنات البديعية الكثيرة والمتكلفة ، واستطاع أن يعيد إلي الكلمة المبتذلة إيماءات جديدة تؤثر في النفس عن طريق وضعها في جمل مناسبة أعادت إليها رونقها وبهجتها مع إيماءات وظلال جديدة لم تكن لها من قبل^١ ، فالألفاظ عربية أصيلة ، والتراكيب والأساليب قد نوع فيها بين الخبرية والإنشائية لإثارة الذهن واليقظة وجذب الانتباه ، وجعل كل من القاريء أو السامع يشاركه في أفكاره ومشاعره وهذا يعتبر من الشعر الإسلامي الذي حشنا عليه الإسلام في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل

خيرا أو ليصمت) ^١ وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ ^٢ . فإذا كان الأدب يجسد عواطف الأمة ومشاعرها وأحاسيسها وتصوراتها وأخيلتها فإنه في المجتمع الإسلامي لا بد أن يكون إسلاميا ، وإلا كان المجتمع زائفا . فنعمة البيان في الإنسان تكاد تعدل نعمة الخلق والإيجاد ^٣ .

أما بالنسبة لقصيدة (مقاطع أفغانية) ^٤ للشاعر أحمد محمد الصديق : نقول إن الألفاظ لا تكتسب قيمتها من نفسها فإنها تكتسب قيمتها من التراكيب التي تصاغ منها ، فإننا لا ننظر إلى اللفظة مفردة وإنما ننظر إليها من خلال التراكيب التي سيقت فيها . ولبدأ بتركيب (وجاء العدو الغشوم) كلمة العدو التي لم يكتف الشاعر بها بل جاء بوصف جديد له وهو الغشوم بما توحىه من الطغيان والظلم وعدم احترام المواثيق والعهود . وقوله (تقدم قائدنا الفذ (مسعود) لم يكتفي هنا بكلمة (قائدنا) بل وصفه بالفذ الذي ليس له مثل . وقوله (يستنزل النصر) فلأن النصر لا يأتي بسهولة فقد استخدم حروف الاستفعال وهي في الفعل يستنزل وهي السين والتاء ليدل على ذلك . وقوله (فاضت ضراعتي للسماء) أتى الشاعر بالفعل الماضي فاضت أي كثرت وانهمرت مع كلمة ضراعتي لأن المطلوب في الإكثار منها حتى ينزل النصر من عند الله . وقوله (وأحكم خطته في دهاء) فنجد أنه أتى بالفعل الماضي أحكم دل به على اتخاذ الحيلة وإحكام الأمر إحكاما شديدا أو بالرغم من ذلك فقد أكد المعنى هذا بشبه الجملة الذي وقع حالا يوضح الفكرة فقد أحكم خطته في مكر وخديعة وهذا ليس عيبا فإن " الحرب خدعة " ^٥ كما قال صلي الله عليه وسلم.

ثم تركيب آخر (ويمنحنا بالجهاد وسام الظفر) أتى الشاعر بالفعل المضارع يمنح وهو يدل على هذا الجهاد أنه هبة وعطاء من الله لعباده في كل زمان ومكان ، فما ترك قوم الجهاد

^١ البخاري : صحيح البخاري : الأدب ٣١ / الرقاق ٢٢ / الإيمان ٧٤ / العلم ٣٧ / المغازي ٥١ / النكاح ٨٠ ، أبو داود : النكاح ٤٤ / الجهاد ١٣١ / الأطلعة / الأدب ، الترمذي : القيامة ٥٠ / الديات ١٣ ، النسائي : الغسل ٢ / الحج ١٠٩ ، ابن ماجه : الأدب

٤ . جري ، شفيق : مقالة (الأدب - أفقه وفعله ، غايته) مجلة الجمع العلمي ، ج ١ ، العدد ١٠ ، ص ٩٤

^٢ سورة إبراهيم آية ٢٤ ، ٢٥ .

^٣ د. الدابة ، فايز ، جماليات الأسلوب ، ص ٢٢ ،

^٤ من مجموعة (حراح و كلمات) ، الناشر : دار الضياء ، سنة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ، ص

^٥ البخاري : كتاب الجهاد ١٥٧ / المناقب ٢٥ ، الترمذي : الجهاد ٥ ، ابن ماجه : الجهاد ٢٨ ، أحمد بن حنبل ٨١/١ .

إلا وذلوا كما قال صلى الله عليه وسلم ، ووسام النصر لا ينال إلا بالجهاد في سبيل الله ، كما قال تعالى ﴿ إِنْ تَنْصَرُوا لِلَّهِ يَنْصِرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾^١.

وتركيب آخر (تجسد معني الشمم) فالفعل تجسد مناسب لهذا السياق فالتجسد لا يكون إلا للمعنويات لإظهارها في صورة حسية ومعني الشمم أي العلو والارتفاع .

والتركيب التالي (وترفض ذل القيود) أتى الشاعر بالفعل المضارع (ترفض) يدل به علي الاختيار بين شيئين وهنا شيء واحد وهو ذل القيود وكان عليه أن يأتي بالفعل تأني الذي يدل علي العصيان أمام تلك القيود وذها . وقوله (يطير شهابا مضيئا) (يطير) فعل مضارع يدل علي استمرار الطيران كعادة الطير دائما الطيران في السماء ، والشهيد عندما تصعد روحه إلي بارئها يصير كالشهاب الطائر في السماء ، و وصف الشهاب هنا بلفظة (مضيئا) ليؤكد نفعه فلم يطلق كلمة (شهاب) بل قيدها بالصفة التي تدل علي النفع وعلي النور في نفس الوقت ، وقد جاء الشاعر بهذه الفكرة من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي أخرجه مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن أرواح الشهداء في جوف طير خضر ، لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلي تلك القناديل ...)^٢ . وقال (فداء العقيدة كل الرزايا ... وكل الحن ...) فقد قام في هذا الشطر بتقديم وتأخير بين المبتدأ وخبره فأصل هذه العبارة (كل الرزايا .. وكل الحن فداء العقيدة) وهذا يدل علي التخصيص لفداء الدين بالنفس والمال والولد .

وتركيب آخر (ونعتصر الجراح نورا) فلفظة نعتصر فعل مضارع دالة علي صعوبة الاعتصار وتكلفه ودل علي هذا المعني بزيادة تاء الافتعال في الفعل ، والشيء المعصور هنا هو الجراح فمعروف أن الجرح ينزف لفترة ثم يتوقف النزيف فلذلك تكلف الاعتصار .

وتركيب آخر (وتشرق شمس الوطن) فكلمة تشرق تدل علي بداية الحياة بعد جهاد طويل مع أعداء الله ، وقد أخفق الشاعر عند استخدامه لكلمة شمس مضافة إلي الوطن لأنها تدل علي التعصب للجنس وتدل علي عصبية قبلية ، فكان عليه أن يقول شمس الإسلام ليدل علي إخلاص النية لله في الجهاد ومن أجـ ومن أجل دينه لا من أجل الوطن ، ولعله جاء بها من أجل ضرورة الوزن . وننتقل إلي لفظة (تضائل أعداؤنا كالدمي) فقد جاء بلفظة (تضائل) دالة علي

^١ سورة محمد آية ٧ .

^٢ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، كتاب الإمارة ، باب في بيان أن أرواح الشهداء في الجنة ، ج ٨ ، ص ٨٤ .

التقليل لتناسب كلمة الأعداء فلا بد من تحقيرهم والاستهانة بهم، ثم كلمة الدمى تؤكد ذلك المعنى فهم كاللعب التي يلعب بها الأطفال ثم يلقونها .

وتركيب آخر (كالجراذين بين الدمن) ليؤكد المعنى السابق ، فالجراذين هي الحيوانات التي تتجمع على الفريسة بعد أن يأكل منها الحيوان المفترس ويأتي دورهم لأكل ما بقي من نبتها . ويقول (نخلق من فوقهم .. كالنسور الطليقة) فلفظة نخلق فعل مضارع يدل على العلو في الطيران وهنا تدل على العلو على أعداء الله ، ثم أكدته أكثر بكلمة (كالنسور) بكاف التشبيه ، لأن النسور لا تخلق إلا على مسافات بعيدة من الأرض وخاصة على قمم الجبال ، ثم وصفها بالصفة الطليقة ليؤكد أنها ليست أسيرة أو حبيسة إنما هي طليقة في جو السماء . ثم يؤكد أن هذا العلو ليس من الذكاء أو الدهاء إنما هو بالله ، وذلك بقوله بعد ذلك (وبالله نعلو) فالعلو لا يكون إلا بالله سبحانه وتعالى لأنه سبحانه يقول : ﴿ قُلْ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^١ ويقول أيضا : ﴿ وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾^٢ .

وتركيب آخر يؤكد (ونسحق تلك الوجوه الصفيقة) فهنا الفعل المضارع (نسحق) يدل على شدة وقسوة هذا النصر على تلك الوجوه الصفيقة ليدل على خستها وحقارتها . وقوله (ونرفع راياتنا شاهدا ... لانتصار الحقيقة) فقد أتى بالفعل نرفع كي يتناسب مع كلمة الرايات التي يدل ارتفاعها على النصر وتنكيسها على الهزيمة ، ثم أكد المعنى بكلمة شاهدا ليدل على أن ارتفاعها شاهدا على الانتصار ، ثم أضاف كلمة انتصار إلى كلمة الحقيقة ليدل أن الانتصار لم يكن للباطل ولكن كان للحق والحقيقة .

وتركيب آخر (هنا خيمة يهرب الظل منها) يأتي الشاعر دائما في قصيدته تلك بلفظة (هنا) ليدل على قربه من ميدان المعركة وقربه من المهاجرين في المخيمات ، ولفظ الخيمة مناسب لحال المهاجرين فهم لا يجلسون في بيوت وأكواخ ولكن في خيام ولفظ النكرة الذي يدل على العموم ، ثم وصف تلك النكرة بجملة فعلية وهي (يهرب الظل منها) دلالة على شدة القيظ والحر بها، فلفظة (يهرب) تدل على شدة تمزقها .

^١ سورة آل عمران آية ٢٦

^٢ المرحع السابق آية ١٣٩

ثم أكد المعني السابق بالتركيب التالي (ويشد لفح الهجير) فأكد المعني السابق بالفعل المضارع يشتد، ثم أتى بالفاعل وهو لفح الذي يدل علي تأثير ذلك الهجير الذي يهرب منه الظل ، فقد أضاف الشاعر كلمة (لفح) (إلي الهجير) لتعظيم تلك الحرارة الشديدة التي تنبعث من الشمس الحارقة .

ثم نأتي لتركيب آخر (يعلو جدار .. وراء جدار) فقد أسند الفعل إلي الفاعل وهو كلمة (جدار) لتدل علي أن هذا الجدار يستمد قوته وعلوه من الله سبحانه وتعالى (يطول ويمتد سورا عظيما) كذلك أسند إليه الفعل يطول ويمتد للتوكيد ، ثم وصف السور بأنه ليس كأي سور بل هو سور تشامخ في العظمة ثم يقول (يلف الديار) فكلمة (يلف) تدل علي كبر هذا السور وامتداده وطوله ، وأتي بكلمة الديار ليؤكد ذلك فالسور الذي يستطيع أن يحيط .

بجميع الدور والديار إنه لسور طويل الامتداد . (ويحمي الزمار) هذه الجملة تدل علي قوة هذا السور ، فقد أسند الشاعر إليه حماية الزمار ليدل علي قوته وشدته عند مواجهة الأعداء لهدمه أو دكه ، وكذلك جملة (يكف أذي المعتدين) فاللفظ (يكف) يعني أنه يمنع أي يد تمتد إليه ويكفها عن فعل ذلك مرة ثانية ، والمكفوف هنا هو (أذي) ليدل أن هذا الأذي ليس من أحد قريب بل من عدو بعيد معتد . ويقول (ويرأب صدع الحدود التي مزقتها الحراب) .

فالفاعل يرأب يدل على الإصلاح ، وكلمة (صدع الحدود) تدل على أهمية ذلك الإصلاح في الحدود التي مزقتها العدو أثناء الحرب ، وكلمة (مزقتها) الفعل الماضي تدل على الهدم الشديد لهذه الحدود وتقطيعها إلى أشلاء متناثرة .

(ويفدي العرين) فكلمة يفدي الفعل المضارع يدل على التضحية والفداء من أجل (العرين) ويقصد به هنا الوطن ، لأن كلمة العرين هي بيت الأسد فلعله قصد بها الوطن . وتركيب آخر (ويطلع جيل الصغار) (كما تطلع الشمس فوق جبين النهار) فلفظة يطلع تدل على شيء كان مختفيا ثم طلع وظهر ، ثم أتى بلفظ (كما) ليدل على التشابه بين طلوع جيل الصغار وطلوع الشمس . وتركيب آخر (براعم تكبر فوق البراكين) فقد شبه هذه الأجيال الصغيرة بالبراعم أي النباتات الصغيرة للتشابه في الصغر ، وكلمة (فوق البراكين) ليدل بها على قوة هذه الأجيال رغم صغرها . ويتابع الشاعر (تورق رغم الخال) فهذه البراعم رغم صغرها تورق أوراقا كثيرة رغم استحالة ذلك فوق البراكين ، فهذا التعبير يدل دلالة واضحة على قوة هذه البراعم التي استطاعت أن تخرج أوراقها رغم استحالة ذلك . (وتخضر منها الصخور) هذا التركيب يدل على كثرة هذه البراعم بحيث أنها غطت الصخور بخضرتها ، كما أن لفظ (تخضر) الفعل المضارع يدل على نضوجها .

(أجل إنهم يرضعون البطولة) فلفظة (أجل) جاءت لتؤكد المعنى السابق أي حقا ما قيل ، ثم أتى بيان المؤكدة للمعنى الآتي ، وهو رضاعة البطولة ، التي دلت على أنهم في طور النمو ولا زالوا يعتمدون على الرضاعة فدل على صغرهم ، وكلمة (البطولة) شيء معنوي جسمها الشاعر وتخيلها لنا يرضع . ثم (وتزهر فيهم معاني الرجولة) فلفظة تزهر تدل على أنهم تقدموا طورا آخر في النمو بحيث خرج من هذه البراعم زهور ، هذه الزهور فيها صفات الرجال لتدل على أنها كبرت وأصبحت تتحمل مسئولية الجهاد . وتركيب آخر (وتشمخ هاماتهم كالجبال) فلفظة تشمخ دليل الارتفاع فهاماتهم مرتفعة عالية من الشرف الذي نالوه بالإسلام فهم أعزاء بدينهم رافعين رؤوسهم به دائما ، ثم أتى بلفظة (كالجبال) بكاف التشبيه ليشب وجه الشبه بين الهامات والجبال . ثم نأتي للتركيب التالي (مفاتيح كابل آلت إليهم) فلفظة مفاتيح تدل على كثرة الأبواب والتحصينات التي حصنت بها المدينة فالأبواب كثيرة والمفاتيح كذلك ، ثم أتى بكلمة (آلت إليهم) ليدل على أنها فتحت وسلمت إليهم دون قتال لخوف العدو منهم واستسلامه لهم .

ثم الشطرة الأخيرة (ألا فافسحوا الدرب للقادمين الرجال) فحرف ألا للتحضيض ، ثم أتى بعده بفعل الأمر فافسحوا ليدل على كثرة الزحام أمام هؤلاء الأبطال احتفالا بهم ، ثم قال (للقادمين) ليدل على اقتراب قدومهم ، ثم وصفهم بالرجولة ليدل على أنهم قد صاروا رجالا يعتمد عليهم .

وقد جاءت التراكيب والألفاظ في الغالب متناسقة ومتفقة مع بعضها البعض قد نبأغ إذا قلنا إنها لا يستطيع الاستغناء عنها في أماكنها ، كما جاءت سهلة في معظمها ولم تأت وعرة صعبة .

و - أساليب التعبير الرائعة :

الأسلوب هو ضرب من النظم والطريق فيه^١ أي أنه (المتوال الذي ينسج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرع فيه)^٢ وهذا المتوال ليس في سلامة الوزن والإعراب وأداء اللغة فقط وإنما هو أيضا في ترتيبها وعدم اضطراب نظمها وسوء تأليفها وهلهلة نسجها^٣ وهو القالب الذي يصب فيه الأديب أفكاره ، وهو الصورة التي يظهر فيها النص الأدبي في النهاية^٤

^١ المحرر حاشي عبد القاهر : دلائل الإعجاز ص ٣٠٥ ، أحمد الشايب : الأسلوب ص ٤٤

^٢ مقدمة ابن خلدون ص ٥٧ ط ٤

^٣ العلامة ابن خلدون عبد الرحمن ، المقدمة ، ص ١٥ ، ابن طباطبغا العلوي ، محمد بن أحمد ، عبار الشعر ، تحقيق وتعليق د. طه الحناوي ، د . .

محمد زغلول سلام

^٤ د. الحندي علي : شعر الحرب ص ٤١٣ .

نوع د. عبد الرحمن العشماوي في قصائد ديوانه عندما يعزف الرصاص أساليبه فأعطت للقصائد والديوان حيوية أخرجتها عن الرتبة المملة .

فالقصائد التي بناها على / التفعيلة / الموزونة كانت هادئة في سيرها عموماً حزينة في أجوائها مثلما في " هؤلاء الأبرياء " متشحة بظلام الظلم وسواد القهر ، لكنها في " وسام العز في وجه عائشة " و " أشلاء أغنية حزينة " انتهت بالأمل وروح معنوية عالية ، رفعت إيقاع القصيدة ، فانتهت قوية مدوية .

فقد صور في " هؤلاء الأبرياء " صور المأساة المختلفة التي تعرضوا لها . وأنهى القصيدة بالصمت البليغ الذي يعبر عن انعقاد اللسان عن الكلام لهول المصيبة ، وترك سؤال الاستغاثة التي أطلقها الأطفال والنساء والشيوخ بدون جواب ، بل بجواب أبلغ من جواب !

أَيْنَ مِنَّا الْمُسْلِمُونَ ؟!

يا سؤالاً

لَمْ أَزَلْ أَدْفِنُ بِالصَّمْتِ جَوَابَهُ

ألا ترى إلى ذلك السؤال الذي ختم به الشاعر قصيدته مفاجئاً به ضمير الإنسان المسلم ومختبراً إيمانه ثم لاذ بالصمت على علمه بالجواب تاركاً لكل قارئ مسلم فرصة العثور على الجواب وأي جواب ، جواب يطوي تحته معاني متعددة تشير كلها بالاتهام الصريح للمسلمين جمعاء وتنتعهم بالتقصير والتخاذل عن نصره إخوة الدين المنكوبين وتحدد ملامح كيان المسلمين الضعيف وتزري بتشتتهم وانشعاب صفهم وتفرق كلمتهم وتضارب أهوائهم في عصر الأخطار والمحن وتكالب الشعوب القوية على الشعوب الضعيفة لا سيما الشعب الإسلامي . لقد استعمل الشاعر الأسلوب الإنشائي واختار الإستفهام والنداء منه كي يعبر عن كل هذه المعاني النازفة ألماً وحسرة محققاً في النهاية الحكمة التي تقول (رب صمت أبلغ من كلام)^١ . لكنه صمت متوثب ينذر بالإنفجار في أية لحظة . إذن ما أمر السؤال وما أوجعه وما أوضح الجواب وما أفرعه . وهكذا نرى نفحة الحزن والأسى تسري في ثنايا القصيدة كلها مترادفة مع نغمة أخرى خفية هي نغمة الغضب المقيد بسلاسل الحزن والألم .

ولكن في القصيدة الثانية " على أنقاض مدينة هرات " انتهت بصوت البشارة تأتي من

بعيد :

بُشْرَاكَ بِالنُّصْرِ الْمُبِينِ .. بُشْرَاكَ بِالنُّصْرِ الْمُبِينِ^١

وهكذا يلون الشاعر في أسلوبه ففي هذه القصيدة يبعث الأمل قويا في نفوس المجاهدين

مبشرا بالنصر

المبين^٢ فنراه يخاطب مدينة هرات الصامدة بلهجة واثقة مستخدما الأسلوب الخبري قائلا^٣:
بُشْرَاكَ بِالنُّصْرِ الْمُبِينِ. مؤكدا عليه بإعادة العبارة ذاتها مرة ثانية بعد أن التجأت المدينة إلى الله وضجت أحجار المدينة بالدعاء . وقد كرر جملة / بُشْرَاكَ بِالنُّصْرِ الْمُبِينِ / للتوكيد وهذا ما فعله أيضا في " وسام العز في وجه عائشة " . فقد كرر عبارة " بأن إلهنا أكبر ، وأن الحق لا يقهر " بما يشبه نهاية على أنقاض مدينة هرات " :

وَرَدَدْنَا بِصَوْتٍ وَاحِدٍ عَذْبٍ

تَعَالَى اللَّهُ

إِنْ إِلَٰهَنَا أَكْبَرُ

وَأَنَّ الْحَقَّ لَا يُقْهَرُ

وَأَنَّ الْحَقَّ لَا يُقْهَرُ^٤

أما هنا فإن الشاعر يستخدم الأسلوب الخبري وأداة التوكيد (إن) والتأكيد على المعاني بتكرار العبارات وهذا يدل على إيمان الشاعر القاطع بقوله فإن الله أكبر - وإن الحق لا يقهر - هي حقائق ثابتة لا تقبل الجدل ولا المراء. تشيع في نفس المؤمن إحساسا قويا بالطمأنينة والثقة بتأييد الله للمجاهدين الصابرين المتجئين إليه بالدعاء الصادق.

وقد ساعد على الإيقاع الهاديء في قصائد التفعيلة غلبة الأسلوب الخبري ، واتباع أسلوب القصة الذي تداخله الحوار القصصي بين عائشة وأبيها والشيخ وولديه . وبدأ هذه القصائد برسم جو هاديء حزين جعلها مقدمة لأسلوب الحكاية التي روى بها حكاية أسرة عائشة ، وأسرة الشيخ ، وإليك البدايات ، بدأ " هؤلاء الأبرياء " هكذا :

^١ من ديوان عندما يعزف الرصاص ، ص ١٦٨

^٢ حمري شفيق : مقدمة كتابه (رباعيات الخيام) ، ترجمة نوبل عبد الأحد ، ص ٩

^٣ الضي : أنظر المفضليات ص ٤٣٥ ، شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر . بنت طارق ، عميرة : النقائص ج ١ ص ٥١

^٤ من ديوان عندما يعزف الرصاص ، ص ١٦٨

غَنِّ يَا فَجْرُ لَهُمْ لَحْنُ الضِّيَاءِ
وَ اكْتُبِهِمْ فِي سَجَلِ الدَّفِّ يَا شَمْسُ
فَقَدْ جَارَ الشِّتَاءُ

ورجال ونساء

ويد التنصير تمتد بخبز ودواء

زُمَرُ الْأَطْفَالُ تَمْضِي

وَالنِّسَاءُ

وُلِدُوا فَوْقَ بَسَاطِ الْخَوْفِ

فِي مَهْدِ الشِّتَاءِ^١

إننا نشاهد في هذه البداية طغيان الأسلوب الخبري وغلبته على النص بالرغم من ورود فعل أمر (اكتبهم) ونداءين (يا فجر - يا شمس) غير أنهما لم يغيرا من الأمر شيئا ولم يقللا من وضوح الأسلوب الخبري والتقرير المباشر الذي اعتمده الشاعر أسلوبا لأداء معانيه ، وإطارا حزيننا للوحة حزينة باكية ، تحوي فيما تحويه من مشاهد البؤس والألم ما يهز المشاعر هزا عنيفا : فالأطفال ولدوا في جو من الرعب والخوف والشتاء يعصف بالابناء والأمهات وما هذه إلا رموزا لألوان الاضطهاد والظلم الذي لقيه الشعب الأفغاني البريء على يد الجلادين من الغزاة الملاحدة الروس .

والشاعر في رسم لوحة المعاناة هذه نراه بعيدا عن الجلبة والصخب متمسكا بالهدوء ولا يعني هذا خلوه من الانفعال والتأثر لحال أولئك الأبرياء فهو يستدر الدفء والنور لهم حيث صار الشتاء برده وظلامه رمزا لمعاناتهم^٢ . وبدأ " على أنقاض مدينة هرات " بهذه الصورة :
وَقَفْتُ ..

وسلسلة من الأفكار تربطها على جذع السَّهَرِ

وَاللَّيْلُ يَلْبَسُهَا عَبَاءَتُهُ

فَتَخْتَلِطُ الصُّورُ^٣

وَيَدُ الْأَفْوَلِ تَجْزُ نَاصِيَةَ الْقَمَرِ

^١ من ديوان عندما يعزف الرصاص ، ص ٧ - ١٥ .

^٢ جبري ، شفيق : مقال دراسة الأغاني ، المجمع العلمي ، ج ١ ، العدد ١٥ ، ص ٣٤

وَقَفْتُ ..

وفي أُمّاقها شوقٌ إلى فجرٍ وعصفورٍ وزهرة

وَقَفْتُ هراتُ وفي محاجرِها

دموعٌ حائرة

والليلُ مجهلٌ آخره^١

تلك هي صورة رائعة لتلك المدينة التي يلفها الرعب والخوف وقد لجأ الشاعر إلى التشخيص في إبراز معاناتها فقد بث فيها الحياة وشبهها بفتاة مذعورة هائمة على وجهها في ظلام الليل والأشباح تطاردها والمخاوف تلاحقها فتختفي خلف جذوع الأشجار بينما راحت الأفكار تتصاعد في رأسها والأحلام تدور في مخيلتها إنها تحلم بالأمن والعيش الهنيئ تحلم بالفجر والروض الحافل بالأطيّار الصادحة والأزهار العابقة وفي لحظة إحساسها باليأس والقنوط تأخذ الدموع الحائرة تتساقط على محياها المعذب . وعلى قمها سؤال مبهم حائر : متى ينجلي هذا الليل وترسل الشمس أشعتها الدافئة . ونرى الشاعر في غمرة هذا التصوير ينتقي ألفاظا هادئة حزينة معتمدا على الأسلوب الخبري في تقرير معانيه . ولعل الأسلوب الخبري هو أنسب الأساليب للوصف فالنص بجملته لا يعد كونه وصفا لمشهد بانس حزين .

أما " وسام العز في وجه عائشة " فقد بدأها بأسلوب خبري هاديء يرسم اللوحة القائمة

للواقع مع مجيء الليل، فإذا هي ظلمات بعضها فوق بعض : يقول :

تَرَأَى اللَّيْلُ وَاهْتَزَّتْ خِيوطُ الشَّمْسِ

وَاحْمَرَّتْ مَلَامِحُهَا

مَضَى يَوْمٌ .. كَأَنَّ الرَّعْبَ كَانَ يَمِطُّهُ مَطًّا

وَيَحْفَرُ فِي صَحَارِي الْبُؤْسِ

مَقْبَرِ

وَيَدْفِنُ نُورَهُ فِيهَا

وَيَفْتَحُ بَابَ قَرِينَتَا

لِلَّيْلِ لَا حُدُودَ لَهُ

مَضَى يَوْمٌ^٢

إن الشاعر في هذه المقدمة كغيرها من مقدمات القصائد السالفة الذكر يلح على تصوير ليل الاحتلال الروسي لأفغانستان وما ترتب عليه من معاناة قاسية كابد عذابها شعبنا هنا على مدى سنوات طوال .

ونراه يستخدم الليل رمزا للظلم والاضطهاد وهو رمز شفاف يكشف بوضوح عما تحته من معنى مقصود .

فعندما بدأ الاحتلال سقطت في الديار الأفغانية كل مظاهر الأمن والخير والسلام والعدل وأصبح الزمن يمر ثقيلًا يحفر خطواته المبطونة فوق صدور الشعب الآمن ممزقا كل معاني الحياة الهائلة الناعمة .

وإننا نرى في هذه المقدمة وصفا دقيقا لليل داهم مرعب وقد وظف الشاعر الأسلوب الخبري لرسم معالم تلك اللوحة الوصفية وهو يتمتع بهدوء رصين وحزن يتجمع شينا فشينا في أعماق النفس المتألمة .

إنها الصورة القائمة التي يكرر الشاعر رسمها بهدوء في مقدمة القصيدة لينقلك إلى أحداثها بعد ذلك في أسلوب القصة .

وتابع الامتداد الزمني بكلمة " مضى يوم " التي كررها ثم التقل إلى مضى الأعوام بقوله " مضى عام .. مضى عامان " .

ولم يختلف الأمر في " أشلاء أغنية حزينة " وهو يرسم صورة الصباح الذي يشرق على مدينة (فرح) التي غابت الفرحة عنها فهو يبدأ بمشهد هاديء يشارك فيه الكون ليهيئ لقصة الشيخ وولديه بعد ذلك :

فَرَحٌ فَرَحٌ
وَالْفَجْرُ يَطْرُدُ مِنْ سَمَاءِ الْحَيِّ
آثَارَ الظَّلَامِ
قَوْمٌ يَخْوضُونَ الْمُحِيطَ
وآخَرُونَ عَلَى شَوَاطِئِهِ
يَاْمٌ
وَأَرْقَةُ الْحَيِّ الْقَدِيمِ
تَلُوكُ سَيْرَ السَّائِرِينَ

وَالشَّيْخُ يَقْرَأُ آيَةَ الْكُرْسِيِّ

وَيَدْعُو ...

وَيُحَسُّ أَنَّ الْكَوْنَ

يَخْشَعُ أَوْ يَلِينُ^١

إن الشاعر في هذه البداية يخرج عما ألفناه منه في بدايات القصائد السابقة فقد خرج هنا على التسلسل الزمني والسببي وبدأ من النهاية وهو أسلوب معروف لدى كتاب الروايات والقصص .

لقد بدأ برسم لوحة الصباح المشرق صباح النصر تاركا وراءه أعواما طوال من الجهاد وما اكتفتها من معاناة وعذاب وألم إبان ليل الاحتلال البغيض فقد أطلت الفرحة وتدفق نور الفجر يمحو آثار الظلام بينما تهيأت قرى ومدن أفغانستان لاستقبال الوافد الجديد الذي طال انتظارهم له أعني (النصر المبين على الغزاة) وقد أحس الشعب وهم يتلون القرآن أنهم وهم يتوكلون على الله في مسعاهم الحميد أقوى من ظالم متجبر فالكون كله خاشع مبتهج بالنصر الذي أحرزوه . وقد طغى الأسلوب الخبري والتقرير المباشر على النص . هدوء ينقلك إلى جو الخشوع مع الدعاء وآية الكرسي ، وأنت تتأمل صورة الصراع في الكون كله دون ضجيج والفجر يطرد من سماء الحي آثار الظلام .

ويتابع الشاعر أحداث الصراع في أسلوب الخبر القصصي حتى ينهي الصراع لصالح الحق والعدل ، ويشرق النور يبدد الظلمات ، ويشر بالنصر . فإذا تجاوزنا قصيدة " هؤلاء الأبرياء التي انتهت بالصمت نجد أن " على أنقاض مدينة هرات " انتهت هكذا :

هذي هراتٌ يلوحُ في أنقاضها

نورُ اليقين^٢

بعد أن مهد في بداية القصيدة بـ :

وَاللَّيْلُ يَلْبِسُهَا عَبَاءَتَهُ

فتختلطُ الصورُ^٣

^١ من ديوان عندما يعزف الرصاص ١ ص ٧١ - ١٠٠ .

^٢ من ديوان عندما يعزف الرصاص ، ص ١٦٨

^٣ المرجع نفسه ، ص ١٦٨

على أن الصمت هناك لم يكن مجرد الصمت فقد استوجبه الموقف وكان أبلغ من الكلام كما أشرنا سابقا . وكان أسلوبا مجديا لدفع القاريء كي يتكلم ويبحث عن الجواب . كذلك فإن إنهاء هذه القصيدة على هذا النحو مما يستوجبه ردا مماثلا كما يقرر الشاعر : (فنور اليقين يلوح في أنقاضها) فكلما ازداد الألم واشتدت الحنة وعظم الكرب اقترب يوم الخلاص ودنا طلوع الفجر والليل الذي خيم على المدينة في بداية القصيدة سيعقبه فجر منير في نهاية القصيدة وانتهت " وسام العز في وجه عائشة " بـ :

وَجَاءَ الْفَجْرُ

يَنْشُرُ نَوْرَهُ فِي حَقْلِنَا الْأَخْضَرِ^١

بعد أن مهد لها بـ :

تَرَأَى اللَّيْلُ وَاهْتَزَّتْ خِيوطُ الشَّمْسِ^٢

وهنا نشاهد نهاية منطقية سببية فعندما بدأ الشاعر قصيدته بالحديث عن الليل والرعب كان من الأمور المنطقية أن يهتمها بالحديث عن الفجر والأمن والطمأنينة والأمل الباسم والعيش الرغيد بأسلوب خبري ولهجة تقريرية تنبيء عن إيمان الشاعر المطلق بحتمية حدوثها . ولا مفر من استعمال الأسلوب الخبري للتحدث عن الفجر والنصر والحرية .

أما " وسام العز في وجه عائشة " فمع أنها بدأت بحالة عائشة التي استشهدت أمها وأصيبت في الحرب تمهيدا للقصيدة ، فإنها انتهت بالأمل ففي النصر المبين من الله سبحانه وتعالى :

هَنَا اهْتَزَّتْ جِبَالُ الْخَوْفِ

وَارْتَدَّتْ أَعَاصِيرُ الضَّلَالِ

وَأَشْرَقَ الْمَنْظَرُ

تَلَاشَى اللَّيْلُ وَاسْتَعْبِرَ

وَكَانَ الطَّلُ فَيضًا مِنْ مَدَامِعِهِ

فَمَا أَحْلَى وَمَا أَنْضَرُ

وَجَاءَ الْفَجْرُ

^١ من ديوان عندما يعزف الرصاص ، ص ١٨٦ .

^٢ المرجع نفسه .

يَنْشُرُ نُورَهُ فِي حَقْلِنَا الْأَخْضَرِ
وَرَدَّدْنَا بِصَوْتٍ وَاحِدٍ عَذَبِ
تَعَالَى اللَّهُ
إِنَّ إِلَهَنَا أَكْبَرُ^١

كما يقول أيضا في قصيدة عندما يعزف الرصاص :

فَجَرَّ بِهِ يَحْلُو لِي اسْتِشْهَادُ	أَنَا يَا أَبِي طِفْلٌ وَلَكِنْ ، هَمَّتِي
قَامَتْ عَلَى عِزِّ الصَّغِيرِ بِسِلَادُ	لَا تَخْشَ يَا أَبَتِي عَلَيَّ ، فَرُبَّمَا
وَقَضَى عَلَى مَالِ الْغَنِيِّ كَسَادُ	وَلَرُبَّمَا مَاتَ الْقَوِيُّ بِسَيْفِهِ
مَا كَانَ يَعْرِفُ سِرَّهَا شَدَادُ	فِي سَيْفٍ عَنَتَرَةِ الْفَوَارِسِ قُوَّةُ
خَوْفًا ، فَلَيْسَ لِلْعَدُوِّ قِيَادُ	قُلْ لِي بِرَبِّكَ يَا أَبِي هَلْ نَنْزَوِي
وَلَنَا مِنَ الْهَمِّ الْعَظِيمَةِ زَادُ	دَعْنَا نَسَافِرَ فِي دُرُوبِ آبَائِنَا
مَوْتُ ، فَعِنْدَ هُنَا الْمِيعَادُ ^٢	مِيعَادُنَا النَّصْرُ الْمُبِينُ ، فَإِنْ يَكُنْ

وليس هذا بغريب ولا بعجيب فلو لم يختم الشاعر قصيدته بهذه النهاية العاقبة بالأمل والمتفائلة بالنصر لفقدت قصيدته عنصر الترابط ووحدرة الموضوع وعانى أسلوبه من الاضطراب والوهن والخلخلة الشيء الكثير وكان نصه عرضة للنقد اللاذع . ويلاحظ في نهايات قصائده تلك ميلا لدى الشاعر للتخلي عن الجرس الهادي لا سيما نهاية هذه القصيدة حيث استخدم فعل الأمر (سر) للتعبير عن انفعاله وحماسة . فإن الأسلوب الإنشائي هنا خير الأساليب في إضاءة العالم الداخلي لهذا الطفل المشرود والتعبير عن مكونات نفسه المفعمة بالألم والنقمة ولو اعتمد الشاعر الأسلوب الخبري لوجد عنتا شديدا في أداء هذه المعاني فإن أسئلة شتى تعتمل في ذاكرة هذا الطفل يلفها الغموض وتكتنفها الحيرة والدهشة لما يفعله أولئك المجرمون به وبأمثاله وما يقومون به من جرائم نكراء فهم في عيش رغيد وحياة آمنة ويشربون دماء الأبرياء بلا ذنب اقترفوه فما أشبههم بالوحوش الكاسرة وما أبعدهم عن الانتماء إلى الجنس البشري ، ثم يعبر الشاعر عن حيرة الطفل وقد لف الليل كل شيء حوله فالتبست عليه دروب الحياة . فمن هنا

^١ من ديوان عندما يعزف الرصاص ، ص ١٦٨ .

^٢ المرجع السابق ، ص ٦١ - ٦٩ .

يلاحظ الترابط في موضوعات القصائد وأساليبها ، وأنه منذ الكلمات الأولى للقصيدة يسير إلى نهاية واضحة لها ، تؤدي دورها في معركة الجهاد الإسلامي وهو أهم عنصر فيها على الإطلاق . أما القصائد العمودية " عندما يعزف الرصاص " و " من أين أبدأ رحلتي ؟ " و " أحمد عبد الله الزهراني " و " يا رافعا علم الجهاد " فهي أكثر حماسة وضجيجا في إيقاعها لما للقصيدة العمودية من تدفق موجي منتظم لا يستطيع الشاعر التخلص منها متى بدأها ، بخلاف قصائد التفعيلة فإن الشاعر له الحرية في كمية الدفقة التي يعطيها في إيقاع اللحن - فقد غلب عليها الأسلوب الإنشائي منذ مطالعها مع أنه ضمنها عنصر الحوار على لسان الطفل الذي يخاطب أباه ، والأب الذي يحيب ابنه في " عندما يعزف الرصاص " وكان يمكن لهذا العنصر الحواري أن يأخذ شيئا من الطابع القصصي الذي يجذب القارئ . ويمكن أن نلاحظ تشابه المطالع في هذه القصائد . فقد بدأ " عندما يعزف الرصاص بهذه التساؤلات " :

نُسبَى وَنُطْرِدُ يَا أَبِي وَنُبَادُ فَبِإِلى مَتَى يَتَطَاوَلُ الْأَوْغَادُ
وَإِلى مَتَى تُدْمِي الْجِرَاحُ قُلُوبَنَا وَإِلى مَتَى تَتَقَرَّحُ الْأَكْبَادُ؟^١

فيلاحظ بوضوح الأسلوب الإنشائي في هذه البداية من خلال جمل الاستفهام المتلاحقة (إلى متى) المردوفة بالفعل المضارع (يتطاول - تدمي - تتقرح) من أجل التعبير عن مظاهر الذل والخنوع المرفوضة ضمنا والأسلوب الإنشائي هنا يكاد أن يكون فريدا في التعبير عن هذه المعاني والثورة على هذا الواقع والكشف عن اضطراب النفس وقلقها وحيرتها . إنها تساؤلات تنم عن اليأس والنقمة على الواقع ، وتلمح إلى ثورة تتجمع بذورها في الأعماق ، تظهر في آخر القصيدة بالإصرار على الجهاد :

قُلْ لِي بِرَبِّكَ يَا أَبِي هَلْ نَنْزَوِي خَوْفًا ، فَلَيْسَ لِلْعَدُوِّ قِيَادُ
دَعْنَا نُسَافِرْ فِي دُرُوبِ آبَائِنَا وَلَنَا مِنَ الْهَمِّ الْعَظِيمَةِ زَادُ^٢

هكذا يستمر الشاعر في الأسلوب الإنشائي المتمثل بالأمر (قل - دعنا) والاستفهام - هل ننزوي) وهو ما يناسب الحوار وينسجم مع اللهجة الخطابية والحض على الجهاد وإثارة النخوة وبث الحماس في النفوس . فالشاعر يرفض الإنزواء حتى لا تسهل سيطرة العدو عليهم

^١ من ديوان عندما يعزف الرصاص ، ص ٦١ - ٦٩ .

^٢ المرجع نفسه .

ويدعو إلى ترسم خطا الآباء والأجداد في السير على طريق الجهاد المشرف. وفي قصيدة " من أين
أبدأ رحلتي " بعد أن قدم بجمل خبرية أتى بصورة قاتمة للواقع عن خراب القرية ، وما حل بنسائها
وشيوخها وأطفالها ، عاد إلى الأسلوب الإنشائي الذي تمثل في "تساؤلات طفل شرده الحرب "
هكذا :

وَصَرَاحُ أَسْئَلَةٍ بِلَا
وَعِي ، تَحْنُ إِلَى جَوَابٍ :
مَا بِالْهَمِّ يَسْتَأْسِدُونَ
وَيَطْحَنُونَ رُؤَى الشَّبَابِ ؟!
وَيَعْرِبِدُونَ ، وَيَنْشُرُونَ
عَلَى الْوَرَى قَانُونَ غَاب
مَا بِالْهَمِّ ، فِي غِيهِمْ
يَتَسَلْطُونَ عَلَى الرِّقَابِ ؟
مَا بِالْهَمِّ ، شَرِبُوا دِمَاءَ
الْأَبْرِيَاءِ بِلَا حِسَابٍ ؟؟
هَمَجٌ ... أَلَيْسَ لَهُمْ إِلَى الْبَشَرِ
انْتِمَاءٌ وَانْتِسَابٌ ؟؟
مَنْ أَيْنَ أَبْدَأُ - يَا أَبِي - ؟
وَاللَّيْلُ يَرْفُدُهُ الضَّبَابُ
مَنْ أَيْنَ أَلْبَسُ - يَا أَبِي - ؟
جَسَدِي يَحْنُ إِلَى الثِّيَابِ ؟!

وتستمر القصيدة في التدفق متناوبة بين الجمل الخبرية والإنشائية الاستفهامية حتى تنتهي

بـ :

وإلى متى ؟؟ هذا السؤال
وعندنا نحن الجواب

سَنَسُدُّ بَابَ الظُّلْمِ يَا
وَلَدِي وَنَفْتَحُ أَلْفَ بَابٍ^١

وهكذا أنهى الشاعر قصيدته واضعاً حداً للحيرة محددًا الطريق الصحيح إنه الجهاد والثورة على الظلم حتى يزول . فتأتي نهاية القصيدة فرجاً للطفل الذي يعاني من تمزق المشاعر نحو الواقع الذي انتهى إليه .

وقصيدة " يارافعا علم الجهاد " بدأت باستفهامات حائرة ولكنها ثائرة .
تَرَأَى اللَّيْلُ وَاهْتَزَّتْ خِيوطُ الشَّمْسِ وَبِأَيِّ قَافِيَةٍ أَصُوغُ كَلَامِي ؟
ماذا أخط ، وقد توجس خاطري من حسرتي واستوحشت أقلامي^٢

فهذه الحيرة التي عبر عنها بالاستفهام المتلاحق ليست حيرة من ضل السبيل لكنها حيرة من تعددت أمامه الخيارات فاحتار بأيها يأخذ ومن أيها يبدأ وإلى أيها يرد وعن أيها يصدر . فإن خاطره يعاني من الحسرة وأقلامه تكابد من الوحشة وكلها شوق إلى التعبير بجرأة عن نفسه المليئة بالمشاعر الحادة الحارة . ثم ينطلق بعدها في أسلوب حماسي متنوع الأساليب بين الخبر والاستفهام والشرط والنداء والأمر .

وَبِأَيِّ قَافِيَةٍ أَصُوغُ كَلَامِي ؟ مُحْتَاجَةٌ مِنِّي إِلَى إِقْدَامٍ^٣

فالشاعر هنا يعبر بأسلوب خبري تقريرى عن ألمه لانحباس القصائد في فمه ويصرح عن حاجته إلى الجرأة والإقدام كي ينفلت طوفان الشعر الحبيس في خاطره مدمراً كل أساطيل الظلم والإجرام . ثم استفهام إنكاري :

أَوْ مَا تَرَى - فِيمَا تَرَى - رُؤْسَاءَهُمْ صَارُوا عِبِيدَ مُدَامَةٍ وَغَرَامٍ؟^٤

والشاعر يرفض هنا باستفهام إنكاري الرضوخ والرضى بالذل داعياً إلى الثورة عليهم والشروط :

^١ من ديوان عندما يعزف الرصاص ، ص ٦١ - ٦٩

^٢ مجلة الأمة الإسلامية ، العدد ٥٣ ، فبراير ١٩٨٥ م ، ص ٤٥ .

^٣ المرجع نفسه .

^٤ المرجع نفسه .

لَوْ أَنَّ سَيْفَكَ فِي يَدَيَّ مُتَخَاذِلٍ أَوْ قَاطِعٍ لِأَوَاصِرِ الْأَرْحَامِ
لَوْ أَنَّ سَيْفَكَ فِي يَدَيَّ مُتَوَاطِئٍ أَوْ خَائِنٍ مُتَذَبْذَبٍ مُتَعَامِ
مَا ارْتَدَّ عَنْكَ الرَّؤُوسُ فِي نَظَرَاتِهِمْ رُعْبٌ ، وَجَيْشُكَ ثَابِتُ الْأَقْدَامِ^١

على أن الشرط هو أسلوب خبري له دور خاص في أداء المعاني فقد نفى به الشاعر عن رافع علم الجهاد صفات التخاذل وقطع الرحم والتواطؤ والخيانة والتذبذب وهو سر ارتداد الكفر عنه وخوفه منه . ثم دور النداء والأمر :

يَا رَافِعًا عَلَّمَ الْجِهَادَ ، وَأَمَّتِي مَشْغُولَةً بِتَنَاحِرٍ وَخَصَامِ
اضْرِبْ بِسَيْفِكَ فَالرُّؤُوسُ وَإِنْ بَدَتْ مَلَأَى مُفَرَّغَةً مِنَ الْأَحْلَامِ^٢

هنا يصل الشاعر إلى ذروة حماسه حاضا على الجهاد وضرب الرؤوس مستخدما فعل الأمر (اضرب) وهو من الأسلوب الإنشائي المناسب تماما للخطابة والإثارة والحض على أنه استخدم النداء للتعبير عن اعتزازه برافع علم الجهاد ولم ينس أن يوجه سهما نفاذا من اللوم والتقريع نحو أمته المشغولة عن الجهاد بالتناحر والخصام فيما بينها وتقل الاقتباسات من القرآن والحديث ، والتضمين من الشعر واللجوء إلى الزخرفة اللفظية لدى الشاعر .

في قصيدة (أحمد عبد الله الزهراني) . قوله : (أحيت بالتقوى سعادة قلبها) يذكر بقول الخطيئة : (ولكن التقى هو السعيد) وقوله في الشطر الثاني : (وغدوت فيها بالشهادة سيدا) يذكر بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم : سيد الشهداء حمزة إلخ وقوله :

وَالطَّائِفُ الْوَلَّهَانُ شَدَّ إِزَارَهُ
فَرَحًا وَأَحْيَى لَيْلَةً وَتَهَجَّدَا^٣

يذكر بما ورد في وصف الرسول صلى الله عليه وسلم وعبادته في العشر الأواخر من

^١ مجلة الأمة الإسلامية ، العدد ٥٣ ، ص ٤٥ ، فبراير ١٩٨٥ م .

^٢ مجلة الأمة الإسلامية ، العدد ٥٣ ، فبراير ١٩٨٥ ، ص ٤٥ .

^٣ من ديوان عندما يعزف الرصاص ، ص ٢٧-٣٦ .

رمضان وفيه (شد منزره وأيقظ أهله وأحيا ليله) ^١ أو كما ورد . وقوله : موت الشهيد حياته . يذكر بالآية الكريمة : (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء) ^٢ الآية . وقوله :

هَذَا أَبُوكَ بَنَى عَلَى إِيْمَانِهِ
صِرْحًا مِنَ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ مُشِيدًا ^٣

يذكر به الآيات القرآنية التي أمرت بالصبر الجميل ومنها قوله تعالى في قصة يوسف على لسان أبيه يعقوب عليهما السلام :

﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ ^٤ هذه الإشارات التي أخذناها من هذه القصيدة نادرة في القصائد الأخرى .

ومما يجدر ملاحظته عند الشاعر الدور الذي أعطاه للطفل والمساحة التي شارك فيها في قصائده . وإذا كان الحديث عما يتعرض له الأطفال الأبرياء في الحروب من مأس هو أمر مألوف لدى جميع الشعراء الذين تجاوبوا مع الجهاد في أفغانستان وغير أفغانستان ، فإن دور الحكيم الذي أخذه الطفل الأفغاني عند الشاعر أمر ملفت للنظر ! فعائشة يتفجر على لسانها ينبوع الحكمة فتقلب واعظة مرشدة لوالدها بعد إصابتها وغيابها ساعة عن الوعي ، تفلسف حقيقة الحياة بكلمات واضحة فتقول :

هِيَ الْأَجْسَامُ أَعْرَاضُ
إِذَا سَلِمَتْ مِنَ الْآفَاتِ فِي الدُّنْيَا
فَسَوْفَ تَكُونُ زَادَ الدُّوْدِ
حِينَ يَضُمُّهَا قَبْرُ
هِيَ الْأَجْسَامُ أَعْرَاضُ
وَتَبْقَى قِيَمَةُ الْإِنْسَانِ
فِي رُوحٍ وَفِي قَلْبٍ ^٥

^١ البخاري : ليلة القدر ٥ ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري : الاعتكاف جمع وشرح النووي ، أبو داود : رمضان ١ ، النسائي : قيام الليل ١٧ مرجع سابق ، ابن ماجة : الصيام ٥٧ مرجع سابق ، أحمد بن حنبل : ٤١/٦ - ٦٧ - ٦٨ - ١٤٦ - ٣٥ .

^٢ سورة البقرة آية ١٥٤ .

^٣ من ديوان عندما يعزف الرصاص ، ص ٢٧ - ٣٦ .

^٤ سورة يوسف آية ٨٣ .

فالطفل يدرك أن الجسد فان وأنه سيفقدو للودود في القبر . لكنه قد لا يدرك أين تكمن قيمة الإنسان وقد يصرفه تفكيره الساذج وإدراكه البسيط إلى قيم دنيوية تمثل في امتلاك المال والجاه والقوة وغيرها أما القيمة الروحية فهي من نتاج وعي الشاعر العالي ونظراته إلى الكون والحياة وقد أعطاها للطفل فجعله بمثابة الراشدين ، وأنطقه بهذا الكلام الذي يفوق إدراكه ويعجز عن الإتيان بمثله . ولا نقول هذا ضعف من الشاعر ولكنه مأخذ عليه . وفي قصيدة " عندما يعزف الرصاص " يبدأ الطفل بخطاب أبيه متسائلا ، ثائرا ، واعيا بواقعه ، وما يحيط به من مؤامرات ، واعيا بالضعف المزري الذي يعيشه العالم الإسلامي منذ حسين عاما يقول :

أَنَا يَا أَبِي طِفْلٌ وَلَكِنْ ، هَمَّتِي	فَجَزَّ بِهِ يَحُلُّو لِي اسْتِشْهَادُ
لَا تَخْشَ يَا أَبَتِي عَلَيَّ ، فَرُبَّمَا	قَامَتْ عَلَى عَزَمِ الصَّغِيرِ بِلَادُ
وَلَرُبَّمَا مَاتَ الْقَوِيُّ بِسَيْفِهِ	وَقَضَى عَلَى مَالِ الْغَنِيِّ كَسَادُ
فِي سَيْفِ عَتَرَةِ الْفَوَارِسِ قُوَّةُ	مَا كَانَ يَعْرِفُ سِرَّهَا شَدَادُ
قُلْ لِي بِرَبِّكَ يَا أَبِي هَلْ نَنْزَوِي	خَوْفًا ، فَلَيْسَ لِلْعَدُوِّ قِيَادُ
دَعْنَا نُسَافِرُ فِي دُرُوبِ آبَائِنَا	وَلَنَا مِنَ الْهَمَمِ الْعَظِيمَةِ زَادُ ^١

جاء حوار الطفل فوق مستوى إدراكه فنطق بأقوال وحكم وشواهد تاريخية ليس له أن يلم بمثلها . وليس غريبا أن يبلغ الحماس بالطفل مبلغا يجعله يطلب الإذن من أبيه لاشتراك في قتال الأعداء ففي التاريخ الإسلامي شواهد مماثلة لا يتسع المقام لذكرها . فالأطفال تحس بالظلم وتكتوي بناره مثل الكبار وقد أحس هذا الطفل بظلم الأعداء فانفجر ثائرا غاضبا ثم يهديء من خوف أبيه عليه في حال استشهادة فإن الموت في سبيل الحق هو الحياة بعينها . والنص يتحاور عليه الأسلوبان الخبري والإنشائي كل في مكانه المناسب . ويخاطب الولد الذي انتقل إلى جوار ربه والده الشيخ مثبتا إياه ومبينا قيمة الحياة الدنيا في قصيدة " على أشلاء أغنية حزينة " فيقول :

أَبَتَاهُ ..

أَيْنَ صُمُودُكَ الْمَعْهُودُ

فِي وَجْهِ الشَّدَائِدِ

أَوَلَمْ تَكُنْ بِالْأَمْسِ تُخَبِّرُنَا

* من ديوان عندما يعزف الرصاص ، ص ١٦٨ .

^١ المرجع نفسه .

بَأَجْرِ الصَّابِرِينَ ؟
وَبَأَن مَوْتًا فِي الدَّفَاعِ عَنِ الْعَقِيدَةِ وَالْوَطَنِ
يَلِدُ الْحَيَاةَ الْبَاقِيَةَ ؟
وَبَأَن دُنْيَانَا الدُّنْيَا فَانِيَةٌ ؟^١

ونقرأ كلمات هذا الطفل في النزاع الأخير لأبيه ونحس بحكمة الواعظ المجرب الحكيم
ينقلها للابن من بعده لكننا لا نستغرب مجيئها على لسان طفل سمعها مسبقا من والده فحفظها
فكررها ثانية على مسمع أبيه في هذا الموقف الجنائزي المثير . وكأنه أحس ثقل المصاب على والده
فذهب يخفف من روعه ويذكره بأقواله السابقة في الصبر على الشدائد والثواب العظيم الذي
ينتظر الصابرين وأن الموت في سبيل الدين والوطن ميلاد الحياة الباقية وأن الدنيا دنيئة فانية . ﴿
وَلَبَلُّوْكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ
الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾^٢ ثم يخاطبه مرة
أخرى في آخر القصيدة ، فيقول :

جَاهِدْ وَجَالِدْ يَا أَبِي
حَتَّى تَرَكَ هُنَا وَنَحْنَا خَالِدِينَ
بِجَوَارِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
إِنَّ الْحَيَاةَ هُنَا الْحَيَاةُ
مَا أَجْهَلَ الْإِنْسَانَ حِينَ يَظَلُّ
مُتَّبِعًا هَوَاهُ

سِرْ فِي طَرِيقِكَ يَا أَبِي
فَاللَّيْلُ يَعْقُبُهُ النَّهَارُ
وَالظُّلُمُ لَيْسَ لَهُ قَرَارُ
وَحَضَارَةُ الْعَصْرِ الْحَدِيثِ دَمٌّ وَنَارُ^٣

^١ من ديوان عندما يعرف الرصاص ، ص ٧١ - ١٠٠

^٢ سورة البقرة آية ١٥٥

^٣ من ديوان عندما يعرف الرصاص ، ص ٧١ - ١٠٠

واستخدم الشاعر د. جابر قميحة لغة سهلة معاصرة في أغلب قصائده ، ومعظم مقاطعها ، ونزل أحيانا إلى لغة الحديث العادي مبتعدا عن اللغة الشعرية مثل حديثه عن المؤامرات التي يدبرها العملاء والخونة على شعوبهم في قصيدة (لجهاد الأفغان أغني) :

حَيْثُ تَدُورُ كُنُوسُ نِفَاقٍ

وَتَقَاسِيْمٍ

وَمَرَّاسِيْمٍ

وَتَبَادُلُ صَفَقَاتِ كُبْرَى

فَتَبَاعُ شُعُوبٍ مَطْحُونَةٍ

وَبَقَايَا أُمَّمٍ مَسْكِينَةٍ^١

وهذه اللغة أضعفت الإحساس الشعري بالوزن المتدفق الذي ضعف هو أيضا وتعثر. وتصدرت قصيدتي (رحيل من غير وداع ، عبد الله عزام) فقرات بمثل هذه اللغة العادية . يقول

في رحيل من غير وداع :

وَقَرَأْتُ صَحِيفَةَ أَحْوَالِهِ

الاسْمُ : تَكْتَرُ طَيْفُورُ

جَنَسِيَّتُهُ تُرْكِي وَافِدُ

وَالْعُمُرُ : يُقَارِبُ عَشْرِينَ

وَالْعَمَلُ : طَالِبُ عِلْمٍ فِي الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

في الفصل السابع

عَالِيَةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

وَالْمَسْكَنُ : بَيْتُ الطُّلَابِ^٢ .

فمثل هذه الكلمات مع إيرادها في شعر التفعيلة ومع تغير الوزن بين فقرة وأخرى ، وإدخال كلمات غير عربية مثل (تكنولوجيا) و (سبرنج فيلد) يجعلها بالنثر أشبه ، بل تضيق ، فلا هي نثر ولا هي شعر . وصياغتها النثرية كما فعل في مقدمات القصائد للتعريف بمناسباتها كانت كافية .

^١ من ديوان : لجهاد الأفغان أغني ، ص ٧-١٠ .

^٢ المرجع السابق ، ص ٦٢-٦٨ .

أما قصائده العمودية فتختلف في ألفاظها فهي أكثر قوة وجزالة . فأناشيده الحماسية الثلاثة وقصيدتا أبطال الجهاد الأفغاني ونداء عاجل إلى قادة الجهاد الأفغاني يتعد فيها عن لغة الحديث العادي ويناسب بين الأناشيد والقصائد، وغرض الحماسة التي نظم فيها .
فمعظم أناشيده إنشائية تبدأ بأفعال الأمر مع تكرار الجمل تعطىها قوة في الإيقاع فالنشيد

الأول :

إِلَى كَابُولِ يَا جُنُودَ الرُّسُولِ وَخَلُّوا السُّيُوفَ تَصُولُ تَجُولُ^١

والبيت الثاني :

سَلُّوا الْمَوْتَ عَنِّي إِنْ حَوَّمَا وَلَيْلَ الْمَلَّاحِمِ وَالظُّلَمِ
أَنَا الْحَشْدُ وَالْمَجْدُ حِينَ أَصُولُ إِلَى كَابُولِ يَا جُنُودَ الرُّسُولِ
إِلَى كَابُولِ فَالْتَّلَالُ هُنَاكَ تُرِيدُ لِقَاءَكَ وَتَهْوَى هَوَاكَ^٢

يبدأ بفعل أمر مكرر في الشطر الأول . مع تكرار الشطر نفسه في عجز البيت . وإذا لاحظنا وجود حرف مشدد في كل فعل أمر من المطالع الثلاثة نحس بقوة الإيقاع في مطالع الأناشيد الثلاثة . وقد جعل هذه المطالع لازمة تتكرر في الأنشودة بعد كل بيتين من النشيد .
أما قصيدة (أبطال الجهاد الأفغاني) فكللماتها أيضا جزلة فخمة تناسب جو القصيدة ويكفي أن نلاحظ ألفاظ المقطع الأول من القصيدة لنذكر هذا .

يقول الشاعر :

لَا تَذْكُرَنَّ فَيَالِقًا مَنْ تَغْلِبَ وَفَوَارِسًا مَنْ عَبَسَ أَوْ ذُبْيَانِ
دَعُ عَنْكَ هُوْمِيرًا وَدَعُ طِرْوَادَةَ وَخَوَارِقَ الْيُونَانِ وَالرُّومَانِ
وَانْظُرْ ، سَيِّنْسِيكَ الْمَلَّاحِمَ كُلَّهَا أُسْطُورَةٌ تُدْعَى الْفَتَى الْأَفْغَانِي
صَنَعَ الْبُطُولَةَ - وَالْبُطُولَةُ هُمُ بَعَزِيمَةَ عُمَرِيَّةِ الْإِيقَانِ^٣

فتوالت أفعال الأمر والنهي وتكررت ، (لا تذكرن ، دع ، دع ، انظر) وضمت أربعة ألفاظ من صيغ منتهى الجموع (فيالق ، فوارس ، خوارق ، ملاحم) وأسماء أعجمية قديمة)

^١ من ديوان : لجهاد الأفغان أغني ، ص ٢٤-٢٧ .

^٢ المرجع نفسه .

^٣ المرجع السابق ، ص ٣٠ - ٣٦ .

هومير ، طروادة ، اليونان ، الرومان) وصرف كلمتين ممنوعتين من الصرف (فيالقا ، فوارسا) ومنع كلمة منصرفة (عبس) والإدغام الذي حصل في حرف العين في (دع عنك) وتكرار كلمة البطولة في شطر واحد مرتين (صنع البطولة ، والبطولة همه) . كل هذه العوامل تجعل كلمات القصيدة وسبكها خشنة وعرة لا تتسم بالندادة ، تمثل جو المعركة ، وغرض الحماسة .
ومما يلاحظ جمع الشاعر أسماء كثيرة متلاحقة لغرض واحد ، مثل ذكره أسماء الصحابة والفاحين في مجال وصف أبطال الجهاد الأفغاني ، وكأنه يقول لنا أن قيادة الجهاد الأفغاني المعاصرين يشبهون هؤلاء الصحابة والفاحين الغابرين ونقل هذه الأبيات الأربعة من القصيدة :

دَعْنِي أُمَلِّي نَاطِرِي مِنْ مُصْعَبٍ	وَأَعِيشْ مَعْنَى الْحَقِّ فِي سَلْمَانٍ
وَكَذَا عَلِيٍّ وَالْحَسَنِ وَجَعْفَرٌ	وَتَهِيمٌ رُوحِي فِي سَنَا عُثْمَانَ
وَأَقُولُ مَرَحِي حَمَزَةً وَأَسَامَةً	مَعَهُ الْمُثْنَى الْفَارِسُ الشَّيْبَانِي
وَتَرَفُّرُ الرِّيَّاتِ فَوْقَ قَتِيْبَةٍ	وَمُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ الْمُرَوَّانِي ^١

أما الأساليب التعبيرية في ديوان د. جابر قميحة (لجهاد الأفغان أغني) فتقسم إلى قسمين ، فقصائد التفعيلة يغلب عليها الأسلوب الخبري ، والقصائد العمودية يغلب عليها الأسلوب الإنشائي^٢ وجاء هذا الإنقسام تبعاً لغلبة غرض الرثاء على قصائد التفعيلة والرثاء يناسبه أسلوب الوصف أكثر . وغلبة غرض الحماسة والفخر للقصائد العمودية ويناسبها الأسلوب الإنشائي أكثر وخصوصاً الأناشيد . وقد أشرنا إلى مطالعها ومطلع قصيدة (أبطال الجهاد الأفغاني) فيما مضى ، حيث بدأ بجملة (نهى) إنشائية (لا تذكرن) ثم بأمرين في البيتين الثاني والثالث (دع ، انظر) ثم نوع الجمل بين الخبرية والإنشائية ، وقد يتضمن الجمل الخبرية جملة إنشائية مثل :

حَتَّى إِذَا صَاحَ الْأَمِيرُ تَقَدَّمُوا	سَبَقَتْ قُلُوبُهُمْ إِلَى النَّسْرَانِ
وَهَتَّافُهُمْ (هَبِّي رِيَّاحَ مُحَمَّدٍ)	فَمَعَادُنَا فِي جَنَّةِ الرِّضْوَانِ ^٣

^١ من ديوان : لجهاد الأفغان أغني ، ص ٣٠ - ٣٦ .

^٢ الرشيد عبد الله بن سليم : رجل الصناعتين شفيق حمري ، ص ١٥٠ .

^٣ المرجع السابق ، ص ٣٠ - ٣٦ .

وجاءت قصيدة (نداء عاجل) خبرية في مقدمتها المؤلفة من خمسة أبيات ثم توالى الجملة الإنشائية في باقي أبيات القصيدة التي وضعت لغرض النصيح والتحذير مما جعل الشاعر يعيل إلى الخطابية ميلا ظاهريا . فتكرر النداء مثل :

يا (يونس) يا (شاه) يا (رباني)	يا قادة الأفغان هاكم صرختي
يا (حكمتار) وأنت يا (جيلاني)	يا اخوتي (سيف) يا (ابن محمد)
نبض الشعوب بأمة القرآن : ^١	يا (صبغة الله) استفيقوا و اسمعوا

وتكرر أفعال الأمر مثل : (فلتقهروا ، فلتذكروا ، ولتكرموا ، فتوحدا ..) ويكرر الفعل (فلتحذروا) وجملة (قولوا لهم) وكما قلنا أضفى هذا الأسلوب المتسم بالإنشائية الجو الوعظي الخطابي على القصيدة التي وضعت لأجل ذلك !!.

أما قصائد التفعيلة فقد قلنا : أن الأسلوب الخبري يغلب عليها لمناسبتها لغرض الرثاء في أربع قصائد وهي عبد الله عزام ، رحيل من غير وداع ، وعودة مصعب بن عمير ، والموت ولا العار) تخدم الغرض الخبري مثل قوله :

لَا تَقُولِي لِي جَنِينِي
فَالذَّنَابُ اللَّاعِقَاتُ الدَّمُ
تَجْتَاحُ الرُّوَابِي .

وَالْأَفَاعِي
تَزْرَعُ السُّمَّ بِأَرْضِي
وَتُرَابِي ..

وَكَلَابُ الرُّوسِ
وَالْغَةُ بِمِراثِ مُحَمَّدٍ
وَتَقُولِينَ جَنِينِي !!؟

وَانْظُرِي لَيْلَ الْيَتَامَى^٢

^١ الرشيد ، عبد الله : رحل الصناعتين شفيق جبري ، ص ٩٢ - ٩٥

^٢ مجلة البيان المرموز ، العدد ٣٥ ، جماد الأول ١٤١٠ هـ - ديسمبر ١٩٨٨ م ، ص ٥٧

ولعل الفارق الواضح في مطالع قصائد التفعيلة والعمودية أبرز مثال لغلبة الخيرية على الأولى والإنشائية على الثانية . فبدأ خمس قصائد تفعيلة بداية خبرية هي (لجهاد الأفغان أغني ، تحقيق صحفي ، الموت ولا العار ، رحيل من غير وداع ، عودة مصعب بن عمير) والسادسة : الشهيد عبد الله عزام بدأها بمطلع إنشائي ثم توالى الفقرات كلها خبرية .
والقصائد العمودية الخمس ، يبدأ أربعة منها بمطالع إنشائية هي : أبطال الجهاد الأفغاني والأناشيد الثلاثة ، والرابعة (نداء عاجل) بدأها بمطلع خبري ثم توالى الأبيات بأسلوب إنشائي .

ويمكن للقاريء أن يرصد الأسلوب البديعي الذي يزين به الشاعر بعض قصائده ، وخصوصا الاقتباس من القرآن الكريم ، فهو يعدد السور القرآنية أحيانا لينقل معانيها إلى قلب القاريء أو السامع ، ولا شك أنه أسلوب بليغ معبر وخصوصا للمسلم المثقف قوي الصلة بكتاب الله سبحانه ، ففي خطابه لقادة الجهاد ينهي قصيدته بخمسة أبيات حول القرآن الكريم :

قولوا لهم إنَّ الجهادَ سبيلُنا	حتى نحققَ دولةَ القرآنِ
دستورها أيُّ الكتابِ وسنةٌ	نبوةٌ تسمو على الأزمانِ
لتعيش أمتنا حياةَ حرةٍ	في عزّةٍ وكرامةٍ وأمانِ
ويعانقُ الخرابُ أنوارَ الضحى	والفجرِ والأنفالِ والرحمنِ
والمرسلاتِ ويوسفَ ومحمدٍ	والنورِ والفرقانِ والإنسانِ ^١

فمع جمال نظم أسماء السور في البيتين الأخيرين فإن صورة عناق الخراب لأنوار هذه السور يلامس شغاف القلوب القارئة للقرآن ، وهو المفترض في قادة الجهاد الذين وجهت إليهم القصيدة .

وترتيب اسم القائد المشهور فاتح السند والهند (محمد بن القاسم بن محمد الثقفي) والفضل في الفتوحات لابن محمد وليس للأب القاسم . ويورد اسمه في (أبطال الجهاد الأفغاني) صحيحا :

وَتَرَفَّرَ الرِّايَاتُ فَوْقَ قَتِيَّةٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ الْمَرْوَانِي^٢

^١ من ديوان : لجهاد الأفغان أغني ، ص ٩٢ - ٩٥

^٢ المرجع السابق ، ص ٣٠ - ٣٦

وهو كما قلنا ثقيفي ، ونسبه الشاعر إلى مروان نسبة إلى الدولة المروانية لأنه كان من قادة الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، ومروان بن الحكم استلم الخلافة بعد يزيد بن معاوية فصارت الدولة من السفينية إلى المروانية ويورد بيتا بعده يذكر فيه أسماء البلاد التي فتحها محمد بن القاسم :

بَطْلُ الْفُتُوحِ بَأْرَمَيْلَ وَدَيْلِ	وَالسِّنْدِ وَالْبَيْرُونِ وَالْمُلْتَانِ
هَذَا هُوَ الْمَاضِي الْجَلِيلِ بِمَجْدِهِ	يُحْيِيهِ إِصْرَارُ الْفَتَى الْأَفْغَانِي
عَاشُوا النَّهَارَ فَوَارِسًا مَرْهُوبَةً	وَهُمْ بِجَوْفِ اللَّيْلِ كَالرُّهْبَانِ
عَزَمَ حَدِيدٌ فِي لِقَاءِ عَدُوِّهِمْ	تَهْتَزُّ مِنْهُ جَوَانِبُ الْمِيدَانِ ^١

ويعيد ذكر هذا البطل العظيم في قصيدة " تحقيق صحفي " :

قَدْ زَحَفَتْ خَيْلُ ابْنِ الْقَاسِمِ !!

أَنَا أَشْهَدُهَا

بَلْ أَحْيَاهَا

وَسَيَمْضِي سَيْفُ ابْنِ الْقَاسِمِ

وَسَتَرْكَبُ خَيْلَ ابْنِ الْقَاسِمِ^٢

وتكرار اسمه يدل على رسوخه في الذاكرة ، ويعبر عن النجدة الإسلامية لصرخات الشكلى واليتامى بالصرخة التاريخية للمرأة المسلمة في بلاد الروم فأنجدها المعتصم ، فهؤلاء اليتامى يصرخون :

(أَيْنَ رَاحَ الْمُعْتَصِمُ !!؟)

أَيْنَ سَيْفُ الْمُعْتَصِمِ !!؟^٣

وفي " الموت ولا العار " يسجل طائفة من معارك الإسلام وأبطالها وهو ينقل عتاب النبي

صلى الله عليه وسلم يوم البعث ؛ فيقول :

أَيْنَ مَا صُنَّاهُ فِي بَدْرٍ

^١ من ديوان لجهاد الأفغان أغني ، ٣٠ - ٣٦ .

^٢ من ديوان لجهاد الأفغان أغني ، ص ٣٥-٤٧

^٣ المرجع السابق ، ص ٩٢ - ٩٥

وفي خيبر
واليرموك
بافتح المجد ؟
أين سيفُ ابني صلاح الدين
في حطين ؟
أين جيشُ المؤمنين الراكعين الساجدين ؟
أين نصرُ خطه قطر
بجالتِ البطولة ؟^١

وعندما يصف المجاهدين ، فإنه يعدد أسماء طائفة من أبطال الصحابة المشهورين ليدع
الجمال للخيال أن يختار من الصفات ما تلموه بأبهج صورة ، كما فعل في قصيدة " أبطال الجهاد
الأفغاني " فيقول :

دَعْنِي أُمَلِّي نَاطِرِي مِنْ مُصْعَبٍ	وَأَعِيشْ مَعْنَى الْحَقِّ فِي سَلْمَانٍ
وَكَذَا عَلَيَّ وَالْحَسَنُ وَجَعْفَرٌ	وَتَهَيَّمْ رُوحِي فِي سَنَا عُثْمَانَ
وَأَقُولُ مَرَحِي حَمْزَةً وَأَسَامَةً	مَعَهُ الْمُتْنَى الْفَارِسُ الشَّيْبَانِي ^٢

بل يذهب إلى أبعد من هذا فيخص مصعباً رضي الله عنه بعنوان قصيدته في رثاء الشاب
السعودي الثري !! ويذكر مثل هذا في " عبد الله عزام " فهو عندما يرى الشباب المسلم في
أمريكا يرفعون شعار القدوة الحسنة في المؤتمر الذي حضره هو وعبد الله عزام في مدينة (سبرنج
فيلد) يطير بخياله إلى الماضي ، فيقول :

وعندما تفرقت في مقلتي دمعاً الفرح
رَأَيْتُهُمْ ...
وعشتهم
رَأَيْتُ حَمْزَةً يَمْزِقُ الصَّفُوفَ
وخالداً بسيفه

^١ من ديوان لجهاد الأفغان أغني ، ص ٣٥ - ٤٧

^٢ المرجع السابق ، ص ٣٠-٣٦

يوزعُ الحتوف^١

وقد أعطى هذا الأسلوب جمالا للمعاني والصور التي نقلها وأبعدها عن الرتابة وساعده اختيار قصيدة التفعيلة على التصرف في عرض أفكاره ومشاعره في هذه القصائد بشكل أفضل بكثير من القصيدتين العموديتين (أبطال الجهاد الأفغاني) ونداء عاجل إلى قادة الجهاد الأفغاني^٢

ويعد استعمال الكلمة خاصا بقدر درجة القصد فيه ، وهو بمقارنته بالاستعمال الإخباري العرفي أو العام ، وإذا أردنا مقياسا للحكم على خصوصية الاستعمال ، فإنني أرى أنه لابد من توافر عنصر من العناصر الثلاثة التالية :

(١) عنصر الاختيار (٢) عنصر الإيثار (٣) عنصر الابتكار .

والاختيار يعني اختيار كلمة معينة من كلمتين أو أكثر لإنتاج المعنى على نحو إبداعي . أما الإيثار فهو تفضيل صيغة على صيغة أخرى أو عدة صيغ للرغبة في المبالغة أو التوضيح أو التأكيد أو غير ذلك من القيم الأسلوبية الأخرى . ولا يخلو هذان العنصران من القصد أو الوعي . أما الابتكار فيعني خلق اشتقاقات أو ألفاظ جديدة . وهو أوضح الصور التي نرى فيها ميل الشعراء إلى الخروج عن الإنتاج الآلي للغة .

عنصر الاختيار :

ويرجع إلى التوتر الذي يدفع الشاعر إلى البحث عن الكلمة المناسبة للمعنى . ولا يعني هذا الفصل بين اللفظ والمعنى ، فهما يتكاملان وينطلقان في أن واحد للتعبير عن عاطفة الشاعر . وتتيح لنا المادة التي بين أيدينا القول بأن الاختيار يقوم إما على أساس أن الكلمة المختارة تفوق كلمات أخرى في أداء وظيفتها الدلالية ، أو على أساس أن الكلمة المختارة تتميز ببنية صوتية معينة ، تمكنها من دقة التعبير عن المعنى ، وتتيح لها فرصة تصوير المعنى ومحاكاته .

^١ جريدة أخبار العالم الإسلامي ، العدد ١٠٩٨ ، السنة ٢٢ ، ١٩ ربيع الآخر ١٤٠٩ هـ - ٢٨ نوفمبر ١٩٨٨ م ، ص ١٤

^٢ د. حسنين محمد بن سعد : المعارضات في الشعر العربي ص ٣٤١

يقول الشاعر عدنان النحوي في قصيدة فأطلي من الغيوب :

ذَكَرِيَّاتٌ حَمَلْنَ فِي الدَّهْرِ آمَا	لَا تَلْفَتْنَ أَيْنَ عِزَّةَ الْأَحْفَادِ
أَيْنَ إِشْرَاقَةِ الْهُدَى فِي الدِّيَا	جِيرَ وَلَمْعِ الْأَنْصَالِ بَيْنَ السَّوَادِ
غَمَرَتْهَا إِحْنَاءُ الذَّلِّ لَمَّا	رَكَعَتْ لِلْهُوَى نُفُوسُ الْعِبَادِ ^١

الشاعر يعبر عن الأسف والأسى لما حل بالمسلمين من ذل وضعة وضعف ويستنهض فيهم
الهمة والعزيمة لتغيير الواقع الدليل بالسير على طريق الكفاح طريق السالفين الأجداد الغر الميامين
الذين كتبوا بدمانهم أنصع الصفحات في سجل الجهاد المشرف . ولنلاحظ قوله (تلفتن) فإن في
هذه الكلمة استعمال خاص قصد إليه الشاعر كي يعبر عن معاني الاستغراب والدهشة والحيرة
وكلها من المشاعر الجياشة في نفسه ، هذا الاستعمال الخاص يستند إلى عنصر الاختيار بين هذه
الكلمة وكلمات أخرى كأن يقول (يسألن - يبحثن) غير أن الشاعر اختار (تلفتن) لتأدية
المعنى لما فيها من قيمة دلالية تفوق مثيلاتها فالتلفت فيه معنى السؤال والبحث وليس للسؤال
والبحث معنى التلفت القائم على الدهشة والاستغراب والحيرة . ولنلاحظ قوله (إشراقة) في
البيت الثاني فهو استخدام خاص للكلمة واختيار من بين عدة كلمات كـ (إطلالة وغيرها)
بيد أن الكلمة المختارة تتميز ببنية صوتية حادة تمكنها من أداء المعنى بدقة فإن الشروق فيه معنى
الظهور والكشف وملء المساحات لذلك فهي أقدر من غيرها على التعبير عن مراد الشاعر
وتفريغ شحنة توتره وانفعاله الحاد . ولنلاحظ قوله (غمرتها) في البيت الثالث فإن كلمة (
أطفأتها) أو (حجبها) يمكن أن تقوم مقامها ولكن ليس بنفس القدرة على الدلالة على المعنى
لأن الغمر يدل على الغياب والاتساع بنفس الوقت ولا ريب في أن دائرة ذل المسلمين قد
اتسعت حتى شملت الديار الإسلامية جميعها وهذا هو سر اختياره هذه الكلمة دون غيرها وهو
من الاستعمال الخاص . أما قوله (ركعت) في نفس البيت فأنها تمثل الاستعمال الخاص للغة
القائم على الاختيار إذ يمكن أن يقال (خضعت) لكن الخضوع لا يدل على الركوع والانحناء
بخلاف الركوع الذي يدل على المعنيين معا ثم أن (إضاعة) في الشطر الأول تستدعي (ركعت)
بلا بديل . وهكذا يتبين لنا بوضوح تفاوت الكلمات في أداء وظيفتها الدلالية .
ويقول الشاعر عدنان النحوي في قصيدته " الدماء التي صببت حياة " :

الدَّمَاءُ الَّتِي صَبَّتْ حَيَاةً عَزَّ فِيهَا الْفَتَى وَعَزَّ الْوَلِيدُ^١

فإن الاستعمال الخاص في قوله (صبت) وهو قائم على اختيار هذه الكلمة من بين مجموعة من الكلمات (سكبت - بذلت - هرقت) . وإذا تساءلنا عن سبب الاختيار وجدناه في تميز هذه الكلمة ببنية صوتية تمكنها من دقة التعبير عن المعنى المراد بل تصور المعنى وتحاكيه تماما . فالصب يدل على معنى التدفق والغزارة إشارة إلى كثرة الدماء التي أريقَت في الجهاد . أما السكب وغيرها ففيه معنى القلة وتحديد الكمية وهذا مالا يريده الشاعر وفيه معنى الهدوء والانسحاب وهذا المعنى غير مقصود أيضا . إذن لا مناص من استعمال (صبت) لأداء المعنى بدقة تامة لما تتميز به الكلمة من قوة وتفجر وعمومية .

ويقول الشاعر نضال الشهابي من قصيدته (قراءات في أوراق مراسل) متحدثا بل محذرا من خطر التنصير في أفغانستان . يقول الله عز وجل ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾^٢ فيقول الشاعر :

هَذِي طَبِيبَةٌ هُنَا

تُعَالِجُ الْأَطْفَالَ

صَلْبِيهَا فِي صَدْرِهَا^٣

وَالْبَشْرُ يعلو وَجْهَهَا

وَالسُّمُّ مَكْتُوبٌ عَلَى دَوَائِهَا ..

إلى أن يقول :

هَنَّاكَ (بابا نويل)

يَهْدِيكُمْ السَّلَامَ

وَالْأَمْنَ وَالْحُرِّيَّةَ ..

ويرفعُ الأسلحةَ المدمرةَ

^١ من ملحمة الجهاد الأفغاني ، ص ١١٠-١١١

^٢ سورة البقرة ، الآية رقم ١٢٠ .

^٣ مجلة الأمة الإسلامية ، العدد ٢٤٠ ، فبراير ١٩٨٨ م ، ص ٣٤ .

ويزرع الصليب في صدوركم^١.

فقد عدل الشاعر عن (السم ممزوج) إلى (السم مكتوب) إذ أحس أنها تعبر عن المعنى الذي يقصده بدقة أكثر من الأولى وتفرغ شحنة توتره بمقدرة عالية وتكشف عن عاطفته بوضوح أعلى فالكتابة تشير إلى الخطة المرسومة في التأثير على عقلية الأطفال وجذبهم إلى دائرة التنصير أما المزج ففيه معنى قتل الأطفال جسديا وليس هذا هو المراد . علما بأن في تنصيرهم قتل للروح والمفاهيم السامية . أما قوله (ويزرع الصليب في صدوركم) فيمكن أن يؤدي بشكل آخر كأن يقول (يعلق الصليب في صدوركم) وبالمقارنة ندرك صلاحية الكلمة (يزرع) لأداء المعنى والتعبير بدقة أكثر من الكلمة (يعلق) لما فيها من قدرة على أداء وظيفتها الدلالية. فهذه الطيبة النصرانية تزرع أفكارها في رؤوس الأطفال وتعهدها بالمتابعة حتى تتمكن منهم كما يتعهد الزارع أغراسه لتضرب جذورها عميقة في باطن الأرض ، فالعملية إذن داخلية تمس الجوهر وليست مظهرا خارجيا لذلك كانت كلمة (يعلق) عاجزة عن أداء المعنى المقصود فعديل الشاعر عنها وهو من الاستخدام الخاص بالكلمات القائم على الاختيار .

ويقول الشاعر أحمد سالم باعطب من قصيدته " موكب الشهداء " مخاطبا وطنه :

يا مَهْدَ أَجْدَادِي وَيَا أَنْشُودَةَ الْمَاضِي الْمَجِيدِ
يا حُلُمَ أَبْنَائِي وَيَا أُمْنِيَةَ الْجِيلِ الْجَدِيدِ
يا مَوْطِنَ الرُّسُلِ الْكَرَامِ وَيَا مُنَى الْبَطْلِ الشَّهِيدِ
إِنِّي عَلَى دَرْبِ الْكِفَاحِ سَأَسْتَمِرُّ وَلَكِنْ أَحْيَدُ^٢

فالشاعر شديد الفخر والاعتزاز بوطنه من خلال عاطفة حب دفاقة وحتى يؤكد حبه لوطنه ويوضح تعلقه به فإنه أثر صيغة النداء المتكرر ست مرات في النص ونحن نعلم أن النداء هو أنسب الصيغ وأصلح الأساليب للمناجاة بين المحبين والتعبير عن عاطفة الإعجاب بمن نحب. ويقول الشاعر عدنان النحوي من قصيدة " فأطلي من الغيوب " مستخدما صيغة النداء هذه لنفس الغرض .

^١ مجلة الجهاد ، رمضان ١٤٠٦هـ - ٢٣/ مايو ١٩٨٦ م . ص ٣٦

^٢ من مجلة الإصلاح ، العدد ٨٣ ، ربيع الآخر ١٤٠٥هـ - ديسمبر ١٩٨٤ م .

يَادِيَارِ الْأَفْغَانِ يَاقِمَمَ الْمَجْـ سِدَ حَيِّنِ الْإِبَاءِ وَالْأَجْدَادِ
كُلُّ يَوْمٍ عَلَى مَرَابِعِكَ الْحُمـ سِرِّ طُيُوفِ الْأَعْرَاسِ وَالْأَعْيَادِ^١

إلى أن يقول مصرحاً بهواه وتعلقه بتلك البلاد الصامد مجاهدوها :

يَارُبُّوَعِ الْأَفْغَانِ إِنَّ هَوَانَا شَبَّ فِي صِدْقِهِ وَطِيبَ جِهَادِ^٢

أرأيت كيف آثر الشاعر النداء أسلوباً للتعبير عن عواطفه وتوضيحها والتأكيد عليها .
وعندما أراد الشاعر ذاته عن التعبير عن معاني الدهشة والحيرة فإنه تحول إلى صيغة أخرى غير
النداء على نحو ما نرى ويقول الشاعر من نفس القصيدة السابقة " فاطلي من الغيوب " :

أَيْنَ أَبْنَائِي الَّذِينَ رَعَتْهُمْ خَلَجَاتُ الْأَحْنَاءِ وَالْأَكْبَادِ
أَيْنَ إِشْرَاقَةُ الْهُدَى فِي الدِّيَا جِيرٌ وَلَمْعُ الْأَنْصَالِ بَيْنَ السَّوَادِ
لَفَتَاتُ الْإِبَاءِ أَيْنَ تَوَلَّيْتُ أَيْنَ إِطْلَالَةُ الْفَتَى النَّجَادِ
أَيْنَ أَشْوَاقُنَا الَّتِي حَمَلَتْهَا لِلْبَرَايَا عَزَائِمَ السَّرُّوَادِ^٣

لقد استخدم الشاعر صيغة الاستفهام خمس مرات للتعبير عن تلك المفقودات في عصرنا
هذا وقد آثر هذه الصيغة وهي أحسن الصيغ للتأكيد والمبالغة في حيرته القاتلة ودهشته العريضة
حيال واقع قائم متناقض مع ماضٍ مشرق لأمتنا الإسلامية . ولا نقول أن صيغة الاستفهام هي من
أعلى الصيغ والأساليب لتأدية تلك المعاني التي ذكرناها ولكنها من أنسبها في هذا المقام . على أنه
هناك مجالات استخدام أخرى لهذه الصيغة والصيغة السابقة .

وقد جمع الشاعر عدنان النحوي بين الصيغتين السابقتين النداء والاستفهام وبين صيغة
ثالثة هي صيغة التعجب مؤثراً هذا الجمع للتأكيد على معانيه والمبالغة في عاطفته حيث يقول من
قصيدة على أبواب كابل من ملحمة الجهاد الأفغاني :

^١ من ديوان ملحمة الجهاد الأفغاني للشاعر عدنان النحوي ، ص ٧٣ — ٧٥

^٢ المرجع نفسه

^٣ المرجع السابق ، ص ٧٣ — ٧٥

لله دُرْكُ يا كَابُولُ أَيُّ شَذَا أَحْلَى مِنَ الدَّمِ دَفَاقًا مِنَ السَّوَرْدِ
أَزْكَى مِنَ الْوَرْدِ فَوَاحًا بِرَوْضَتِهِ أَغْنَى مِنَ النَّبْعِ فَوَارًا عَلَى جُدَدٍ^١

فإنه لتوضيح مدى قيمة الشهادة في سبيل الله والتأكيد على اعتزازه الشديد بجهاد كابل وما قدمته من دم زكي على طريق النصر فإنه آثر أن يجمع ثلاث صيغ هي التعجب بصيغته السماعية (لله درك) والنداء (يا كابل) والاستفهام (أي شذى) . بالإضافة إلى أسلوب التفضيل (أحلى - أزكى - أغنى) وأسلوب مبالغة اسم الفاعل في (دفاق - فواح - فوار) . ولا يخفى سبب استخدام هذه الصيغ وتفضيلها على غيرها من أساليب التعبير إنه رغبة الشاعر في التأكيد والتوضيح والمبالغة . ويقول من ذات القصيدة :

وَعَدُ بَرَبِكَ لَا تُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا وَمَنْ يَعْذُ بِسَوَى الرَّحْمَنِ لَمْ يَسُدِّ^٢

فإنه عندما أراد التأكيد على معنى من المعاني ليس إلا ، فإنه آثر صيغة الشرط مؤكداً على ضرورة الاستعادة بالله واللجوء إليه وهذه الضرورة فيها كثير من الإغراء إذا ما قورنت بالعاقبة المترتبة على الإنصراف عن الله . وقد ينصرف الشاعر عن تلك الصيغ إلى صيغة الخبر والتقدير المباشر عندما يرى أن ما يقوله هو بمثابة الحقائق الثابتة غير القابلة للجدل . يقول الشاعر أحمد محمد الصديق من قصيدته " فتح كابل " :

و لِلشَّهِيدِ لَدَيْنَا ذِمَّةٌ وَجَبَتْ إِذْ رَاحَ اللَّهُ يَسُومُ الرُّوْعَ سَبَّاقًا
فَاضَتْ جِرَاحَاتُهُ مِسْكَاً فِي يَدِهِ سَلَّاحُهُ حَيْثُ لَاقَى الْخُصْمَ مَا لَاقَى^٣

فالمعاني التي قررها الشاعر في هذين البيتين هي مما يؤمن به كل مسلم وهي معان لا تحتل أي صيغة أخرى للتعبير عنها أو تأكيدها .

^١ من ديوان مهر جان القصيد ، ط ١ ، ١٤١١ هـ ، ص ١٧٣ ، ملحمة الجهاد الأفغاني ، المرجع السابق ، ص ١٢٦ - ١٢٧ ،

مجلة الجهاد ، العدد ٦٧ ، شوال ١٤١٠ هـ - مايو ١٩٩٠ م ، ص ٤٧

^٢ من ديوان مهر جان القصيد ، ط ١ ، ١٤١١ هـ ، ص ١٧٣ ، ملحمة الجهاد الأفغاني ، ط ٣ ، ١٤١٢ هـ ١٩٩١ م ، ص ١٢٦ -

١٢٧ ، مجلة الجهاد ، العدد ٦٧ ، شوال ١٤١٠ هـ - مايو ١٩٩٠ م ، ص ٤٧

^٣ مجلة الجهاد العدد ٣٧ ، ربيع الآخر ١٤٠٨ هـ - ديسمبر ١٩٨٧ م ، ص ١٥

ويقول الشاعر فيصل الحجري من قصيدته " ركب البطولة " :

أنا مسلمٌ لي عزةٌ فأضت بها أيُّ الكتابِ وسنةٌ للهادي
والمسلمونَ عشيرتي .. بل أسرتي وجميعنا الأحفادُ للأجداد
لا أدعُني صدقَ الأخوةِ مرةً حتى أصونَ بلادهم كبلادي^١

فالنص جاء كله بأسلوب خبري وتقرير مباشر وقد فضل الشاعر صيغة الإخبار المباشر لما رأى من واقعية المعاني وصدقها . فمن المعاني المتكررة قول الشاعر فيصل الحجري من قصيدة " ركب البطولة " :

سوداءُ كعبتنا فمالي كعبةً (تحمّرُ) أو (تبيضُ) للقصاد^٢

فالطرافة في هذا المعنى هو استخدام الألوان رموزاً للدلالة على مفاهيم دينية وسياسية ، فالأحمر هو رمز للإشارة إلى المعسكر الشيوعي الملحد والأبيض يرمز إلى البيت الأبيض في واشنطن دار الحكم للولايات المتحدة الأمريكية (المعسكر الغربي الكافر) وهذا المعنى من المعاني المتكررة التي سبق إليها الشاعر . ومثله قول الشاعر نضال الشهابي من قصيدته " قراءات في أوراق مراسل " :

يطلعُ " غورباتشوف "ُ

من أسفلِ دارِ عامرةٍ

يخرجُ من قذيفةٍ مجنونةٍ

يقبلُ الأطفالُ !! .

يقدمُ الحلوى لهمُ

على الطريقةِ الروسيةِ

الحمراء ..

يقدمُ الدمارُ^٣

^١ مجلة المجتمع الكويتية ، العدد ١٠١٦ ، ربيع الآخر ١٤١٢ هـ ، ص ٥٧

^٢ المرجع نفسه

^٣ المرجع السابق ، ١٥ رمضان ١٤٠٦ هـ - ٢٣/مايو/ ١٩٨٦ م . ص ٣٦ .

(وفهم الشعراء القدماء قيمة الجرس الصوتي للفظ في الإبانة عن الفكر والانفعال .
كما أدركوا ما يحمله جرس بعض الحروف من معنى)^١ ولكن بعض الشعراء (فهموا الموسيقى على أنها جزء منفصل عن التجربة ، فعناهم الجمال الشكلي وأهملوا الكيان الداخلي . ولم يدر بخلداهم أن الوزن والقافية ، والاستعارة وتوافق الألوان وتناغم الأصوات إنما هي جميعا مرادفات للصورة الفنية)^٢ (وأن كل عنصر من عناصر الشكل سواء كان شكلا موسيقيا أو غير موسيقيا يمكنه أن يثير استجابة ولكن التحام العناصر جميعها معا هو ما يولد أثرا قويا في الإنفعالات والمواقف)^٣ وأن (الكلمات نفسها بناء مزدوجا ، إنها أصوات تعتبر رموزا للمعاني ، وهي أيضا رموزا للمعاني تعتبر أصواتا ولا نستطيع أن تستعملها بإحدى الصفتين دون أن تستعملها بالصفة الثانية . أي إننا لا نستطيع أن نستعمل الجرس دون المعنى ، ولا نستطيع كذلك أن نغير الصوت تغييرا ماديا دون أن نغير المعنى أو بالأحرى نفقده ثم أن العلاقة بين الصوت والمعنى في الكلمات علاقة اختيارية)^٤

المعاني الخاصة :

إذا تجاوزنا المعاني العامة التي تحدث عنها الشعراء طويلا في قصائدهم نجد لديهم إشارات إلى معان خاصة تعد من خصوصيات التعبير الإسلامي ومنها وصف المرأة العفيفة الملتزمة بأنها " حرة " يقول الشاعر د. عبد الرحمن العشماوي في " هؤلاء الأبرياء " :
وفتاة حرة

ألبسها التشريد أثواب أمة^٥

وقال في " على أنقاض مدينة هرات " وهو يصف تغطية الظلام الهادئة :
وَاللَّيْلُ يُلْبِسُهَا عَبَاءَتَهُ^٦

فلبس العباءة مما عرفت به المرأة المسلمة ، وقال في " وسام العز في وجه عائشة " يصف القريصة على لسان الأب الشيخ :

وَقَرِينَتَا مَلْفَعَةٌ بِحَسْرِتِهَا

نَلْمِلُمُ ثَوْبَهَا الْبَالِي

^١ الرفاعي مصطفى صادق : تاريخ آداب العرب ، ج ١ ، ص ١٥ ، د. النزيهي محمد حمد : الشعر الجاهلي ، ج ١/٦٣ - ٦٩ .

^٢ كرونتة سدوتو : العمل في فلسفة الفن ص ١٦٧ ترجمة د. سامي الدروبي .

^٣ أ.أ. رنشاردز : ماديء النقد الأدبي ترجمة د. مصطفى بدوي ، ص ٢٢٨

^٤ أرشبالد مكليس : الشعر والتحرية ، ص ٣٨ ، ترجمة سلمى الحضراء الحبوس ، ص ٣٨

^٥ من ديوان عندما يعزف الرصاص ، ص ٧ - ١٥

^٦ المرجع السابق ، ص ١٦٨

وَتُسَدِّلُ ... وَيَحْهَى

جَلْبَابَ عَفْتِهَا

تُدَارِي صَدْرَهَا الْعَارِي وَتَسْتُرُهُ

عَنِ الْعَيْنِ الَّتِي اكْتَضَتْ بِشَهْوَتِهَا^١

فالتلفع والملمة الثياب وإسدال الجلباب على العفاف لمداراة الصدر العاري وستره عن
العيون الخائنة ، تعطيك صورة المرأة المسلمة الفقيرة العفيفة التي نكبت في مآسي العصر الحديث
مع خصوصية الجلباب شكلا وتعبرا . يقو عز من قائل ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ
أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ
بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ... ﴾ الآية^٢

وفي قصيدة " عندما يعزف الرصاص " يصف الذين ماتوا من المسلمين في هذه الحرب
بأنهم من حملة القرآن يقول السول صلى الله عليه وسلم (مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن
مثل الاترجة : ريحا طيب وطعمها طيب ..) الحديث^٣ فقال الشاعر :
رَحَلُوا وَلِلْقُرْآنِ فِي أَعْمَاقِهِمْ أَلْقَى أَضَاءَ نَفُوسِهِمْ فَانْقَادُوا^٤

ووصف الآخرين بأنهم عباد أصنام يقول الله عز وجل ﴿ وَلَا تَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ
مَالًا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾^٥ . فقال :
أَوْ مَا تَرَى مِنْ فَوْقِ كُلِّ ثَنِيَّةٍ صَنَمًا ، يُزِيدُ غُرُورَهُ الْعِبَادُ^٦

^١ من ديوان عندما يعزف الرصاص ، ص ١٦٨ .

^٢ سورة النور ، رقم الآية ٣١ .

^٣ رواه البخاري ، كتاب الأطعمة وفصائل القرآن ، باب قراءة الفاجر والمنافق وأصواتهم وتلاوتهم لا تجاوز حناجرهم .

^٤ من ديوان عندما يعزف الرصاص ، ص ٦١-٦٩ .

^٥ سورة يونس ، الآية رقم ١٠٦ .

^٦ من ديوان عندما يعزف الرصاص ، ص ٦١-٦٩ .

وقال في " أشلاء أغنية حزينة " مشيرا إلى أثر قراءة القرآن . يقول الله عز وجل ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾^١ . يقول الرسول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه :
(يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران ، تحاجان عن صاحبها)^٢

والشيخ يقرأ آية الكرسي
ويدعو ...

ويحسُّ أَنَّ الْكَوْنَ
يَخْشَعُ أَوْ يَلِينُ^٣

وأشار إلى هدم المساجد وتعطل الصلوات يقول الحق تبارك وتعالى ﴿ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَغِيرَ حَقِّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهُدَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾^٤ . فقال :
كَانَتْ هُنَا بِالْأَمْسِ مِثْدَنَةٌ
وَكَانَ هُنَا صَلَاةٌ^٥

وعبر عن تحجب المسلمات مرة أخرى في " من أين أبدأ رحلتي ؟ " :
وَنِسَاءُ قَرِينَتِنَا عَلَى الطَّرْ
قَاتِ يَسُدُّنَ الْحِجَابُ
يَخْشَيْنَ - يَا أَبَتِ - عَلَى
أَعْرَاضِهِنَّ مِنَ الذَّنَابِ^٦

^١ سورة الحشر ، رقم الآية ٢١ .

^٢ رواه مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل القرآن وسورة البقرة .

^٣ من ديوان عندما يعزف الرصاص ، ص ٧١ - ١٠٠ .

^٤ سورة الحج ، رقم الآية ٤٠ .

^٥ من ديوان عندما يعزف الرصاص ، ص ٧١ - ١٠٠ .

فمن أجل هذه الخصوصية لحجاب المرأة المسلمة وأهمية الحفاظ على الأعراض ، كان أخوف ما يخافه المسلمون في مثل هذه الحروب انتهاك الأعراض . وقد كثرت الشكوى منه لدى الشعراء في تصويرهم للمآسي المعاصرة في أفغانستان والبوسنة ومن قبل في فلسطين وغيرها من بلاد المسلمين المنكوبة .

وفي " أحمد عبد الله الزهراني " أشار إلى التقوى وصلاة التهجد يقول الله تبارك وتعالى ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾^١ وقول أيضا ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾^٢ فقال الشاعر :

أَحْيَيْتَ بِالتَّقْوَى سَعَادَةَ قَلْبِهَا

وَعَدَوْتَ فِيهَا بِالشَّهَادَةِ أَسْعَدَا

وَالطَّائِفُ الْوَلَهَانُ شَدَّ إِزَارَهُ

فَرَحًا وَأَحْيَى لَيْلَةً وَتَهَجَّدَا^٣

وأشار الشاعر إلى معنى خاص جدا إشارة رمزية خفية يكاد القاريء يمر عليها دون أن ينتبه ، وقد أخفاها لأنها تقع خفية لطيفة وكان هذا الأداء للمعنى في غاية التوفيق وسأنقل الكلمات أولا : قال في قصيدة : " وسام العز في وجه عائشة " وهو يصف لنا مشهد إصابة عائشة بشظايا القنبلة المتفجرة في خيمتها :

أَحَسَّتْ أَنَّ سَهْمًا شَكَّ مِنْهُمْهَا

أَغْثَنِي يَا إِلَهَ الْكَوْنِ يَا رَبِّي

نِدَاءٌ رَدَّدَتْهُ الطُّفْلَةُ الْحَسَنَاءُ وَابْتَسَمَتْ^٤

^١ من ديوان عندما يعزف الرصاص ، ص ٢٧ - ٣٦

^٢ سورة الفرقان ، رقم الآية ٦٣ ، ٦٤ .

^٣ سورة النازيات ، رقم الآية ١٧ ، ١٨ .

^٤ من ديوان عندما يعزف الرصاص ، ص ١٠١ .

^٥ المرجع نفسه .

ثانيا : الجمال البلاغي بصناعة التكرار :

أ - معنى التكرار :

(ترديد الحرف الواحد له قيمة تنغيمية ذات وظيفة عضوية في أداء الفكرة والعاطفة)^١ ويعتد التكرار في الشعر العربي انعكاسا لحالة شعورية ما في نفس الشاعر إلحاحا ، فلا يجد مناصا من التعبير عنها بالتكرار^٢ ، ويتضح لنا أن مستوى الإبداع في التكرار لا يكمن في توالي الألفاظ والعبارات المتشابهة ، وإنما يكمن في الإيحاء الدلالي لتوالي هذه الألفاظ وتلك العبارات^٣ ، وبهذا يحتوي كل ما يتضمنه أي أسلوب آخر من إمكانات تعبيرية^٤ إضافة إلى الدور الذي يؤديه التكرار في البناء الفني للأبيات .

نحاول خلال هذا الفصل الحديث عن التكرار بوصفه عنصرا بارزا وملموسا من عناصر التشكيل الجمالي في شعر الجهاد الأفغاني ، والحديث عن هذا العنصر يقتضينا أن نتعرف بواعثه^٥ وأنماطه كما جاءت في شعر الجهاد الأفغاني

ويقع التكرار عند د. عدنان نحوي في الجمل الإنشائية بأنواعها النداء والاستفهام والأمر وغيرها ، وفي الجمل الخبرية ، فقد كرر النداء في قصيدة " فتنة الهوى وشباك الأعداء " :

أَيُّهَا الرُّوسُ ! يَا دُعَاةَ حَضَارَا	تِ وَدُنْيَا "مَبَادِي" وَ "حِيَادِ"
يَا دُعَاةَ السَّلَامِ ! أَيْنَ سَلَامُ	مَزَقَّتْهُ نَوَافِرُ الْأَضْدَادِ
يَا هَلَكَ الشُّعُوبِ ! يَا فِتْنَةَ النَّاسِ	سِ ! ضَحَايَا الْغُرُورِ وَالْإِلْحَادِ

عبر بهذا التكرار عن مدى سعادته بنصر الأفغان وقوة رجالهم الشجعان التي ترتفع هاماتهم بنصرهم .

^١ د. التوبجي محمد محمد ، الشعر الجاهلي ٦٨/١ ، الملائكة نازك ، قضايا الشعر المعاصر ، ص ٢٣١ ، د. الطيب ، عبد الله : المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، ج ٢ ، ص ٤٩٥ .

^٢ د. القط عبد القادر : الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، ص ٣٨ - ٣٩

^٣ د. هلاقي ماهر مهدي : جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي ، ص ٢٣٩

^٤ الملائكة نازك : قضايا الشعر المعاصر ، ص ٢٢٩

^٥ القيرواني ابن رشيق : المعجزة ، ص

^٦ ملحة الجهاد الأفغاني ، ص ١٢٠ - ١٢١

ويقول الشاعر أحمد محمد الصديق في قصيدة "يا جبال الأفغان " :

يَا جِبَالَ الْأَفْغَانِ قَدْ حُزَّتِ السَّحَابَا وَ تَسَامَيْتِ لِلنُّجُومِ اقْتِرَابَا
يَا جِبَالَ الْأَفْغَانِ .. لِلْحَقِّ ثُورِي وَ اصْبَغِي بِالدِّمَاءِ تِلْكَ الشَّعَابَا
جِبَالَ الْأَفْغَانِ .. يَا قِمَمَ الطُّهْرِ اسْتَزِيدِي عَبْرَ الْفَضَاءِ انْتِصَابَا^١

ويقول الشاعر عدنان النحوي في قصيدة : "يا أرض كابل " :

أَنَا الْغَرِيبُ .. فَأَيُّ الْأَرْضِ تَحْمِلُنِي إِلَى غَرِيبٍ أَوْاسِي جُرْحَهُ بِدَمِي
أَنَا الْغَرِيبُ ... يَكَادُ الدَّرْبُ يَشْرِقُ بِي وَظُلْمَةُ اللَّيْلِ تَرْمِينِي إِلَى ظُلَمٍ^٢

كرر لفظ الجبال للدلالة على القوة وصلابة المجاهدين كصلابة جباهم في الجهاد والمطالبة بحقوقهم .

ومثل لتكرار الاستفهام من قصيدة " شموخ الليالي " ببعض الأبيات المتعاقبة ، يقول الشاعر عدنان النحوي تحت عنوان فأطلي من الغيوب :

أَيْنَ أَنْبَائِي الَّذِينَ رَعَتْهُمْ خَلَجَاتُ الْأَحْنَاءِ وَالْأَكْبَادِ
أَيْنَ إِشْرَاقَةُ الْهُدَى فِي الدِّيَا جِيرٍ وَلَمَعُ الْأَنْصَالِ بَيْنَ السَّوَادِ
لَفَتَاتُ الْإِبَاءِ أَيْنَ تَوَلَّتْ أَيْنَ إِطْلَالَةُ الْفَتَى النَّجَادِ
أَيْنَ أَشْرَاقُنَا الَّتِي حَمَلَتْهَا لِلْبِرَايَا عَزَائِمَ الرُّوَادِ^٣

يكرر الاستفهام " أين " دلالة على حسرته على حال الأمة لانتشار التواني عن النصر^٤.

ويقول الشاعر أبو الدرداء في قصيدة : "رسول الله لن أرضى " :

^١ مجلة منار الإسلام ، العدد ١١ ، ذو القعدة ١٤١١ ، يونيو ١٩٩٠م ص ٩٨

^٢ المرجع السابق ، ص ١٠٦ - ١٠٧

^٣ ملحمة الجهاد الأفغاني ، ص ٧٣ - ٧٥

^٤ زكريا إبراهيم : مشكلة الفن ، ص ٤٨

في الأبيات السابقة أتى الشعراء بالاستفهام (أين ، همزة ، كيف) فيه فائدة عظيمة فهو يأتي للوعيد والتهديد ، وللتعظيم للمحكى ، وللتقريع والتوبيخ كما هو وارد في الأبيات التي بين أيدينا وللتنويه والإشارة وللتوجع في الرثاء .

ويقول الشاعر محمود مفلح في قصيدة " الجهاد الكبير " :

فَاللَّيْلُ فِي السَّنَاعِ الْأَخِيرِ	إِنَّ شَمْسَ الْإِسْلَامِ لَا بَدَّ أَنْ تَطْلُعَ
وَتَطْوِي الدُّجَى كَطَيِّ الْحَصِيرِ	إِنَّ شَمْسَ الْإِسْلَامِ تَرْحَفُ فِي الْأُفُقِ
اسْتَقْرِي وَيَا زَوَاحِفَ طِيرِي	إِنَّ شَمْسَ الْإِسْلَامِ تَخْتَالُ يَا أَرْضُ
وَتُلَغَى طَبَائِعُ الْخَسَنَزِيرِ	أَنْ أَنْ تَرْحَلَ النَّفَايَاتِ عَنْ أَرْضِي
عَلَّمَ الزَّيْفُ وَالْكَيْانُ الْأَجِيرِ	أَنْ أَنْ تَخْرَسَ الطُّبُولُ وَيُطْوَى
فِي الْفَضَاءِ الرَّحِيبِ سِرْبُ طُيُورِي ^١	أَنْ أَنْ يُزْهَرَ النَّخِيلُ وَيَشْدُو

قيمة إن : تعتبر إن من أدوات تركيد الجملة الخبرية فقد جاءت هنا مؤكدة هذا الحكم حكم سطوع شمس الإسلام لتزداد قناعة السامع به ويحسن تلقيه لهذا الخبر فيستقر في نفسه استقرارا حسنا .

قيمة آن : إنه تكرار لهذا الفعل المتلو بجملة من الأفعال بعده ، فتكرارها يؤكد وقوع تلك الأفعال وكأنها أقدار واقعة لا محالة فإيمان الشاعر بها إيمان لا يتزعزع .

ويأتي تكرار صيغة الاستفهام الإنكاري كما ورد في الأبيات من خلال قصيدة (على

المفترق) للشاعر أحمد محمد الصديق :

وَخَفَّ سَعَارُ الْحَقْدِ.. وَهُوَ مُحَرَّمٌ ؟	أَمَّا شَبَعْتُ مِنْ جُوعِهَا نَهْمَةُ الْوَعَى
بِكُمْ نَارُهَا قَبْلَ الْعِدَا تَتَضَرَّمُ ؟	أَمَّا انْقَشَعَتْ عَنْكُمْ غَشَاوَةُ فِتْنَةٍ
بِهَا طَالَمَا كُنَّا نَهِيمُ وَنَحْلُمُ ؟	أَسْأَلُ نَفْسِي : أَيْنَ أَحْلَامُهَا الَّتِي
وَلِلْمَوْتِ.. فِي تِلْكَ الدِّيَارِ تَقْدُمُوا ؟	وَ أَيْنَ شَبَابٌ فَارَقُوا الْأَهْلَ وَالْحِمَى
هَبَاءُ ! فَهَلْ تَبْكِي ذَوِيهَا وَتَنْدُمُ ؟ ^٢	وَ أَيْنَ جِبَالُ التَّضَحِيَّاتِ ؟ تَنَاطَرَتْ

^١ مجلة الجهاد ، العدد ٦٨٦ ، ربيع الأول ١٤١١ هـ - سبتمبر ١٩٩٠ م ، ص ٦٣

^٢ المرجع السابق ، العدد ٦٩٧ ، صفر ١٤١٢ هـ - أغسطس ١٩٩١ م ، ص ٢٢

فالتكرار آت في الكلمات (أما شبت) (أما انقشعت) ، (أسائل نفسي) ، (وأين شباب) ، (وأين جبال) ليؤكد أسف الشاعر على الأحوال التي تحدث والفتنة التي شبت بينهم يقول الله عز وجل ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ * وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾^١ ، وأخرى هي أنه استطاع من خلال اتكائه على هذا الضرب من التكرار أن يزوج بنا إلى ساحاته ، وإنه يبعث فينا الإحساس بتجربته كما يحس بها ، وأن يخلق في داخلنا حزنا عميقا على أحوال المسلمين ، وما كان له أن يحقق شيئا من هذا التواصل مع قارنه لولا سيطرته على لغته وعلمه بأسرار الجمال في التكرار^٢ .

وفي قصيدة " أنين الجراح " للشاعر أحمد سالم باعطب :

أَيْنَ مِنَّا كَتَائِبَ النَّصْرِ تَمْضِي	لِلْفُتُوحَاتِ خَافَقَاتِ الْبُودِ
أَيْنَ ذَابَتْ شَهَامَةٌ ، عَنْكَ تُرَوَّى	لَمْ تُطَقْ دُونَهَا أَحْتِمَالِ الْخُطُوبِ
أَيْنَ إِشْرَاقَةٌ مِنَ النَّصْرِ تَسْرِي	بِسَنَا الْغَارِ فِي جَبِينِ الدُّرُوبِ
أَيْنَ أَنْشُودَةُ الْفَخَارِ تَدْوِي	تَبْعُثُ الْبِشْرَ فِي حَنَائِي الْقُلُوبِ ^٣

ويقول الشاعر محمود مفلح في قصيدة " كابل " :

أَطْلِقِهَا اللَّهُ أَكْبَرُ حَتَّى يَسْقُطَ الرَّأْسُ فِيهِمْ وَالذُّيُولُ

^١ سورة التوبة ، الآية رقم ٤٧ - ٤٩ .

^٢ نازك الملائكة : قضايا الشعر المعاصر ، ص ٢٣٢ ، د. النويهي محمد محمد : محاضرات في عنصر الصدق - جارت أ.ف : في الأدب

وفلسفة الجمال ، ص ٤٩ ترجمة عبد الحميد يونس

^٣ ديوان الروض الملتهب ، ص ٢٩ - ٣٥

أَطْلَقِيهَا فَإِنَّهُمْ حَطَبٌ لَنَا وَأَنْتِ الذَّرَاعُ وَالْأَزْمِيلُ
أَطْلَقِيهَا فَإِنَّهَا صَرْخَةُ الدَّهْرِ وَهَذَا زَمَانُهَا الْمَأْمُولُ^١

إن تكرار الفعل أطلقها له قيمة كبيرة في الدلالة على أحاسيس الشاعر التي تعزّي نفسه فهو متحمس للثورة على المعتدين من جهة وحاقد على الأعداء من جهة أخرى مزهو ببطولات الشعب الأفغاني من جهة ثالثة ويريد أن يؤكد بهذا التكرار على الجهاد ناصحاً به وموجهاً له^٢.

ويقول الشاعر د. عدنان النحوي في قصيدة " فتنة الهوى وشباك الأعداء " :
أَطْلَقِي مِنْ أَعْنَةِ جَامِحَاتِ أَطْلَقِي حَمَمَاتِهَا فِي الْبَوَادِي
أَطْلَقِيهَا أَعْنَةُ تَجَلِّي الْمَجْدِ سُدَّ عَلَى سَاحَةِ وَفِي أَنْجَادِ
أَطْلَقِيهَا فَإِنَّهَا هِيَ وَالنَّصْرُ رُؤْيُ حَوْمَتٍ عَلَى مِيعَادِ^٣

ويقول الشاعر حسان محمد في قصيدة " بشراك أفغان " :
سَبْعُ مَرَرْنَ ، وَكَأْسُ الْحَتَفِ مَتْرَعَةٌ يُسْقَى بِهَا خَاسِرٌ وَالْآهُ تَفْشِيلُ
سَبْعُ مَرَرْنَ ، وَفِي الْأَفْغَانِ مَقْبَرَةٌ لِكُلِّ غَازٍ إِلَى التَّدْمِيرِ مَرْسُولُ^٤

نرى في هذا التكرار إبرازاً لمشاعر الفخر والاعتزاز بالبطولة ومشاعر الشماتة والسخرية من الأعداء وتأكيدها لها .

ويقول الشاعر الحضرمي في قصيدة " أمة المجاهدين " :
لَكَ اللَّهُ يَا أُمَّةَ الْمُسْلِمِينَ أَلَمْ تَلْحَقِي الرُّكْبَ يَا حَائِرَةً ؟
لَكَ اللَّهُ يَا أُمَّةَ الذَّاكِرِينَ أَمَا زَلْتِ فِي غَيْكِ سَادِرَةً ؟
لَكَ الْحَمْدُ يَا أُمَّةَ الصَّالِحِينَ تَهَبُ بِأَسَادِهَا الثَّائِرَةَ

^١ مجلة الأمة العدد ١٢٠ ، صفر ١٤٠٢ هـ - ص ٦٧

^٢ د. النويهي محمد محمد : الشعر الجاهلي ، ص ٢٠٢ .

^٣ ملحمة الجهاد الأفغاني ، ص ١٢٠ - ١٢١

^٤ مجلة الإصلاح ، العدد ١٠٦ ، نوفمبر ١٩٨٦ م ، ص ٣٢

لَكَ الْحَمْدُ يَا أُمَّةَ الْمُؤْمِنِينَ بِخَيْرِ دُرُوبِ الْهُدَى سَائِرَةً
لَكَ اللَّهُ يَا أُمَّةَ الْمُحْسِنِينَ تَضِجُ بِأَيْمَانِهَا هَادِرَةً^١

نرى في هذا التكرار إلحاحا على الشعور بالغصة والحسرة على حال الأمة الإسلامية ونرى فيه تحريضا على النهوض من الكبوة ومتابعة الطريق .

ويقول الشاعر المسلم الحر في قصيدة رباعيات كابل :

طُوبَى لِكُلِّ مُجَاهِدٍ قَدْ مَاتَ مِنْ أَجْلِ الْقَضِيَّةِ
طُوبَى لِكُلِّ مُجَاهِدٍ قَدْ جَادَ بِالنَفْسِ الزُّكِّيَّةِ^٢ .

وفي تكرار كلمة (طوبى) تذكير مهذب بما ينتظر المجاهد من ثواب عظيم عند الله كما

قال الحبيب المصطفى: (طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه)^٣ وحث خفي على الإقبال على الله بحمل الشهادة الوضاعة وفوحها الطيب .

ب - أنواع التكرار :

من أنواع التكرار يكرر الكلمة في صدر الصدر ، وأخرى في صدر العجز ، مثال : قول

الشاعر أبو الأدهم في قصيدة " إلى المجاهدين الأفغان " .

اللَّهُ أَكْبَرُ زَحْفُكُمْ إِعْصَارُ اللَّهُ أَكْبَرُ جَيْشُكُمْ جَرَارُ^٤

فكان ذلك مشيرا إلى الروح الإيمانية التي أثارت في الشاعر الشاعرية الجهادية .

وكذلك قول الشاعر أبو أسامة في قصيدة " سقوط الطغاة " :

اللَّهُ أَكْبَرُ ، جُنْدُ اللَّهِ قَدْ ثَارُوا اللَّهُ أَكْبَرُ ، وَالطُّغْيَانُ مِنْهَارُ^٥

^١ مجلة البيان المرفوض ، العدد ٦ ، مايو ١٩٨٦ م ، ص ٤٣

^٢ د. صلاح فضل : علم الأسلوب مبادئ وإجراءاته ، ص ٢٠٧ ،

^٣ صحيح البخار ، كتاب الجهاد ، ابن ماجه ، كتاب الزهد .

^٤ ابن المعتز عبد الله : كتاب البديع ، ص ٤٧ ، ٥٣

^٥ مجلة البيان المرفوض ، العدد ٣٠ ، ذو الحجة ١٤٠٩ هـ - يوليو ١٩٨٨ م ، ص ٤٥

وقد أشار شاعرنا إلى أن الله وحده هو المرغم للطغاة على السقوط فقوة الجند مقتبسة من قوة الله فهم (جند الله) الذي منح الجند القوة يقول وهو أصدق القائلين : ﴿ وَإِنْ جُنَدُنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾^١.

ج - بواعث التكرار :

١- إبراز اشتياق الروح إلى الشهادة

ودليلاً لذلك قصيدة " فرسان كابل " للشاعر يوسف رحوتي :

أَجْدَادُكُمْ سَادَةٌ هَدُّوا الْجِبَالَ بِمَا	آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ صَبْرٍ عَلَى الْخَنِ
حَزَامُكُمْ كَنْجَادٍ خِيَطَ يَسْكُنُهُ	سَيْفُ الْإِبَاءِ سَرِيعُ الثَّأْرِ لِلْوَطَنِ
رَضَعْتُمُ الدِّينَ يَا فَيَّانُ جَوْهَرَةَ	حَيَّاكُمْ اللَّهُ إِلَيْهِ !! فَتِيَّةُ السُّنَنِ !!
بَارُودُكُمْ صَكَ أَذَانَ الْعَدَى فَمَضُوا	مِنْ ذُلِّهِمْ يُضْرَمُونَ النَّارَ فِي فَنَنِ
دَوَتْ بِنَادِقُكُمْ تَعْوِي مُكْبِرَةً	تَرَوِي لَجْلِيلِ الْمُنَى أُسْطُورَةَ الزَّمَنِ
فُرْسَانُكُمْ رَكَزُوا الرِّايَاتِ شَامِخَةً	لِلْعَالَمِينَ عَلَى الْأَيَّامِ وَالزَّمَنِ
بَخْ ! بَخْ ! يَا سَيُوفَ الْحَقِّ قَدْ رُفِعَتْ	بِكُمْ لَنَا هَامَةٌ تَزْهُو عَلَى عَلَنِ ^٢

فإذا نظرنا إلى النموذج السابق لاحظنا أن الشاعر كرر الضمير (ضمير المخاطبين) ثماني مرات ليدل بذلك على أن هؤلاء الأبطال لا يفارقون نظره ، وليستحضر أمامنا هذا الطرف الغائب في خطابه الشعري .

ونلاحظ أيضاً أن يوسف رحوتي (كرر يا المتكلم) إحدى عشرة مرة في قوله :

وَاللَّهِ يَا إِخْوَةَ الْإِيمَانِ مَا وَجَدْتُ	نَفْسِي لَكُمْ طَاقَةً إِلَى لَفْسِي حَزَنٍ
تَا اللَّهُ مَا غَبَتْ عَنَّا لَحْظَةٌ أَبَدًا	لَكِنْ جِرَاحِي كَثِيرَاتٌ وَتَشْغَلُنِي
نَفَقُوا وَنَضَحُوا عَلَى بَلَوَى وَضَائِقَةٍ	يَا سَائِلِي كَيْفَ حَالِي لَا تُثْرِ شَجَنِي

^١ مجلة الجهاد ، العدد ٣٤٤ ، محرم ١٤٠٣ هـ ، ص ٨

^٢ سورة الصافات آية ١٧٣ .

^٣ مجلة الفرقان المغربية ، العدد ٢٧ ، ذو الحجة ١٤١٢ هـ - يونيو ١٩٩٢ ، ص ٤٤

صَاعَتْ فَلَسْطِينُ وَالْإِسْلَامُ يَتَمَّهُ
قَوْمِي اسْتَطَابُوا لِيَالِي الْعُجْهِرِ وَأَنْصَرَفُوا
يَا أُمَّتِي حَانَ أَنْ تَسْتَيْقِظِي وَتَرَيِ
عَهْدِي بِكُمْ أَهْلَ نَجْدَاتِ وَنَاسِ حِمَى
بِالْدِينِ يَا إِخْوَتِي كُنَّا عَمَالِقَةً
عُزْبٌ تَوَاطَيْتُ أَعْدَاءُ عَلَى سَنَتِي
إِلَى رُقَادِ ثَوَى وَالنَّدُ لَمْ يَسْنِ
مَا شَادَهُ الْعُزْبُ مِنْ عُجْبٍ بِذَا الزَّمَنِ
فَمَا دَهَاكُمْ أَلَسْتُمْ سَادَةَ الْمَهَنِ
قُدْنَا الْوَرَى وَالْدُنَى تَشْقَى وَفِي فِتْنٍ

قيمة القسم المكرر كامنة في التأكيد على المقسم به من جهة وأهميته من جهة أخرى .
وتكرار النداء هنا للتأكيد على تلاحم أبناء الأمة الإسلامية ووحدة مشاعرهم وضرورة سعيهم نحو
هدف واحد . وهذا الضرب من التكرار يرفع تعاطف الشاعر نحو إخواننا المجاهدين الأفغان بخاصة
والمجاهدين بعامة ونحو بلادنا المغتصبة ، ويدلنا على أن حال المجاهدين قد ملأ على الشاعر حياته
فانشغل به عما سواه وأثار كوامن شجته . .

٢- الإشادة بذكر الممدوح .

ومن أمثلة ذلك في قول الشاعر أحمد سالم باعطب من قصيدة " أنين الجراح " :
يَا أَخَا الْعِزِّ يَا رَفِيقَ السَّلَاحِ
يَا أَخَا الْعِزِّ يَا عَظِيمَ الْجَدُودِ
يَا أَخَا الْعِزِّ يَا وَلِيدَ الْحُرُوبِ
يَا أَخَا الْعِزِّ يَا رَجَاءَ الضَّحَايَا
يَا أَخَا الْعِزِّ نَهْضَةً وَانْعِتَاقاً
يَا أَخَا الْعِزِّ يَا سَلِيلَ الْعِظَامِ
كَيْفَ تَغْفُو عَلَى أَنْيْنِ الْجِرَاحِ
كَيْفَ الْهَتَكَ بَارِقَاتِ الْوُرُودِ
بُحُّ صَوْتِ الْحِمَى وَمَا مِنْ مُجِيبِ
يَا عِمَادَ الْفِدَى وَرُوحَ السَّرَايَا
مَا خَشِينَا مِنَ الْأَسَى بِكَ حَاقِلاً
كَيْفَ تَرْضَى بِعِيشَةٍ فِي الرِّغَامِ

^١ مجلة الفرقان المغربية ، العدد ٢٧ ، ذو الحجة ١٤١٢ هـ - يونيو ١٩٩٢ م .

^٢ ديوان الروض الملتهب ، ص ٢٩ - ٣٥

ونلاحظ أيضا أن يوسف رحوتي (كرر يا المتكلم) إحدى عشرة مرة في قوله :

وَاللّٰهُ يَا إِخْوَةَ الْإِيمَانِ مَا وَجَدَتْ	نَفْسِي لَكُمْ طَاقَةً إِلَى لَفِي حَزَنٍ
تَا اللَّهُ مَا غَبَتْ عَنَّا لِحْظَةً أَبَدًا	لَكِنْ جِرَاحِي كَثِيرَاتٌ وَتَشْغَلُنِي
نَفْفُو وَنَصْحُو عَلَى بَلْسَوَى وَضَائِقَةٍ	يَا سَائِلِي كَيْفَ حَالِي لَا تُثْرُ شَجْنِي
ضَاعَتْ فَلَسْطَيْنُ وَالْإِسْلَامُ يَتَمُّهُ	عُرْبٌ تُوَاطِيُ أَعْدَاءُ عَلَى سَنَنِي
قَوْمِي اسْتَطَابُوا لِبَالِي الْعُهْرَ وَانْصَرَفُوا	إِلَى رُقَادِ ثَوَى وَالنَّدُّ لَمْ يَسِنِ
يَا أُمْتِي حَانَ أَنْ تَسْتَيْقِظِي وَتَرِي	مَا شَادَهُ الْغَرْبُ مِنْ عُجْبٍ بِذَا الزَّمَنِ
عَهْدِي بِكُمْ أَهْلَ نَجْدَاتٍ وَنَاسٍ حَمِيٍّ	فَمَا دَهَاكُمْ أَلْسَتُمْ سَادَةَ الْمَهَنِ
بِالْدِّينِ يَا إِخْوَتِي كُنَّا عَمَالِقَةً	قُدْنَا الْوَرَى وَالْدُّنَى تَشْقَى وَفِي فِتْنٍ ^١

قيمة القسم المكرر كامنة في التأكيد على المقسم به من جهة وأهميته من جهة أخرى .
وتكرار النداء هنا للتأكيد على تلاحم أبناء الأمة الإسلامية ووحدة مشاعرهم وضرورة سعيهم نحو
هدف واحد . وهذا الضرب من التكرار يرفع تعاطف الشاعر نحو إخوتنا المجاهدين الأفغان بخاصة
والمجاهدين بعامة ونحو بلادنا المغتصبة ، ويدلنا على أن حال المجاهدين قد ملأ على الشاعر حياته
فانشغل به عما سواه وأثار كوامن شجنه . .

٢ - الإشادة بذكر الممدوح .

ومن أمثلة ذلك في قول الشاعر أحمد سالم باعطب من قصيدة " أنين الجراح " :

يَا أَخَا الْعِزِّ يَا رَفِيقَ السَّلَاحِ	كَيْفَ تَغْفُو عَلَى أَنْيْنِ الْجِرَاحِ
يَا أَخَا الْعِزِّ يَا عَظِيمَ الْجُدُودِ	كَيْفَ الْهَتَكَ بَارِقَاتِ الْوُرُودِ
يَا أَخَا الْعِزِّ يَا وَلِيدَ الْحُرُوبِ	بُحَّ صَوْتِ الْحِمَى وَمَا مِنْ مُجِيبِ
يَا أَخَا الْعِزِّ يَا رَجَاءَ الضَّحَايَا	يَا عِمَادَ الْفِدَى وَرُوحَ السَّرَايَا

يَا أَخَا الْعِزِّ نَهْضَةً وَأَنْعَتَا ۖ مَا خَشِينَا مِنَ الْأَسَى بِكَ حَاقَا
يَا أَخَا الْعِزِّ يَا سَلِيلَ الْعِظَامِ كَيْفَ تَرْضَى بَعِيشَةً فِي الرِّغَامِ^١

دقق النظر في الأبيات السابقة ، تلاحظ أن الشاعر يكرر الممدوح (أخا العز) خمس مرات^٢ ، أيضا (يا رفيق السلاح) ، (يا عظيم الجدود) (يا وليد الحرب) ، (يا رجاء الضحايا) ، (يا عماد الفدا) ، (يا سليل العظام) ، وواضح أن الشاعر لم يكتف بمجرد تكرار ممدوحه ، بل عدد محاسنه من خلال صيغ النداء المتكررة التي تحمل إلى المتلقي في كل مرة مآثرة من مآثر الممدوح ، أو أملا يناط به تحقيقه حتى يشعر الممدوح بمدى المسؤولية الملقاة على عاتقه تجاه هذه الحرب .

كقوله في قصيدة موكب الشهداء :

يَا جَنَّةَ عَصَفَتْ بِهَا أَيْدِي الْحَوَادِثِ وَالْخُطُوبُ
يَا مَوْطِنًا هَتَكَتْ قَدَاسَتُهُ زَبَانِيَةَ الْخُرُوبُ
يَا رَوْضَ عُشَّاقِ السَّلَامِ وَقَبْرَ أَعْدَاءِ الشُّعُوبِ
يَا دُرَّةً فِي شَرْقِنَا الزَّاهِي تَهِيمُ بِهَا الْقُلُوبُ
يَا صَفْحَةً غَرَاءَ فِي سِفْرِ الْحَضَارَةِ وَالْخُلُودُ
يَا مَشْعَلًا سَيَظِلُّ مُتَّقِدًا وَنَحْنُ لَهُ الْوُقُودُ
يَا مَصْنَعَ الْأَبْطَالِ يَا مَهْوَى لِكُلِّ فَتَى غَيُورُ
يَا مُوقِظًا عَزَمَ الشَّبَابِ وَمُلْهَبًا مَنَا الشُّعُورُ^٣

د - أنماط التكرار :

تعدد أنماط التكرار على النحو التالي :

١- رد الأعجاز على الصدور^٤ :

وهو عنده على ثلاثة أقسام نذكرها وندلل عليها بشواهد من شعر الجهاد الأفغاني .

^١ ديوان الروض الملتهب ، ص ٢٩ - ٣٥ .

^٢ السنوسي ، محمد بن علي : الأعمال الكاملة ، ص ٢٤٠ .

^٣ ديوان الروض الملتهب : ، ص ٤١ - ٤٥ .

^٤ ابن المعتز ، عبد الله : أنظر كتاب البديع ، ص ٤٧ - ٥٣ تحقيق إغناطيوس كراتشونسكي ، طباعة بدوي : معجم البلاغة ، ج ١ ، ص ٢٩٧ .

أ- في القسم الأول يشترط ابن المعتز أن تكون آخر كلمة في البيت موافقة لآخر كلمة في نصفه الأول^١ :

إِنَّا فَقَدْنَا السَّيِّدَ إِنَّا فَقَدْنَا السَّيِّدَ^٢

ومن قصيدة " ما أضاع الحق إلا من بكاه " للشاعر إبراهيم حسن إبراهيم :

هَمَّ أَسْلَمُونَا لِلطُّغَاةِ وَإِنَّهُمْ شَرُّ الطُّغَاةِ^٣

ويقول الشاعر يحيى بشير في قصيدة " قلاع البطولة في أفغانستان " :

ورائحةُ الدُّخَانِ لَمْ عَطُورُ فَأَطِيبُ بالدُّخَانِ شَذَا عَطُورِ
تَحُومُ الطَّائِرَاتُ تَرِيدُ شَرًّا بِهِمُ وَاللَّهُ قَصَامُ الشُّرُورِ^٤

ب- إتفاق الكلمتان الأولى والأخيرة في البيت وهي نادرة كما في " إلى جنود الثورة الإسلامية الأفغانية "

أُخُوَّةُ الدِّينِ تَدْعُوكُمْ لِنُصْرَتِهِمْ أَمْ لَسْتُمْو لَهُمْو فِي الدِّينِ إِخْوَانَا ؟^٥

فأنت تلاحظ اتفاقاً في المبنى - لا في المعنى - بين آخر كلمة في البيت السابق وأول كلمة فيه .

يقول الشاعر محمود مفلح في قصيدة كابل :

وَالْخِيُولُ الَّتِي أَغَارَتْ بِبَدْرِ حَيَّ فِي حَوْمَةِ الصَّرَاعِ الْخِيُولُ^٦

^١ كتاب البديع ، المرجع نفسه ، ص ٦٥ .

^٢ الفصيحة مخطوط في مكتبة الباحثة .

^٣ من مجلة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ، عدد سنة ١٤٠٠هـ ، ص ٢٣ .

^٤ مجلة المجتمع الكويتية ، العدد ٧٩٣ ، صفر ١٤٠٦هـ ، ص ٤٤ .

^٥ السنوسي : الأعمال الكاملة ، ص ٢٩٠ .

^٦ مجلة المجتمع الكويتية ، العدد ٤٥٧ ، ذو الحجة ١٣٩٩هـ - مارس ١٩٧٩ م ، ص ٤٥ .

^٧ مجلة الأمة ، العدد ١٢٠ ، صفر ١٤٠٢هـ ، ص ٦٧ .

ج - في القسم الثالث توافق آخر كلمة في البيت بعض ما فيه من كلمات^١، وشواهد هذا القسم :

يقول الشاعر يحيى بشير في قصيدة " في دروب الخالدين " :
لَهُمْ مَا بَيْنَهُمْ مَكْرٌ وَثَأْرٌ كَمَا ثَأْرُ الْغَرَابِ مِنْ الْغَرَابِ^٢

ويقول في قصيدة " هو الإسلام علمهم صمودا " :
مَضَى الْأَبْطَالُ شُبَّانًا وَشَيْبًا كَمَا يَمُضِي الْوَدُودُ إِلَى الْوَدُودِ
فَلَنْ تَعْلَى بِمَطْرَقَةٍ وَفَأْسٍ بِيَارِقُنَا إِلَى الْأَبَدِ الْأَيْدِ
فَلَا تَعْجَبْ لَصُحُورِهِمْ وَلَكِنْ تَعْجَبْ أَنْ يَظْلُوا فِي هُمُودِ^٣

ويقول الشاعر محمود مفلح في قصيدة " كابل " :
تَصْدَحُ الطَّيْرُ حِينَمَا يَزْهَرُ اللَّحْ مِنْ إِثْرِ النَّخِيلِ النَّخِيلُ^٤

ويقول الشاعر عبد الله بن سليم الرشيد في قصيدة بلا عنوان :
فَهَنَّاكَ يَرْتَحِلُ الظَّلَامُ مَوْلِيَا وَيَطْلُ فِي وَضْحِ النَّهَارِ نَهَارِ^٥

ويقول الشاعر عبد المنعم الهاشمي في قصيدة " والله معكم " :
أَلَا اقْتَحِمُوا بِلَادَ الرُّوسِ غَزْوًا كَمَا اقْتَحِمُوا بِلَادَ الْمُسْلِمِينَ^٦

^١ السنوسي ، الأعمال الكاملة ، ص ٢٩٠ .

^٢ مجلة الجهاد ، العدد ٣٧ ، صفر ١٤٠٧هـ - أكتوبر ١٩٨٦م ، ص ٤٤ .

^٣ المرجع السابق ، العدد ٣٧ ، ذو القعدة ١٤٠٦هـ - يوليو ١٩٨٥م ، ص ٥٢ .

^٤ مجلة منار الإسلام ، العدد ١٣ ، محرم ١٤١٢هـ ، أغسطس ١٩٩٠م ، ص ٨٣ .

^٥ مجلة الجهاد ، العدد ٢٣ ، نوفمبر ١٩٨٦م ، ص ٤٤ .

^٦ المرجع السابق ، العدد ١٦ ، ربيع الأول ١٤٠٨هـ ، ص ٣٣ .

ويقول الشاعر يحيى بشير في قصيدة "قلاع البطولة في أفغانستان":
وإنْ فرُّوا فَهُمْ لِلأسْرِ فرُّوا وَلَمْ يُنْجِ العَسِيرُ من العَسِيرِ^١

ويقول الشاعر عبد الرحمن العشماوي في قصيدة: "يا رافعا علم الجهاد":
نَبْغِي السَّلَامَ؟ نَعَمْ.. بِسَيْفِ عَدَالَةٍ نَبْنِي سَلَامًا لَا كُكُلَ سَلَامٍ^٢

ويقول الشاعر عبد الرحمن بعكر في قصيدة "هولاكو الجديد":
هُوَ النَّصْرُ بِالْمَالِ بَلْ بِالرَّجَالِ وَلَيْسَ بِمَا يُنْشَدُ الْمُنْشَدُ^٣

ويقول الشاعر عبد الرحمن الأماراتي في قصيدة "أمة الجهاد":
وَلْيُرِيقُوا فِي كُلِّ أَرْضٍ دِمَاءً أَوْ يُخِيفُوا بِالسَّجْنِ وَالسَّجَّانِ^٤

ويقول الشاعر د. عثماوي في قصيدة "إضاءة في سراديب الحياة":
أيا قلبُ قَدْ تَهْوَى الحَيَاةَ حَزِينَةً وَيَطْرُبُكَ الشَّادِي وَأَنْتَ حَزِينٌ^٥

فكلمة سلام ، المنشد ، السجنان ، حزين ، في نهاية كل بيت لها مثل ببعض كلمات مطابقة لها داخل البيت .

٢- تكرار العبارات بأعيانها:

مثل تكرار عبارة (لله درك) في النموذج التالي :

^١ مجلة المجتمع الكويتية ، العدد ٧٩٣ ، صفر ١٤٠٦هـ ، ص ٤٤

^٢ مجلة الأمة الإسلامية ، العدد ٥٣ ، ص ٤٥

^٣ من ديوان : أجرام ، ص ٣٧-٣٨

^٤ مجلة الجهاد ، العدد ٧ ، جماد الآخر ١٤٠٧هـ - فبراير ١٩٨٧م ، ص ٤٤

^٥ مجلة أفغانستان ، العدد ٤ ، صفر ١٤٠٨هـ - أكتوبر ١٩٨٧م ، ص ٣٥

يقول الشاعر موفق الشاويش في قصيدة " شعبنا الأفغان " :

لله دُرُكٌ شَعْبَنَا الْأَفْغَانِي	سَلِمَتْ يَمِينُكَ يَا رَفِيعَ الشَّانِ
لله دُرُكٌ رَابِضًا وَمُقَاتِلًا	وَمُجَاهِدًا فِي الْبَاسِ كَالصُّوَانِ
لله دُرُكٌ كَمْ بَذَلْتَ مِنَ الْفِدَا	مِنْ أَنْفُسِ الْأَنْبَاءِ وَالْإِخْوَانِ
لله دُرُكٌ كَمْ رَفَعْتَ رُؤُوسَنَا	مَرَّغْتَ أَنْفَ الرُّوسِ فِي الْأَطْيَانِ
لله دُرُكٌ كَمْ أَذَقْتَ مَرَارَةً	مِنْ كَأْسِ ذُلٍّ لِلْعَدَا وَهَوَانِ
لله دُرُكٌ صَائِمًا وَمُصَلِّيًا	أَوْ ذَاكِرًا تَلُو مِنْ الْقُرْآنِ
لله دُرُكٌ كَمْ تَحَلَّتْ فَوَارِسًا	لِقِيَادَةِ الْأَبْطَالِ فِي الْمِيدَانِ ^١

ويقول الشاعر عبد الرحمن العشماوي في قصيدة " يا رافعا علم الجهاد " :

لَوْ أَنَّ سَيْفَكَ فِي يَدَيَّ مُتَخَاذِلٍ	أَوْ قَاطِعٍ لِأَوَاصِرِ الْأَرْحَامِ
لَوْ أَنَّ سَيْفَكَ فِي يَدَيَّ مُتَوَاطِئٍ	أَوْ خَائِنٍ مُتَذَبْذَبٍ مُتَعَامٍ ^٢

ويقول الشاعر أحمد محمد الصديق في قصيدة " قضى شهيدا " :

قَضَى شَهِيدًا وَفِي جَفْنِهِ أَحْلَامٌ	وَمَلَأَ جَنْبِيهِ أَشْجَانٌ وَآلَامٌ
قَضَى شَهِيدًا.. وَفِي أَحْشَاءِ غُرْبَتِهِ	تَطْوَى عَلَى الْجَمْرِ أَيَّامٌ وَأَعْوَامٌ ^٣

ولا شك أن تكرار هذه العبارات السابقة يعكس أشواقا ملحمة تتسلط على وجدان

الشاعر فيسعى إلى خلق معادل فني لها من خلال التكرار .

٣- تكرار العلم سواء أكان إنسانا أم مكانا^٤ .

فمن شواهد تكرار العلم أو المكان :

يقول الشاعر يحيى الحاج يحيى في قصيدة " فيا بخاري إنهضي " :

^١ مجلة البصائر ، العدد ١٩ ، مارس ١٩٨٩ م ، ص ١٧٩ - ١٨٠

^٢ مجلة الأمة الإسلامية ، العدد ٥٣ ، ص

^٣ مجلة المجتمع الكويتية ، العدد ٩٤٧ ، ربيع الثاني ١٤١٠ هـ ، ص ١٢

^٤ د. أبو زيد ، علي إبراهيم : الرؤية الفكرية والتشكيل الجمالي في شعر السيد الحميري ، ص ٣٠٢

فَفِي (بِشَاوِرٍ) إِخْوَانٌ وَذُو رَحِمٍ وفي (بِشَاوِرٍ) - يَا لَهِ - نُصْرَتُهُمْ^١

ويقول أيضا في قصيدة " إلى أبواب كابل " :

فَيَا كَابُولُ ! لَا الْأَسْوَارُ تَحْمِي وَلَوْ غُرِسَتْ بِغَابٍ مِنْ حِرَابٍ
فَإِنْ تَعَجَّبُ فَفِي كَابُولَ قَوْمٌ زَرَعْنَا فِيهِ أَلْفًا مِنْ شُهَابٍ
فَإِنْ تَعَجَّبُ فَفِي كَابُولَ قَوْمٌ جَعَلْنَاهُمْ مِنَ الْعَجَبِ الْعُجَابِ^٢

ويقول الشاعر عبد الرحمن العشماوي في قصيدة " يا رافعا علم الجهاد " :

سَيَّافٌ .. أَلْفَ تَحِيَّةٍ أَهْدِيكُمْ مِنْ أَرْضَنَا مِنْ نَبْعَةِ الْإِسْلَامِ
سَيَّافٌ ، .. قَدْ سَاقَ الْعَدُوَّ جُنُودَهُ لَكِنَّهُمْ كَسَوَابِ الْأَغْنَامِ
سَيَّافٌ .. هَذِي نَفْحَةٌ مِنْ خَاطِرِي أَلْبَسْتُهَا ثَوْبًا مِنَ الْأَنْعَامِ^٣

يقول الشاعر محمد النهاري في قصيدة " إلى سياف " :

سَيَّافٌ مِنْ سَيْفِ الْهُدَى صَيِّغَ اسْمِكُمْ أَكْرَمَ بِهِ سَيْفًا وَنِعْمَ الْحَامِلُ^٤

يقول الشاعر محمد عباس خلف في قصيدة الفتح الإسلامي وسقوط كابل :

الْمُؤْمِنُونَ الصَّادِقُونَ .. بَعْزَةٌ وَالْكَافِرُ فِي كُلِّ الْجِهَاتِ ذَلِيلُ
الْمُؤْمِنُونَ الصَّادِقُونَ بِعِزْمَةٍ وَالْخَاسِرُونَ مَسِيرُهُمْ مَشْلُولُ
الْمُؤْمِنُونَ الصَّابِرُونَ جَزَاهُمْ رَبِّي خَلُودًا، نَعَمَ ذَاكَ جَمِيلُ

^١ مجلة منار الإسلام ، العدد ٧ ، رجب ١٤٠٩ هـ - فبراير ٢٠٨٩ م ، ص ٥٣

^٢ مجلة الجهاد ، العدد ٢٥ ، ربيع الثاني ١٤٠٧ هـ - ديسمبر ١٩٨٦ م ، ص ٢٣

^٣ مجلة الأمة الإسلامية ، العدد ٥٣ ، ص ٤٥

^٤ مجلة المجتمع الكويتية ، العدد ٦٦٣ ، جماد الأول ١٤٠٧ هـ ، ص ٤٥

شَرُّ وَشَرِّكَ خَاسِرٌ مَرْدُودٌ
نَصْرُ السَّمَاءِ لِمِثْلِكُمْ إِكْلِيلٌ^١

شُدُّوا الْوِثَاقَ عَلَى النَّامِ، فَإِنَّهُمْ
شُدُّوا الْوِثَاقَ وَأَثَخَوْهُمْ، إِنَّهُ

وتكثر النداءات في غير هذا اللفظ متعاقبة مثل : قول د . عدنان نحوي في قصيدة حنين

ودموع .

يَا شُفُوفَ الْغُيُوبِ وَالْإِشْهَادِ !
بَيْنَ آيَاتِهِ وَأَيُّ جِهَادِ !
قِ إِلَى طَلْعَةِ النَّبِيِّ الْهَادِي !
عَبَقُ مَنْ دَمٍ غَنِي الرَّفَادِ^٢

يَا فَلَسْطِينَ! يَا حَنِينَ اللَّيَالِي
يَا طُيُوفَ الْإِسْرَاءِ أَيُّ جَلَالِ
يَا حَنِينَ الْبَرَاقِ يَا لَفْتَةِ الشَّو
يَا ظِلَالِ الْأَقْصَى حِمَاكَ نَدِي

وفي قصيدة بين كابل وفلسطين لنفس الشاعر :

أَحْلَى الثَّمَارِ وَأَحْلَى الْعَطْرِ وَالشَّهْدِ
مَعَ الْبُكُورِ وَهَلْ زَهَرَ الرِّيَاضِ نَدِي
يَمُوجُ بَيْنَ غَنِي الْحُلِيِّ وَالْبَرْدِ^٣

هَلْ الْبَسَاتِينُ مَازَالَتْ تَلُمُ بِهَا
هَلْ الْعَصَافِيرُ مِنْ أَعْشَاشِهَا خَرَجَتْ
هَلْ الْمَرْوَجُ هَلْ الْأَنْسَامُ هَلْ زَهَرَ

ويقول الشاعر عبد الرحمن العشماوي في قصيدة قطرة مسك من دم شهيد :

يُرْضَى سَدَاجَتَنَا يُوعِدُ قَلْبِ
نُقِلْتُ إِلَى رُؤْيِ الزَّمَانِ الْمُخْصَبِ
تُشْقِي بَاهَاتِ الْفُؤَادِ الْمُتْعَبِ
بِالْحُبِّ فِي زَمَنِ الشُّعُورِ الْمُجْدَبِ
نَحْوَ الْخُلُودِ إِلَى الْجَوَارِ الْأَرْحَبِ

أَبَا الزُّبَيْرِ عَدُونَا مُتْكَالِبْ
أَبَا الزُّبَيْرِ فَدَيْتُهَا مِنْ كُنْيَةٍ
أَبَا الزُّبَيْرِ لَقَدْ رَأَيْتُ قَصَائِدِي
أَبَا الزُّبَيْرِ قَصِيدَتِي مَسْكُونَةٌ
أَبَا الزُّبَيْرِ رَأَيْتُ قَلْبَكَ قَدْ هَفَا

^١ مجلة الجهاد ، العدد ٧٠ ، محرم ١٤١١ هـ - أغسطس ١٩٩٠ م ، ص ٣٣

^٢ ملحة الجهاد الأنغاني ، ص ١١٥ - ١١٦

^٣ من ديوان مهران القصيد ، ص ١٧٥

ويقول الشاعر الشيخ عائض بن عبد الله القرني :

أنا أمْهَرْتُ قندهارَ عيوني أتروني أبيعكم قندهارا^١

ومن خلال الأبيات السابقة نلاحظ أن صوت الشعراء - في الأبيات السابقة - (يعلو في خطابية يقتضيها الموقف ، وذلك لأن (تكرار) الشاعر الاسم الذي يتغنى به يبرز في موضع المدح والفخر ، ويحتم على الشاعر أن يسلك مسلكا خطابيا ، حين يعدد صفات ممدوحه ويفخمها^٢

٤ - تكرار صيغة الاستفهام^٣ :

نحو ما نلاحظ في قوله (أبو أحمد) في قصيدة أغيث أم سحابة صيف :

فَهَلْ نَأْسُو جِرَاحَهُمْ ؟؟

وَقَامَتْ دَوْلَةُ الْإِسْلَامِ

" تَرَى هَلْ يَرْجِعُ الْمَاضِي "

وَهَلْ مَا تَحْمِلُ الْغِيَمَاتُ غَيْثًا أَمْ سَحَابَةٌ صَيْفٌ ؟

فَهَلْ مَاتَتْ بَنَاتُ النَّخْوَةِ ؟

وَهَلْ لَمْ يَبْقَ " مُعْتَصِمٌ "

فَهَلْ لَكَ يَا رَفِيقَ الدَّرْبِ

هَلْ تَصْحُرُ ؟

تَأْمَلُ مَاضِي الْأَجْدَادِ^٤

فأنت تلاحظ أن حرف الاستفهام (هل) يمثل صيغة متكررة ثماني مرات ، يطرح الشاعر من خلالها أسئلة متلاحقة تعكس رؤيته الفكرية لموم الشعب الأفغاني في حالة الحرب ، وتشف عن توجسه وقلقه على مستقبل هذا الشعب بما لهذا من دلالة على أننا أمام شاعر لم يتقوقع في شرنقه الذات المنمقة ، ولم يحط نفسه بسياج يعزله عن قضايا عصره وإنسانيته ، وإنما هو شاعر مهوم بقضايا في نفوس المتلقين ، قادر على هز عواطفهم وإقناع عقولهم ، وتلك

^١ من ديوان لحن الخلود ، ص ١٧

^٢ د. أبو زيد ، غنى إبراهيم : الرؤية الفكرية والتشكيل الجمالي في شعر السيد الحميري ، ص ٣٠٣

^٣ السنوسي : الأعمال الكاملة ، ص ٣٩٢ - ٣٩٣ .

^٤ مجلة الجهاد ، العدد ١٣ ، ص ٢٨-٢٩ .

رسالة لا يتصدى لها غير كبار الشعراء . فإن تكرار الاستفهام يدل على حيرة الشاعر وتشعب القضية وتعدد الأدواء لذلك فهو يلجأ إلى العديد من صيغ الاستفهام لكي يعطي الحلول المتعددة لمواقف متعددة أيضا ، ويقول الشاعر أحمد سالم باعطب في قصيدة موكب الشهداء :

أَمِنَ الْعَدَالَةَ أَنْ أُشَرِّدَ فِي مَتَاهَاتِ الْحَيَاةِ ؟
أَمِنَ الْعَدَالَةَ أَنْ أَرَى وَطَنِي مُبَاحاً لِلطُّغَاةِ^١

المبحث الثاني : خصائص شعر الجهاد الأفغاني :

شعر الجهاد الأفغاني وعلاقته بالوجدان :

التجربة الشعورية هي العنصر الذي يدفع إلى التعبير ولكنها بذاتها ليست هي العمل الأدبي لأنها ما دامت مضمرة في النفس لم تظهر في صورة لفظية معينة فهي إحساس أو انفعال لا يتحقق به وجود العمل الأدبي، أما التعبير عن الانفعال الوجداني بهذه الحقيقة فهو عمل أدبي لأنه تصوير التجربة الشعورية^٢ . ولكن التعبير عن التجربة الشعرية لا يقصد به مجرد التعبير . بل رسم صور لفظية موحية مثيرة للانفعال الوجداني في نفوس الآخرين^٣ . وهذا شرط العمل وغايته وبه يتم وجوده ويستحق صفته ، ليست غاية العمل الأدبي إذن أن يعطينا حقائق عقلية ، ولا قضايا فلسفية ولا شيئا من هذا القبيل ، كما أنه ليس من غايته أن يتحقق لنا أغراض أخرى تجعله محصورا في نطاقها مصوباً في قوالبها . ليس الأدب مكلفاً أن يتحدث مثلاً عن صراع الطبقات ، ولا عن النهضات الصناعية كما أنه ليس مكلفاً أن يتحول إلى خطب وعظيمة عن الفضيلة والذيلة ولا عن الكفاح السياسي والاجتماعي في صورة معينة من الصورة الوقية الزائلة .

(أ) الوجدان في التجربة الشعرية : لا بد في التجربة الشعرية الجيدة من شرط أساسي يتحقق وهو الصدق الفني أو الصدق الشعوري ، أي أن يعبر الشاعر عما يحس به في نفسه فعلاً بدون مبالغة أو جمود وبغير هذا الشرط يفقد الشعر قيمته الأدبية^٤ ، ولهذا تضعف القصائد إذا :

١- وقف الشاعر فيها على الأوصاف الحسية والأشكال الظاهرية .

^١ ديوان الروض الملتهب : ص ٤١ - ٤٥

^٢ د. مندور ، محمد ، الحلقة الثانية ، ص ٧٩

^٣ أمين ، أحمد : النقد الأدبي ، ص ٧٧ ، كركردج : النظرية الرومانتيكية ، ص ١١٦

^٤ د. ضيف ، شوقي ، دراسات في الشعر العربي المعاصر ، ص ١ - ٥ .

٢- ما قلده فيه الشاعر غيره ٣- ما ينشده الشاعر في مناسبات المدح . وعلى هذا نرى أن العنصر المهم من عناصر التجربة هو عنصر الوجدان .

(ب) الفكر في التجربة : إذا قلنا إن التجربة الشعرية وجدانية عاطفية فليس معنى هذا أن الشعر مجرد من الفكر ، معتمد كل الاعتماد على العاطفة ، لأن الشاعر يعرض أفكاره من خلال عاطفته وحين يعبر عن شعوره تجاه حادث أثر فيه ، فلا بد أن يقدم لنا مع هذا الشعور آراءه وأفكاره^١ ، وبقدر ما يتاح للشاعر من خصوبة الفكر ورقي المعنى وجلال الموضوع يكون خلود شعره^٢ ، وعلى هذا فليست التجربة وجدانا فقط وإنما هي (نتاج) امتزاج الوجدان والفكر معا ، والشعر الخالد مزيج من الفكرة والعاطفة الصادقة ، ولذلك قال النقاد : إن الشاعر الحق هو الذي يفكر بوجدانه ويشعر بعقله . فإن التجربة إذا اعتمدت على الفكر الخاض والمعنى الجامد فقدت روح الشعر وحرارته^٣ .. وهذا هو ما عنيناه بلفظ الجمود في الصدق الشعوري .

ويسمى النقاد هذا النوع من الشعر (نظما) لخلوه من عنصر الوجدان . كما أن التجربة إذا اعتمدت على الشعور الخاض ، والعاطفة الصاخبة فقدت التجربة قيمتها وتأثيرها ، وهذا هو ما عنيناه بلفظ (المبالغة) في الصدق الشعوري .
الخيال الجزئي :

وهو (التشبيه - الاستعارة - الكناية - المجاز المرسل) ، وأحيانا يسمى (اللون البياني) (اللون البلاغي) و (الصورة الخيالية) ولا بد أن تتحقق شروط جمال الصور الخيالية لتكتمل أهم مقاييس الجمال الفني وهي :

- ١- أن تكون الصورة نابعة عن إحساس نفس صادق ، وليست مجرد صدى لإحساس ظاهري .
- ٢- أن تتلاءم مع الشعور الذي أوحى بها ، ومع الفكرة التي تنقلها حتى يكتمل الخلق الفني .
- ٣- أن تكون غنية التأثير قوية الإيحاء بعيدة عن التفسير الشكلي للأشياء .
- ٤- أن تعتمد على الإيحاء والتلميح أكثر من التصريح المباشر حتى تثير النفس وتدعو إلى الإمتاع والتأثير .
- ٥- أن تعمل على تكوين علاقات مبتكرة وروابط جديدة تأنس لها النفس ، وتؤثر في الفكر والإحساس .

^١ د . ضيف « شوقي » إليارودي « رائد الشعر الحديث » ص ٤٦

^٢ أ.أ. رتشاردز : ترجمة د. مصطفى بدوي ، ص ١٧٦

^٣ المرجع السابق ، ص ١١٢

أما في قصيدة " مجلس الخوف للشاعر عبد المنعم محمد حلمي الهاشمي^١ :

التجربة الشعرية التي أمامنا تجربة ذاتية عامة فيها معاناة وجدانية صادقة كانت دوافعها ما أحس به الشاعر من موقف المجاهدين الأفغان وقادتهم من الخداع السياسي العالمي فهم رفضوا - ولا يزالون - مبدأ التفاوض السلمي وأرضهم محتلة ، بينما في الجانب الآخر استغلوا الشعوب الأخرى في التفاوض السلمي في مجلس الخوف أو الأمن وهم بذلك يحسبون أنهم يحسنون صنعا لأنهم لم يحصلوا على شيء . وقد سيطرت عليه عاطفة الأسى والحزن والألم لما تعانيه الشعوب الأخرى رغم المفاوضة مع المحتلين في مجلس الأمن ، ومن خلال قصيدته عن المحتل نرى عواطف الحقد والكراهية للشعوب المظلومة .

في قصيدة "إلى ثوار أفغانستان" للشاعر محمد فوزي مصطفى^٢ " نظر الشاعر إلى المجاهدين فوجدهم ثوار الإسلام وهم الذين يعيدون إلى الإسلام مجده وقوته الأولى تأثر الشاعر بكل ذلك ، وانفعل وعبر عنه في قصيدة "تصور لنا الموقف الكلبي للمجاهدين الأفغان ، والتجربة في هذه القصيدة "تجربة عامة ، لأن الشاعر يعبر عما يحس به كل عربي ويتحدث بلسان الدم الذي يهدر من المسلمين كل يوم طلبا للحق ودفاعا عن كابل ، وتعتبر القصيدة "من شعر الحماسة الذي امتزج بالشكوى لأن الشاعر يتحدث على لسان الثوار الأفغان فيعبر عما أصابها من دمار ووقوف الأفغان موقف الجنود الأشاوس مثل أسلافهم الذين ضربوا أروع الأمثال في البطولة والتضحية وهدفه من ذلك حث الأمة الإسلامية على القيام للمطالبة بحقوقهم والوقوف بقوة بجانب إخوانهم الأفغان ، وقد سيطرت على الشاعر عاطفة الألم والأمل في نفس الوقت كالألم على حال الثوار الأفغان وما يلاقونه من مصاعب وشدائد وإهدار دمهم كل يوم والأمل لأنهم رغم ذلك لم يستسلموا بل يحبون الموت على حياة الذل والهوان ويرون أن الموت لهم مفخرة لأنهم بجانب الله سبحانه وتعالى . وقد عاش مع الشاعر شعراء آخرون مرت بهم هذه الأحداث ، وربما لم يتأثروا بها أو ينفعلوا كما انفعل ، كما نعلم أن شعراء آخرين عاشوا هذه الظروف ، وأحسوا بها ، وانفعلوا بأحداثها ولكنهم لم يستطيعوا أن يعبروا عنها ويتزجروها إلى كلمات يرددونها القراء من بعدهم . ومن هنا نحس صدق التجربة وقوة التأثير .

أما في قصيدة "رسالة من عربي إلى المجاهدين الأفغان للشاعر محمد مأمون نجم^٣ " لا شك أن الشاعر نقل أحاسيسه كواحد من المسلمين العرب الغيورين على الدين والإسلام وكيف تفعل

^١ مجلة الوعي الإسلامي ، العدد ٢٣٨ ، يوليو ١٩٨٤م ، ص ٣٣

^٢ مجلة الأمة الإسلامية ، المجلد ١ ، العدد ٦ ، جماد الآخرة ١٤٠١هـ ، ص ٢٨

^٣ مجلة الجهاد ، العدد ٢٨٦ ، ربيع الأول ١٤٠٥هـ ، ص ٤٤ ، مجلة الأمة الإسلامية ، العدد ٥٤ ، جماد الآخرة ١٤٠٥هـ ، ص ٦٢

يد الاحتلال بإخوانه المسلمين في أفغانستان فهو وإن لم يمر بالتجربة نفسها إلا أنه قد صدق في تعبيره وأحاسيسه لأنها تنم عن شاعر ملتحاح رأي الأهوال وكثرة القتل يستشرى في المجاهدين الأفغان .

في قصيدة "شعب وشعب للشاعر يوسف أبو هلاله" :

واضح من أبيات ال قصيدة "أنها شعلة من الإيمان ، شعلة من عزم ، شعلة من عزة المؤمن ، إنها ثورة نفس أبت الضيم ، ورفضت الدل ، ونبتت توافه الأمور ، إنها صورة لأخلاق الرجال الجديرين حقاً بالرجولة ، إنها صورة لهمة الشباب الذين بهم وبأمثالهم يعز الإسلام وينتصر ، إنها مثل يصلح ليحتذيه كل منتسب إلى أمة الإسلام يحس بأوجاعها ، ويألم بآلامها ، ويدرك أن حواجز القطيعة الأرضية لا تكفي لتقييد همة المسلم ، ولا تحذف فكره من انطلاق . من هذا المعنى كله نجد أن عناصر التجربة الشعرية متوفرة لدى الشاعر وأنه موفق في أداء المعنى والإحساس الذي يحسه والشعور لديه مليء بالإثارة والإنفعال لما يعاني منه الشعب الأفغاني وفلسطين الجريح فليس هذا بعيداً عنه لأنه من أفراد الأمة الإسلامية وعضو من أعضائها فلقد أثارت هذه التجربة وهذا الموقف الديني فكانت قريحته الشعرية من هذا المعنى كله نجد أن عناصر التجربة الشعرية متوفرة لدى الشاعر وأنه موفق في أداء المعنى والإحساس الذي يحسه والشعور لديه مليء بالإثارة والإنفعال لما يعاني منه الشعب الأفغاني وفلسطين الجريح فليس هذا بعيداً عنه لأنه من أفراد الأمة الإسلامية وعضو من أعضائها فلقد أثارت هذه التجربة وهذا الموقف الديني فكانت قريحته الشعرية الموقدة عاطفة وإثارة أخرجت لنا هذا العمل الجميل الرائع وهذه ال قصيدة "الفريدة في قوتها وأسلوبها علاوة على هذا كله فالفكرة متوفرة فيها والوجدان منهمر على أسلوب ال قصيدة "، والأسلوب رائع ومتوافق مع الغرض الشعري الذي اختاره الشاعر والمقارنة بين شعبين أحدهما كسول نؤوم والآخر شعب يريد الموت ويتسابق عليه للقاء ربه لكي ينجي غيره ثمارة الذي زرعتها فهو يزرع ويحصد ويجهد ليحصد غيره . ولقد وفق الشاعر أحسن توفيق في إخراج عمل جيد وصورة فنية جميلة .

أما في هذا النص فإن الطفل الشهيد يتفوه بأقوال وحكم تحيي خلفها رجلاً مجرباً حكيماً واعياً يدرك حقيقة الإنسان والوجود ويعرف أن الظلم لا بد زائل وأن الحضارة العصرية زائفة كاذبة تقوم على مفاهيم إجرامية ظالمة وهذا كله يشكل سقفاً عالياً للوعي لا يمكن أن يرقى إليه وعي الأطفال إنما وهو وعي الشاعر نفسه . وهكذا نرى الطفل يذكر أباه بما كان يقول له ، ثم يتابع موضحاً بأن الموت في سبيل الله هو الحياة الحقيقية ، وأن اتباع الهوى من جهل الإنسان .

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّبَعَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾^١ . لكننا في " أحمد عبد الله الزهراني " نجد والد أحمد هو الذي يلقي هذه الحكم بمعانيها نفسها بعد أن استعرض طفولة أحمد ، إذ يقول^٢ :

أُبْنِي إِنْ فَارَقْتَ دُنْيَانَا فَمَا
فَارَقْتَ إِلَّا الزَّائِلَ الْمُسْتَفْذَا
هُوَ عُمُرُنَا جَمْعٌ مِنَ السَّنَوَاتِ لَمْ
تَسْلَمْ صِيَاجَتُهُ فَأَصْبَحَ مُفْرَدًا
هُوَ عُمُرُنَا وَالْمَوْتُ أَسْلُوبُهُ
خَبَرٌ مُفِيدٌ وَالْوِلَادَةُ مُبْتَدَأُ
تَخْفَى الْحَقَائِقُ عَنْ عَيُونٍ لَا تَرَى
فِي الصَّفْحَةِ الْبَيَاضِ إِلَّا الْأَسْوَدَا^٣

ولا غرابة أن تأتي الحكمة على لسان رجل كبير مجرب ، عاش الحياة ، ورأى تقلباتها ، وله من إيمانه ما يواجه به المصائب بالصبر ، وقد قدم ابنا له مجاهدا في سبيل الله ، ولكن الغرابة أن تكون الحكمة على لسان الطفل أوضح وأجلى منها على لسان رجل كبير . فهذا والد أحمد ما كاد يبدأ بالبيت الثاني من أبيات الحكمة حتى يدخل في متاهات الصنعة التي ألغزت المعنى ، ودخلت بالحكمة في قواعد النحو والصرف التي يحتاج فيها القاريء إلى ساعة من الزمن في قاعة كلية اللغة العربية لشرح البيتين الثاني والثالث . أما البيت الأخير فيتسم بشيء من الغموض في مجال الحكمة التي تطلب إيضاح الدلالة صراحة أو إشارة . فإن الأسود أجدر أن يرى في الصفحة البيضاء ، ويغطي وجرده على وجود الألوان الأخرى التي قد تكون باهتة قريبة من البياض ، ولذلك فلا يمكن أن نقول إن الحقائق تخفى عن عيون لا ترى في الصفحة البيضاء إلا الأسود ، ولكن قد تخفى عنها من الحقيقة بمقدار الفرق بين الأسود والأبيض ، وما يقع بينهما من ألوان أخرى يختلط فيها الحق بالباطل ، فالخلال بين والحرام بين ، وهما الأبيض والأسود ، وبينهما

^١ سورة الحاقة آية ٢٣

^٢ من ديوان عندما يعزف الرصاص ، ص ٢٧-٣٦

^٣ المرجع نفسه .

أمور مشتبهات وهي الألوان الأخرى^١ . ويكاد أن يكون هذا هو الموضوع الوحيد الذي يلجأ فيه الشاعر إلى التعمية باستخدامه الرمز القاتم أما بقية رموزه فهي شفافة يقع القاريء على المراد منها بسهولة ويسر كما بينا في غير هذا الموضع . ومما يميز أسلوب الشاعر الوضوح لكنه ليس وضوحا سطحيا بحيث يبدو نسيجه الشعري باهتا مملا . لكنه يستخدم المعنى الواحد أكثر من مرة ويجعله في أكثر من قصيدة "كقوله في أشلاء أغنية حزينة" :

وَبِأَنَّ دُنْيَانَا الدُّنْيَةَ فَانِيَةٌ ؟

فالمعنى ذاته في قوله من قصيدة "أحمد عبد الله الزهراني" :

أُبْنِيْ إِنْ فَارَقْتَ دُنْيَانَا فَمَا

فَارَقْتَ إِلَّا الزَّائِلَ الْمُسْتَفْذَا^٢

فلو أنه قال :

أُبْنِيْ إِنْ فَارَقْتَ دُنْيَانَا فَقَدْ عَانَقْتَ أُخْرَى حُسْنَهَا لَنْ يَنْفَذَا

لكان أجود وأتم للمعنى ، علما بأنه شاعر متميز مجيد . وهذا يدل على ضيق قاموسه الشعري وسيطرة الفكرة على ذهنه وتحكمها به وعدم قدرته على التحرر منها .
شعر الجهاد الأفغاني وعلاقته بالفكر^٣ :

هذه محاولة للتعرف على النص الشعري وقضاياها من خلال دراسات رحبة لبعض قصائد الجهاد الأفغاني فالمهم في النص أنه لا بد من معايشة النص والصبر عليه حتى يشتعل ثم يضيء ثم يفسر نفسه بنفسه ! وعلى كل حال فإذا كان هناك ما يراد التعبير عنه فإنه لا يتحدد تماما إلا بتحدد شكل من أشكال اللغة ، وشكل من أشكال العرض الفني ، فقضية السيطرة على اللغة باعتبارها أصواتا وصورا وتكيفها بما تعالج وتناغما مع نبضة القلب بالإضافة إلى كونها في المقام الأول فكرا وبالتالي كشف أمر لا بد منه وابتداء فنحن لا نأخذ بنظرية العزل بين اللغة والفكر ، أو نظرية الاستقلال النسبي مع التلاحم وإنما نأخذ بنظرية الإنصهار الشديد بينهما^٤ ، ومع أن هذه النظريات وقفت عندها أقلام كأقلام "وتسن وجون ديوي الأمريكيين وبياجيه السويسري وفايكوتيزكي الروسي" بالإضافة إلى مجهود العلماء الفرنسيين ، ومع كثرة ما قيل عن شكلية

^١ شاعر الشام جبري ، شفيق ، بين التراث العربي والإبداع الفني ، ص ٢٥٢ ، تحقيق د. عبد الفتاح عفيفي

^٢ من ديوان عندما يعزف الرصاص ، ص ٢٧-٣٦

^٣ الهاشمي ، محمد : أثر الإسلام في الشعر الحديث في سوريا ، ص ٢٣٢ .

^٤ د. أبو ذكري السيد مرسي : العمل الأدبي بين الإبداع والآداء ، ص ١٢٧

البلاغة العربية والإهتمام بالمبنى دون المعنى ، فإننا نعتقد إلى حد كبير أن المعنى لم يكن غائبا عند الحديث عنه ، وأن شدة الغوص في اللفظ كانت من أجل الوصول إلى أقصى ما يعطيه اللفظ من معنى ، وأن تكرار اللفظة والوحدة واللون لم يكن لعثمة بقدر ما كان أمر حضارة ترغب دائما في البحث والوصول إلى المطلق ، وبقدر ما كان في الوقت نفسه سيرة فكر تراعي المجتمع حين تقرر أن لكل مقام مقالا^١ . ومن زمن الجاحظ - وربما قبله - وهم يقولون إن كثير الألفاظ لكثير المعاني ، وقليلها لقليلها ، وشريفها لشريفها ، وسخيفها لسخيفها ، ثم يحدد أخيرا حازم القرطاجني النظرية العربية تحديدا واضحا حين يقول في كتاب المناهج الأدبية (وإنما هان الشعر على الناس هذا الهون لعجمة ألسنتهم واختلاف طبائعهم ، فغابت عنهم أسرار الكلام وبدائعهم المحركة جملة ، فصرفوا النقص إلى الصنعة والنقص بالحقيقة راجع إليهم موجود فيهم ، ولأن طرق الكلام اشتبهت عليهم أيضا فرأوا أخساء العالم قد تحرفوا باعتفاء الناس واسترقاد سواسية السوق بكلام صوروه في صورة الشعر من جهة الوزن والقافية خاصة من غير أن يكون فيه أمر آخر من الأمور التي بها يتقوم الشعر ، وكأن منزلة الكلام ليس فيه إلا الوزن خاصة من الشعر الحقيقي منزلة الحصر المنسوج من البردي ، وما جرى مجراه من الحلة المنسوجة من الذهب والحرير لم يشتركا إلا في النسج كما لم يشترك الكلامان إلا في الوزن) على أنه من المفهوم أننا لا نعني باللغة تلك الكلمات المتحجرة وإنما نعني بها عملية الخلق الذكي الجديد الذي يعطي الحساسية الجمالية لكل عصر ، فهي إذا كان من بعض مكوناتها الآن الصورة والرمز والأسطورة والتقطيع السينمائي والعرض القصصي، والتوتر الدرامي ، والتباين بين طريقة التعبير وما يعبر عنه .. إلخ فإنها في الماضي كانت العزف الموسيقي المنفرد ، والتشكيل البلاغي ، وتكرار الوحدة والإنسجام بين طريقة التعبير وما يعبر عنه .. إلخ على أن هذا لا يعطي العصمة المطلقة لكل عصر فما أكثر الذين عبروا بأفكار خاطئة عن عصرهم ، وبلغة فاسدة لا تعبر عن تجاربهم وبيئاتهم . ما نريد أن نصل إليه أننا لا نريد أن نصادر بحضارة على حضارة ، ولا بعصر على عصر ، ولكن نريد أن نصل إلى ما يمكن أن يسمى (الحق الشعري) لكل عصر ، وفي الوقت نفسه نرى أن هناك من الشعر ما يستطيع بقدراته الذاتية التجول في كل الأزمنة ، وبخاصة تلك القصائد التي صهرت صهرا تاما لغة وفكرا وعاطفة ، والتي أصبحت كالسبيكة على حد تعبير ابن الأثير ..

ولنبدا ب قصيدة " على المفرق " للشاعر أحمد محمد الصديق^٢ .

^١ جبري ، شفيق ، بين التراث العربي والإبداع الفني تحقيق د. عبد الفتاح عفيفي ، ص ٥٢٣ .

^٢ مجلة المجاهد ، العدد ٦٩٧ ، صفر ، ١٤١٢ هـ - أغسطس ١٩٩١ م ، ص ٢٢

القصيدة التي معنا تعتبر من القصائد الصادحة في شعر الجهاد الأفغاني . وإذا نظرت إلى أفكار القصيدة "تراها قوية ومرتبطة بالموضوع وشاملة ، مرتبة ترتيباً سليماً وبينها تآلف وانسجام ونراه قد ابتعد عن تقليد الشعراء السابقين واعتمد فيها على الوجدانيات أكثر من العقل والحسيات وحين يصور المعارك التي دارت بين المسلمين بعضهم البعض وسفك الدماء من الجانبين فإنما يؤكد ما وصل إليه حاضِر الأمة العربية من بؤس ومعاناة بينما كان ماضيهم غير ذلك تماماً ، وقد غلب عليه في أبياته شعر الحماسة والوطنية وشعر الدعوة الإسلامية ، وغلبت عليه أيضاً عاطفة الحزن والأسى على ما أصاب المجاهدين من قتالهم لبعضهم ، وقد قدم موضوعه بما يسمى (براعة الاستهلال) ودخل على موضوعها مباشرة وذلك لأنه سيرثي الأخوة القتالين من قادة الجهاد الأفغاني ، فلقد بدأ بمقدمة بانسة حزينة تعتبر ثمرة لكل ما حدث ، ومن هنا كانت صرخته بأن هذا الأمر كاد أن لا يقوم لأنه لم يستوعب بعد ما حدث ! إن هذه الأبيات التي تعتبر مقدمة حزينة ، تصور حال الإنسان الذي يتفجر باكياً ثم يقول كلاماً عاماً متشجعاً ثم بعد أن تنجلي عنه غمرة البكاء يبدأ في سرد قصة ما بيكيه . ثم يأتي الشاعر بعدة استفهامات متتالية ليعمق المأساة وليحفرها حفراً في وجدان الناس وعقولهم ، ذلك لأنهم تعرضوا للشارب الذي لم يكمل كوبه ، وللأخ الذي شهد مصرع أخيه بين مصارع الآخرين ، وللأب الذي أحس بفترة الزمن الرهيبة بين السيف في أعلى نقطة وبين رأس أعز أولاده ، وللعزيز المفدى الذي لم يجد من يدافع عنه ، وللرضيع الذي فطمه السيف ، والملاحظ أنه لم يسرد أخباراً عن أناس قتلوا أو أهيئوا ، وإنما يقدم شريطاً حياً للمأساة حدثت بالفعل بين الأخوة المتقاتلين من قادة الجهاد التي تؤكد وقوع الحادث ، والفعل المضارع الذي لا يزال يرسم الصورة القائمة ، وقد كان موفقاً في اختيار النماذج التي تحرك المشاعر ، إلا أنه يطرح العديد من الأسئلة المؤثرة ، فحتى متى هذا القتال والدم ؟

وَ خَفَّ سَعَارُ الْحَقْدِ . وَ هُوَ مُحَرَّمٌ ؟
بِكُم نَارُهَا قَبْلَ الْعَدَا تَتَضَرَّمُ ؟
بِهَا طَالَمَا كُنَّا نَهِيْمُ وَ نَحْلُمُ ؟
عَلَى صَخْرَةٍ مَشْنُومَةٌ تَتَحَطَّمُ ؟
وَلِلْمَوْتِ .. فِي تِلْكَ الدِّيَارِ تَقْدَمُوا ؟

أَمَا شَبَعَتْ مِنْ جُوعِهَا نَهْمَةُ الْوَغَى
أَمَا انْقَشَعَتْ عَنْكُمْ غَشَاوَةُ فِتْنَةٍ
أَسْأَلُ نَفْسِي : أَيْنَ أَحْلَامُهَا الَّتِي
خَيَالٌ تَرَأَى ؟ أَمْ مَطَامِحُ أُمَّةٍ ؟
وَأَيْنَ شَبَابٌ فَارَقُوا الْأَهْلَ وَالْحِمَى

وَأَيْنَ جِبَالُ التَّضْحِيَّاتِ؟ تَنَاطَرَتْ
وَهَالَهُ نَصْرُ يَوْمٍ أَشْرَقَ نَوْرُهَا
هَبَاءُ! فَهَلْ تَبْكِي ذَوِيهَا وَتَنْدَمُ؟
وَقَفْنَا لَهَا فِي شِعْرِنَا نَتَرَنُّمُ؟^١

ثم يقول : بالعطف على البيت الذي قبله :

وَكَاثَتْ عُرَى الْإِيمَانِ تَجْمَعُ بَيْنَكُمْ
وَسَيَّانَ مَغْلُوبٌ هُنَاكَ وَغَالِبٌ
أَهَذَا هُوَ الْإِسْلَامُ؟ كَلَّا وَإِنَّمَا
فَمَا بَالُ هَاتِيكَ الْعُرَى تَتَفَصَّمُ؟
تُرَى مَا الَّذِي يَوْمَ الْجَزَاءِ سَيَغْنَمُ؟
جُنُونٌ .. بِهِ رُكْنُ الْعَقِيدَةِ يُهْدَمُ^٢

ثم يذكر النكبة في فقد القدس وضياع الإسلام بسبب التناحر والقتال الذي يهدم قوة الإسلام وشبابه وتركنا عدونا خلفنا يكيد لنا وللإسلام شر كيد ﴿اسْتَكْبَاراً فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾^٣ وسيان الغالب والمغلوب فكلاهما واقف أمام الله يوم الجزاء والحساب^٤ ، ثم يحثهم ويحضهم إلى الحسم في هذه القضية الخاسرة لأن هناك حسابا يفصل بينهم وهو أمر محتم لا محالة . ثم تذكر مرة أخرى أيام الحرب وما تركه من دمار وروبال وهلاك فإنها تيمم الأطفال وترمل النساء وإن الشعب يتصل منهم ومن أفعالهم وحينئذ لا مجال ولا ملجأ إلا الله ثم أتى بأسلوب استفهام آخر غرضه النفي فيقول: أهذا هو الإسلام؟ ويرد على نفسه قائلاً :

أَهَذَا هُوَ الْإِسْلَامُ؟ كَلَّا وَإِنَّمَا
جُنُونٌ .. بِهِ رُكْنُ الْعَقِيدَةِ يُهْدَمُ^٥

لم يأمر الإسلام ولا رسولنا الكريم بهذا وإنما نهانا أن نتقاتل مع بعضنا وقد ورد ذلك في القرآن الكريم في سورة الحجرات ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ

^١ مجلة المجاهد ، العدد ٦٩٧ ، صفر ، ١٤١٢ هـ - أغسطس ١٩٩١ م ، ص ٢٢

^٢ المرجع نفسه .

^٣ سورة فاطر آية ٤٣

^٤ الفاضلي ، محمد عادل ، ص ١٧٢ ، أثر الإسلام في الشعر الحديث في سورية ، ص ٦٦

^٥ المرجع نفسه

بَعَثَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ، إِنَّمَا الْمُؤْمِنِينَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١﴾

فكما بينت لنا الآيات القرآنية الكريمة أن نكون إخوة متحابين لا أن نكون وقودا للطامعين المستعمرين الخاقدين على الإسلام والمسلمين فلتتحد ولكن يدا واحدة ننقذ بقية الضعفاء المتناثرين الذين يتألمون ويتوجعون لما أصابهم ، ولنحذر فإن العمر ضيق والصبر قد نفذ منا وباتت حواشيها تنقم ، ثم اختتم قصيدته بحكمة رائعة فإما أن نكون متحدين تحت راية الله وعناية الرحمن ونوحد شملنا ، وإما أن نكون عرضة للشيطان يتخبطنا بوساوسه وأهوائه ويدخل بيننا فيرعى ويحكم فينا وحينئذ نكون قد خسرنا الدنيا والآخرة أعاذنا الله من ذلك .

وفي قصيدة "زحف الجهاد" للشاعر أبو دجانة الأمارتي^٢ وهي من عيون الشعر العربي التي قيلت عن الجهاد الأفغاني ووقوفهم ضد العدو الغاشم وهذه القصيدة " تحمل أفكارا متنوعة إلا أنها ملتزمة ومرتبطة أشد الارتباط والأفكار هي " :

- ١- التحدث عن بطولات المجاهدين ٢- صفات المجاهدين ٣- أفعال المجاهدين
٤- الحث على الجهاد ٥- رفض الاحتلال ٦- السهر في سبيل

النصر

الدين هو الدينونة والخضوع لذات غيبة علوية مقدسة وشأن المتدين إنه يطلب وراء كل حس يخشع لعظمته بحركة نفسية تحمل التقديس والاستجابة^٣ .

والأفكار التي معنا تحمل من المعاني الإسلامية الكثير فإذا تحدثنا عن :

الفكرة الأولى :

وهي بطولات المجاهدين وجدناه قد استخدم التجريد في القصيدة جعل كابل شخصا يخاطبها وتخاطبه^٤ (فالأماكن المرتفعة تتحدث عن سيرة وتاريخ الأبطال الذين دكوا المعتدي الغاشم الأثيم فلقد أذاقوا الروس أشد المصائب وجرعوههم كؤوس المنايا واحدا بعد واحد فخروا قتلى وصرعى بأسلحتهم تاركين ما جلبوه وراءهم وليعتبر كل من تسول له نفسه أن يعتدي على

^١ سورة المحرات آية ٩ ، ١٠

^٢ المصدر مخطوط في مكتبة الباحثة

^٣ الدراز ، محمد عبد الله - الدين ، ص ٣٦ - ٣٧

^٤ الهاشمي ، محمد عادل ، أثر الإسلام في الشعر الحديث في سوريا ، ص ٨٥ - ٩٧ .

بلد الإسلام والمسلمين لأننا رهن دعوة الله ودعوة الإسلام فدائماً على استعداد وجيوشنا وكتائبنا واقفة بالمرصاد لسحق المعتدين السوفييت وليعلموا أننا أبينا الذل والهوان والصغار وقد عقدنا العهد على حياة عزيزة فلن نرضى أن نسجد لغير الله أو أن نخني الجبين لأي مخلوق لأننا اشترينا الآخرة بالدنيا ولا نبالي بما يفعله السفهاء والجبنة لأن الجنة مثوى للمؤمنين.

الفكرة الثانية :

بكل عزم وقوة وثبات لأننا متطلعين إلى العلا والتقدم لا إلى التخلف والتدهور وهذه من شيم المؤمنين المجاهدين لأننا أقسمنا بأن لا نرضى الهوان والذل فينا ونحن على استعداد بأن نلاقي المنايا مبتسمين لا متجهمين ولا خائفين فنحن جنود محمد صلى الله عليه وسلم عباد بالليل فوارس بالنهار ندخل المعارك ونتصدى للأعداء فلا نهاب الموت أو نخشاه^١ ، وفي الحرب وفي دائرة الوغى سنجعلها حرباً ضرورياً على الأعداء ، وسنمضي لن تأخر أو نستكين نصنع التاريخ المشرق الذي يشع ضياؤه في العالمين وسنروي أرض كابل من دمانا ونفتديها بكل غال وثمين ونهتف منشدين مرددين أننا أسود إن دعانا المجد والعلواء فنحن نلبي الدعاء ونكون على أهبة واستعداد فإذا نادى منادي الجهاد ألا هلموا غمضي وشعارنا الله أكبر والعزة للإسلام وندخل المعارك ننشد نحن النصر والعزة والقوة وما هذه الأناشيد وتلك الألحان إلا من صياغة سيوفنا وإن هتفت جنان الخلد هيا هتفتنا لقد أتينا بجهادنا وأرواحنا وإسلامنا وعزتنا للإسلام والمسلمين .

الفكرة الثالثة :

وهي أفعال المجاهدين : فأفعالهم وأعمالهم قذف الرعب في قلوب الأعداء وهذه من سمات المؤمنين المخلصين . قال الله عز وجل : ﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارِهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَمْ تَطَّأُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۝٢١ ﴾ الآية . ولقد عاد المعتدي الجبان بالخزي والعار والندامة وسبق صامدين بكل ساح ونرفض الذل ونأباه حتى لو فينا وهذه مبالغة من الشاعر محمودة في مثل هذا المقام وهذه الصفات للمؤمنين وسنرفع الأعلام خفاقة في شموخ وإباء وعزة ونفتح كل صرح مشيد للأعداء لأننا جنود الله . يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

^١ كيان ، سامي : الأدب العربي المعاصر في سورية دار المعارف ، مصر ١٩٢٣ ، ص ١١٣

^٢ سورة الأحزاب آية ٢٦

يُؤَادُونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ^١ . ثم يستطرد الشاعر قائلا: إن كتاب الله فيه الدواء لكل داء وكم أحيا نفوسا وقلوبا قد سول لهم الشيطان أعمالهم فصدتهم عن سبيل الله وعن الصراط المستقيم ، وكم أنجى كتاب الله حيارى كثيرين قد ضلوا وتاهوا في غياهب الظلام والفسق والفجور ، ولقد توجعت الخلافة الإسلامية وتئن ردحا طويلا من الزمن ولكن لن نتركها على ما هي عليه فنطبق شرع الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وإذا كان هذا دابنا وديدننا فإن الزمان سوف يسألنا عن زمن هذه الخلافة الراشدة وعهد الخلفاء الراشدين ^٢ . فلن تبلغ المجد حتى تلعق الصبر ولن تنال المجد يا حليف الوسائد ، فمتى كان المجد لقوم خاضعين ؟!

الفكرة الرابعة :

رفض الاحتلال وإنا أصحاب تاريخ عريق يحكيه الزمان ويرويه الدهر حيناً بعد حين ^٣ ، فلا التاريخ ينسى ما صنعنا وإن نسي الزمان وإن نسينا سنقف بالمرصاد للروس وللطغیان ونرفض أشد الرفض أن يحل الذل والهوان فينا لأننا أصحاب محمد وأتباعه الذين قال الله فيهم : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ^٤ .

سنحمل راية التوحيد خفاقة شامخة تزهو بكل فخر واعتزاز ، ونجتاز الصعاب والمرتفعات والجبال والحصون والقصور المشيدة وسيحكي التاريخ ما فعله كما حكى و سطر عن نور تاريخ

^١ سورة المجادلة آية ٢٢

^٢ مجلة الرسالة المصرية ، ص ٩٠٦

^٣ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٣١٧/٢ .

^٤ سورة الفتح آية ٢٩

وعهد صلاح الدين الذي حتى القدس وطهرها من أيدي الصليبيين ، ثم يوجه الشاعر نصيحة في آخر قصيدته فهو يخاطب فتى الإسلام (ليس فتى بلد بعينها وإنما الخطاب عام لكل مسلم فقد مضى عهد طال نيامنا فيه وطالت غفلتنا وقد مر دهر كنا فيه هجع فآن لنا أن نفيق من غفلتنا ونستيقظ من هذا النوم العميق فلا نطبق جفوننا ونكون على استعداد تام لما يحيق بالإسلام والمسلمين .

ومن ثم تأتي عناية الإسلام بالفكرة ، وهي عناية تماثل وقد تفوق العناية بالكلمة لأن الكلمة ليست إلا قناة توصيل فقط ، أما التأثير الحقيقي والتغير الحقيقي فهو للفكرة ، ولم يكن الشاعر العربي القديم متجاوزا للحقيقة حينما قال :

لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالدَّمِ

وقال غيره :

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا الْأَصْغَرَانِ : لِسَانُهُ وَمَعْقُولُهُ وَالْجِسْمُ خَلْقٌ مُصَوَّرٌ

وأصل هذا المعنى في قولهم : إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، ومن هنا كانت عظمة البيان تقوم على ركيزتين (عقل ناضج صحيح التفكير ، ولسان يملك ناصية العقول بالإقناع والقلوب بالتأثير ، وكلما علا نصيب البيان من هاتين الركيزتين ارتفعت قيمته وعلت مكانته) ، والمثل الأعلى في ذلك هو القرآن الكريم ، ذلك الكتاب الذي فرق بين الحق والباطل ، وجمع بين الحق والبيان أو بين الحقيقة والجمال .

وآفة الآفات أن يعلو نصيب الإنسان من اللغة ويقل نصيبه من الحق أو ينعدم فهذا هو مدخل الشرور والآفات ، وفيه تكمن مقاتل الإنسان والأمم ، لذا كانت الكلمة في الإسلام كلمة مسئولة وكانت هذه المسئولية من أعظم المسؤوليات ، وما أكثر ما تحدث العلماء عن فضل السكوت خوفا من تبعات النطق والبيان ، وما أكثر ما وردت آثار تحذر من آفات النطق إذا لم يكن له رصيد من الحق ، وفي حديث أبي هريرة الذي رواه الشيخان : (وإن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب)^١ وفي الحديث الذي رواه أحمد (تشقيق الكلام من الشيطان)^٢ وفي الحديث الذي رواه أبو

^١ البخاري : الترغاب ٢٣ مرجع سابق ، مسلم : أثره ص ٤٩ - ٥٠ .

^٢ أحمد بن حنبل ٦٤٢ المسند للإمام أحمد بن حنبل تحقيق أحمد محمد شاكر

داوود وأحمد والترمذي (إن الله يبغيض البليغ من الرجال) ^١ ومعاذ الله أن تكون البلاغة المذمومة هنا بلاغة الحق ولكنها بلاغة الباطل فهذا النوع من الرجال استقام لسانه ولم يستقم عقله وقلبه ، وانظر إلى هذا التوازن الذي تحه محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بين العقل والعلم واللسان حينما قال وقد ذكرت عند بلاغة رجل من أهله : (إني لأكره أن يكون مقدار لسانه فاضلا على مقدار علمه ، كما أكره أن يكون مقدار علمه فاضلا على مقدار عقله) . البيان والتبيين ٨٥/١ وقال الجاحظ : (ومما يؤكد قول محمد بن علي بن عبد الله بن عباس قول بعض الحكماء حين قيل له : متى يكون الأدب شرا من عدمه ؟ قال : إذا كثر الأدب ونقصت القرينة) وأحسن الكلام عند الجاحظ (ما كان قليله يغنيك عن كثيره ، ومعناه في ظاهر لفظه ، وكان الله عز وجل قد ألبسه من الجلالة وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله ، فإذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا ، وكان صحيح الطبع ، بعيدا عن الاستكراه ، ومنزها عن الاختلال ، مصونا من التكلف ، صنع في القلوب صنع الغيث في التربة الكريمة ، ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة ، ونفذت من قائلها على هذه الصفة أصبحها الله من التوفيق ، ومنحها من التأيد ما لا يمتنع معه تعظيمها صدور الجبابرة ، ولا يذهل عن فهمها معه عقول الجهلة) .

وفي قصيدة "إلى ثوار أفغانستان" للشاعر الدكتور محمد فوزي مصطفى^٢ إيمان بنصر الله لا يتزعزع ، يبدو ذلك منذ مطلع ال قصيدة "الله أكبر قد أطل نهار" فبدأ ال قصيدة "بلفظ (الله) فيه براعة الإستهلال فهو سبحانه (أكبر) وإذا انتقلنا إلى الأفكار نرى فيها التكلف واضحا فكثيرا ما يطرق الشاعر الفكرة ، ثم ينتقل إلى أخرى ولكنه لا يلبث أن يعود إلى الفكرة الأولى . كما أن الشاعر يخلط بين الأفكار المختلفة ، دونما فصل فيما بينها ، فلقد تحدث عن الإسلام وثورته مثلا ، ثم عن المفهوم الإلحادي ، ثم عاد إلى الحديث عن الإسلام ثم مرة أخرى عاد إلى الإلحاد مرة ثالثة ، ثم عاد يوجه إرشاداته ومعلوم أن الانتقال من فكرة إلى أخرى ، وقبل استيفاء جوانبها يشوه العمل الأدبي . فالأفكار نوعان :

- ١- فكرة كلية وهي العنوان الذي يصلح لمجموعة مترابطة من أبيات النص .
- ٢- وفكرة جزئية وهي فكرة كل بيت ، أو مقطوعة ، أو فقرة نثرية على حدة مجردة من صور الخيال .

^١ أنر داود : الأدب ٨٦ - عود المبرود شرح سنن أبي داود للعلامة أبي الغلب محمد شمس الحق العظيم آبادي ضبط وتعقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، الترمذي : الأدب ٧٢ ، أحمد بن حنبل ٢ / ١٦٥ - ١٨٧ .

^٢ مجلة الأمة الإسلامية ، المجلد ١ ، العدد ٦ ، جماد الآخرة ١٤٠١هـ ، ص ٢٨

أما المقاييس الجيدة للأفكار فهي :

- ١- كثرة الأفكار في النص .
 - ٢- قوتها ومدى ارتباطها بالموضوع وما فيها من شمول .
 - ٣- ترتيبها ترتيبا سليما وتألفها .
 - ٤- الجدة والإبتكار والبعد عن التقليد .
 - ٥- وضوح الأفكار واعتمادها على الوجدانيات أكثر من اعتمادها على الحسيات .
 - ٦- مزجها بالعاطفة القوية حتى تحدث أثرا في نفس القاريء أو السامع ، وإذا فقدت أفكار النص شرطا من هذه الشروط كان هذا هو العيب الذي تعرضه في نقدك للأفكار .
- فشاعرنا يقول : إن تبشير الصباح بدت ، فلم يرهبنا استشهاد ، فذلك ما نرجو ونتمنى ، فلقد عادت للإسلام الحياة وقام رجال يقتفون أثر قائدهم صلوات الله وسلامه عليه ، فلا بد لليل (كابل) أن يندحر ويندثر ، ولا بد لحلقات الدرع أن يلتشم حدها ، وتبرغ شمس الإسلام .
- ثم انتقل الشاعر إلى فكرة أخرى يتحدث عنها وهي أن الملحدين يحاربون الدين ، زاعمين أنه أفيون الشعوب ، جاهلين أن الدين لله ولا نصلح بغيره ولقد وجد الملحدون رجالا أمامهم يستعذبون الآلام ، ويتقدمون إلى الموت غير وجلين ، مما جعل الملاحدة الفاسقين ترتعد فرائصهم من الجهاد ومن المجاهدين الأفغان ، وغدت حياتهم جحيما لا يطاق ، كما قال الله تعالى في سورة الانفطار : ﴿ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۝١ ﴾ . وقال أيضا في كتابه العزيز : ﴿ أَوَلَيْكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ۝٢ ﴾ ولكن المجاهدين لا حقوهم إلى أوكارهم ، مفضلين الموت الشريف على الحياة الدليلة ، غير عابئين بطائرات العدو وآلاته ، مهما دمرت وأحرقت . ولقد صمد من قبلهم أبطال ، خلد التاريخ ذكرهم ، كعمر المختار الذي لم يرحم الطليان شيبته ، فكانت كلمتهم الرصاص ، فلتكن كلمات المجاهدين رصاصات كذلك ، وهما هم يكمنون للغزاة ويذيقونهم الموت الزؤام ، فلقد ساءت أخلاق الغزاة ، وشرست نفوسهم ، وتحجرت قلوبهم ، أما عيونهم فينبعث منها شر الحقد ، وعلى المجاهدين ألا يأسوا ، فقد لاحت بوادر نصر يراه المبصرون ! جلليا بارزا ، وعلى الأمة أن تتوحد ، وأن تقف سدا منيعا أمام أطماع أعداء الله ، وحدة تقهر الأعداء ، فلا تفعل آلاتهم ، وبذلك تتحرر كابل ، وبذلك تتطهر القدس ، حين نغزو كلنا جنود محمد صلى الله عليه وسلم فعندها لا تهزمنا قوة .

^١ سورة الانفطار آية ١٤

^٢ سورة عبس آية ٤٢

وتزلزل ركن الضلال الذي يحميه أعداء الله . (وجلجل تكبيرنا في الجبال) فقد دلت على الفرصة بالنصر فالتكبير فقد كبر المسلمون وكبر معهم الرسول صلى الله عليه وسلم في فتح خيبر عندما قال : (الله أكبر خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين)^١ . (ويحصدهم منجل الرعب حصدا) فلفظة الرعب توحى بالخوف الشديد لدى أعداء الله والهلح الذي أصابهم بعد نزول الهزيمة بهم فهم يحاربون قوما يحبون الموت كما يحبونهم الحياة . (ويضحك في الأفق وجه الهلال) فتدل على انتصار المسلمين على أعدائهم ، فهو شعار الإسلام ، وهو ميقات للحج وغيره . ثم الفكرة التالية وهي : (الله يعين المسلمين حينما تكون نياتهم في القتال من أجله) وقد دل على هذه الفكرة من المقطع ألقاظ وجل متعددة منها : (هنا [بدر] و [الفتح] و [القادسية] فهذه المعارك رموز لكل معركة ينتصر فيها المسلمون بعون الله وقدرته لأنهم يحاربون من أجل إعلاء كلمته وليس من أجل مال ولا قطعة من الأرض . (ويلمع كالبرق سيف القدر) فسيف القدر لا يلمع إلا عندما يطلب المسلمون بقتالهم وجه الله تعالى . وهكذا إلى آخر القصيدة :

أَحَسْتُ أَنَّ سَهْمًا شَكَّ مَبْهَمَهَا

أَغْثَنِي يَا إِلَهَ الْكَوْنِ يَا رَبِّي

نَدَاءُ رَدَّدَتْهُ الطِّفْلَةُ الْحَسَنَاءُ وَابْتَسَمَتْ

وْغَابَتْ سَاعَةً عَنْ وَعْثِهَا

وَالْكَوْنُ مَبْهُورٌ بِبِسْمَتِهَا^٢

ويأتي الأب الشيخ ليشهد ما حل بابنته الوحيدة فيثور ثورة الانتقام ، ويأتي " نداء " من

عائشة :

وَجَاءَ نَدَاءُ عَائِشَةَ

فَكَانَ الْبَلَسُ الشَّافِي

رُؤْيَدَكَ يَا أَبِي الْغَالِي

تُرَانِي فِي الْأَسَى وَجَدِي

^١ البخاري: الصلاة ٧٢ // الأذان ٦ // الخوف ٦ // المناقب ٢٨ ، الساني : الصيد ٣١ - الحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب

الساني : من الساني شرح الحافظ جلال الدين السيوطي ، الموطأ : الجهاد ٤٨ .

^٢ من ديوان عندما يعرف الرصاص ، ص ١٠ .

أذوقُ نكايةَ الباغي^١

وتتابع عائشة توجيه النصائح والإرشادات لوالدها فيسير القاريء مع المشهد دون أن يلاحظ الموقف الخفي الذي مر ونسجه الشاعر بلطف ، وأعود بك إلى بداية المشهد ، فعائشة نادت مرتين ، في الأولى : نادت ربها مستغيثة ، وابتسمت ، وغابت ساعة عن الوعي ، وانبهـر الكون بهذه البسمة . وأنا أسأل : هل هذه لحظة ابتسامة ؟ وكيف ارتسمت في فم عائشة الذي مزقته الشظية ؟ والجواب : أن الله سبحانه أفاض رحمته على هذه الفتاة الصغيرة التي التجأت إليه فأغاثها ، وأفاض عليها إكرامه ، فلم تشعر بألم الجرح ، ولم تبك ولم تجزع ، بل اكتسبت من الموقف ثباتا عظيما .

المبحث الثالث : مؤثرات شعر الجهاد الأفغاني ومصادره :

بينت فيما سبق أن شعر الجهاد الأفغاني في معظمه كان صادرا عن عاطفة جياشة ، ولهذا كان طبيعيا أن يفرغ الشعراء مضمون قصائدهم في صور فنية جميلة تبرز روعة المعاني ، وتصوغ الأفكار صياغة محسوسة ودقيقة . وتعتمد الصورة الشعرية على المجاز بأنواعه المختلفة وخاصة التشبيه ، وقد عد ابن رشيق القيرواني (الاستعارة أول أبواب البديع ، وليس في حلبي الشعر أعجب منها ، وهي من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها ونزلت موضعها)^٢

أ - مفهوم الصورة :

تستعمل كلمة الصورة - عادة - (للدلالة على كل ما له صلة بالتعبير الحسن ، وتطلق أحيانا مرادفة للاستعمال الاستعاري للكلمات)^٣ ، وتعد الصورة وسيلة الشاعر في (نقل فكرته وعاطفته معا إلى قرائه أو سامعيه)^٤ وبواسطتها يستطيع الشاعر تشكيل أحاسيسه وأفكاره وخواطره في شكل فني محسوس .

فالصورة الشعرية إذن هي من المجالات الهامة في الحكم على إبداع الشاعر^٥ ، فالمعاني عامة لدى جميع الناس ، ومنهم الشعراء ولكن العبرة في مدى قدرة الشاعر على صوغ هذه المعاني في ألفاظه وقدرته على تصويرها^٦ (وكم من معنى حسن قد شيد بمعرضه الذي أبرز فيه ،

^١ من ديوان عائشة يحرر: الرضاوي ، ص ٨٠ .

^٢ القيرواني ابن رشيق : العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ج ١ ، ص ٢٦٨ .

^٣ د. ناصف مصطفى : الصورة الأدبية ، ص ٣ .

^٤ الشايب أحمد : أصول النقد الأدبي ، ص ٣٤٢ .

^٥ مبدلتون موري ، مرجري بولتون ، تعريب وتقديم محمد حسن عبد الله : اللغة الفنية ص ٤٢ .

^٦ الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر : البيان والتبيين تحقيق وشرح عبد السلام هارون ج ٣ ص ١٣٢ ، د. محمد غنيمي هلال : النقد

الأدبي الحديث ص ٤٤٣ مرصع سائق ، د. عز الدين إسماعيل : الأدب وتكوينه ص ١٤٠ ، د. مصطفى ناصف : الصورة الأدبية ٢٣٦

وكم من معرض حسن قد ابتذل على معنى قبيح ألبسه ^١ . والصورة الشعرية ليست اختراعا حديثا ، فشعرنا العربي القديم حافل بالصور الشعرية البارة التي استخدمها الشعراء في تجسيد أحاسيسهم ومشاعرهم والتعبير عن رؤيتهم الخاصة للوجود ، بيد أن أول من أطلق تسمية التصوير على الشعر صراحة هو الجاحظ حينما ذهب إلى أن الشعر (صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير) ^٢ .

وكانت العلاقة بين عناصر الصورة القديمة على قدر من الوضوح وقرب التناول ، ولعل علاقة (المشابهة) كانت هي أكثر العلاقات بين عناصر الصورة شيوعا في القصيدة الموروثة ، ومن ثم فإن معظم جهود النقاد والبلاغيين العرب في دراسة الصورة الشعرية دارت حول تلك الصورة التي تقوم على أساس فكرة المشابهة ^٣ ، إذ ركزوا جهودهم على دراسة التشبيه والاستعارة التي هي من وجهة نظر البلاغة العربية والنقد العربي القديم تشبيه حذف أحد طرفيه ^٤ . تمثل الصورة الشعرية عنصرا أساسيا من عناصر التشكيل الجمالي في شعر شعراء الجهاد الأفغاني ، وهم يسعون من خلالها لا إلى مجرد تسجيل التشابه الحسي بين طرفيها ، بل يسعون - أيضا - إلى التعبير بها عن حقائق نفسية وشعورية بداخلهم ، وإلى تصوير رؤيتهم الخاصة لأبعاد الوجود ، وخلق إحساس بالتجربة التي يعيشها لدى المتلقي أو نقله إلى حالة من الإنفعالات تشبه - إلى حد ما - تلك الحالة التي مر بها الشاعر أثناء عملية الإبداع ^٥ . ومن خلال مراقبتنا للصورة الشعرية عند شعراء الجهاد الأفغاني نستطيع القول بأنها تأثرت بعدة عوامل مثل :

ب - مؤثرات البيئة الطبيعية على الشعراء العرب :

إن الصورة الشعرية مستقاة من بيئتهم ومدى معرفتهم لطواهرها وقد استغلوا ملاحظاتهم في الناحية الفنية الأدبية ، فالأدب إذن هو أمر طبيعي تدل عليه دلالة كثيرة من شعرهم ، وهو أوضح ما يكون في صورته التشبيهية .

ومن هذه الصور : قول الشاعر : من قصيدة " الله أكبر " :

يَتَشَامَخُونَ عَلَى الْعِبَادِ كَأَنَّهُمْ شَادُوا الْجِبَالَ بِعِزِّهِمْ أَوْ عَمَرُوا
نَصَبُوا حُصُونًا شِيدَتْ مِنْ جَنْدَلٍ لَا يَرْتَقِي طَيْرٌ لَهَا أَوْ أَنْسُرٌ

^١ لابن طباطبا العلوي : عيار الشعر : تحقيق د. عبد العزيز ناصر المانع ص ٣٠ .

^٢ الجاحظ : الحيوان (١٣٢/٣) تحقيق عبد السلام هارون .

^٣ زكي نجيب محمود : فنون الأدب ص ٧٢ وما بعدها .

^٤ د. الوصفيني عبد الرحمن : المستدرك في شعر بني عامر من صغته ، ص ٢٧١/١ .

والترجمة للأستاذ زكي نجيب محمود ، ص ٧٩ . H.B. charlton : The Art of Literary

+ د. داود أنيس : التجديد في شعر المهجر ، ص ٤١ .

لَكِنَّ عَصْفَةَ قَادِرٍ مُتَجَبِّرٍ تَرَكْتُ نَعِيقَ الْبُومِ فِيهَا يَصْفُرُ
تَرَكْتُ يَبَاباً كُلُّ قَصْرِ شَامِخٍ كَانَتْ بِهِ تَزْهُو الشُّمُوسُ وَتُزْهِرُ
إِنَّ الْمُجَاهِدِينَ الْأَفْغَانَ يَلْفُهِمْ صُبْحَ الْهُدَى وَضِيَآؤَهُ الْمُتَفَجِّرُ^١

في هذا النص يصور الشاعر جيروت الطغاة وتشائمهم على العباد بغير وجه حق ثم يصور سقوطهم المذل وسقوط حصونهم جراء ضربات المجاهدين العنيفة فيجرف تيسار الحق هؤلاء الفراعنة الصغار ويلقي بهم في منحدر الموت السحيق وقد اعتمد على التصوير البياني في أداء بعض معانيه فنلاحظ لديه الكناية في موضعين^٢ (تركت نعيق البوم فيها يصفر) كناية عن خراب تلك الحصون و (لا يرتقي طير لها أو أنسر) كناية عن ارتفاعها .

وقد استمد عناصر تلك الصورتين من البيئة الصحراوية وهي بيئة الشاعر ، فالنسر واليوم من أهم موجودات تلك البيئة مما يعزز تأثير الشاعر بالبيئة . ثم إننا نلاحظ لديه التشبيه البليغ على صورة المضاف والمضاف إليه في قوله :
(صبح الهدى) فقد شبه الهدى بالصبح . وهو تأثير بالبيئة .

ففي هذا النموذج وأمثاله يستلهم الشعراء صورهم الشعرية من البيئة التي تحيط بهم ، ولا غرو في ذلك ، إذ البيئة التي ينشأ فيها الشعراء هي التي تقدمهم بمدرجات الحس ، وتسهم في صياغة ذوقهم التصويري شأؤوا أم أبوا^٣ ، ومن هنا يتباين الشعراء في ذوقهم التصويري وفي تشكيل صورهم ، ففي المدن الضبابية مثل لندن لا تجد الشعراء يتأثرون في صورهم الشعرية بالشمس أو القمر ، لأن هذه المدركات ليس لها كبير الأثر في حياتهم ، ومن هنا المسح العقاد (على أن معرفة البيئة ضرورية في نقد كل شعر)^٤

^١ مجلة الجهاد ، العدد ١٢ ، فبراير ١٩٨٧ م ، ص ٣٣

^٢ د. محمد حسن عبد الله : اللغة الفنية ، ص ٤٢

^٣ المرزباني بتصحيح د. ف. كرنكوي : معجم الشعراء ص ١٢٨ ، الأغاني للأصفهاني ، ج ١٣ ، ص ١٨٩ .

^٤ العقاد عباس محمود ، شعراء مصر وبناتهم في الحاضر والماضي ، ص ٣٠

ويقول الشاعر يحيى الحاج يحيى في قصيدة "في دروب الخالدين":

فيا كابولُ ! لا الأسوار تحمى ولو غرستُ بغابٍ من حراب
لنا الليلُ البهيمُ فإن تغشى زرعنا فيه ألفاً من شهاب^١

في هذين البيتين يهدد الشاعر ويتوعد بل ينطق بالحقيقة الثابتة التي تقول إن الغلبة في النهاية للمجاهدين أصحاب الحق وأن الموت للطغاة المتجبرين فلن تغني عنهم أسوارهم وحصونهم من الله شيئاً .

وقد عبر الشاعر عن معنى قوة الأسوار بتشبيهه البليغ بقوله (غاب من حراب) ففيه تشبيه الحراب بالغاب ولا شك أن عناصر الصورة هنا منتزعة من البيئة (الحراب) أما قوله (زرعنا فيه ألفاً من شهاب) ففيه تشبيه القذائف الموجهة نحو العدو بالشهب المتقدة وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية^٢ . وفي هذه الصورة تأثر بالبيئة الصحراوية التي تلمع الشهب في سمانها ليلاً وهذا يقودنا إلى القول بأنه لا مناص من تأثر الشاعر بالبيئة التي تحيط به فهي تمدّه بعناصر الصور التي يتخذها مطية للتعبير عن معانيه كما رأينا سابقاً .

جـ - تأثير الخيال في الصورة :

هو القوة النفسية التي تقوم بتصوير الفكرة الأدبية تصويراً مؤثراً ، ويضعون بها صور عقلية مثيرة لما يريد أن يعرضه على قرائه وسامعيه^٣ .

* الصور والأخيلة : ثانية الوسائل في التعبير عن التجربة وإظهار المشاعر ، أو هو التعبير عن الحقيقة كما يراها الأديب من خلال وجدانه ، لا كما يراها الناس . ويلجأ إليه الأديب لأنه ترجمان عاطفته والتعبير عن الحقيقة في حدود الواقع المألوف ليثير الانتباه في نفس السامع والقارئ ، وليحقق الإمتاع من الأسلوب ، وليبرر عاطفة الأديب .. فهدف الأسلوب الأدبي هو الإثارة والتشويق مع إبراز العاطفة ، فلو عبرنا عن القلم بالسيف فقلنا (في يد الأديب سيف يحمي الوطن) لكان أجمل وأكثر إثارة .. لأننا عبرنا عن القلم بالصورة التي تحقق الإمتاع وتظهر أثر القلم وقوته في يد الأديب .. ولا يتحقق هذا التأثير إذا عبرنا عن القلم بالقلم مهما زدنا في أوصافه كما أنه لا يعكس انطباعاته .

^١ مجلة الجهاد ، العدد ٣٧ ، صفر ١٤٠٧ هـ ، أكتوبر ١٩٨٦ م ، ص ٤٤ ، ص

^٢ الفيرواني ابن رشتيق : العمدة مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢٨٩

^٣ الجندي علي : شعر الحرب ٣٩٧

ويعبر الخيال عن الصورة الشعرية أو اللوحة الفنية أو الصورة الكلية : وهو الرؤية العامة للفكرة الكلية من خلال وجدان الأديب . والصورة الكلية لا بد أن تتكون من أجزاء وأطراف وشرط جمالها أن تكون الأجزاء كاملة بحيث ترسم صورة واضحة .. ومتألّفة بحيث لا يكون بينها تنافر كما يشترط أن تكون أطرافها ممثلة وظاهرة .. وأجزاء هذه الصورة هي (البحر - الرياح - الصخرة - الطبيعة) وهي أجزاء كافية لإبراز فكرة الشاعر من خلال وجدانه الحزين .. كما أنها متألّفة ، فكلها يشيع فيها جو الحزن والألم ، وأطراف الصورة ممثلة في : الصوت ويسمع في (شاك - يحبني) والحركة وتحس في (رياحه الموحجاء - حفاق الجوانب) واللون ويرى في (صخر - أعصائي - كدرة) والرأي في الصورة الكلية بعد ذلك .. أنها جميلة ورائعة لأنها كاملة الأطراف - مترابطة الأجزاء واستطاعت أن توضح فكرة الشاعر وتنقل عاطفته أما إذا اختلف مقياس من مقاييس جودة الصورة الكلية فقدت الجمال والتأثير .

أما خيال شعراء الجهاد كان خلف كل صورة من صور مشاهدتهم السابقة ، وهو خيال قوي خلاق يحيل المعاني المجردة جسوما حية (فإنه يستعيد الصور الذهنية التي ترسم على صفحات العقول ، وتختزن في الذاكرة من غير تبديل أو تغيير)^١ .

فمثلا من قصيدة " الغزو الأحمر " :
و العيونُ الظَّماءُ يَحْمِلُهَا الشَّوْقُ ... رواني لجنّة و معاد
كُلُّ آمَالِنَا يَطِيشُ بِهَا الوَهْمُ .. إِذَا لَمْ نَقُمْ مِنَ الْإِخْلَادِ^٢

فالشاعر يوحى من خياله الخصب المبدع وضعنا وجهها لوجه أمام المجاهدين ونحن نحدّق مليا في عيونهم الظامّة لرؤية الجنة بينما راح الشوق يحملها ويطيّر بها إلى الملكوت الأعلى^٣ .
ويقول الشاعر أحمد محمد الصديق في قصيدة " يا جبال الأفغان " مصورا الجبال خيولا ، والمجاهدين فرسانا يغمزونها ، فتشب على الأعداء مقاتلة ففيها خيال عميق^٤ فيقول :

يا جبال الأفغان يا قمم الطهر استريدي عبر الفضاء انتصبا
وقفي كالخيول يهمزها الفرسان .. مدت نحو الخلود الرقابا^٥

^١ عبد الحميد حسن : الأحوال الفنية في الأدب ، ص ٧٥ ، د . الجندى ، علي : شعر الحرب ، ص ٤٠٧ .

^٢ نشرت في جريدة الشرق الأوسط يوم الثلاثاء ١٦/٦/١٤٠٣ - الموافق ٢٩ / ٣ / ١٩٨٣ م ، ص ١١ .

^٣ د . الربيعي ، محمود : مرجع سابق ، ص ٥٦ .

^٤ د . طبانة ، بدوي : علم البيان دراسة تاريخية فنية ، ص ٢١٩ .

^٥ مجلة الأمان ، العدد ٢٥ ، يناير ١٩٨٠ م ، ص ٥٦ .

ويقول الشاعر في قصيدة " حب البندقية " :

أي غزو يموج بالإنحساد	واعتداء يفور بالأحقاد !!
و هجوم مقنع مكفهـر	يتلوى بالدمار بين البوادي !
بين فكي حضارة ما توانت	عن عطايا مقبلة الإرفاد
بيد تقتل الأنام و أخرى	غمرت بالضنك المقيت البادي
يا حمام السلام غن شجيا	و ترنم بالحرب في كل ناد !! ^١

فالنص عابق بالصور الطريفة التي صاغها خيال الشاعر كقوله : (اعتداء يفور بالأحقاد) فالأحقاد عنده نبع ثري لا ينضب وكقوله (بيد تقتل الأنام) فالحضارة الزائفة لها يد حديدية جبارة ما تفتأ تبطش بها الأنام بطشا وغير ذلك من الصور التي يقف خلفها خيال محلق خصب واع يعرف كيف يصوغ الصور ويدبجها بألوان جذابة^٢.

د - تأثير الخواس على الصورة :

إن الخواس أقدم صحبة للإنسان وأنها (تمده بكل المعلومات تقريبا ، وهي للخيال مادة حركته ومبدأ انطلاقه)^٣.

أقول إذا علمنا هذا فلا يصح غريبا أن نجد معظم الصور - ولا أقول كل الصور - تقوم عند شعرائنا على مشابهاة حسية تدركها الخواس ، وإن كان اعتمادهم الأكبر على حاسة الإبصار .

إن العين المدققة لا يخطئها أن تلاحظ لأن النموذج البصري هو الأكثر شيوعا في صور شعرائنا ، ولا غرو في ذلك فحاسة الإبصار تلعب الدور الأول في إمدادنا بالصور كمما يقول الشاعر الإنجليزي المعاصر (سي - داي - لويس C . Day Lewis)^٤ . وإذا كانت هذه الدراسة لا تتسع إلى استقصاء النموذج البصري في صور شعراء الجهاد الأفغاني ، فإنها تشهد بعدة نماذج من الصور البصرية عندهم منها :

^١ مجلة البيان المصوحي - العدد الثاني - ذو الحجة ١٤٠٥هـ - أغسطس ١٩٨٥ م ، ص ٤٨ .

^٢ د. طبانة ، بدوي - التيارات المعاصرة في النقد الأدبي ، ص ٣٥٥ .

^٣ د . عبد الله ، محمد حسن ، الصورة والبناء الشعري ، ص ٣٠ .

^٤ المرجع نفسه .

يقول الشاعر أبو شهيد الأرحبي في قصيدة " ذاهب إلى المعركة " :

فمن مدفعي استنبت النصر باسقا وأرويه من قاني دمائي^١

تأمل إلى هذا الخيال الخصب الذي نقل المعنى المجرد وهو النصر إلى مجال الخواس مستمدا عناصر الصورة من البيئة ومما يقع تحت مجال البصر فقد جعل المدفع تربة زرع فيها نبتة النصر الغضة ثم سقاها بدمه لتكبر وينع ثمرها وحن قفافها . ويقول آخر في قصيدة " الحصار والغرباء " :

تَرْقُرُقُ اللَّحْنَ قُدْسِيًّا وَقَدْ عَذُبْتُ بِعَيْنِ طُورٍ مُنَاهَا نَفْحَةُ الْجَذَلِ^٢

ومثل ذاك صنيع هذا الشاعر الذي جعل اللحن وهو الشيء المسموع ماءً عذبا صافيا رقاقا تحسه الآذان وتبصره العين وهذا من إبداعات الخيال . ويقول الشاعر د. حسين في قصيدة " شظايا من ملحمة الأفغان " :

جَوْلَةٌ لِلغُرُورِ صَارَتْ هَبَاءً	يَوْمَ هَبَّتْ أَبْطَالُنَا الشُّجْعَانُ
فَرَأَى الْبَاطِلُ الْمُصْعَرُ خَدَا	كَيْفَ يُخْشَى بِالتُّرْبِ وَهُوَ مُهَانَ
وَرَأَى الْحَقَّ مَنْ أَقَامَ لَوَاهُ	حَازِمًا وَهُوَ دُونَهُ قُرْبَانُ
مَا ارْتَقَى صَهْوَةُ الْعَلَاءِ سِوَاكُمْ	بِزْمَانٍ فِيهِ الْخِلَائِقُ دَانُوا
قَدْ نَزَلْتُمْ غَيًّا فَأَحْيَا مَوَاتَا	إِذْ نَمَا النَّبْتُ أَزْهَرَ الْإِنْسَانَ
وَأَحْلَتُمْ مَرَّ الْحَيَاةِ زُلَالًا	فَارْتَوَى مِنْ قُرَاحِهَا الظَّمْثَانَ ^٣

نلمح بالنص شريطا من الصور الملونة التي صاغها خيال الشاعر المبدع جاعلا الباطل يصعر خده والحق صهوة ترتقى والمجاهدين غيوثا تهطل والإنسان يزهر . ونحن إذا تأملنا هذه الصور أدركنا خصوبة الخيال وعمقه بالإضافة لما حملت من عبء المعنى المراد . ويقول الشاعر أبو الحسن في قصيدة " أفغانستان " :

^١ مجلة البيان المرفوض ، العدد ٢٢ ، ذو القعدة ١٤٠٨ هـ - مايو ١٩٨٨ م ١٩٨٨ م ، ص ٣٤

^٢ مجلة الجهاد ، العدد ٥ ، فبراير ١٩٨٦ م ، ص ٢٠

^٣ المصدر مخطوط بمكتبة الدار .

وَسَأَلْتُ كَوْخًا هَدَّهَتْهُ قَذَائِفٌ
فَمَضَتْ يَتِيمَاتُ الشَّهِيدِ كَمَا مَضَى
فَأَجَبَنَ وَالْعِبْرَاتُ تَكْتَبُ أُسْطَرًا
وَالْمِيكَ سِرْبُهُ بِالرَّدَى حَوَامٌ
وَالْأُمُّ فِي السَّجْنِ الْمُنُونُ تُسَامُ
فَوْقَ الْخُدُودِ مَعًا لَهَا أَقْلَامٌ^١

إن صورة العبرات في البيت الأخير صورة مطروقة تناولها كثير من الشعراء قبلاً ولكن جعل العبرات والتجاعيد في الوجه أقلاماً تكتب هو العنصر الجديد الذي أبدعه خيال الشاعر وأضافه إلى تلك الصورة فبدت جديدة نابضة بالحياة . ويقول الشاعر يوسف أبو هلال في قصيدة " شعب وشعب ":

وللضلالِ سَيُولُ
والجُو كالريحِ يعوي
تصيحُ هلْ مِنْ أُبْسَاءَ
كُتِبَتْ لَهِ اللهُ صَدَقَاءُ
وخيْلُهُ تنفضُ الأرضَ
تغصُّ منها الأجرارُ
ففي كلِّ بيتٍ وشارعٍ
عني تفكُّ المقامُ
لمدحِكِ الشعرِ جَانِعُ
من جلودِ الضفادعِ^٢

في النص مجموعة من الصور المتلاحقة (الضلال سيول) و (الجو ريح تعوي) و (الريح تصيح) و (الشعر جانع) و (الخيل تنفض الأرض) ونحن إذا أمعنا النظر فيها نرى تشبيه شيء معنوي بشيء حسي ملموس كتشبيه الضلال بالسيول وكلها من الصور الأصلية التي صاغها خيال الشاعر المخلق دون أن يسبقه إليها أحد من الشعراء . وكلها صور تكشف عن خيال شفاف بعيد محلق . أما عناصرها فهي مستمدة من مجال الحواس كالبصر والسمع ولا غرو في ذلك فإن الحواس هي منطلق الخيال ومنهله الثري في آن واحد .

من قصيدة " الغزو الأحمر " يقول الشاعر :

و هُجُومٌ مُقَنَّعٌ مُكْفَهَرٌ
بَيْنَ فَكِّي حَضَارَةٍ مَا تَوَانَتْ
يَتَلَوَّى بِالْدَّمَارِ بَيْنَ الْبَوَادِي !
عَنْ عَطَايَا مَقِيَّةٍ الْإِرْفَادِ

^١ مجلة الجليل ، ذو القعدة ١٤٠٥ هـ - يوليو ١٩٨٥ م ، ص ٣٣

^٢ المرجع السابق ، العدد ٢٤ ، ربيع الأول ١٤٠٧ هـ - نوفمبر ١٩٨٦ م ، ص ٣٨ - ٣٩

بِيدِ تَقْتُلُ الْأَنَامَ وَأُخْرَى غَمَرَتْ بِالضَّنْكِ الْمُقِيتِ الْبَادِي^١

هذا الهجوم الحاقذ ينشر الدمار بدعوى نشر الحضارة التي لم تعط للعالم إلا فسادا وشرورا ونحن إذا أخذنا بعين الاعتبار الأوصاف التي خلعها الشاعر عليه والصورة التي أبرزها ضمن إطارها أدركنا دور حاسة البصر فيها فهو هجوم مقنع ، مكفهر ، منطلق من فكي الحضارة . وهذه كلها من معطيات حاسة البصر .

يقول الشاعر محمد عبد القادر القادني في قصيدة " يا أمة الإسلام " :
إِنِّي أَرَى رَغْمَ الظَّالِمِ أَحِبَّةً هَتَفُوا بِأَنَّ الْفَجْرَ غَيْرُ بَعِيدٍ^٢

فالشاعر عبر عن إحساسه بوجود الأحبة المجاهدين يهتفون بقدوم الفجر ، عبر عنه بفعل هو أصل في حاسة البصر (أرى رغم الظلام أحبة) .

ويقول الشاعر أبو الأدهم في قصيدة " إلى المجاهدين في أفغانستان " :
اللَّهُ أَكْبَرُ زَحْفُكُمْ إِعْصَارٌ اللَّهُ أَكْبَرُ جَيْشُكُمْ جَرَّارٌ^٣

يشبه الشاعر زحف المجاهدين بالإعصار والمشبه به واحد من مدركات الخواص لا سيما حاسة البصر .

ويقول الشاعر محمود مفلح في قصيدة " كابول " :
لَكَأَنِّي أَرَى هُنَاكَ عُمَرًا يَتَوَلَّى أُمَّةً أَرْطَبِيلُ
وَأَرَى خَالِدًا يَهْزُ سَرَائِي هُ ، تَمِيلُ السُّيُوفُ حَيْثُ يَمِيلُ
وَجُنُودُ الرَّحْمَنِ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ فَالْمِادِينُ كُلُّهَا تَهْلِيلُ

^١ نشرت في جريدة الشرق الأوسط يوم الثلاثاء ١٦/٦/١٤٠٣ هـ - المواقف ٢٩ / ٣ / ١٩٨٣ م ، ص ١٦

^٢ مجلة البيان المرفوض ، العدد ٣٢ ، ص ١٤١٠ هـ - سبتمبر ١٩٨٨ ، ص ٢٣

^٣ المرجع السابق ، العدد ٣٠ ، ذو الحجة ١٤٠٩ هـ - يوليو ١٩٨٨ م ، ص ٤٥

والخيول التي أغارت بِسَدْرٍ حيّ في حومة الصّراع الخيول^١

الشاعر في هذا النص يرى في اندفاع المجاهدين الأفغان وانتصاراتهم تجديدا بل إحياء لتاريخ إسلامي غابر مليء بالبطولات والانتصارات ، وقد استعاد الشاعر تلك الذكريات الغابرة والمواقف الخالدة عن طريق فعل الإبصار (أرى) ثم أورد شريطا من مدركات حاسة البصر . فهو يرى عمرا يتسلم بشرى فتح بلاد الترك ويرى سرايا خالد تندفع مجاهدة فاتحة ويرى خيول بدر ذاتها تقتحم صفوف الأعداء . في النماذج السابقة تتوالى عناقيد الصورة البصرية على نحو يؤكد اعتقادنا بأن حاسة الإبصار أمدتهم بالجزء الأكبر من صورهم . على أننا لا نعدم صورا شعرية اعتمدوا فيها على حواس أخرى غير حاسة الإبصار ؛ فمن هذه الصور اعتمادهم على حاسة السمع .

يقول الشاعر أبو دجانة الأمراتي :

متنثر في المعارك لحن نصرٍ تصوغُ سيوفُنا تلك اللحن^٢

هو لحن مطرب عجيب توقع نغماته سيوف المقاتلين وهي تضرب أعناق الكفرة الملحدين وهو من الصور التي صاغها خيال الشاعر معتمدا على حاسة السمع .

ويقول الشاعر د. حسين في قصيدة " شظايا من ملحمة الأفغان " :

هل درى العالمون سرّ وجودي	هل وعت قصتي بهم آذانُ
نحلّ شدوي وأذك جام شجونني	وليعرفك محنتي الحدثانُ
أنا في البرّ شاعرٌ وخطيبٌ	يسمع الإنسُ صرختي والجان ^٣

في النص صور سمعية ومعان تعتمد على حاسة السمع كالشدو والصرخة التي يسمّعها الإنس والجان .

^١ مجلة الأمة ، العدد ١٢٠ ، صفر ١٤٠٢ هـ ، ص ٦٧

^٢ المرجع مخطوط في مكتبة الباحثة .

^٣ المرجع مخطوط في مكتبة الباحثة .

ويقول الشاعر من قصيدة " الجهاد الطريق ":

وَفَتَاةٌ حَدِيثُهَا الْغَزْوُ وَالْفَتْحُ وَدَرْبُ الْجِهَادِ وَالْتَّحْرِيرُ^١

فهذه الفتاة وما تنفك تحدث عن الغزو والفتح والجهاد والتحرير حديثا مؤثرا تتلقفه
الآذان وتعيه القلوب .

وفي قصيدة " الحصار والغرباء ":

فِيحَاءُ كَجَنَّةِ الْغَيْدَاءِ مَرَّتُهَا وَلَيْسَ فِي مُقَلَّتِي دَمْعٌ عَلَى طَلَلِ
غَنِيَّتُهُ .. وَمَذَابُ الْقَلْبِ مُنْسِرِحٌ عَلَى أَضَالِعِ مَصْدُورٍ وَ مُنْعَزِلِ^٢

فالغناء هنا من الأشياء التي تدرکها الأسماع .

ويقول الشاعر مصطفى حيدر زيد الكيلاني في قصيدة " أفغانستان تفيض دما " :

وَأَنِينُهُمْ بِمَسَامِعِنَا يُدَوِّي فَتَصَمُّ لَهُ الْآذَانُ^٣

أما أنين المعذبين فما يزال يدق مسامعنا دون أن يحرك ساكنا فينا والأنين المسدوي من
الصور السمعية .

ويقول في " الغزو الأحمر " :

يَا حَمَامَ السَّلَامِ غَنِّ شَجِيًّا وَ تَرَنِّمِ بِالْحَرْبِ فِي كُلِّ نَادٍ !!
وَهْدِيلُ الْحَمَامِ بَاتَ أَزِيْرًا لِلرَّصَاصِ الْمَدْلُ بِالْإِنْشَادِ
وَسَمِعُوا صَوْتَهَا الْأَبْيَّ عَلَى الدَّرْبِ ... أَذَانًا لِفَجْرِنَا الْمِيَادِ !!^٤

في الأبيات صورة سمعية صاغها خيال الشاعر بمهارة وإتقان فقد جعل هدِيل الحمام أزيز
رصاص ينشد للنصر وللحرية وقد نعت الصوت بالإبَاء في البيت الثالث هذا الصوت الذي يتردد

^١ مجلة الجهاد ، العدد ٣٩ ، جمادى الثانية ١٤٠٨ هـ - فبراير ١٩٨٨ م ، ص ٤٥ .

^٢ المرجع السابق ، العدد ٥ ، فبراير ١٩٨٦ م ، ص ٢٠ .

^٣ مجلة المجتمع الكويتية ، العدد ٧٥٧ ، أغسطس ١٩٩٥ م ، ص ٥٣ ، مجلة الجهاد ، جمادى الأولى ١٤٠٦ هـ - يناير ١٩٨٦ م ، ص ٣٠-٣١ .

^٤ نشرت في جريدة الشرق الأوسط يوم الثلاثاء ١٤٠٣/٦/٩ هـ - الموافق ٢٩ / ٣ / ١٩٨٣ م ، ص ١٦ .

مدى الدرب معلنا ميلاد فجر جديد . ولا يخفى اعتماد الشاعر في صورته تلك على حاسة السمع.

ويقول الشاعر الحضرمي في " قصيدة أمة المجاهدين " :

أَيَا أُمَّ لَا تَسْمَعِي لِلنَّبَّاحِ يَقُولُونَ حَرْبُ الْهُدَى خَاسِرَةٌ^١

إن الشاعر يشبه أقوال العداة بالنباح معتمدا على حاسة السمع في صياغة الصورة .

ويقول الشاعر محمد راجح الأبرش في قصيدة " جهاد الأفغان " :

دَمْدَمَاتُ الرَّصَاصِ أَجْدَى وَأَقْوَى مِنْ بَيَانٍ وَخُطْبَةٍ وَاقْتِرَاحٍ^٢

يقرر الشاعر بأن صوت الرصاص أنفع للوطن الطعين بحراب المعتدين من أي بيان أو

خطبة أو اقتراح ولا يخفى حضور المعاني السمعية في ثنايا البيت فصوت الرصاص والخطب أمور

تدرك عن طريق حاسة السمع .

ويقول الشاعر محمود مفلح في قصيدة " كابول " :

تَصْدَحُ الطَّيْرُ حِينَمَا يَزْهَرُ اللَّحْنُ — مِنْ إِثْرِ النَّخِيلِ النَّخِيلُ^٣

فحينما يزهر لحن البطولة ينمو النخيل وتصدح الطير وتسعد البلاد وتهنأ الأمة . وفي

هذا صورة سمعية طريفة بقرله (يزهر اللحن) وقد تضافرت حاستا السمع والبصر في تكوينها .

ومن الصور التي اعتمدوا فيها على حاسة الشم :

وقول الشاعر مهند في قصيدة " يحى لمن تلبى النداء " :

وتعانق الرصاصُ مع الدَّمِ

انفجرَ في كلِّ الأرجاءِ المسكُ^٤

عندما يتعانق الرصاص مع الدم انفجر المسك ، ففي قوله (ينفجر المسك) صورة فيها

تشبيه الدم بالمسك ونحن نعلم دور حاسة الشم في إدراك المسك .

^١ مجلة البيان المرفوض ، العدد ٦ ، ١ مايو ١٩٨٦ م ، ص ٤٣

^٢ المرجع السابق ، العدد ٣٣ ، ربيع الأول ١٤١٠ هـ - أكتوبر ١٩٨٨ م ، ص ٤١

^٣ مجلة الأمة ، العدد ١٢٠ ، صفر ١٤٠٢ هـ ، ص ٦٧

^٤ مجلة البلاغ ، العدد ٨٩٩ ، ذو القعدة ١٤٠٨ هـ - ص ٢٧

ويقول الشاعر يحيى بشير في قصيدة " في دروب الخالدين " :

تفوح روائح الشهداء عطراً وكافوراً مع المسك الملاب^١

في هذا البيت روائح الشهداء تفوح عطراً وكافوراً ومسكاً ملاباً ، وهي صورة من
مدركات حاسة الشم أيضاً. ويقول الشاعر يحيى بشير في قصيدة " قلاع البطولة في أفغانستان " :

وعطرُ النَّاسِ مِنْ قُلُ وَوَرْدٍ يُطَيِّبُ مِنْهُ أَنْسَامُ الْأَثِيرِ
ورائحةُ الدُّخَانِ لُحْمٌ عَطُورٌ فَأُطَيِّبُ بِالدُّخَانِ شَذَا عَطُورِ
وللبارودِ فِي الْمَهِجَا عَبِيرٌ أَرَقُّ مِنَ النَّسِيمِ عَلَى الزُّهُورِ^٢

هنا يجري الشاعر مقارنة بين عطر الناس المتمثل بالفل والورود وعطر المجاهدين المتمثل
بالدخان ورائحة البارود ويخلص إلى تفضيل الثاني على الأول ، ويورد صوراً مقتنصة من مجال
حاسة الشم فرائحة الدخان عطور ، والبارود عبير وهكذا .

ومن الصور التي اعتمدوا فيها على حاسة اللمس :

ومن قصيدة " أبو شهيد الأرحي " في قصيدة ذاهب إلى المعركة :

وها أنا في الميدان أعانقُ الردى وهذا سلاحي في المناكيد يشطرُ
وأقتلعُ الهامات منهم بقبضتي وأقذفُ فيهم من رصاصٍ وأمطرُ
وأنزعُ الأرواحَ منهم بحربتي وأشعلُها ناراً عليها تسعرو^٣

يقول الشاعر على لسان المقاتل الذاهب إلى المعركة : بأنه يعانق الردى عناق الحبيب
للحبيب - ويعمل سلاحه في صفوف الأعداء - ويقتلع هاماتهم بقبضته - ويقذفهم برصاصه
- وينزع أرواحهم بحربته - ويشعل عليهم سعيره . ونحن إذا تأملنا هذه المعاني وجدنا دور
حاسة اللمس واضحة فيها فالعناق والاقلاع والانتزاع لا يكون إلا بتدخل اللمس المباشر ،
ناهيك عن التصوير في قوله : أعانق الردى - أقتلع الهامات - أمطرهم بالرصاص .

^١ مجلة الجهاد ، العدد ٣٧ ، ص ١٤٠٧ هـ - أكتوبر ١٩٨٦ م ، ص ٤٤

^٢ مجلة المجتمع ، العدد ٧٩٣ ، صفر ١٤٠٦ هـ ، ص ٤٤

^٣ مجلة البيان المرحوص ، العدد ٢٢ ، ذو القعدة ١٤٠٨ هـ ، ص ٣٤

ومن الصور التي تأثر بها الشعراء في حاسة الذوق يقول الشاعر أحمد محمد الصديق في قصيدة " يا جبال الأفغان " :

ومياه الأنهار تسري هيبا ومذاق الثمار والشهد صابا^١

نلمح في البيت تشبيهين بليغين (المياه هيب) و (مذاق الثمار صاب) وكليهما من مدركات حاسة الذوق فلن ندرك خاصية الإحراق للماء والطعم المر للثمار إلا إذا ذقتهما .
ويقول الشاعر عمر الراكشي في قصيدة " تحية إلى أفغانستان " :

لَيْسَ طَعْمُ حَيَاةٍ مِثْلَهَا الْعَدَمُ فَلَيْسَ مَنْ عَاشَ مَنْ عَلَوْا وَمَنْ طَعِمُوا^٢

فقد اعتمد الشاعر في صياغة هذه الصورة (طعم الحياة) على حاسة الذوق أولا وأخيرا.

ويقول الشاعر أبو أسامة في قصيدة " سقوط الطغاة " :

بلقمة طامعا عفنًا مذاقتها بل فطرة الأطفال تأباها تعاديتها^٣

وهنا اعتمد الشاعر أيضا على حاسة الذوق في صياغة معنى البيت . ويقول الشاعر أبو أسامة في قصيدة فرسان الخلافة :

من ذاك اليوم تجرّعنا

ويلات البعد عن المنهج

مرارة حكم الطاغوت^٤

لحكم الطاغوت مرارة لاذعة وهي صورة ذوقية خالصة ، كما أن تجرع ويلات البعد عن المنهج الصحيح صورة مستمدة من حاسة الذوق . ويقول الشاعر رجب عثمان في قصيدة " إلى الغزاة " :

^١ مجلة الأمة الإسلامية ، العدد ١٣ ، مارس ١٩٨٧ م ، ص ٦٢

^٢ مجلة الوعي الاسلامي ، العدد ٢٣٨ ، يوليو ١٩٨٩ م ، ص ٨٢

^٣ مجلة الجهاد ، العدد ٣٤٤ ، محرم ١٤٠٣ هـ ، ص ٨

^٤ المرجع السابق : ذ. المحجة ١٤٠٥ هـ - أغسطس ١٩٨٥ م ، ص ٣٩

سَيَذِيقُكَ الهولَ العظيمَ ، غداً سَتَلْقَى القاضيةَ^١

إن للهولَ مذاقا مرا محرقا وسوف يذوقه كل طاغ ظالم على يد المجاهدين الأبطال وهذه من الصور المستمدة من مجال حاسة الذوق .

ويقول الشاعر أبو أسامة في قصيدة " فرسان الخلافة " :

والمسلمُ ذاقَ ببلغاريا

أنواعاً من ذلِّ الطاغوت^٢

وهذه صورة مشابهة مع اختلاف الذائق والمذوق وهي من الصور الذوقية أيضا ، ويقول الشاعر أبو أسامة في قصيدة " شعاع الدم للقاعدين " :

سأخطُ كتابي بلساني

وسألَعُقُ من دمي الأحمر

لأدَوِّنَ تاريخَ حياتي^٣

إنها صورة الدم الذي يلعبه ويحس بطعمه ويدونه تاريخ حياة كل حر أبي ، وهي من صور حاسة الذوق كما ترى . ويقول أيضا :

ويبيتُ أحدُكم في المخدع

يتجرعُ من دمنا القاني

ويقول الشاعر حسام الدين حامد في قصيدة " أفغانستان " :

وتلَعُقُ المرءُ شهيداً غيرَ أبهة فالموتُ لا يخشاهُ مأجولُ

سبعُ مررنَ ، وكأسُ الحُتفِ ترتعُ يسقى بها خاسرُ والاهُ تفشيلُ^٤

يصف الشاعر معاناة أفغانستان المجاهدة جراء الغزو الأحمر الفاشل فإنها تلحق المر وتحسبه شهيدا غير خائفة من الموت ففي قوله : تلحق المر شهيدا صورة ذوقية خالصة .

^١ مجلة المجتمع المصرية ، العدد ٤٧١ ، يوليو ١٩٨٩ م ص ٧٢

^٢ مجلة الجهاد ، العدد ٣٤٤ ، ذو الحجة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ، ص ٣٩

^٣ المجتمع المصرية ، العدد ٤٧٣ ، أكتوبر ١٩٨٩ م ، ص ٤٣

^٤ مجلة الإصلاص ، العدد ٦٥ ، محرم ١٤١٠ هـ ، ص ٣٤

ويقول الشاعر أبو أسامة في قصيدة "الهجرة والجهاد":
فانتظر يا بغي زمناً للجهاد ولتذق يا كفر مرَّ النعمة^١

يتوعد الشاعر الأعداء ملة الكفر بأنهم سيذوقون طعم الانتقام المر على يد المجاهدين وهذه صورة من الصور المستمدة من مجال حاسة الذوق .

هـ - تأثير التراث الإسلامي :

" التشكيل بالموروث أمر اعتاده عصرنا الحديث ، فيعمدون إلى الشخصيات التراثية التي تحمل إشعاعاً دلالياً ، ويشكلون منها رافداً إيحائياً في شعرهم^٢ ، فإذا ما تحدث أحد الشعراء في عصرنا الحالي عن عنزة بن شداد ، أتت إلينا ملامح البطولة والفروسية والثورة على العبودية ، وقد حفل تراثنا العربي بشخصيات كثيرة استدعاها شعراؤنا المعاصرون ، وأعطوها ما أرادوا من صور البطولة والخذلان^٣ . وجعلوا هذه الشخصيات تتحرك وكأنها في مواقف جديدة غير المواقف التي عرفها الناس عنهم أحيانا^٤ ذلك لأن التاريخ " ليس وصفا لحقبة زمنية من وجهة هناك إذن صورة جامدة ثابتة لأية فترة من هذا الماضي " .^٥

" ولكن هل كان للشعراء في الجاهلية موروثهم الذي يستدعونه في شعرهم ليعطيهم إبحاءات دلالية تظهر ما يريدون قوله ، أو توحي به ؟ ونبادر بالقول : نعم كان لهم تراثهم الذي شكلوه في أبياتهم الشعرية^٦ وأعتقد أن هذا الملمح كان كثيراً لدى الشعراء العرب في الجاهلية لكن ما وصل إلينا هو القليل^٧ وهكذا القول في قصائد شعراء الجهاد الأفغاني .

^١ مجلة البيان المصوحى ، العدد ٣٩ ، ذو القعدة ١٤٠٩ هـ - يونيو ١٩٨٨ م ، ص ٢٣

^٢ د. ضيف شوقي : دراسات في الشعر العربي المعاصر : ص ٢٤٠

^٣ رايد ، علي عسيري : استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، ص ١٥١

^٤ د. مكى ، الطاهر أحمد ، أنظر : استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، ص ٩٣ وما بعدها رواه ومدخل لقراءته ، د. محمد

فنون أحمد فضلي : كتاب واقع القصيدة العربية (التشكيل بالموروث) ص ٤٦

^٥ د. ناصف ، مصطفى ، دراسة الأدب العربي ، ص ٢٠٥ ، ٢٠٦

^٦ د. أبو صفي ، عبد الرحمن : المستدرك في شعر بني عامر ، ج ١ / ٢٨٥

^٧ د. عسيري زايد علي : استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، ص ١٥١ .

ففي قصيدة رصاصتي للشاعر " أسامة الآغا " :

إني أحزنُ إلى صلاحٍ قائد الجُنْد الأبرر
وإلى إمامٍ فاتحٍ إني أحزنُ إلى عُمر^١

وفي " قصيدة قيود " للشاعر عبد الرحمن البارود :

إلى أن يقودَ جيوشَ الصحابةِ خالدُ بنُ الوليدِ الحفِيد^٢

ويقول الشاعر وليد الأعظمي في قصيدة " ذكر ونسيان " :

محمدٌ أنقذَ الدنيا بدعوتهِ ومن هُداةٍ لنا روحٌ وريحانُ
لولاهُ ظلُّ أبو جهلٍ يضلُّنا وتستبيحُ الدما (عبس) و (ذبيان)^٣

ويقول الشاعر د. عبد الرحمن العشماوي في قصيدة " صرخة الحق " :

وتخلَّلْتَ تلكَ اللَّيْلا لي صرخةٌ من آلِ ياسِرٍ
وبلالٌ تحتَ الصَّخرةِ الصَّماءِ ... لا يُصغِي لكِـافِرٌ^٤

ويقول الشاعر يوسف أبو هلاله في قصيدة " شعب وشعب " :

فأينَ سَيفُ (عليّ) فأينَ سَيفُ (عليّ)^٥

ويقول الشاعر يوسف العظم في قصيدة " انطلاق أمة ومسيرة جهاد " :

ففيهمُ خالدٌ يدعو صلاحاً ويلقى صادقُ العزماتِ زيـداً^٦

^٥ المصغر مخطوط في مكتبة الباحثة

^١ مجلة النبأ المرموز ، العدد ٢١ ، شوال ١٤٠٨ هـ ، ص ٢١

^٢ من ديوان أغاني المعركة ، ص ٢٢

^٣ من ديوان صرخة الحق ، ١٤٠٩ هـ ، ص ٢٥

^٤ مجلة الجهاد ، العدد ٢٤ ، ربيع الأول ١٤٠٧ هـ - نوفمبر ١٩٨٦ م ، ص ٣٨ - ٣٩ ، كتاب شعراء الدعوة الإسلامية في العصر

الحديث ، ص ٩٢ .

ويقول الشاعر يوسف العظم في قصيدة " انطلاقاً أمة ومسيرة جهاد " :
ففيهم خالدٌ يدْعُو صلاحاً ويلقى صادق العزمات زيدا^١

ويقول الشاعر يوسف العظم في قصيدة " سيوف الإيمان " :
قد قام بينهم الصديقُ رمزُ تقى وسدد العدل في ساحاتهم عمرُ
وراية الحق في كف الإمام علت والبر والجود من عثمان ينهمرُ
وخالد في سبيل الله سيف هدى ومُصعب في رحاب الحق مؤثرُ
وجعفرُ بجناح النور مُنطلقاً يختال في جنة تزهز بها الحجرُ^٢

ويقول الشاعر ضياء الدين الصابوني في قصيدة " تحية إلى مجاهدي الأفغان " :
ما كُلُّ مَنْ خاضَ المعاركَ عنتراً ما كُلُّ مصقول الحديدِ يماني^٣

ويقول الشاعر جابر قميحة في قصيدة " أبطال الجهاد الأفغاني " :
لا تذكُرَنَّ فيالِقاً مَنْ تغلب وفوارساً مَنْ عبَسَ أو ذُبَّانِ
دَعْ عَنْكَ هُمُومِراً ودَعْ طرَوادَةً وخوارقَ اليونانِ والرومانِ
وانظُرْ ، سينسبك الملاحمُ كُلُّها أسطورةٌ تدعى الفتى الأفغاني
صنعَ البطولةَ - والبطولةُ همهُ بعزيمةٍ عمرِيَّةٍ الإيقانِ
دعني أُملي ناظري مَنْ مُصعب وأعيشُ معنى الحقِّ في سَلْمانِ
وكذا عليّ والحسينُ وجعفرُ وتهيمُ رُوحِي في سَنَا عُمَّانِ
وأقولُ مَرَحَى حمزةٍ وأسامةً معه المثنى الفارسُ الشَّيْبَانِي^٤

^١ مجلة المجاهدون ، العدد ١٦ ، جمادى الأولى ١٤٠٩ هـ - ديسمبر ١٩٨٨ م ، ص ٤٥

^٢ مجلة البيان المرحوص ، العدد ٢٨ ، ذو الحجة ١٤٠٩ هـ - يوليو ١٩٨٩ م ، ص ٧٢

^٣ مجلة أفغانستان ، العدد ١ ، ذو القعدة ١٤٠٧ هـ - يوليو ١٩٨٧ م ، ص ٧٣

^٤ من ديوان : لجهاد الأفغان أعني ، ص ٣٠-٣٦ .

ويقول الشاعر إياد العكاري في قصيدة " أمل الجهاد " :
سَطَرْتُمْ كُتُبًا عَلَى أَرْضِ الْفِدَا تَحْكِي عَنِ الْقَعْقَاعِ وَالْمَقْدَادِ^١

ويقول الشاعر محمد هاشم عبد الدائم في قصيدة " أدب المعركة " :
مَنْ لِي بِمُعْتَصِمٍ لِيَغْسِلَ عَارَنَا وَيُزِيلَ بَغْيَ الْكُفْرِ وَالطُّغْيَانِ^٢

و- أسلوب تراسل الحواس :

(كثير من الباحثين تتبع ظاهرة تراسل معطيات الحواس)^٣ في الشعر المعاصر ، وبذلوا في ذلك الكثير من الجهد ، وانتهوا إلى أن هذه (الظاهرة وجدت لدى الشعراء الأوروبيين في نهايات القرن التاسع عشر وأوليات القرن العشرين عند بودلير و ت .س. إليوت وغيرهما)^٤ (وبناء على ذلك درسوا انتقال هذه الظاهرة إلى الشعراء العرب في النصف الأول من القرن العشرين مثل محمود حسن إسماعيل ، وحسن الصيرفي وعلي محمود طه ، وغيرهم)^٥ والذي يلفت النظر في هذه الدراسات عدم تنبه أصحابها إلى أن (الشعر العربي القديم حفل بنماذج من الشعر تعطي تراسل معطيات الحواس وهي أكثر دقة وإحياء من كل النماذج التي استشهدوا بها في دراساتهم سواء أكانت هذه النماذج لمن أسندوا لهم فضل إبداع التراسل وهم الأوروبيون أو الذين تأثروا بهم من الأدباء العرب)^٦ .

وقد أجهل الشاعر الفرنسي شارل بودلير Charles Beudelaire الأساس الفني لأسلوب تراسل الحواس في قصيدته (تراسلات Corres Pondances) حيث (أكد أن الألوان والأصوات والعطور تتجاوز في وحدة معتمة عميقة رحيبة كالليل والضيء)^٧ ، وقد أوضح

^١ مجلة الجهاد ، العدد ١٤ ، ربيع الآخر ١٤٠٦ هـ - نوفمبر ١٩٨٥ م ، ص ١٨

^٢ مجلة البيان المرحوض ، العدد ٣٢ ، صفر ١٤١٠ هـ - أغسطس ١٩٨٨ م ، ص ٣٨

^٣ د. محمد ، فتوح أحمد : الرمز والرمزية ، ص ٢٤٨

^٤ المصدر السابق ، ص ٩٥

^٥ أنطوان ، عطاس كرم مرجع سابق ، ص ٢٤٨ ، الرمزية والأدب العربي الحديث ، ص ٩ وما بعدها .

^٦ المرجع نفسه

^٧ Charles Beudelaire : L'ort romantique - garnier Flammarion Pairs ١٩٦٨ P. ٢٧١

الدكتور محمد مندور أن المقصود بالتجاوب - كما جاء عند بودلير - هو (أن لونا من الألوان قد يحدث في النفس البشرية أثرا يتفق مع الأثر الذي يحدثه صوت معين أو رمز معين)^١.

ومن المعلوم أن هذا الأسلوب شاع في شعر الرومانسيين من أمثال محمد عبد المعطي الهمشري (قصيدة النارجية الذابلة) وظهرت في أشعارهم صور رمزية تعتمد على تراسل الحواس مثل (الأنين المشنوق) (الحزن الراقص) (الصمت القمر) (الشمس المعربة) (العطر القمري) (النغم الوضيء) (اللحن المفضض) (السكون المشمس) .

ولأن شعراء الجهاد الأفغاني مثقفون لم يقتصرُوا على قراءة شعراء الأجداد الأوائل ، وإنما قرؤوا للشعراء الرومانسيين الرمزيين لذا فقد كان من الطبيعي أن تظهر أصداء قراءاتهم في صورهـم الشعرية وأن يتبنوا أسلوب تراسل الحواس في تشكيل الصورة^٢.

إن أجمل ما في النزعة التصويرية عند شعراء الجهاد الأفغاني هو التشخيص الذي يضيفه على عناصر الطبيعة بحيث يبعثون فيها الحياة والحركة ، ويجعلونها شاخصة أمام أبصارنا ، وشواهد ذلك كثيرة في أشعارهم :

ففي هذه النماذج وأمثالها تتخلى عناصر الطبيعة عن جمودها المعتاد وتدفق الصورة بالحياة وهذا أبرز ما يميز الصورة في الشعر الحديث . ولشعراء الجهاد الأفغاني ولع كبير بخلع الصفات الانسانية على الأشياء ومعاملتها كبشر فنراهم يحدثوننا عن الصرى النائم والصبا النشوان :

ومن الملاحظ أن شعراء الجهاد الأفغاني لم يقتصرُوا في تشكيل صورهـم على الأغاط التقليدية من تشبيه وإستعارة وكناية وغيرها من معطيات البلاغة العربية وإنما يتبنى - إلى جانب هذه الأغاط أسلوب تراسل الحواس في تشكيل صورهـم ، وقد أتاح لهم هذا الأسلوب أن ينقلوا الألفاظ من مجالات استعمالها المألوفة إلى مجالات أخرى مبتكرة^٣ ، كأن ينعثوا المراثيات بنعوت من مجال السمع ، أو ينعثوا المسموعات بنعوت المراثيات أو المشمومات ، أو ينعث الحسوسات بصفات محسوسات أخرى^٤ .

ومن صور تراسل الحواس عند شعراء الجهاد الأفغاني .

قول الشاعر : أحمد محمد الصديق من قصيدة " يا جبال الأفغان " :

^١ د. مندور ، محمد : الشعر المصري بعد شوقي الحلقة الثالثة ، ص ٣٣ .

^٢ المرجع نفسه .

^٣ د. محمد ، فتوح أحمد - الرمز والرمزية في الشعر المعاصر ص ٢٤٨ وما بعدها

^٤ د. زايد ، علي عشري : عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، ص ٧٨ ، د. هيكمل أحمد : تطور الأدب الحديث ، ص ٣٣٣

وعبير الأزهار سماً زعافاً
للأعادي والبرعم الغض نابساً^١

فالعبير من مجال الشم والسم الزعاف من مجال التدوق .

ويقول الشاعر أحمد سالم باعطب في قصيدة " غجرية في مهرجان البطولة " :

هل يسألانك عن بقية قصة
مشلولة القسمات عرجاء اللسان

ما أنت أرملة ولست بعاقراً
لم تنبئي شوكاً ولم تلدي الجبان^٢

إن الشاعر نعت القصة وهي من الأشياء المعنوية بنعوت محسوسة فجعلها مشلولة القسمات عرجاء اللسان فجعل منها كأننا حيا يتعثر الكلام على لسانه فهو التجسيد والتشخيص معا . ثم أسند فعل الإنبات إلى الأم التي يخاطبها فأعطاهما صفة ليس لها أصلاً ومال باللفظ (أنبت) عن استعماله المألوف وهذا كله من قبيل تداخل الخواص وتضافرها على توليد صور ومعان جديدة .

ويقول الشاعر الحضرمي في قصيدة " اليتيمة والدهر " :

فمدت إلى العينين والدمع نازف
على وجنتيها وهي تبكي .. وتشرح^٣

فقوله (والدمع نازف) صورة خرجت عن المألوف بإسناد النزف للدمع فهذا شأن الدم لتعمق إحساسنا بالمعاناة العظيمة التي تكابدها نفس الفتاة ويطلعنا على مبلغ الآلام المتصارعة وعمق الأحران في صدرها^٤ .

ويقول الشاعر محبي الدين عطية في قصيدة " جريح من هرات " :

ويضحك في ندى عينيك طفلاً
فتضحك دمعتي ولها فحيح^٥

^١ مجلة الأمة الإسلامية ، العدد ٩٣ ، مارس ١٩٨٧ م ، ص ٦٢

^٢ كتاب شعراء الدعوة الإسلامية ، ج ٦ ، ص ٣٦

^٣ مجلة البيان المخصوص ، العدد الحادي عشر - يناير ١٩٨٧ م ، ص ٤٧

^٤ د. زايد ، علي عشري : مرجع سابق ، ص ٧٨ ، و د. هيكل ، أحمد : مرجع سابق ، ص ٣٣٢ ، د. عثمان ، عبد الفتاح -

الصورة الفنية (شعر شوقي) ، ص ١٤٨

^٥ مجلة الجهاد ، العدد ١٨ - فبراير ١٩٨٧ م ، ص ٥٣ .

ويقول الشاعر عمر الراكشي في قصيدة "تحية إلى أفغانستان":
وقوله (تكلم تحت الشمس ساعدهم) فيه صورة مبتكرة وسر جمالها هو إعطاء صفة
التكلم وهي من خصائص الكائن الحي الساعد من الأشياء الجامدة فاستحدث استعمالا جديدا
موحيا للفعل (تكلم) وهو الإبداع بعينه .

ويقول الشاعر أحمد سالم باعطب في قصيدة " أرض لا تعرف الربيع " :
تَقِيحَتْ كَلِمَاتُ الشَّعْرِ وَأَنْفَجَرَتْ تَنَاسَلَتْ حُمَمٌ مِنْهَا وَأَقْدَارُ^١

يتطرق الشاعر كثيرا وينأى بعيدا في استعمال الفعل (تقيحت) وهو من الألفاظ
السمجة في لغة النثر فكيف به في لغة الشعر الرقيقة الجميلة . غير أنه قد أجاد في إدخال هذا
اللفظ إلى قاموس الشعر بحيث زال عن اللفظ قبحه ضمن السياق العام للبيت وأجاد في استعماله
بهذه الطريقة المبتكرة بإسناده إلى كلمات الشعر التي أزم من جرحها فتقيح ثم انفجر مرسلا حمما
وأقدارا تتساقط على رؤوس الأعداء . والصورتان مبتكرتان تقومان على إعطاء صفة الكائن
الحي لأشياء معنوية ففي الأولى جعل الكلمات جرحا متقيحا وفي الثانية جعل الكلمات رجما قابلا
للتناسل .

ويقول الشاعر جابر قبيحة في قصيدة " أبطال الجهاد الأفغاني " :
يَتَكَلَّمُونَ بِمِدْفَعٍ .. وَقَذِيفَةٍ وَكَأَنَّهُمْ وَلِدُوا بِغَيْرِ لِسَانٍ^٢

ويقول الشاعر أحمد سالم باعطب في قصيدة " أنين الجراح " :
يَا أَخَا الْعَزِّ يَا رَفِيقَ السَّالَاحِ كَيْفَ تَغْفُو عَلَى أَنْينِ الْجِرَاحِ^٣

وفي قصيدة " نجوى زهرة الليمون " للشاعر عدنان النحوي :
كابول# لي منزلٌ كانتْ ملاعبُهُ مغنى الصبا ورفيف الطائر الغرد^٤

^١ مجلة الحرس الوطني ربيع الآخر ١٤١٥هـ - سبتمبر ١٩٩٤م ، ص ٦١

^٢ من ديوان : لجهاد الأفغان أغني ، ص ٣٠-٣٦ .

^٣ ديوان الروض الملتهب ، ص ٢٩ - ٣٥

^٤ مر. عدنان مع جان القصيد ، ص ١٧٥

ويقول الشاعر عدنان النحوي في قصيدة " ملأ الظالمون أرضك يا دار " :

يا ديارَ الإسلامِ أَنِّي تَلَفْتُ تجرعتُ غصّةً وجزوعاً
أَيْنَ لَبْنَانُ؟ والدماءُ التي كانتُ تنادي وما تُلاقِي سميعاً
يا روابي الأفغانِ قصّي علينا وأعيدي الملامَ والتقريعا
يا ظلالَ الزيتونِ أينَ حديثُ الأمسِ؟ هاتِ الحديثَ والترجيعا^١

ويقول الشاعر محيي الدين عطية في قصيدة "جريح من هرات " :

وَجُرْحُكَ أَحْمَرُ الشَّفَتَيْنِ يَشْدُو بِأُغْنِيَةٍ لَهَا كَالْمِسْكِ رِيحُ^٢

ويقول الشاعر يحيى الحاج يحيى في قصيدة " جهادك يا أخوا الإسلام صبر " :

وإِيمانٌ بأنَّ النَّصْرَ آتٍ وَتَصْديقٌ بما نَطَقَ الْكِتابُ^٣

وفي مثل النماذج السابقة من الصور نرى الأشبات المتباعدة متقاربة ، تجتمع لتوحي بالغريب من أحاسيس شعراء الجهاد الأفغاني والغامض من مشاعرهم ، وتلك غاية تعجز عن تحقيقها لغة التعبير الأدبي المألوفة ، فكان لابد من الاستعانة بأسلوب تراسل الحواس الذي يجعل المحسوسات تتجرد من حسيّتها وماديّتها وتتحول - بالتراسل - إلى مشاعر فريدة في نوعها ، وأحاسيس متميزة في خصوصيتها .

ز - تأثير الصور والمشاهد :

عرض الشاعر د. عبد الرحمن العشماوي في قصائده صوراً كثيرة مؤثرة جميلة منها صامته ومنها حية متحركة . ونختار من هذه الصور حسب تسلسل القصائد .

ففي قصيدة " هؤلاء الأبرياء " رسم هذه الصور الحية :

^١ ملحمة الجهاد الأفغاني ، ص ٨٨

^٢ مجلة المجتمع الكويتية ، العدد ١٨ - فبراير ١٩٨٧ م ، ص ٥٣ ، مجلة أفغانستان ، العدد ١٨ ، ذو القعدة ١٤٠٩ هـ - يوليو

١٩٨٦ م ، ص ٥٣

ونَهَارٌ يَرْسُمُ الشَّمْسَ
على وَجْهِهِ الْغَدِيرَ

* *

وَأَنْيُنُ الشَّمْسِ مَرْسُومٌ
على وَجْهِهِ الْغُرُوبُ^١

* *

ومن الصور الصامتة فيها :

وأمام الكوخ آثارُ رماد

وبقايا جمجمة

وصغيرٌ

أكلتُ قنبلةً مقلته اليمنى

وشلتُ قدمه

وفتاة حرة

ألبسها التشريدُ أثوابَ أمة

وحصانٌ^٢

صارَ لا يعرفُ معنى الحميمة^٣

والصورة النادرة في هذه القصيدة هي :

وفقيرٌ

يسرقُ اللقمة

من ثغرِ ذُبابة^٤

^١ الشاعر د. العشماوي عبد الرحمن : من ديوان عندما يعرف الرصاص ، ص ٢٠٣

^٢ من ديوان عندما يعرف الرصاص ، ص ٢٠٣ .

^٣ المرجع نفسه .

^٤ المرجع نفسه .

أما في " على أنقاض مدينة هرات " فقد رسم في مطلعها هذه الصورة النادرة .
وَيَدُ الْأَقُولِ تَجْزُ نَاصِيَةَ الْقَمَرِ^١

ويعطيك صورة هرات وهي تصرخ وتبكي :
تَبْكِي هَرَاتُ وَتَسْتَجِيرُ
تَدْعُو وَلَكِنْ مَنْ يُجِيبُ
وَتَكَادُ تَخْنَقُهَا الدَّمُوعُ

ومن " أحمد عبد الله الزهراني " :
وَأَتَيْتُ تَرْمُقِي الرِّيحُ بِنَظَرَةٍ
عَجَلَنِي وَتَحْمَلُ فِي يَدَيْهَا الْمَوْقِدَا
وَأَتَيْتُ يَنْتَحِرُ الضِّيَاعُ عَلَيَّ يَدِي
وَيَصِيرُ رَمْلُ الدَّرْبِ حَوْلِي عَسْجَدَا
يَا أَنْتَ .. مَا مَرَّتْ عَلَيْنَا رَوْضَةٌ
فِي دَرَبِنَا إِلَّا وَتَذْكُرُ أَحْمَدُ
نَظَرَ السَّحَابُ إِلَيْكَ نَظْرَةَ مُعْجَبٍ
فَسَقَاكَ مَاءَ الْمَكْرَمَاتِ مُبْرَدَا
وَرَأَيْتَ أَبْرَاجَ الْمَعَالِي صَافِحَتِ
كَفَّ السَّمَاءَ فَصَارَ عِزْمُكَ مُصْعَدَا
أَصْبَحْتَ فِي ثَغْرِ الْجِهَادِ قَصِيدَةً
طَرَبَ الزَّمَانَ لِلْحَنَاءِ وَتَنَهَّدَا
هَذَا رَبَا زَهْرَانِ أَثْمَرُ لَوْزُهَا
شَغَفًا وَأَيْنَعَ شَوْقُهَا وَتَجَدَّدَا
أَحْيَيْتَ بِالتَّقْوَى سَعَادَةَ قَلْبِهَا
وَعَدَوْتَ فِيهَا بِالشَّهَادَةِ أَسْعَدَا

وَالطَّائِفُ الْوَلَهَانُ شَدَّ إِزَارَهُ^١
فَرَحًا وَأَحْيَا لَيْلَةً وَتَهَجَّدَا

وتمتليء هذه القصيدة من مثل هذه الصور الحية الجميلة
ومن الصور النادرة في " وسام العز في وجه عائشة " صورة القرية

وَقَرَيْتَنَا مَلْفَعَةً^٢ بِمَحْسَرَتِهَا

نَلْمَلِمُ ثَوْبَهَا الْبَالِي

وَتُسَدُّ ... وَيَحْهَا

جَلْبَابَ عَفْتِهَا

تُدَارِي صَدْرَهَا الْعَارِي وَتُسْتَرُهُ

عَنِ الْعَيْنِ الَّتِي اكْتَنَزَتْ بِشَهْوَتِهَا^٣

وصور الخطر القادم بهذه الكلمات :

وَشَدَّ اللَّيْلُ مِنْزَرَهُ

وَشَمَّرَ عَنْ ذِرَاعِيهِ

وَرَا حَ يَصْبُ فِي الْآفَاقِ ظُلُمَتُهُ

وَيَنْشُرُ فِي قُلُوبِ النَّاسِ رَهْبَتَهُ

وَأَشْبَاحُ الْأَسَى تَسْرِي

وفي " أشلاء أغنية حزينة " رسم للطفلين عدة صور صامتة :

طِفْلَانِ بَيْنَ يَدَيْهِمَا لَعِبٌ

وَفِي عَيْنِهِمَا فَرَحُ الصِّغَارِ

* *

وَالشَّمْسُ بَاهِتَةٌ

وَفَوْقَ جَبِينِهَا طَيْفُ انْكِسَارِ

* *

وفي " من أين أبدأ رحلتي " يقدم عدة صور في تساؤلات الطفل الذي

شردته الحرب :

وهزيمُ رعدُ يا أبي يفضي بآلامِ السحابِ
ووميضُ برقٍ تستضيءُ به المشارفُ والشعابُ
وسفينةٌ في البرِ آمنةٌ وأخرى في العُبابِ
وغناءُ عصفورٍ على فننٍ يرددُهُ غرابُ
وأنينُ أفدةٍ يمزقُها التلهُفُ والعذابُ
ويدٌ مكبلَةٌ وهذا السيفُ يلمعُ كالشهابُ^١

وهنا جمع بين الصور البصرية والسمعية والمتحركة والساكنة وهذه الصور التشخيصية المروية والمسموعة كثيرة في القصيدة . وقد اختار اسم الديوان عنوان إحدى القصائد وعنوان لقصائد أخرى بتعابير تصويرية مثل : " عندما يعزف الرصاص " و " أشلاء أغنية حزينة " و " وسام العز في وجه عائشة " وحسبنا هذا .

أما بالنسبة للشاعر د/عدنان النحوي فإن أجمل صورة فنية رسمها في ملحمة صورة دماء الشهداء وهي تروى الأرض والعصر ، وتأخذ الراحين عبقها من أنفاسه . ويرسم للشهيد صورة المهابة والجلال في ألق الجنان، يحفه في جلال من شهادته نور ، ويلقى عليه سندساً خضرا . وأكثر هذه الصور جاءت على طريق الاستعارات الجميلة التي تبعث الحياة في كل شيء ، ومن أمثلة ذلك يقول في قصيدته " يا أرض كابول " مصورا هجمة الروس على أفغانستان رامزا لهم بالمنجل — المنجل والمطرقة شعار الشيوعية التي أذلت بها العمال والفلاحين وهي تزعم الدفاع عن حقوقهم!!

ويشبه جنودهم بالأفاعى السامة :

تَسَابُ مِنْهَا الْأَفَاعِي وَهِيَ هَانِجَةٌ لِنَدْفَعِ السَّمَّ نَبْضَ الْعِرْقِ دَفَقَ دَمٍ^٢

ويعد صوره في الزمان والمكان برسم مشاهد الرحف الإسلامي عبر التاريخ .

^١ من ديوان عندما يعزف الرصاص ، ص ١٠٠ - ١٠١ .

^٢ المرجع نفسه .

فيقول في قصيدة " الدماء التي صببت الحياة ":

عَانَقِي الْمَجْدَ وَاخْفُقِي يَاسَ بِيَدُ كُلُّ يَوْمٍ عَلَى رِمَالِكَ عِيدُ
رَايَةً بَعْدَ رَايَةٍ وَزُحُوفُ فِي مَيَادِينِهَا وَقَجْرٌ جَدِيدُ
لَا يَزَالُ التَّارِيخُ يَدْفَعُهُ النَّصْرُ رُؤْيَيْنِيهِ مُؤْمِنٌ وَشَهِيدُ^١

أجاد وهو يصوّر مأساة لبنان ودفعه نحو الهلاك مشيراً إلى دور الغرب والشرق سواء ويرمز
لهما بالناب والمنجل:

أَيْنَ لَبْنَانُ بَيْنَ فَكَيْنِ عَضٍّ هَاهُ بِنَابٌ وَمَنْجَلٌ حَصَادِ
دَفَعُوهُ إِلَى الْهَلَاكِ فَالْقَى نَفْسُهُ فِي جَحِيمِهَا الرِّقَادِ
يَلْعَبُ الْمَوْتُ فِي الْأَزْقَةِ وَالْـ سَدَارِ فِي وَهْدَةٍ وَفِي أَنْجَادِ^٢

وقد اعتاد الشعراء أن يصوروا الموت وحشاً مفترساً مخيفاً ، ولكن الشاعر د. عدنان
النحوي هنا جعل الموت في صورة أخرى جديدة فعبّر عن كثرتها بـ " يلعب الموت في الأزقة
والدار ... " وكأنه صار مألوفاً لدى الناس وكأنه طفل من أطفال الحي يلعب بينهم !! حقا إنه
مأساة !! وكما يرسم لنا صورة في بيت واحد أو جملة واحدة في بيت أحيانا ، كما في صورة
المنجل الدامي والأفاعى الهانجة فهو يطيل رسم الصورة أحيانا ويعطيها بعدا في العمق بالإضافة
إلى الطول والعرض ويجعل لها إطارا ويزيد في لمعانها باختيار الكلمات اللامعة بمجد ذاتها. هذه
أفغانستان في التاريخ كما يعرضها في " طيوف الأعراس والأجواد " أنت أرض الشمس ، لألأت
النور ، نداء الوفاء ، زهوة حاد .

أَنْتَ مَيْدَانُنَا الْغَنِيِّ عَلَيْهِ مِنْ عَطَاءِ التَّارِيخِ وَفَرَّةُ زَادِ
كُلَّمَا مَرَّتِ الْعُصُورُ عَلَيْهِ وَهَبَتْهُ مِنْ جَوَاهِرِ وَقِلَادِ
مَنْ سَنَا لَوْلُو وَمَاسَةٍ كُوْهِ وَبَرِيقِ مُمُوجٍ وَاتَّقَادِ
فَأَتَى "مَوْكِبُ الْمُدَى" فَجَبَّاهَا آيَةً مِنْ جَوَاهِرِ وَقِلَادِ
فَخَبَتْ كُلُّ مَاسَةٍ حَمَلَتَهَا وَزَهَتْ مَاسَةُ النَّقَى وَالرَّشَادِ

جَوْهَرٌ مِنْ رَوَائِعِ الْحُسْنِ أَخْبَا ذُو آيٍ مَاضٍ مَعَ الْآمَادِ^١

نتأمل في كلمات هذه الصورة التاريخية لتجد الأضواء تخطف بصرك وكأنك تمشي في مدينة الأحلام . ومن أفضل الصور التي قدمها الشاعر تلك التي أخرجها من ذاكرته التي تحتزن صوراً تتألق مع الزمن ، فيخلط فيها عاطفته الحية الصادقة، تلك الصورة التي يطير فيها من " كابول " إلى فلسطين !! ويتساءل عن البساتين والعصافير والمروج ويحدث بل يناجي الليمون والزيتون وترق كلماته وتلطف ، ويتعد عن جو الملحمة وقعقة السلاح إلى الهمسات والوشوشات .

ح - الصورة الفنية :

يعد التشخيص من أكثر الألوان البيانية دلالة وإيجاء ، فهو يثري الصورة الشعرية ويجعلها على قدر كبير من الكثافة والحركة لأنه يتخطى المحسوس ويحوّله إلى واقع شعري ، لا تمثل العناصر المادية المحسوسة فيه سوى المادة التي يشكلها الشاعر تشكيلاً جديداً وفوق مقتضيات رؤيته الشعرية الخاصة^٢ .

وهنا ينجح التشخيص في تكوين الصورة الشخصية التي تمنح (الحياة الإنسانية لما ليس بإنسان)^٣ ومن ثم يعد التشخيص (وسيلة فنية قديمة عرفها شعرا العربي والشعر العالمي منذ أقدم عصوره ، وهذه الوسيلة تقوم على أساس تشخيص المعاني الجردة ومظاهر الطبيعة الجامدة في صورة كائنات تحس وتحرك وتنبض بالحياة^٤ .

بينما تكمن روعة التجسيد عندما يمتزج بالخيال الخصب للشاعر مزجا فنياً رفيعاً ، تتأزر فيه المحسوسات مع المشاعر الوجدانية الخاصة بذات الشاعر ، وتسبح في آفاق الخيال لتنتج في النهاية صورة رفيعة البناء ، ذلك لأن الخيال يقوم بالدور الأساسي في تشكيل الصورة الشعرية وصياغتها^٥ في صورة تجسيدية يتم فيها أحياناً وجعلها كائنات حية تنبض وتحرك^٦ .

^١ ملحمة الجهاد الأفغاني ، ص ١١٠ - ١١١ .

^٢ د. زايد علي عشري : عن ساء القصيدة العربية الحديثة ، ص ٧٨ .

^٣ المرجع السابق ، ص ٧٩ .

^٤ د. هبكن أحمد : تطور الأدب الحديث ، ص ٣٣٣ .

^٥ عن ساء القصيدة العربية الحديثة ، ص ٧٩ ، ٨٠ .

^٦ المرجع السابق ، ص ٨١ .

والصورة التجسيدية هي التي (يتمكن الشاعر بواسطتها من التعبير عن المعنويات في قالب مادي محسوس بحيث تكون قريبة الفهم للقارئ ، فالشيء المحسوس بطبعه أقرب إلى الفهم من المعقول ، فالفكرة المجردة تتجسد في هيئة مادية محسوسة)^١ .

على أننا لم نعدم أن نجد ناقدا فذا وبلاغيا واسع الأفق مرهف الحس كعبد القاهر الجرجاني ، لا يرتاح إلى نشدان التشابه في مثل هذه الصور التشخيصية ، ولا يميل إلى عدها تشبيها حذف منه المشبه به وأضيف بعض لوازمه للمشبه^٢ .

وقد أدرك الجرجاني بحسه المرهف أن قيمة الصورة الفنية ومدار بلاغة الكلام يتوقف على براعة الشاعر في صياغة الصورة التي يكون سطحها الحس المرهف - وهو وجهها الأول - الجسر الموصل إلى وجهها الثاني الكامن خلف السطح الحسي ، وهو الذي يهدف إليه المبدع^٣ . وعلى هذا تكون الصورة الشعرية مثل اللوحة الفنية التي يبدعها الرسام بريشته ، بحيث لا تنتقل الموجودات الحسية نقلا حرفيا مطابقا لما هي عليه في الواقع العياني المرصود ، وإنما يضيف إليها الفنان ويعيد تشكيل صياغتها التصويرية بما يتمشى ومشاعره وأفكاره ومواهبه^٤ فهي إذن (ليست زينة شكلية أو حلية مصطنعة ، وإنما أداة أساسية لتوصيل الخبرة والتعبير عن الرؤية^٥ .

ومن خلال استعراضنا السابق لبعض الصور الفنية عن شعراء الجهاد نلاحظ أن شعر الجهاد الأفغاني حفل بالصور الفنية الجميلة ، وأن شعراء الجهاد الأفغاني استطاعوا تصوير أفكارهم عن طريق إحساسهم الغني بها ، وعمق إدراكهم للمضمون .

وقد وجدنا أن هناك صورا جديدة في شعر الجهاد الأفغاني لدى العرب وجدت بتأثرهم بالمعارك وانفعالهم بها، كما وجدت كذلك صور فنية قديمة أخذها هؤلاء الشعراء عن سابقيهم ، وكانوا أحيانا يضيفون لهذه الصور معاني جديدة رغبة في التجديد ، من ذلك تشبيه الممدوح بالسيف ، فهذا تشبيه عرفه الأقدمون .

وإذا كان د. جابر قميحة سجل بعض فقرات قصائده بلغة الحديث العادي الخالية من الصور الشعرية، فإنه في معظم مقاطع قصائده أبدع وأجاد إجادة فائقة .

١. د. ميكل أحمد : تطور الأدب الحديث ، ص ٣٣٢ .

٢. الخراساني عبد القاهر ، التيق محمود محمد شاكر : أسرار البلاغة ، ص ٣٣ .

٣. المرجع السابق ، ص ١٦٠ وما بعدها .

٤. د. الوسيطي عبد الرحمن : السندوك في سمر بني عامر بن صعصعة ، ج ١ ، ص ٢٧٢ .

٥. د. وادي طه : جماليات القصيدة المعاصرة ، ص ٢١٢ .

وأولى هذه الصور في عنوان ديوانه المأخوذة من عنوان القصيدة الأولى (لجهاد الأفغان أغني) فقد سمى إنشاده غناء ، واستخدم أدوات الغناء في التعبير لإكمال الصورة مثل (القيثارة ، والعزف ، وسمفونية رقص عارم) فلاءم بذلك بين القصيدة وعنوانها ، وأكمل جزينات الصورة التي رسمها بالعنوان .

وتضمنت القصيدة بعد ذلك صوراً من التشبيه مثل تشبيه هجوم الكتائب حول جلال آباد وكابل بانقضاء البركان العاتي فيقول :

لَكَتَائِبُ حَوْلَ جَلالْ أبادِ
أَوْ كَابُولِ
تَنْقُضُ كَبْرُكانَ عاتٍ^١

وشبه كلماته القوية بالسيف فيقول :

كَلِماتِي سَتَكُونُ سَلاحاً
كَالسَّيفِ البَتَّارِ القاصِمِ^٢

وتضمنت القصيدة استعارات جميلة معبرة مثل :

كَلِماتِي سَتَكُونُ سَلاحاً
كَالسَّيفِ البَتَّارِ القاصِمِ
قَتَلَ الأملَ
وَأَحْيَا اليأسَ
بَذَرَ البُؤسَ
وَزَرَعَ النُّحسَ^٣

واستعارته الذنب للعدو المعتدي والفريسة المعتدى عليها .

بَيْنَ نُيُوبِ الذَّنْبِ الكاسِرِ
وَاسْتِسْلامِ الحَمَلِ الخائفِ^٤

^١ من ديوان : لجهاد الأفغان أغني ، ص ٧-١٠ .

^٢ المرجع نفسه .

^٣ المرجع نفسه .

^٤ المرجع نفسه .

واستخراج مثل هذه الصور من التشبيهات والاستعارات والكنائيات يطول في الديوان ويكثر ، وسنوضح فيما يأتي الصور الفنية التي جعلها أطرا لقصائده ومحورا دارت حولها ، وبنيت عليها .

ففي قصيدة (تحقيق صحفي) بناها الشاعر على تقمص شخصية صحفي عربي يتنكر بزي أفغاني بتكليف من رئيس التحرير ، فيدخل أرض المعركة حاملا أدوات الصحفي من آلة التصوير (الكاميرا) والقلم والقرطاس ، فإذا وقف على مشهد يريد نقله ؛ عرض علينا ما يفعله المصور وهو يلتقط الصورة فيقول :

وَشَهِدْتُ ...

أَخْرَجْتُ الْكَامِرَا

وَدَرْتُ الْكَامِرَا

يَا لَهِ ... !!

خَانَتْنِي الْكَامِرَا ..

يَا لَهِ ... !!

عَجَزْتُ عَدَسَاتِ الْكَامِرَا

أَنْ تَلْتَقِطَ الْمَشْهَدَ

فَالْمَشْهَدُ لَا يَرُصُّدُهُ وَيُسَجِّلُهُ إِلَّا إِنْسَانٌ

أُوتِي نَبْضَ الْإِنْسَانِ

وَصَفَاءَ مَشَاعِرِ أَنْقَى مِنْ قَطَرَاتِ الْأُنْدَاءِ

وَلِعَظْمَةٍ كَانَتْ - إِذْ أَشْهَدُهَا

أَوْسَعُ أَمَادَا

مِنْ طَاقَةِ هَذِي الْكَامِرَا الصَّمَاءِ^١

ولا شك أن الشاعر هنا عرض صورة شعرية حديثة من خلال الكلمات والتجربة

الشعرية التي صاغها بشعر التفعيلة .

وفي قصيدة "الموت ولا العار" رسم صورة عاطفية جياشة مؤثرة في إطار من الحوار

العائلي بين زوج مجاهد وزوجته ، اشتملت على مشاهد :

- ١- من داخل البيت : الزوجة تحاول منع زوجها من المضي إلى الجهاد .
- ٢- من ساحات المعركة : كلاب لروس الوالغة بميراث محمد ، ليل اليتامى وصارخهم الذي يملأ الأرض ، والشكالي اللاني يحمل الفجر صوتهن المعنى ، دفاع المجاهد عن هؤلاء وهؤلاء فوق خيل موريات القدح شماء الأعنة .
- ٣- ثم ينتقل بنا إلى موقف عصيب رهيب وقد تجاوز بنا المدى والآفاق فإذا نحن في يوم القيامة والرسول صلى الله عليه وسلم يسأل أمته : أين كنتم ؟ يوم هتم ؟ يوم ضعتم وأضعتم !! فتبيض وجوه وتسود وجوه .
- ٤- ثم يعود ليسجل صورة الجنين وقد ولد وكبر وصار طفلاً يسأل عن أبيه فتخبره الأم بأن أباه صار شهيداً وهو مخلد مع المهادي محمد صلى الله عليه وسلم .
- والحق أن الانتقال مع الشاعر في هذه القصيدة من مقطع إلى مقطع .. من مشهد إلى مشهد ، وقد فصل بينهما بملقطة من آلاف الأجنة التي وقعت ضحية العدوان . متعة فنية شعرية بين الصورة والصوت في جمال من إيقاع الكلمات وفواصلها الموسيقية يلفك خلالها ويغشاك شعور عاطفي متلون أخاذ .
- ونختار من القصيدة هذه العبارات من المشهد الأخير :

فَإِذَا مَا حَانَ حِينِي
وَرَوَيْتُ الْأَرْضَ
مِنْ دَفَقَاتِ دَمِي
جَاعِلًا مِنْ قَلْبِي وَعَظْمِي
تُرْبَةً لِلزَّهْرِ فِي أَرْضِ الْبُطُولَةِ
لَا تُرَاعِي . .
وَأَذْكُرُنِي
وَأَذْكُرِي أَنِّي قَدْ صُغْتُ مِنَ الْعَزْمِ نَشِيدًا
عَاصِفَ الْأَلْحَانِ
جَبَّارًا عَنِيدًا^١

وتخيل جلال وجمال الزهر الذي ينبت على تربة رويت بدم أحمر قان تدفق من الشهيد
يفوح منه عطر المسك ، وقد أخذ الزهر من الدم لونه وعطره !!

وفي قصيدة "رحيل من غير وداع" يرسم للطالب التركي الشهيد تكنور طيفور صورة
لطيفة نورانية ملانما بين الاسم والرسم في كلمات معبرة مباشرة :

قَدْ كَانَ بَسِيطًا .. وَحَيًّا

صَافِي اللَّمَحَاتِ

نَقِي السَّمَاتِ

وَيُطِيلُ الصَّمْتَ

وَيَعِيشُ الصَّمْتَ

وَكَأَنَّ نِدَاءَ عَلْوِيَا يَحْدُوهُ^١

ويرفعه الشاعر شيئا فشيئا ليأخذ صورة بلورية نقية :

قُدْسِي الْوَمَضِ

عَطْرِي الْفَيْضِ^٢

ملانما للمكان الذي يصعد إليه :

جَنَّةُ رِضْوَانِ

وَحَوَاصِلُ طَيْرٍ خُضِرِ

تَسْبَحُ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ

عَرْشِ الرَّحْمَنِ ...^٣

وينقل صورة أخرى من الأرض .. صورة الأم التي تتخيل عودة ولدها بشهادة كبرى في
لغة القرآن فتبحث له عن أفضل بنات الجيران تليق بشهادة لغة القرآن ، ولكن الولد الذي رحل
من غير وداع حصل على شهادة كبرى في مجال آخر ليس للقلم والقرطاس فيه دور .. شهادة
تزري بأكبر شهادات الناس على الأرض وسجل اسمه فيها : نور وزهور ، بدلا من اسمه القديم :
تكنور طيفور !!

^١ من ديوان : لجهاد الأفغان أغني ، ص ٦٢ - ٦٨ .

^٢ المرجع نفسه .

^٣ المرجع نفسه .

وفي قصيدة عنودة مصعب بن عمير^١ يقدم الشاعر صورة للمجاهد الشاب الثري الشهيد مقارنة بصورة مصعب بن عمير الصحابي الشاب الثري الشهيد رضي الله عنه . ويحتاج فهم هذه الصورة ثقافة تاريخية وإلماما بالظروف التي أسلم فيها مصعب بن عمير وما كان فيه ، وما آل إليه!!

فقد كان مصعب بن عمير رضي الله عنه أكثر شباب بمكة رفاهية ، يضرب به المثل ، ويعرف الطريق الذي مر فيه من العطر الذي يبقى أثره بعده !! وقد سجل الشاعر جابر قميحة في مقدمة هذه القصيدة كلمات معبرة بأسلوب التشبيه المباشر والإستعارة فقال :

ويح نفسي ...!!
مات ميلادي القديم
إنني في حاجة حراً ..
لميلاد جديد
نابع كالفجر من صلب الحقيقة
بنسيج ثائر النبض
لهيب العنقوان
ودماء من مضاء
وضمير من ضياء
وجبين من إباء^٢

كلمات حية رسمت صورة مضيئة ماضية ، ضياؤها من نور الفجر النابع ، ومضاؤها من صلابة الحقيقة، وشبه زحفه في قوته بمارج من نار ، وأنه تحول من بلبل وديع إلى كاسر ضاري العزيمة ، فقال :

لكنه في زحفه .. وعصفه
- رأيتُه -

كمارج من نار^٣

^١ من ديوان الجهاد الأفغان أعني ، ص ٦٩-٧٥ .

^٢ المرحع نفسه .

^٣ المرحع نفسه .

وقال في تحوله من حياة الدعة إلى حياة الجهاد :

من ذا الذي قد غيرَكَ

وأخرجَكَ

وحولَكَ

من بلبلٍ عاشَ الوداعةَ

والسكينةَ

والرفاهةَ

والنعمَ

لكاسرٍ

ضاري العزيمة^١

أما قصيدة " الشهيد عبد الله عزام - الفارس الذي صعد " فقد تألق د. جابر قميحة في رسم مشهد استشهاد الشيخ عبد الله عزام رحمه الله ، فبعد خمسة مقاطع من القصيدة تحدث فيها عن لقائه الأول والثاني بعبد الله عزام والتحاقه بالمجاهدين ، وما أثير حوله من شبهات ورد عبد الله عزام عليها . يتلقى د. جابر قميحة نبأ استشهاد صديقه الحميم ، فيبلغ به التأثير غايته ، ويرى الرجل ساميا صاعدا إلى السماء ، وهو غارق في طين الأرض فيصوره في ثلاثة مشاهد ، أخذت حيزا كبيرا من القصيدة .

١ - المشهد الأول على لسان أحد رواة الخبر ، استعار له صورة الفارس الذي كبا به جواده ، وسيفه في يده قد انكسر مقبضه ، وكفه تجود بالدماء كالمنظر ، وصاح صيحة كالبركان والزلازل والنذر :

لَنْ أَنْقَهَرُ ...

لَنْ أَنْقَهَرُ ...^٢

وتختفي الصورة ويغيب الصوت ويبقى أثره في المكان :

بقعاً من الدماء

والمضاء

^١ من ديوان الجهاد الأفتان أغني ، ص ٦٩-٧٥ .

^٢ جريدة أخبار العالم الإسلامي ، العدد ١٠٩٨ ، السنة ٢٢ ، ١٩ ربيع الآخر ١٤٠٩ هـ - ٢٨ نوفمبر ١٩٨٨ م ، ص ١٤

والإباء

والضياء

تبتسم^١

٢- الرواية الثانية على لسان راو آخر للحادثة ، وصورته قائد سفينة يحرق في بحر لجي في ليلة ضبابية ، ويشهد ظلمة المحيط الذي يسير فيه عبد الله عزام (ليلة ، صباب ، الموج فوق الموج ، مظلم الأحشاء ، ظالم مدمر ، الرياح والتيار والصخور والدجي) .

ومع كل هذا يستمر عبد الله عزام في إبحاره ، يدفع سفينه بالمجداف ، فإذا بصوت :

مِنْ خَلْفِ جُدْرَانِ الضَّبَابِ الْقَاتِمِ

اللَّهُ أَكْبَرُ ...

قَدْ وَصَلْنَا ...

لَا تُرَعُ

لَا تَرْكُنْ لِلْهُمُومِ .. وَالْفَزَعِ^٢

ويسود الصمت في المكان ، فيأتي الخبر بعد ذلك بأن :

عَلِمْتُ أَنَّ صَخْرَةً سُودَاءَ

كَالظَّلَامِ .. خَائِنَةٌ

قَدْ حَطَّمَتْ سَفِينَتَهُ^٣

وإذا يغيب عبد الله عزام في الضباب والليل والموج يترك آثارا في مكانه :

بقعا من الدماء

والمضاء

والإباء

والضياء

تبتسم^٤

^١ من ديوان لجتهاد الأفغاني أعني ، ص ٦٩ - ٧٥

^٢ جريدة أخبار العالم الإسلامي ، العدد ١٠٩٨ ، السنة ٢٢ ، ٨ ربيع الآخر ١٤٠٩ هـ - ٢٨ نوفمبر ١٩٨٨ م ، ص ١٤

^٣ المرجع نفسه

٣- والصورة الثالثة هي التي رآها الشاعر نفسه ؛ حيث رأى عبد الله عزام يصعد السماء ،
ويحاول الشاعر أن يلحق به. لكنه يعيا لأنه مرتهن بالأرض ، فيناديه أن يأخذه معه ، لكن صيحته
تضيع ، ويسمع صوت عبد الله عزام وولديه عن يمينه ويساره وهم يكبرون :
الله أكبرُ يا صاحب ..

جننا لها ...

فُزنا بها ..^١

وينطلقون بعد ذلك في سرعة الضياء مجاوزين نهر المجرة والفلك إلى سدرة علوية أرقى
من الأفطار والسماء لا تحدها الشاعر والأبصار ، وإذ يغيب الشهيد يترك وراءه :
رأيتُ شلالاً من الدَّم الزَّكي

والمضاء

والإباء

والعلاء

والضياء ..

يَتَسَمُّ^٢ ..

والقاريء المتأمل لا يشبع من هذا الخيال الواسع الذي عرض مشهد مقتل عبد الله عزام
بالصوت والصورة الحية ممتدا في الطول والعرض والعمق !! ولعل قلم رسام ينقلها على لوحة فنية
يبدع فيها بريشته . ولكن أنى للرسام أن ينقل الشاعر والأحاسيس التي تركها الشاعر بكلماته
!؟ إن الرسام يحمد الصورة الحية ، والشاعر يحرك الصورة الجامدة. قد يرسم الرسام الفارس
والجواد والسيف ، أو يرسم السفينة الماخرة في ظلمات العباب ، أو يرسم الضياء الصاعد إلى
السماء ، لكنه لن يستطيع رسم :

بقعاً من الدماء

والمضاء

والإباء

والضياء

تبتسم^١

أما في قصيدة مقاطع أفغانية^٢ للشاعر أحمد محمد الصديق : جاءت جملة من الصور البلاغية التي استطاع الشاعر من خلالها توظيفها لخدمة أفكاره ومعانيه وإن جاءت بعضها خيالية فإنها معبرة عن ما جال بفكره وجاءت مؤثرة في وجدان كل مسلم يحب الجهاد في سبيل الله من أجل تحرير كل أرض اغتصبت من المسلمين ، واختار صوره الخيالية من الواقع الملموس لدى كل إنسان حتى لا تتسم الصور بالغرابة وتجاوز الحد في الخيال .

وخلال القراءة الشعرية لهذه القصيدة وجدنا بعض المقاطع مكدسة بالصور الخيالية بينما كاد البعض الآخر أن يخلو منها .

ومن الصور التي جاءت في المقطع الأول : (يستنزل النصر) فقد تخيل الشاعر أن النصر عبارة عن أمطار يريد استنزائها بالضراعة إلى الله إلى الأرض كي تنمو الزروع ويحيا الإنسان عليها وفيها براعة تصوير لا تخفى على كل ذي حس مرهف .

(فاضت ضراعتة للسماء) تصوير خيالي بعيد الإدراك على المتلقي فهو يتخيل ضراعة هذا القائد أنها ماء قد زاد وفاض حتى بلغ السماء أو أنه يقصد الكناية أي فاضت ضراعتة إلى الله ، يكتفي بالسماء عن الله سبحانه وتعالى .

(وخاض القتال) تصوير بياني غاية في الروعة فقد تخيل الشاعر القتال بحرا يخوضه هذا القائد المغوار بما توحيه هذه اللفظة من الدخول في البحر في أي موضوع كان منه .

(رحي الحرب دارت) تخيل الشاعر في هذه الصورة أن الحرب هي امرأة لها رحي ينم عن براعة الشاعر في نسج صوره .

(تزلزل ركن الضلال) هنا اتجه الشاعر إلى التجسيد فقد تخيل أن هذا الضلال الذي يدافع عنه أعداء الله هو عبارة عن بناء له أركان وعندما دارت رحي الحرب وانتصر المسلمون تزلزلت هذه الأركان أمام الحق وجنوده .

(وجلجل تكبيرنا في الجبال)

(يطاردهم حيث كانوا)

فقد تخيل التكبير الذي يجلجل في الجبال إنسانا مخيفا يطاردهم في أي مكان كانوا فيه .

(ويحصدهم منجل الرعب حصدا) فقد تخيل أن الرعب إنسانا له منجل وهم ثمار قد

نضجت وحن حصادها وهو يحصدهم بمنجله كحصد الثمار .

(ويضحك في الأفق وجه الهلال) هنا صورة فيها تجسيم للهلال إنسانا يضحك وهو في الأفق ولا يبدو منه إلا وجهه الضاحك .

(وهبت كأجنحة الموت أحقادهم غارة إثر غارة) تشبيه جميل فقد تخيل أحقاد هؤلاء الأعداء أنها كأجنحة الموت .

والصورة الثانية في هذه الشطرة هي أنه تخيل الموت طائرا له أجنحة يطير بها .
(ويلمع كالبرق سيف القدر) هنا في هذه الشطرة تشبيه وصورة بلاغية ، أما التشبيه فهو في قوله (كالبرق) فقد تخيل الشاعر سيف القدر أنه كالبرق في لمعانه ، والصورة الخيالية هي في قوله (سيف القدر) فقد جسم القدر وجعله إنسانا له سيف يلمع .

(ليمحق رجسا يسمى حضارة) فتخيله الرجس الذي يسمى حضارة إنسانا يمحى
ويزول وينتهي .

(ويملا كأس العدى بالمرارة) فقد تخيل هزيمة هؤلاء الأعداء بأنها كأس مليئة بمرارة الهزيمة .

(يخط لنا البشريات) تخيل أن جيش الملائك يخط ويرسم لنا طرقا عريضة فكأن البشرى لها خطوط إذا سرنا على هذه الخطوط فقد حزننا .

(وفي الأفق تعلو القمم)

(تجسد معنى الشمم)

تخيل أن قمم الجبال الرواسخ عبارة عن إنسان يستطيع على تجسيد معنى الارتفاع والعظمة والشموخ .

(وترفض ذل القيود ^١) تخيل هذه القمم العالية مجموعة من البشر وهو يقصد بها هنا المجاهدين الأفغان ترفض الاستكانة والخضوع لذل القيود .

وهنا صورة خيالية أخرى ، فقد تخيل أن هذه القيود أناسا يتصفون بذل البشر وخاصة المسلمين .

وهذه الصورة تتم عن فهم الشاعر لما يدور حوله في العالم الإسلامي فكل خدمة يقدمها الغرب للمسلمين يخضعونهم لقيود كثيرة لا يتجاوزونها . وهذه الصورة السابقة يطلق عليها الصورة الممتدة أو الكلية

وَمَا زَالَ يَمْضِي الشَّهيدُ .. وَرَاءَ الشَّهيدِ ..

^١ الصديق ، أحمد محمد ، مجموعة جراح وكلمات ، ص ١٣٢ .

يَطِيرُ شَهَابًا مُضِينًا ..
وَيَفْتَحُ بَابَ الْخُلُودِ ..
يُرَدِّدُ (إِنَّا فَتَحْنَا ..)
حُرُوفًا مِنَ النُّورِ .. وَ النَّارِ

صورة امتدت امتدادا طويلا وقد اشتملت هذه الصورة الكلية على عدة صور جزئية ،
فمنها قوله (يطير شهابا مضينا) فقد تخيل في هذا الشطر أن الشهيد شهاب يضيء الطريق لمن
يأتي بعده من المسلمين ويصير قدوة لكل مجاهد يريد وجه الله ، والصورة الثانية أنه تخيل هذا
الشهيد أنه بشهادته تلك التي صارت مفتاحا لدخول أبواب جنة الخلود .

ثم في الصورة الثالثة تخيل الجنة أنها عبارة عن حروفٍ من النور قد خلقها الله هكذا .

حُرُوفًا مِنَ النُّورِ .. وَ النَّارِ
تَنْبُتُ فَوْقَ نَزِيفِ الْجِرَاحِ ..

صورة خيالية أتى بها هنا وربطها بصور خيالية أخرى في نفس الشطرة ، فقد تخيل في
الصورة الأولى أن النار نبات ينبت ليس على المياه بل على النزيف الذي ينصب من الجراح ، وفي
الصورة الثانية تخيل الشاعر النزيف الذي ينصب من الجراح أرضا خصبة ينبت عليها النبات .
(وتسرج خيل الصباح) تخيل الشاعر أن تلك النار تقوم بعمل سروج للخيل وتخيّل
الصباح رجلا له خيول .

(ونعتصر الجراح نورا) تخيل هذه الجراح الذي تنزف بالدماء تخرج نور يضيء الطريق .
(ليزهر معنى الثبات) تخيل أن معنى الثبات هو بذرة تنبت وتزهر بالدم المعتصر من هذه
الجراح .

(تضائل أعداؤنا كالدمي) تخيل الأعداء من شدة خوفهم وهلعهم أنهم كالدمي وهي
العرائس التي تصنع من القماش وهذا دلالة على تحقيرهم وتصغير شأنهم .

(كالجراذين بين الدمن)

تحلق من فوقهم كالنسور الطليقة)

تخيّل هؤلاء الأعداء أنهم كالحيوانات التي تسمى الجرذان التي تلتف حول أي جيفة ، وتخيّل جند
الله أنهم كالنسور التي تسبح في الفضاء طليقة بعد أن أخذت حظها من فريستها وتركت هذه
الجرذان الضعيفة تتغذى على ما بقي منها .

وبالله نعلو

ونسحق تلك الوجوه الصفيقة

تخيل هذه الوجوه الصفيقة أنها أشخاصا تسحق وتهزم وتندحر
(هنا خيمة يهرب الظل منها)

تمتد الصور الخيالية في نسيج متكامل ، فهنا يتخيل الشاعر أن الظل إنسانا يهرب من
الخيمة لشدة اللهيب والنار الذي بها فكأنه لا يطيق البقاء في هذا الحر المتجهم .
(ويشتد لفح الهجير)

تخيل الشاعر لفح الهجير وقيظه بأنه إنسان قد بلغ أشده وقد اشتد ساعده .
(ويلتحف الليل بالزمهرير)

صورة خيالية بمعنى الكلمة فالخيال فيها قد تجاوز حدوده المرسومة له ، فقد تخيل الشاعر في هذه
الصورة أن الليل إنسانا قد التحف بملحفة من شدة الزمهرير أي البرد الشديد فهذه صورة قد
بالغ الشاعر في الخيال فيها فعبت عليه .
(جريح هناك ين .. وآخر أنفاسه في احتضار) .

تخيل الشاعر في هذه القصيدة أن الأنفاس هي الشخص الذي حانت لحظة احتضاره ،
وهذه صورة خيالية واقعية أخذت طابعا جماليا لأنها غير متكلفة وجاءت عفوية من خياله ، فإن
الأنفاس هي التي تدل على بقاء الأجل أو الروح في جسد صاحبها وحين تنقطع يعلم موت
صاحبها .
(ولكنه رغم هذا قوي الشكيمة .. واري الزناد)

في هذه الشطرة كناية في أولها في قوله (قوي الشكيمة) فهذه الجملة كناية عن شدة
عزمه فهو مع أئنه وألمه يتحمل ذلك ويصبر احتسابا للأجر عند الله .
وفي نهاية الشطرة صورة خيالية تخيل الشاعر فيها هذا المجاهد كأنه زنادا قد وريت ناره
حتى إذا جاءت رياح هبت تلك النار منه مرة أخرى ، وهذه صورة في غاية البراعة في تصويره
إياها من خلال حسه المرهف الذي يحس به تلك العلاقات البعيدة بين الأشياء .
(وفي خوست .. وهي تذوق لهيب الحصار)

صورة تلو صورة أتى بها الشاعر من مخيلته الخصب التي تنتج الخيال الخصب ، ففي
الصورة الأولى وهي (وهي تذوق) فقد تخيل مدينة خوست أنها إنسانا يحس ويشعر ويذوق ذلك
اللهيب من الحصار .

وفي الصورة الثانية (لهيب الحصار) تخيل الحصار عبارة عن نار تلظى لها لهيب حارق
يذيق المدينة البائسة التي يتضور أهلها من شدة الجوع والعطش بسبب تلك اللهيب والحصار .

ونسحق تلك الوجوه الصفيقة

تخيل هذه الوجوه الصفيقة أنها أشخاصا تسحق وتهزم وتندحر
(هنا خيمة يهربُ الظلُ منها)

تمتد الصور الخيالية في نسيج متكامل ، فهنا يتخيل الشاعر أن الظل إنسانا يهرب من
الخيمة لشدة اللهب والنار الذي بها فكأنه لا يطيق البقاء في هذا الحر المتجهم .
(ويشتدُ لفحُ الهجير)

تخيل الشاعر لفح الهجير وقبظه بأنه إنسان قد بلغ أشده وقد اشتد ساعده .
(ويلتحفُ الليلُ بالزمهرير)

صورة خيالية بمعنى الكلمة فالخيال فيها قد تجاوز حدوده المرسومة له ، فقد تخيل الشاعر في هذه
الصورة أن الليل إنسانا قد التحف بملحفة من شدة الزمهرير أي البرد الشديد فهذه صورة قد
بالغ الشاعر في الخيال فيها فعيبت عليه .
(جريحُ هناكَ يننُ .. وآخرُ أنفاسه في احتضار) .

تخيل الشاعر في هذه القصيدة أن الأنفاس هي الشخص الذي حانت لحظة احتضاره ،
وهذه صورة خيالية واقعية أخذت طابعا جماليا لأنها غير متكلفة وجاءت عفوية من خياله ، فإن
الأنفاس هي التي تدل على بقاء الأجل أو الروح في جسد صاحبها وحين تنقطع يعلم موت
صاحبها .

(ولكنه رغم هذا قويُّ الشكيمة .. واري الزناد)

في هذه الشطرة كناية في أولها في قوله (قوي الشكيمة) فهذه الجملة كناية عن شدة
عزمه فهو مع أئينه وألمه يتحمل ذلك ويصبر احتسابا للأجر عند الله .
وفي نهاية الشطرة صورة خيالية تخيل الشاعر فيها هذا المجاهد كأنه زنادا قد وريت ناره
حتى إذا جاءت رياح هبت تلك النار منه مرة أخرى ، وهذه صورة في غاية البراعة في تصويره
إياها من خلال حسه المرهف الذي يحس به تلك العلاقات البعيدة بين الأشياء .

(وفي خوست .. وهي تذوق لهيبَ الحصار)

صورة تلو صورة أتى بها الشاعر من مخيلته الخصب التي تنتج الخيال الخصيب ، ففي
الصورة الأولى وهي (وهي تذوق) فقد تخيل مدينة خوست أنها إنسانا يحس ويشعر ويذوق ذلك
اللهيب من الحصار .

وفي الصورة الثانية (لهيب الحصار) تخيل الحصار عبارة عن نار تلظى لها لهيب حارق
يذيق المدينة البائسة التي يتضور أهلها من شدة الجوع والعطش بسبب تلك اللهيب والحصار .

(وفي بكيتا في متون السحاب .. وفي قندهار)

صورة خيالية تخيل فيها الشاعر أن السحاب هو أحاديث لها متون يتحدث فيها السحاب عما دار فيه من إلقاء الطائرات القنابل الفتاكة وقنابل النابالم التي أحرقت المسلمين في تلك المدن .

و في كل شبر مثار ..

تَهاوَى الظَّلامُ ..

و شَعَّشَعَ وَجْهَ النَّهَارِ ..

في هذه الشطور جاءت صورتين خياليتين ، الأولى في قوله (تهاوى الظلام) فقد تخيل

الشاعر الظلام في رحيله بإنسان يتهاوى ويسقط على الأرض ، وفي الصورة الثانية تخيل النهار في بهانه وبهجته بإنسان له وجه يشع منه النور في الدنيا .

نرص الصفوف .. خطوطا من النور^١

تخيل الصفوف التي تصف للخروج للجهاد هي عبارة عن خطوط من النور تضيء

لل بشرية الطريق كي يكملوا السير في الجهاد حتى يعم الإسلام جميع المعمورة وتعود جميع أراضي

المسلمين المسلوبة .

يَعْلُو جِدَاراً .. وَرَاءَ جِدَارٍ ..

يُطَوِّلُ .. وَ يَمْتَدُّ سُوراً عَظِيماً ..

يَلْفُ الدِّيارِ

و يَحْمِي الذِّمارَ ..

يَكْفُ أذى المعتدين ..

و يَرَأْبُ صُدْعَ الْحُدُودِ الَّتِي مَزَقَّهَا الْخِرَابُ ..

و يَفْدِي الْعَرِينَ ..

هذه صورة ممتدة أتى بها الشاعر متسلسلة وراء بعضها البعض كحبات اللؤلؤ المنظومة

في عقد ، ففي قوله (يلف الديار) صورة خيالية تصور فيها الشاعر هذا الجدار إنسانا قويا لا يستطيع أن يتسوره ولا يقهره أحد فهو الحامي لتلك الدمار من مباغته العدو لها .

(يكف أذى المعتدين) امتداد لتلك الصورة السابقة فهي صورة كلية توجد في ثناياها

تلك الصور الجزئية ، فقد تخيل الجدار إنسانا قوي الشكيمة يدفع عن من يليهم كل الأذى الذي

يريدته المعتدون بمن وراءهم.

(ويرأب صدع الحدود التي مزقتها الحراب)

صورتين خياليتين متداخلتين في بعضها البعض ، تخيل السور إنسانا يصلح الصدع أو الشرخ الذي حدث في الحدود بين دول الخلافة الإسلامية التي تمزقت وصارت دويلات ضعيفة يحركها الغرب كالدمى في يده .

وفي قوله (التي مزقتها الحراب) تخيل إنسانا يمزق هذه الحدود التي تخيلها الشاعر ثيابا تمزق كي تشير الفتن بين المسلمين على حدودهم التي حدها الاستعمار بعد تفكك الخلافة الإسلامية .

(ويفدي العرين) تخيل الجدار كأنه أسد كاسر يحمي عرينه من أي عدو يقترب منه ، وبهذه الصورة الجزئية قد انتهت الصورة الكلية الممتدة التي ساهمت في إيضاح المعنى بعدة صور جزئية .

مصادر شعر الجهاد الأفغاني :

تارة يستمدون صور أشعارهم من القرآن الكريم :^١

حيث يقول الشاعر : حسان تحتوت في قصيدته " بين يدي الرسول "

ذاك الهدى يا من يسائل ما الهدى فبأي آلاء الهدى تمارى^٢

وذلك من قول الله تعالى : ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى ﴾^٣ و ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾^٤

ومن ذلك قول الشاعر في قصيدة " الحصار والغرباء " :

تمضي بها كلمات الله غالبة بعزة رفرفت بالنصر والأمل^٥

وذلك كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾^٦ .

^١ د. أحمد محمد فتوح : واقع القصيدة العربية ، ص ٥٥ .

^٢ كتاب شعراء الدعوة الإسلامية ج ١٠ ، ط ١٤٠٨ هـ ص ٢٦

^٣ سورة النجم آية ٥٥

^٤ سورة الرحمن آية ١٣

^٥ الشاعر المجهول ، مجلة الجهاد ، العدد ٥ ، فبراير ١٩٨٦ م ، ص ٢٠ .

^٦ سورة لقمان آية ٢٧

وأيضاً في قوله : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَاداً لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾^١

ويقول الشاعر : حسان تحتوت من قصيدة " بين يدي الرسول "
يا ربَّ إنَّ الناسَ ضلُّ ضلَّاهُم فتنجبروا واستكبروا استكباراً^٢

وذلك من قول الله تعالى : ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾^٣

فالصورة هنا في قوله (تمضي بها كلمات الله غالبية) فهذه الكلمات دخلت صراعا حادا مع الملحدين وخرجت منتصرة غالبية ترف العزة والأمل إلى المجاهدين . وقد كان قوام الصورة قوله (كلمات الله) وهي مأخوذة من القرآن الكريم^٤ . وكذلك تأثر الشاعر بثقافته الدينية جعلته يستمد دعاءه واتغشته بالله فإن القوم قد استكبروا وضلوا في الأرض أضلوا كثيرا .
ويقول الشاعر أحمد الصديق : في قصيدته " توقيعات مجاهد أفغاني " :

ونحن لغير الله لا نعنو^٥

وذلك يتوافق في المعنى المستمد من قول الله عز وجل ﴿ وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ، وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ .

ويقول الشاعر : علي شحاته في قصيدة " أفغانستان "

عملاؤها نجسٌ بكلِّ مدينةٍ كجنودِ إبليسٍ لديه حضور^٦

فقد شبه الشاعر أولئك العملاء بجنود إبليس تأكيداً منه على إظهار صفة النجاسة والخبث التي تجمع بينهما وقد استعار طرف التشبيه الثاني (جنود إبليس) من القرآن الكريم أو

^١ سورة الكهف آية ١٠٩

^٢ كتاب شعراء الدعوة الإسلامية ج ١٠ ط ١٤٠٨ هـ ص ٢٦

^٣ سورة نوح آية ٧

^٤ د. فتوح ، أحمد محمد ، رائق القصيدة العربية ، ص ٢٩٩ .

^٥ مجلة الإصلاح ، العدد ٥٣ ، شوال ١٤٠٣ هـ ، ٣٤ .

^٦ مجلة المجتمع الكويتية ، العدد ٧٠٠ ، يناير ١٩٨٥ م ، ص ٤٣

من ثقافته الدينية . كما يقول الله تعالى : ﴿ فَكَبِّكُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ * وَجَنُودُ
إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾^١ .

ويقول الشاعر الجاهلي : في قصيدة " بنس الاسم ماركس " :
فَعِزُّوْا فَقَدْ آنَ فَصْلُ الْخِطَابِ وَحَقَّ الْجِهَادُ وَضُرِبَ الرِّقَابُ^٢

وقد اقتبس الشاعر اسم القصيدة "من القرآن الكريم وذلك من قوله تعالى : ﴿ بَنَسِ
الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتَّبِعْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾^٣ ففي هذا
البيت تأثر بكتاب الله الكريم إلى حد كبير فقد أخذ الشاعر منه تراكيب بعينها وضمنها بيته هذا
(فصل الخطاب - ضرب الرقاب) وما في البيت من صورة بيانية تذكر . يقول الله تعالى :
﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾^٤ ويقول الله تعالى : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ
كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ ﴾^٥ .

يقول الشاعر : حسان تحتوت في قصيدة " بين يدي الرسول "
لم ترمِ كُفْكُ إِذْ رَمِيتَ وَإِنَّمَا أَجْرَى إِلَهُ بِكُفْكُ الْأَقْدَارُ^٦

وذلك من قوله تعالى : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾^٧
كما يقول الشاعر الجاهلي : في قصيدة بنس الاسم ماركس "
وَزَلْزَلْتَ الْأَرْضَ زَلْزَالَهَا وَلَمْ يَبْقَ فِي الْأَرْضِ غَيْرُ الْخَرَابِ^٨

^١ سورة الشعراء آية ٩٤ - ٩٥

^٢ مجلة المسلم ، السنة التاسعة ، أكتوبر ١٩٨٣ م ، ص ٣٤ ، مجلة المجتمع الكويتية ، العدد ٨١٤ ، أكتوبر ١٩٨٦ م ، ص ٣٤ .

^٣ سورة المحجرات آية ١١

^٤ سورة ص آية ٢٠

^٥ سورة محمد آية ٤

^٦ كتاب شعراء الدعوة الإسلامية ، ج ١٠ ط ١٤٠٨ هـ ، ص ٢٦

^٧ سورة الأنفال آية ١٧

^٨ مجلة المسلم ، السنة التاسعة ، أكتوبر ١٩٨٣ م ، ص ٣٤ ، مجلة المجتمع الكويتية ، العدد ٨١٤ ، أكتوبر ١٩٨٦ م ، ص ٣٤ .

وفي هذا البيت أيضا استعارة تركيب بذاته من القرآن الكريم وهو قوله تعالى : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾^١ وهذا من قبيل التأثير الأسلوبى ولا علاقة له بتأثر الصورة الشعرية بالثقافة إذ لا يوجد أصلا صورة في البيت .

ويقول الشاعر جابر قميحة في قصيدة " تحقيق صحفي " :

(قُلْ جَاءَ الْحَقُّ

وَزَهَقَ الْبَاطِلُ

إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا)^٢

مقتبسة من قول الله تعالى : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ

زَهُوقًا ﴾^٣ .

وفي مقطع آخر :

الحق ..

والحق أقول ..^٤

من قول الله تعالى : ﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ

تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾^٥ ويقول : ﴿ وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ .

أنا لم أشهد إلا قوما سحقوا الصخر .

من قول الله تعالى : ﴿ وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ وَاللَّيْلِ إِذَا

يَسُرُّ ﴾^٦ .

^١ سورة الزلزلة آية ١

^٢ من ديوان : لجهاد الأفغان أغني ، ص ٣٥-٤٧

^٣ سورة الإسراء آية ٨١

^٤ من ديوان لجهاد الأفغان أغني ، ص ٣٥ - ٤٧

^٥ سورة ص آية ٨٤ - ٨٥ .

^٦ سورة المعج آية ١ - ٤

ويقول الشاعر أحمد الحسن ولد الشيخ في قصيدة " صرخة حق :
وما انتفاعُ أخي الدنيا بناظره إذا استوتُ عنده الأنوارُ والظلم^١

وذلك من قول الله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ۚ ٢ 》 .

ويقول الشاعر عمر الراكشي في قصيدة " تحية إلى أفغانستان " :
تواقٌ للقتل لا يبقي ولا يذرُ هناك للعرضِ دوماً^٣

وذلك من قول الله تعالى : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ، لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ۚ ٤ 》 .
قال الشاعر المسلم الحر : في قصيدته " رباعيات كابول "
الله بشرهم بجنات الخلود الدانية^٥ .

وذلك البيت مستمد من قول الله عز شأنه : ﴿ وَأَزْلَفْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۚ ٦ 》
ويقول الشاعر الجهمول : في قصيدة " هنا يقفرون " :

يتبجح أسباط الشيطان

هو ذا درس الأيام يعود^٧

هذه الأبيات مستمدة من قول الله عز وجل : ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا ۚ ٨ 》
أُمَمًا^٩ .

يقول الشاعر عبد المنعم الهاشمي : في قصيدة " والله معكم " :
ألا صولوا جنود المسلمينا بأفغان ، على جند العمينا

^١ مجلة الجهاد ، العدد ٢٢ ، محرم ١٤٠٧ هـ - سبتمبر ١٩٨٦ م ، ص ٤١ .

^٢ سورة فاطر آية ١٩ ، ٢٠ .

^٣ مجلة الوعي الاسلامي ، العدد ٢٣٨

^٤ سورة المدثر آية ٢٧ - ٢٨

^٥ مجلة الإصلاح ، العدد ٢٠١ ، أبريل ١٩٨٥ م ، ص ٤٥ .

^٦ سورة ق آية ٣١ .

^٧ الشاعر الجهمول : من قصيدته هنا يقفرون ، مجلة النفيير العام ، العدد ٣ ، ٤ ، صفر ١٤٠٣ هـ ، ص ٥٦ .

^٨ سورة الأعراف آية ١٦٠ .

فإن الله رب العرش معكم إذا كنتم تقاة صابرينا^١
الآيات السابقة استمد الشاعر معناها من الآية الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا
وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^٢ .

ويقول الشاعر حسان تحتوت في قصيدة "بين يدي الرسول" :
عَجَبًا .. أَرَاهُمْ يُؤْمِنُونَ بِبَعْضِهِ وَأَرَى الْقُلُوبَ بِبَعْضِهِ كَفَّارًا^٣

يقول الله عز وجل : ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾^٤ . الآية
ويقول الشاعر أحمد محمد الصديق في قصيدة "أسرة المجاهد" :
وجهنهم للكافر تبدو لهباً يرمي بـشـرار^٥

المعنى كله مأخوذ من مطالعات الشاعر في كتاب الله وغيره من الكتب الدينية فإن جهنم
يترأى لهيبها للكافر هذا اللهيب الذي يتطاير شررا مخيفا . يقول الله تعالى : ﴿إِنَّهَا تَرْمِي
بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾^٦ .

ويقول الشاعر إسماعيل أبو العزائم في قصيدة "أفغانستان" :
وَيَا قَوْمِي أَلَسْتُمْ خَيْرَ قَوْمٍ بِفَضْلِكُمُ كِتَابُ اللَّهِ يُثْنِي !؟
لَمَّاذَا صَارَ جَمْعُكُمْ شَتَاتًا وَضَاعَ الشَّمْلُ فِي سَهْلٍ وَحَزَنٍ^٧

نلمح في البيت الأول صورة بيانية جرت مجرى الاستعارة المكنية وذلك في قوله :
(بفضلكم كتاب الله يثني) وهذه الصورة مأخوذة من كتاب الله القرآن الكريم : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ

^١ مجلة الدعوة ، العدد ٧٥٠ ، رجب ١٤٠٠ هـ ، ص ٣٣ .

^٢ سورة آل عمران الآية ٢٠٠ .

^٣ من كتاب شعراء الدعوة الإسلامية ، ج ١٠ ، ط ١ ، ص ٢٦ .

^٤ سورة البقرة آية ٨٥ .

^٥ مجلة المجاهد ، العدد ١١ ، ص .

^٦ سورة المرسلات آية ٣٢ ، ٣٣ .

^٧ مجلة الأمة الإسلامية ، العدد ٢٤ ، ذو الحجة ١٤٠٢ هـ ، ص ٢٩ .

أُمَّةٌ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ۖ^١ وهو المراد بتأثر الشاعر بثقافته. أما في البيت الثاني فنراه متأثراً من قول الله تعالى : ﴿ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكِ بَآئِنُهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾^٢. ويقول الشاعر سعد العوفي في قصيدة من " بطولات مجاهدي أفغانستان " :
آلاتٌ مَنْ يَأْجُوجَ تَنْزُحُفُ وَالسَّعِيرُ لَهَا غَطَاءُ^٣

في هذا البيت يصور الشاعر ضخامة عدد الآلات الحربية التي زحف بها الملحدون نحو الديار المسلمة الطاهرة، وقد جرت الصورة فيه مجرى الاستعارة المكنية بقوله : (آلات تزحف) أو مجرى التشبيه البليغ بقوله (آلات من يأجوج) فقد شبه الآلات بقوم يأجوج إشارة إلى ضخامة عددها ، والصورة كلها مقتبسة من كتب الثقافات الدينية لا سيما القرآن الكريم وذلك من قول الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴾^٤.

وبقلم أسرة المجاهد " الإفتاحية " :

وترأه جميعُ الأبصارِ	والفرقُ كبيرٌ وخطيرٌ
تهادى فوقَ الأبصارِ	فالمسلمُ يلقي جنته
لهباً يرمي بشرارِ	وجهنهم للكافر تبسّدو
والكافر ليس بمختارِ	والمسلمُ يقدم مختاراً

هنا يعقد الشاعر مقارنة بين المسلمين والكافرين في موقف الحساب حيث يساق المؤمنون زمراً إلى الجنة ويساق الكافرون زمراً إلى النار .
ونحن إذا تأملنا المعاني نجدها تمثيلاً واضحاً لما قرأه الشاعر في كتاب الله الكريم وتأثر به على نحو كبير :

^١ سورة آل عمران آية ١١٠

^٢ سورة الحشر آية ١٤ .

^٣ جريدة الندوة (الندوة الأدبية) ١٨ ربيع الآخر ١٤٠٩ هـ - ٢٧ نوفمبر ١٩٨٨ م ، ص ١٢

^٤ سورة الأعراف آية ٦٦

وهنا تأثر بقول الله تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ ﴾^١ ، وقوله تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ ﴾^٢ ، وقوله : ﴿ يَوْمَ يَدْعُونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاَ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ۖ ﴾^٣ .

ويقول الشاعر عبد المنعم الهاشمي في قصيدة " أعينوا مسلمي الأفغان :
ما كان خلقهموا إلا برهموا ولم يكن سوى (كُنْ) منه ما كان

فمعنى البيت والفاظه مستعارة من قول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۖ ﴾^٤ .

ويقول الشاعر :

سير حلون غداً والذلُّ يجلدُهم والخوفُ يدفعُهم لم تغنِ كثرتهم^٥

ومثل هذا قوله : لم تغن كثرتهم فهو تركيب مستعار من كتاب الله أيضا أما الصورة فهي في قوله : الذلُّ يجلدُهم والخوف يدفعُهم وهي من قبيل الاستعارة المكنية وهي بعيدة عن التأثر بالثقافة الدينية بل هي صورة مولدة من خيال الشاعر ، فيقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَكِنْ تُغْنِ عَنْكُمْ فُتُكُمُ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ ﴾^٦ ، ويقول تعالى : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۖ ﴾^٧ .

^١ سورة الزمر آية ٧١

^٢ سورة الزمر آية ٧٣

^٣ سورة الطور آية ٥٢

^٤ مجلة الجهاد ، العدد ١٠ ، نوفمبر ١٩٨٦ م ، ص ٤٠ .

^٥ سورة يس آية ٨٢

^٦ مجلة منار الإسلام ، العدد ٧ ، رجب ١٤٠٩ هـ ، - فبراير ١٩٨٩ م ، ص ٥٣

^٧ سورة الأنفال آية ١٩

^٨ سورة التوبة آية ٢٥

ويقول الشاعر في قصيدة " الله أكبر " :
جَاسُوا خِلَالَ الدَّارِ حَتَّى أَوْشَكَتْ رَايَاتِهِمْ فَوْقَ السَّحَابَةِ تَخْطُرُ^١

يبدو التأثر بالقرآن الكريم واضحاً في قوله : جاسوا خلال الدار فهو تركيب مستعار برمته وذلك من قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا^٢ .
ويقول الشاعر في قصيدة " الغزو الأحمر " :
فِطْرَةُ اللَّهِ لَيْسَ تُقْبَلُ زَيْفًا دَبَّجَتْهُ عُقُولُهُمْ مِنْ بَدَادٍ^٣

إن فكرة البيت بل إن البيت قائم على معنى مستعار من كتاب الله فالله خلق الناس على فطرة سليمة ولا تبديل لخلق الله : وذلك من قوله تعالى : ﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ^٤ .

وقول الشاعر في " حب البندقية " :
هَذِي سَبِيلِي وَرَبُّ الْعَرْشِ وَذَا كِتَابِي وَرَبُّ الْعَرْشِ
غَايَتُهُ _____ مُلْتَحِ _____ دُ

إن التأثر واضح في معنى البيت ولفظه فسبيله هو سبيل الحق والهدى وذلك من قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ^٥ .

^١ مجلة الجهاد ، العدد ١٢ ، فبراير ١٩٨٧ م ، ص ٣٣

^٢ سورة الإسراء آية ٥

^٣ نشرت في جريدة الشرق الأوسط يوم الثلاثاء ١٦/٦/١٤٠٣ هـ - الموافق ٢٩/٣/١٩٨٣ م ، ص ١٦

^٤ سورة الروم آية ٣٠

^٥ مجلة البيان المرحوم ، العدد ٢ - ذو الحجة ١٤٠٥ هـ - أغسطس ١٩٨٥ م ، ص ٤٨

^٦ سورة يوسف آية ١٠٨

ويقول الشاعر أبو الحسن في قصيدة " أفغانستان " :
إِنَّا لِأَحَدِي الْحُسَيْنِينَ مَصِيرُنَا نصرٌ وإلا فالجنانُ مقامُ^١

لا مرأى في أن معنى البيت يشكل تجسيدا لما ورد في القرآن الكريم ولما يؤمن به المسلمون عامة كذا لفظه فهو مستعار من قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴾^٢ .

ويقول الشاعر المسلم الحر في قصيدة " رباعيات كابل :
اللَّهُ بِشَرِّهِمْ بَجَنَاتِ الْخُلُودِ الدَّانِيَةِ^٣

وذلك من قول الله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾^٤ ،
وقوله تعالى : ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾^٥ .

ويقول الشاعر أيضا :

لا تضعفوا أيها الأعلون في درب الكفاح^٦

وذلك من قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَتَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ ﴾^٧ .

ويقول الشاعر محمد عباس عبد الحميد خلف في قصيدة " الفتح الإسلامي وسقوط كابل :
ونقول: جاء الحقُّ أزهق باطلٌ قد ضاع عهدٌ ظالمٌ مخذولُ^٨

^١ مجلة الجهاد ، ذو القعدة ١٤٠٥ هـ - يوليو ١٩٨٥ م ، ص ٢٣ .

^٢ سورة النوبة آية ٥٢

^٣ مجلة الإصلاح ، عدد إبريل سنة ١٩٧٥ م ، ص ٤٣

^٤ سورة البقرة آية ٢٥

^٥ سورة الحاقة آية ٢٣

^٦ مجلة الجهاد ، العدد ٧٠ ، عرم ١٤١١ هـ ، ص ٢٣

^٧ سورة آل عمران آية ١٣٩

وهنا تأثر بقول الله تعالى : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ^١ .

ويقول الشاعر أبو عفاف يوسف رحوتي في قصيدة " فرسان كابل " :
وَالنَّاسُ عَذَّبَهُمْ عَسْفُ الطُّغَاةِ وَيْلٌ وَفِي عَيْشَةٍ ضَنْكِي وَفِي مِحَنِ
وَفِي ^٢

وهنا نلمح التأثر بالقرآن الكريم واضح في قوله : عيشة ضنكى وهذا كله من قبيل تأثر أسلوب الشاعر ومعانيه بما يلهم به من ثقافة متنوعة وذلك من قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكِي وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ^٣ .
ويقول الشاعر أبو أسامة في قصيدة " شعاع الدم " :

لَا أَعْلَمُ لِلْقَاعِدِ عَذْرًا
لَا أَعْرِفُ فِي النَّائِمِ خَيْرًا ^٤

فقد استعار الشاعر لفظة (القاعد) من القرآن الكريم ، ثم إنه أبطل عذر القاعد وفضل عليه المجاهد وهذا المعنى مقتبس من القرآن الكريم أيضا وذلك من قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ^٥ الآية .
ويقول الشاعر أبو الحسن في قصيدة " يا قلعة الإيمان لا تهني " :

كَمْ مِنْ حَيَاةٍ أُمِيتَ فِي رَكُودِ دَمٍ وَمِيتَةٍ دَمَهَا الْمُهْرَاقُ إِحْيَاءُ ^٦

إن معنى البيت قائم على أن في بذل الدماء حياة للأمم وأن الثأر من القتل حق مشروع يترتب عليه استمرار الحياة برده القتالين وهذا المعنى مترادف مع قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي

^١ سورة الإسراء آية ٨١

^٢ من مجلة الفرقان المغربية ، العدد ٢٧ السنة ٨ ، ذو الحجة محرم ١٤١٢هـ يونيو ١٩٩٢ ، ص ٦١

^٣ سورة طه آية ١٢٤

^٤ مجلة الجهاد ، العدد ١٤ ، ربيع الآخر ١٤٠٦هـ الموافق ١٣ ديسمبر ١٩٨٥م ، ص ٤١

^٥ من سورة النساء آية ٩٥

^٦ مجلة الجهاد ، العدد ١٤ ، ربيع الآخر ١٤٠٦هـ الموافق ١٣ ديسمبر ١٩٨٥م ، ص ٤١

الْقِصَاصِ حَيَاةً يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ^١ فإن قتال أعداء الأمة ، الذين أغاروا على حنى الإسلام ، قصاص منهم ، وبهذا القصاص حياة للأمة التي طالبها رب العزة سبحانه بالقتال والجهاد ، والحياة الكريمة لا غنى لها عن الموت ، ليكون الدم المصبوب المسفوك واهباً للحياة الأبية.

ثم يقول الشاعر محمد عبد القادر الشواف من قصيدة " من وحي الجهاد في أفغانستان " :
فربُّ العرش يهدينا
وإلا فهو يبدلنا
جزاءً عن تولّينا
بقومٍ لا تضلُّ بهم
دروبٌ بل يصونوها^٢

يشير الشاعر إلى حقيقة مفادها أن الله يستبدل القوم القاعدين عن الجهاد ونصرة دينه بقوم آخرين صالحين وهذا المعنى مأخوذ من القرآن الكريم ثم إن الصورة في قوله (لا تضل بهم دروب) متأثرة بالكتاب الكريم أيضا بل منتزعة من الثقافة الدينية للشاعر . ففي ذلك إشارة موفقة إلى قوله تعالى : ﴿ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً ، وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ^٣ ﴾ وإلى قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ، ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ^٤ ﴾ .

ثم يقول الشاعر عبد المنعم الهاشمي في قصيدة " والله معكم " :
إِذَا مَا قِيلَ قَدْ جُمِعَتْ جُمُوعٌ لَكُمْ ، كَيْ تَخْشَوْا الْمُتَجَمِّعِينَ
فَقُولُوا : ((حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)) مَعَ ازْدِيَادِكُمْ كَمَا يَقِينَا^٥

يبدو التأثير بالقرآن الكريم واضحاً في هذين البيتين فقد قرر الشاعر في البيت الأول أنه يجب على المؤمنين ألا يخشوا أحداً غير الله قائلين حسبنا الله ونعم الوكيل كما جاء في البيت الثاني

^١ سورة البقرة آية ١٧٩

^٢ مجلة الجهاد ، العدد ١٣ ، رجب ١٤٠٩ ، ص ٣٤

^٣ سورة التوبة آية ٣٩

^٤ سورة محمد آية ٣٨

فالتأثر جاء من جانبين في المعنى أولا ثم باللفظ فقد استعار اللفظ من القرآن بحرفيته حين قال :
حسبنا الله ونعم الوكيل وذلك من قول الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ
قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾^١.

يقول الشاعر يحيى بشر يحيى في قصيدة "إرادة :

مالي للجنة أدعوكم ولنار جهنم تدعوني؟^٢

البيت يكاد أن يكون حرفيا لما جاء في القرآن الكريم ، وذلك من قول الله تعالى :
﴿ يَأْقُومُ مَالِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴾^٣.

ويقول الشاعر سعد العوفي في قصيدة " من بطولات مجاهدي أفغانستان :

الموت إن لم تلقه في الزحف جساءك في الخباء^٤

والبيت السابق منسجم انسجاما تاما مع قوله تعالى ، وذلك من قول الله تعالى :
﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ ﴾^٥ الآية .

ويقول الشاعر حسان محمد في قصيدة " بشراك أفغان ":

فكم لذي قلة نصر تسود به على ذوي كثرة يقتاد مثمول^٦

يقرر الشاعر في هذا البيت بأن النصر كثيرا ما كان لقليلي العدد والخزيان لعدوهم على
الرغم من كثرة عدده وهذا متوافق مع قوله تعالى : ﴿ كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئْتَهُ
كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾^٧.

^١ سورة آل عمران آية ١٧٣

^٢ مجلة الإصلاح ، العدد ١٠٧ ، فبراير ١٩٨٩ م ، ص ٢٤

^٣ سورة غافر آية ٤١

^٤ جريدة الندوة (الندوة الأدبية) ١٨ ربيع الآخر ١٤٠٩ هـ - ٢٧ نوفمبر ١٩٨٨ م ، ص ١٢

^٥ سورة النساء آية ٧٨

^٦ مجلة الإصلاح ، العدد ١٠٦

^٧ مجلة البيان الم

ويقول الشاعر أبو الحسن في قصيدة "حب البندقية" :

دحرًا لكفر طغى في الأرض مفسدةً يا غيرة الله جدّي السير في الجدد^١

في البيت صورتان (الكفر طغى) و (غيرة الله تسير) وهما من ثمار التأثر بكتاب الله

تعالى لا سيما في قوله تعالى : الجدد . وذلك من قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾^٢ .

ثم يقول الشاعر عمر الراكشي في قصيدة " تحية إلى أفغانستان :

أَرَادَهَا الْبَغْيُ حَرْبًا بِنَسْ مُشْعِلُهَا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْأَحْقَادُ وَالنَّقْمُ^٣

معنى البيت مستمد من القرآن الكريم فالحرب وقودها الناس والأحقاد كالنار التي يشير

إليها القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾^٤ .

ويقول الشاعر الجوهول في قصيدة " هذا الخنزير الدجال :

تنقضُ على قطعانِ الروسِ الغضبُ الأقدسُ

يتفجرُ باسمِ الرحمنِ

يصبحُ بركانًا

يتلظى حمماً

من لب ودخانٍ يقذفُ أحجاراً من سجل

فوق رؤوسِ الممجدين

يسحقُ أنفاسَ الغازين

^١ مجلة البيان المخصوص ، العدد ٢ ، ذو الحجة ١٤٠٥هـ - أغسطس ١٩٨٥م ، ص ٤٨

^٢ سورة فاطر آية ٢٧

^٣ مجلة الوعي الإسلامي ، العدد ٢٣٨

يَجْعَلُهُمْ إِرْبًا ..

أَشْلَاءَ يَتْرَكُهُمْ قَوْتًا لِلنِّيرَانِ^١

إن صورة الأبيات المتمثلة في الغضب المنقض جرت مجرى الاستعارة المكنية وقد ظهر التأثير بالقرآن واضحا في استعمال ألفاظ وردت بعينها فيه كقوله : أحجار من سجيل . كقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنصُودٍ * مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾^٢ ، وأيضا كقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدُهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَارْسَلْ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾^٣ .

ويقول أيضا :

أطفال الأفغان

أكمام بطولة

تورق في بستان دماء^٤

في هذا المقطع تشبيه أطفال الأفغان بأكمام البطولة وهو من الصور الحديثة الموفقة ويبدو التأثير بالثقافة الدينية باستعماله لفظة أكمام . وذلك من قوله تعالى : ﴿ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴾^٥ .

ويقول الشاعر عبد البديع محمد حسن في " أفيقوا أيها المسلمون " :

فَتَصَدَّعَتْ بَلُّ هُدْمَتِ بَيْعٍ وَأُعْدِمَ مِنْ يَقَوْمٍ مُكْبَرًا بِأَذَانٍ^٦

^١ من ديوان شيوخ في زمن الانكسار ، ص ٥٣ - ٦١ ، مجلة الجهاد ، العدد ١٦ ، جماد الآخر ١٤٠٦ هـ - يناير ١٩٨٦ م ،

ص ٣٢

^٢ سورة هود آية ٨٢ ، ٨٣ .

^٣ سورة النمل آية ١ : ٥ .

^٤ من ديوان شيوخ في زمن الانكسار ، ص ٥٣ - ٦١ ، مجلة الجهاد ، العدد ١٦ ، جماد الآخر ١٤٠٦ هـ - يناير ١٩٨٦ م ، ص ٣٢

^٥ سورة النحل آية ١١ .

فإن جانب التأثر بكتاب الله متمثل في قوله : هدمت بيع وذلك من قوله تعالى :
﴿الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ
النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْذَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ
اللَّهِ كَثِيرًا﴾^١ الآية .

تارة يستمدون صور أشعارهم من الحديث الشريف :

ومن ذلك قول الشاعر أبو أسامة في قصيدة " الهجرة والجهاد :

إنما الهجرة ساحٌ للعمل ولتنظيم جهود الصفوة^٢

يقول الشاعر بأن الهجرة تعني عملاً جهادياً بناءً وتنظيماً لجهود الصفوة من المؤمنين
وهذا المعنى مستلهم من حديث النبي صلى الله عليه وسلم : (إن سياحة أمتي الجهاد في
سبيل الله)^٣ .

ويقول الشاعر :

وهم شهداء عند ربٍّ كريم من جداد يرزقونا^٤

إنهم شهداء أبرار يرزقون عند ربهم برزق حسن طيب وفي هذا البيت يظهر تأثر الشاعر
بالحديث الشريف باستعماله لفظة جداد بصيغة الجمع ، وذلك من الحديث عن ابن عباس قال :
جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله لقد جئتك من عند قوم ما يتزود
لهم راع ولا يحظر لهم فحل فصعد المنبر ، فحمد الله ثم قال : (اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً مريئاً
غدقاً عاجلاً غير راث) ثم نزل . فما يأتيه أحد من وجه من الوجوه إلا قالوا :
قد أحيين)^٥ .

^١ سورة الحج آية ٤٠

^٢ مجلة البيان المخصوص ، العدد ٢٩ ، ذو القعدة ١٤٠٩ هـ - يونيو ١٩٨٨ م ، ص ٢٣

^٣ سنن أبو داود : كتاب الجهاد الجهاد ، ٦

^٤ مجلة الدعوة ، العدد ٧٥٠ ، رجب ١٤٠٠ هـ ، ص ٣٤ .

^٥ من ابن ماجة ، كتاب إقامة الصلاة ، ١٥٤ ، أحمد بن حنبل ٢٣٥ / ٤ - ٢٣٦

ويقول الشاعر أحمد المانع في قصيدة " من وحي ثورة الأفغان :
فتذكروا قول الرسول : كأنها حيزت له الدنيا ، بلا نقصان^١

نرى الشاعر في هذا البيت يحفز همم المسلمين للقتال بتذكيرهم بقول الرسول صلى الله عليه وسلم وقد استطاع تضمين قوله بمهارة فائقة وإخضاعه للوزن الشعري مدلا على مدى تأثره بالثقافة الدينية . وذلك كما في قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (من أصبح منكم آمنا في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا)^٢ .

ويقول أيضا :

قتلانا في الجنة لكن قتلاكُم في دركِ النار^٣

يمثل هذا البيت انعكاسا تاما لثقافة الشاعر الدينية بل لما يؤمن به كل مسلم على وجه الأرض فالمسلم الذي يقتل في سبيل الله في الجنة بينما يكون مصير الكافر القتل إلى النار . حيث أن ذلك من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (قتلانا في الجنة وقتلاكُم في النار)^٤ .

ويقول الشاعر يحيى بشير في قصيدة " هو الإسلام علمهم صمودا :

إذا لاقوه قالوا في رجاء أعدنا كي نقاتل من جديد
فنقتل فيك مرات لترضى ففي الرضوان نطمع بالمزيد^٥

هكذا يطمع المؤمن في المزيد من الثواب والأجر فالشهيد يتمنى أن يقتل مرات ومرات في سبيل الله لما أعدده الله من ثواب عظيم للشهداء وهو المعنى مأخوذ من الحديث الشريف قال صلى الله عليه وسلم : (يؤتى بالرجل من أهل الجنة فيقول الله عز وجل : يا ابن آدم كيف وجدت منزلك فيقول أي رب خير منزل فيقول سل وتمن ، فيقول

^١ مجلة الإصلاح ، العدد ٨٣ ، ربيع الآخر ١٤٠٥ هـ - ديسمبر ١٩٨٤ م ، ص ٤٣

^٢ رواه الترمذي كتاب الزهد ، ج ٤ ، ص ٥٧٤ .

^٣ مجلة الإصلاح ، العدد ٨٣

^٤ أحمد بن حنبل ٢٢٧/٤

أَسْأَلُكَ أَنْ تَرُدَّنِي إِلَى الدُّنْيَا فَأَقْتُلَ فِي سَبِيلِكَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ
الشَّهَادَةِ ^١ .

ويقول الشاعر حسان محمد في قصيدة " بشارك أفغان " :
طِبْتُمْ ، وَطَابَتْ مَسَاعِيكُمْ إِلَى أَسْمَى ، وَلَنْ يَمْنَعَ الْوُصُولَ
هَذَا مَخْبُوءٌ ^٢

فوصف المساعي بالطيبة معنى نفع عليه في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم :
(من عاد مريضاً نادى مناد من السماء : طبت وطاب ممشاك وتبوات من
الجنة منزلاً) ^٣ .

ويقول الشاعر أبي الحسن في قصيدة " حب البندقية " :
عَاشَرْتُهَا فِي الصَّبَا عَهْدًا أَحْنُ لَهُ وَمَا انْقَضَى رَاحَ لَا تَلْقَاهُ لِلْأَبَدِ ^٤

وذلك من قول ابن عمر رضي الله عنهما قال : أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال :
(كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) ^٥ . وكان ابن عمر يقول : (إذا
أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك
لمرضك ومن حياتك لموتك) ^٦ كذلك فإن ما فات لن يعود والحاذاق الفطن من يغتم وقته
ويملؤه بالصالح المفيد ومثل هذا المعنى نجد في ثانياً أحاديثه صلى الله عليه وسلم : (اغتتم
خمساً قبل خمس) ومعنى الحديث (يا عبد الله اغتتم مني فلن أعود) .

^١ رواه ابن ماجة : الخاتمة ٣ ، أحمد بن حنبل : ٣٢٦/٢ - ٣٤٤ - ٣٥٤ .

^٢ مجلة البيان المرفوض ، العدد ٢٧ ، رمضان ١٤٠٩ - إبريل ١٩٨٨م ، ص ٢٣

^٣ رواه ابن ماجة ، ج ٢ ، ص ٤٦٤ ، رقم الحديث (١٤٤٣) .

^٤ مجلة البيان المرفوض ، العدد ٢ - ذو الحجة ١٤٠٥ هـ - أغسطس ١٩٨٥م ، ص ٤٨

^٥ رواه البخاري ، كتاب الرقاق ، والترمذي ، كتاب الزهد ، وابن ماجة ، كتاب الزهد ، وأحمد بن حنبل ، ص ٢٢٢ .

^٦ رواه البخاري في كتاب الرقاق رقم الحديث ٦٠٣٢ .

تارة يستمدون صور أشعارهم من الشعر العربي القديم^١ :

ويقول الشاعر أحمد الحسن ولد الشيخ من قصيدة " صرخة الحق " :

تذكروا كم جرح ليس يسعفه إلا القذائف والنيران تضطرم

تذكروا كم سجين ليس يرحمه الزنازين والكرباج والظلم^٢

وهذا يتناسب مع قول المتنبي التي بدأها بقوله :

وأحر قلباه ممن قلبه شيم ومن جسمي وحالي عنده سقم^٣

نلمح هذا التأثير في مثل قول أبو أسامة في قصيدة " فرسان الخلافة " :

فدروسُ الدهر تعلمنا

أنَّ الحريةَ لا توهبُ

وطريق الحريةِ أحمرُ فرشتهُ دماءُ الشهداء^٤

يقرر الشاعر أن الحرية تتطلب ثمنًا غالياً وأن الطريق إليها مفروش بالدماء والشهداء وقد

تأثر الشاعر في هذا المعنى بالموروث من الشعر العربي فهذا المعنى نجده عند شوقي حيث يقول :

وللحريةِ الحمراءِ بابٌ بكلِّ يسدِّ مضرَّجةٍ يُدقُّ^٥

وقد حازل الشاعر حسان محمد في قصيدة " بشراك أفغان " تقليد كعب بن زهير في

قصيدته المشهورة:

بانتُ سعادُ قلبي اليومَ متبولٌ متيمٌ إثرها لم يُفسدَ مكبولٌ^٦

بمطلع قصيدته التي يقول فيها :

أفغانُ نصرُك لا محالَ مأمولٌ ولا محالَ عدوُّ اللهِ مخذولٌ^٧

^١ عفاد ، أمنة عبد الحميد : محمد حسن عواد شاعر ، ص ٣٣٩

^٢ مجلة الجهاد ، العدد ٢٢ ، سبتمبر ١٩٨٦ م ، ص ٥٦ .

^٣ العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب المتنبي ، ط ٢ ، ص ٣٤١ ،

^٤ مجلة الجهاد : ذو الحجة ١٤٠٥ هـ - أغسطس ١٩٨٥ م ، ص ٣٩

^٥ من الشوقيات ، ج ٢ ، ص ٧٤ .

^٦ مجلة الإصلاح ، العدد ١٠٦ ، نوفمبر ١٩٨٦ م ، ص ٢٣ .

^٧ مجلة البيان المرصوص ، العدد ٢٧ ، رمضان ١٤٠٩ - إبريل ١٩٨٨ م ، ص ٢٣

حتى أن شاعرنا حسان محمد لم يتردد في استعمال كلمات كعب نفسها ، وفي كثير من أبياته مثل مأمول ومخدول، مقتول ، مسلول ، تنزيل وغيرها .

كذلك قوله (بدر الفتوح) :

بدرُ الفتوحِ تنزلتْ ملائكةٌ عانتُ على كافرٍ ، واجتاحَ مسلولٌ^١

فهو منظور فيه إلى بيت أبي تمام :

فتحُ الفتوحِ تعالى أن يحيطَ بهِ نظمٌ من الشعرِ ، أو نثرٌ من الخطبِ
فتح تفتح أبواب السماء له وتبرز الأرض في أثوابها القشب^٢

يقول الشاعر مهند شبانة في قصيدته " إنبهوا قد عاد ابن سبأ " :

وإني لا أعرف ما الفرق بين الخيانة والسياسة

ولا أميز بين منابت الورد ومطاعن الغدر^٣

وذلك توافق مع قول الشاعر إلياس فرحات :

فالكذب فن والخداع سياسة وغنى اللصوص براعة وذكاء^٤

ويقول الشاعر الحضرمي في قصيدة " أمة المجاهدين " :

تطاردُ في الشرقِ لَمَحَ السَّرَابِ فتلقاهُ كمُنزلةٍ عابرةٍ^٥

ويقول الشاعر حسان محمد : في قصيدة " بشراك أفغان "

لم يعجز الفقر والتجويع والنصب ولا مطير النوى أنضاه محمول^٦

وهذا يتوافق مع البيت .

^١ مجلة الإصلاح ، العدد ١٠٦ ، نوفمبر ١٩٨٦ م ، ص ٣٤ .

^٢ من ديوان أبو تمام ج ١ ص ٤٥ .

^٣ مجلة البيان المرفوض ، العدد ٥ ، فبراير ١٩٨٦ م ، ص ٤٤ .

^٤ من ديوان إلياس فرحات ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ١٤٠١ هـ ، ص ٨٢ - ٨٧ .

^٥ مجلة البيان المرفوض ، العدد ٦ ، مايو ١٩٨٦ م ، ص ٤٣ .

ويقول الشاعر يوسف أبو هلاله في قصيدة " شعب وشعب " :
ويغرقُ الناسُ في تفسيرِ حربيهمُ ويسهرُ الخلقُ جراًها ويختصمُ^١

وهنا تأثر بقول المتنبي :
أنامُ ملءَ جفوني عن شواردها ويسهرُ الخلقُ جراًها ويختصمُ^٢

فالفكرة المشتركة بينهما هي حيرة الناس في تفسير ما يرونه من مواقف وظواهر مبهمة عجزوا
عن تحديد مغزاها.

ويقول الشاعر يحيى الحاج يحيى في قصيدة " رباعيات أسير " :
يا صاحبي اغترابي في رحلة كالياب^٣

وهنا تأثر من قول أبو تمام :
يا صاحبي تقصياً نظير كُما تريا وجوه الأرض كيف تصورُ
تريا نهارة مشمساً قد شابه زهرُ الربى فكأنما هو مقمور^٤

ويقول الشاعر محمد هاشم عبد الدايم في قصيدته " من أدب المعركة " :
سَكَنَ النَّعَالِبُ فِي الْعَرِينِ وَفَرَّقُوا آسَادَهُ بِخَدِيعَةِ الشَّيْطَانِ^٥

وهنا تأثر بالشاعر شوقي في قوله :
أحرامٌ على بلابله الدَّوح حلالٌ للطير من كلِّ جنس^٦

^١ مجلة الجهاد ، العدد ٢٤ ، ربيع الأول ١٤٠٧هـ - نوفمبر ١٩٨٦م ، ص ٣٨ - ٣٩ ، كتاب شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث ، ص ٩٢ .

^٢ من ديوان المتنبي ، من قصيدة " الحبل والليل والبيداء تعرفني " شرحه وكتب هوامشه : مصطفى سبيتي ، الجزء الثاني ، ص ٨٣ .

^٣ مجلة البيان المرحوص ، العدد ٣١ ، محرم ١٤١٠هـ - أغسطس ١٩٨٨م ، ص ٤٧ .

^٤ من كتاب حميرة أشعار العرب ص ٣١٥ ، حبيب الطائي : نقلاً عن كتاب من شعراء الإسلام ، د محمد بن سعد بن حسين .

^٥ مجلة البيان المرحوص ، العدد ٣٢ ، صفر ١٤١٠هـ - أغسطس ١٩٨٨م ، ص ٣٨ .

ويقول الشاعر عبد البديع محمد حسن في قصيدته " أفيقوا أيها المسلمون :
وَالْمَسْجِدُ الْأَقْصَى غَدًا مُتَصَدِّعًا وَالْمَشْرِقَانِ عَلَيْهِ يَنْتَحِبَانِ^١

تأثر الشاعر بشوقي في رثاء مصطفى كامل :
المشرقان عليك ينتحبان قاصيهما في مسأتم والدانسي^٢

ويقول الشاعر أبو الحسن في قصيدة " حب البندقية " :
عَاشِرَتَهَا فِي الصَّبَا عَهْدًا أَحْنُ لَهُ وَمَا انْقَضَى رَاحَ لَا تَلْقَاهُ لِلْأَبَدِ
وَعُدْتُ أَجْذِبُهَا وَالشَّيْبُ يَنْشُرُهَا وَالشَّيْبُ عَلَّةٌ جَلَفَ هَامَ بِالْغَيْدِ
عَاتَبْتُهَا ، فَانْبَرَتْ فِي الْحَالِ قَائِلَةً : هَلْ بَعْدَ شَيْبِكَ تَصْبُو أَنْ تَسَالَ يَدَيِ
أَقْنَعْتُهَا أَنَّ مَشِيبي غَابَ أَسْحَمُهُ مَا شَابَ عَزَمِي وَلَا صَبْرِي وَلَا جَلْدِي^٣

تأثر بقول جميل :
أَلَا لَيْتَ رِيْعَانَ الشَّبَابِ جَدِيدُ وَدِهْرًا تَوَلَّى يَا بُثَيْنُ يَعُودُ
فَنَبْقَى كَمَا كُنَّا نَكُونُ وَأَنْتُمْ جَدِيدٌ ، إِذَا مَا تَبْذِلِينَ زَهِيدُ^٤

وكان أحد المنشدين العراقيين يشكو حبيته فيقول :
عَيَّرْتَنِي بِالشَّيْبِ وَهُوَ وَقَارُ لَيْتَهَا عَيَّرَتْ بِمَا هُوَ عَارُ

^١ مجلة البيان المرحومين « العدد ٣٨ » شوال ١٤٠٩ هـ - مايو ١٩٨٨ م ، ص ٣٤

^٢ الشوقيات ، ج ٢ ، ص ٤٦ .

^٣ مجلة البيان المرحومين ، العدد ٢ ، نوفمبر ١٤٠٥ هـ = أغسطس ١٩٨٥ م ، ص ٤٨

^٤ من قصيدة كميّات لجميل بنينة ، من كتاب الأتخايف اللساني ، ج ٧ ، ص ٧٩

ويقول أيضا :

إذا شاب شعرُ المرءِ أو قلَّ مالهُ فليسَ لهُ من ودَّهنٍ نصيبُ^١

إن المتأمل لهذا الأبيات وما يقابلها من أبيات الشعراء الآخرين يدرك أن هناك أفكارا مشتركة بينهما يتشكل منها عنصر التأثير بالموروث من الشعر العربي القديم .
فقد تحدث الشاعر أبو الحسن عن الحنين للماضي وتأسف على شبابه المنقضي وتبرم من انصراف الغيد الحسان عنه ، فهذه الأفكار نجد لها مترادفة عند غيره من الشعراء الأقدمين كجميل وغيره .

ويقول الشاعر أبو الحسن في قصيدة " أفغانستان " :

قلْ للذي يُسقي الشعوبَ من الردى	كأسُ الخلودِ وكأسه الإعدامُ
فحياتُنَا بمماتِهِ وحياتِهِ	في حفنةٍ تذرو بهما الأيامُ
ما ماتَ إلا مَنْ يموتُ فؤادهُ	عن ربِّهِ ، وترغفه الأضنامُ
يسا مَنْ إلى هبلٍ يبيعُ فؤادهُ	ساءَ المصيرُ وساءَ منكَ رغامُ

إنَّا لإحدى الحسنينِ مصيرُنا نصرُ وإلا فالجنانُ مقامُ^٢

تأثر بقول الشاعر أبي العلاء المعري :

فقد لجأ الشاعر في أبياته إلى التصوير في موضعين (يسقي الشعوب كأس الخلود) وقوله (يبيع فؤاده) وقد تأثر بالصورتين بالثقافة الدينية فضلا عن تأثره بها في معظم أفكار النص .
وتشكل الفكرة القائلة بأن الموت انتقال إلى دار أخرى يسعد فيها الإنسان أو يشقى القاسم المشترك بينه وبين المعري في بيته المذكورين وهو من قبيل التأثير بالموروث الثقافي للشعر العربي القديم .

ويقول الشاعر أبي الدرداء في قصيدة " رسول الله لن أَرْضَى " :

صرخنا في ظلام الليل يا أهلي وإخواني

تأثر بقول المعري :

لقد أستمعت لو نساديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي^١

فإن النداء منطلق أبدا ولكن ليس من حي يسمعه فيجيبه فالذم حاصل في القولين وهو نقطة تلاقيهما بالإضافة إلى اشتراكهما في المعنى . ويقول الشاعر إسماعيل أبو العزائم في قصيدة " أفغانستان " :

وَكَيْفَ نَقِيمُ بُنْيَاناً .. إِذَا مَا هَدَمْنَا الْيَوْمَ مَا بِالْأَمْسِ نَبْنِي^٢؟

مع قول الشاعر :

متى يبلغُ البنيانُ يوماً أشدهُ إذا كنتَ تبني وآخرُ يهدمُ

هكذا يؤكد الشاعر حقيقة قالها شاعر قبله بأن البنيان لن يكتمل إذا تعاقب عليه البناء والهدم ويكاد البيت الأول أن يكون ترجمة حرفية للبيت الثاني . ويقول الشاعر عمر الراكشي في قصيدة " تحية إلى أفغانستان " :

أَفْغَانُ أَفْغَانُ قَدْ قَامَتْ لَهَا دُولٌ حَتَّى الْخُصُومُ ، وَأَحْنَتَ رَأْسَهَا الْأُمَمُ^٣

وهنا تأثر بقول الشاعر المتنبي في قصيدته المشهورة :

واحِر قلباه مَن قلبه شِمْ ومن يجسمي وحيالي عنده سقم^٤

فلم يقتصر التأثير هنا على المعنى بل تجاوزه إلى الوزن الشعري والقافية . وهنا لابد من التنبيه على أن تأثر الصورة بثقافة الشعراء وقراءاتهم لا يعني أنه لا يملكون تلك الكلمة الموجبة الخالقة المصورة ، كما لا يعني أنهم فقدوا أصالتهم الشعرية ، علينا أن نتذكر أن الشاعر ليس نباتا شيطانيا ، وإنما هو حلقة في سلسلة المبدعين، يتأثر بمن سبقه ، ويؤثر فيمن لحقه ، ومن ثم فإن تأثره

^١ مجلة الإصلاح ، العدد ٦٤ ، ص ٣٠

^٢ مجلة الأمة الإسلامية ، العدد ٢٤ ، ذو الحجة ١٤٠٢هـ ، ص ٢٩

^٣ مجلة الوعي الإسلامي ، العدد ٢٣٨ ، يوليو ١٩٨٩ م ، ص ٨٢

بالآخرين لا يطيح بأصالته الشعرية ، ولا يفقده تميزه بين أقرانه من الشعراء ، وإلى هذه القيم أشار الناقد الفرنسي بول فاليري قائلا : (ليس أدعى إلى ظهور أصالة الكاتب أو الشاعر من تأثيره بآراء الآخرين ، فما الليث إلا عدة خراف مهضومة)^١ .
تارة يستمدون صور أشعارهم ببعض الأمثال العربية :

كما في قول أبو الأدهم في قصيدة " إلى المجاهدين الأفغان " :
اللَّهُ أَكْبَرُ زَحْفُكُمْ إِعْصَارُ اللَّهُ أَكْبَرُ جَيْشُكُمْ جَرَارُ^٢

تأثر بالمثل الذي يقول : إن كنت ريحا فقد لاقيت إعصارا .

ويقول آخر :

فَلُ الْحَدِيدِ حديدٌ والقاطعُ العضْبُ قاطعُ^٣

والمثل يقول : لا يقل الحديد إلا الحديد .

^١ د. عيسى ، هلال محمد " : فضايا معاصرة في الأدب والنقد ، ص ٤٩

^٢ مجلة البيان المصروف ، العدد ٣٠ ، ذو الحجة ١٤٠٩ هـ يوليو ١٩٨٨ م ، ص ٤٥

^٣ مجلة البيان المصروف ، العدد ٣٠ ، ذو الحجة ١٤٠٩ هـ يوليو ١٩٨٨ م ، ص ٤٥

المبحث الرابع : موسيقى شعر الجهاد الأفغاني :

أ - الموسيقى والأوزان :

لقد ولى المفهوم القديم الذي كان يرى في اللغة ألفاظا ومعاني فقط ، وحل مكانه المفهوم الحديث الذي يرى أن اللغة إلى جانب كونها ألفاظا ومعاني فإنها تنطوي على كثير من الموسيقى والوجدانية والخيالية وعلى ألوان من الرمز والإيماء والإيحاء ، وإننا عن طريق اللغة نلمس ونرى ونشعر لا بحواسنا الظاهرة بل بعقولنا ومواطن إدراكنا ، ففيها ألوان شتى من التعبير بعضه كاتم وبعضه مضيء ومنه الشفاف ومنه المعتم^١ ولا تقتصر اللغة على كونها وسيلة من وسائل التعبير عن أفكار الإنسان وأحاسيسه فحسب ، بل إن فيها من الخصائص الجمالية ما يسموا بها إلى مستوى الفنون الجميلة^٢ والموسيقى خاصة عظيمة من خصائص اللغة لما لها من أثر عميق في التأثير على روح الإنسان وأحاسيسه وقدرتها على مخاطبة عواطفه وجذب مشاعره^٣ . ورأى فيها (كولردج صفة أساسية من الصفات التي يجب أن يتمتع بها الشاعر الأصيل ، وجعل الإحساس بالمتعة الموسيقية والقدرة على توليد هذا الإحساس لدى الغير هبة الخيال وحده)^٤

وقال عنها شوبنهاور (أنها تعبر مباشر عن إرادة الحياة ورأى أن الشعر أصدق تصوير للطبيعة البشرية من التاريخ وأن المأساة ، قمة الفن الشعري ، تمثل الجانب المروع من الحياة حيث الصراع بين الإرادة ونفسها قد بلغ الذروة)^٥ ونظرا لشدة اتصال الموسيقى بالعاطفة الإنسانية اعتبرت كل الفنون موسيقى^٦ ولعل هذا التأثير الذي تحدثه موسيقى الشاعر ناتج من أنها تعبر عن التوافق بين الشاعر والعالم الخارجي ، ومحاولة أن يخلق نوعا من الاندماج بين قارئيه وسامعيه وبين مظاهر التناسق والإيقاع في هذا العالم الخارجي (ومن ثم كانت خطورة تشكيل الصورة الموسيقية للقصيد ، لأن الشاعر إن لم يوفق من خلال هذه الصورة إلى خلق حالة التوافق بين الحركة التي تتوجج بها النفس والحركة التي تخرج بها الأشياء فإن الصورة الموسيقية عندئذ مهما يكون فيها من تناسق ونظام خاص ، تفشل في تحقيق غايتها الفنية ، وتبقى تشكيلا صوتيا من

^١ حسن ، عبد الحميد : الأصول الفنية للأدب ، ص ٥٩

^٢ مجلة عالم المعرفة ، العدد ٤٦ ، د . عبد الدائم صابر : موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور ، يوسف السيسى : دعوة

الموسيقى ص ١٣

^٣ د. القط ، عبد القادر الإنشاء الوجداني في الشعر العربي المعاصر ص ٧٤

^٤ Biographia Literaria P.١٥٣ , London , J.M> deat , ١٩٤٧

^٥ Knox , I The Aesthetic theories of Kant , Hegel and schopen naver , colum . univ .

press , ١٩٣٦

^٦ د. الدروبي ، سامي : كورنشه سدونوتو ، ص ٤٩

طرف واحد ، أي أنها لا تعيننا على ربط نفوسنا بالوجود الخارجي وتنسيق المختلط من ذبذبات هذه النفوس وفقا للإيقاع الحق في هذا الوجود)^١ (وإذا ذهبنا إلى الشعراء وجدناهم يعمدون إلى البحور القوية الجرس المحدودة النغم التي تصلح لمواقف الشدّة والعنف . ومن البحور المستخدمة الطويل والكامل والبسيط ، الوافر ، الخفيف ، المتقارب ،

الرجز والسريع)^٢ وتدرج البحور المستخدمة نسبيا هي (الطويل) ثم الكامل ثم البسيط والوافر^٣ فإذا عرفنا أن القدماء كانوا يؤثرون الأوزان التي تناسب أغراضهم الجديدة ومواقف المفاخرة والمهاجاة والمناظرة أدركنا الصلة الخفية التي جعلت الشعراء يعمدون إلى هذه البحور فهي توفر لهم الأجواء النفسية الملائمة للتعبير عما يحيش بنفوسهم من ثورة وألم ، فالنغم جزء من التجربة ينمو بنموها ويتكون مع بقية عناصرها ، وهو تعبّر عن حركة الانفعالات في نفس الشعراء وجزء أساسي من معنى القصيدة^٤ كذلك استخدم شعراء الجهاد العرب معظم الأوزان الشعرية المعروفة ولم يقتصرُوا على بحر بعينه أو بحور معدودة لأن شعر الجهاد قد اتسع لمعانه كثيرا كما رأينا في دراسة موضوعاته : مدح وهجاء ورتاء ووصف وغيره ، (كما أن اختيار البحر لا يخضع للتعمد بقدر ما يخضع للعاطفة والحس الفني الدقيق ، وقد ثبت أن تحديد بحر بعينه لموضوع لا يتعداه جهد ضائع لأن موسيقى الوزن ليست إلا جزء واحد من الشكل وأن عناصر كثيرة أخرى تسهم في الإيقاع الموسيقي داخل الأبيات)^٥ وهذا ما أحسه شعراء الجهاد تلقائيا فكتبوا في غالب البحور^٦ . ولم يربطوا بين موضوع وبحر ، لأنهم حشدوا عناصر الشكل جميعا للتعبير عن مشاعرهم الفياضة في إبراد المعاني الحماسية في شعر الجهاد .

لكن المتبع لإنتاج شعر الجهاد يستشف ميلا لديهم للنظم على البحور الشعرية المدوية المججلة ذات الجرس الموسيقي الصاخب والأمواج الطويلة القادرة على استيعاب أفكارهم ومعانيهم وأغراضهم الشعرية المختلفة على أنهم نظموا على البحور التجزوءة ليعبروا عن الانفعال السريع والغضب الحاد وقد مثلت هذه الأوزان أناشيد جهادية تفيض حماسة^٧ . وسنكتفي بذكر مطالع بعض قصائدهم لتكون شواهد على ما قلناه :

^١ د. عز الدين ، إسماعيل : النظم النفسي للأدب ، ص ٦٤

^٢ د. أسد ، إبراهيم : موسيقى الشعر ص ١٩٧

^٣ المرجع نفسه .

^٤ د. النوبهي ، محمد محمد : الشعر الجاهلي ، ج ١ ، ص ٦٨

^٥ د. النجدي ، نور : شعر الحرب حتى نهاية القرن الأول الهجري ، ص ١٣٢

^٦ د. البحراوي ، سيد : موسيقى الشعر عند جماعة أبوللو ، ص ٤١ ، د. وادي طه : شعر ناحي الموقف والأداء ، ص ٧٤

^٧ د. القط ، عبد القادر : الانحاء الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، ص ٣٦٩ - ٣٧٠ .

من قصيدة " إلى البطل شاه مسعود " للشاعر ضياء الدين الصابوني .
أَفْغَانُ مَلْحَمَةٌ كُجْرِي وَبُرْكَانُ بِهَا الْجِرَاحَاتُ إِعْصَارٌ وَنِيرَانُ^١

من البحر البسيط

ومن قصيدة " إلى البطل شاه مسعود " للشاعر ضياء الدين الصابوني .
عَقْدَ الْعَزْمِ وَاسْتَعَدَّ وَأَبْرَمَ جَعَلَ اللَّهُ قَصْدَهُ ثُمَّ أَقْدَمَ^٢

من البحر الخفيف

ومن قصيدة " شعب أفغانستان المسلم المجاهد " للشاعر عمر بهاء الدين الأميري .
مَلَائِكَ الشَّعْرِ أَيْنَ ذَهَبَتْ عَنِّي نَأَيْتَ فَنَالَتْ الْأَشْجَانُ مَنِّي^٣

من البحر الوافر

ومن قصيدة " من وحي أفغانستان " للشاعر إسماعيل أبو العزائم .
مَاذَا تَفِيدُ بَوَاقِعُهَا الْأَسْمَاءُ مَا لَمْ يُلَسِّبْ إِلَى الْجِهَادِ نِدَاءُ^٤

من البحر الكامل

وهذه الألفاظ هي التي تجعل للشعر تأثيراً في النفوس . وتسيطر على الشاعر محمد ضياء الدين الصابوني في قصيدته " الحرب دائرة الرحي " عاطفة الضيق والحقد على الروس الملاحدين وعملائهم الشيوعيين داخل البلاد ثم عاطفة الإعجاب بالجهاد وأهله^٥ . وقد اعتمد الشاعر على الموسيقى بنوعها الخارجية وتمثلت في الوزن الواحد والقافية الموحدة ، والداخلية وهي نوعان : ظاهرة وتمثل في المحسنات البديعية وقد ابتعد الشاعر عن تكلف البديع ، ولم يستعمل منه إلا ما يتطلبه المعنى دون إسراف أو مبالغة ، وخفية : وفيها تظهر عظمة الشاعر وبراعته وفي اختيار الألفاظ الموحية وجودة الأفكار وترتيبها وروعة الخيال وجماله وصدق العاطفة ودقتها ، والقصيدة من بحر الكامل ، وهذا البحر فيه طواعية للعديد من الأغراض الواضحة والصريحة وهو مترع بالموسيقى ويتفق مع الجوانب العاطفية المحتدمة داخل الإنسان ، كما أنه يجمع بين الفخامة والرقّة ، ولهذا نراه وعاءً محكماً للحكمة والفلسفة ، ومن خصائص هذا البحر أن

^١ مجلة الفاعورق ، العدد ٧ ، سبتمبر ١٩٨٧ هـ - محرم ١٤٠٧ هـ ، مجلة الجهاد ، العدد ٣٠ ، رمضان ١٤٠٧ هـ - مايو ١٩٨٧ م ، ص ٣٤

^٢ المرجع السابق ، العدد ٢٩ ، محرم ١٤٠٧ هـ - سبتمبر ١٩٨٧ م ، ص ٢٣ ، مجلة الجهاد ، العدد ٣٠ ، رمضان ١٤٠٧ هـ - مايو

١٩٨٧ م ، ص ٣٤

^٣ مجلة الأمة الإسلامية ، العدد ٢٤ ، ذو الحجة ١٤٠٢ هـ ، ص ٢٩ .

^٤ المرجع نفسه .

^٥ د. عيد رجاء : التجديد الموسيقي في الشعر العربي ، ص ٧٧

الحركات فيه تغلب السكّنات وهذا يؤكد جانب الجزالة خاصة إذا ظهرت فيه ظاهرة التشديد وإذا نظرنا إلى القافية وجدناه يستخدم حرف المد ليساعد على الشجن والتويع والغزارة الموسيقية وقد التزم الشاعر بهذا ليعطي الموضوع ثراء وبصفة عامة تعطي نوعاً من التصاعد الموسيقي... أما الدال فهي من الحروف التي يكثر مجيئها رويًا في الشعر العربي وقد قالوا عن الدال أنها تعبر عن صورة العاشق الذي صار على هيئة الدال من شدة الحزن ، أما علماء الأصوات فيذكرون أنها صوت أسناني لثوي انفجاري مجهور ، يتذبذب معها الوتران الصوتيان ، ولعل هذا يرمي إلى هزة الشاعر وقلقه وضيقه ، وهي من أصوات القلقلة لأنها تحتاج إلى تحريك . والملاحظ أنها لم تقف عند حد القافية وإنما بدأ بها الشاعر في التصريع وكسر الدال يتفق مع الشعراء العاطفيين بصفة عامة ، فهم يميلون إلى الكسر في موضوعاتهم ، فإذا كانت الضمة تعطي الفخامة ، والفتحة تعطي الاستعلاء ، فإن الكسرة تعطي نبرة الحزن ، وسحبة الألم وجهشة الشجن فإن نغمة الإنشاد تغيرت تبعاً لحالته النفسية^١ وهناك توفيق بين القافية وبين الموضوع وأن إيقاع القافية عنده يبدو مركباً ، وهذا يجعله قادراً على الإثارة ، ولعل أبا هلال العسكري يقرب ما نريد أن نقوله حين يقول في الصناعتين (... ينبغي أن تأخذ في طريق تسهيل عليك حكايته فيها ، وتركب قافية تطيعك في استيفائك له)^٢ .

والموسيقى جزء هام من اللغة ، وهي تعبر من جملة تعبيراتها ، فإن الأصوات لا تطرب بذاتها ، ولكنها تطرب بجملة تعبيراتها . وبالشعور الذي توجهه والخاطر الذي تمثله في الطابع والأذهان فهي تفسح للنفس دائرة الطرب وتقيم لها الكون كله وكأنه فرقة غناء^٣ . وبصفة عامة فالقصيدة تمت بأكثر من نسب إلى العربية الفصحى وقد وفق الشاعر في أدائها فخرجت في صورة يتقبلها القارئ أو السامع .

أما الشاعر محمد فوزي مصطفى في قصيدته " إلى ثوار أفغانستان " يبدو ذلك منذ مطلع القصيدة وتسيطر عليه عاطفة الثورة على الظلم والأمل في تحقيق النصر للمجاهدين الأفغان يبدو ذلك في قوله : الله أكبر قد أطل نهار ، فهذا يعطي الأمل وأما الثورة على الظلم فقوله :
أُبْكِي عَلَى كَابُولَ حَتَّى يَنْجَلِي ذَاكَ الدُّجَى وَيَزُولَ عَنْهَا الْعَارُ^٤

^١ د. أنيس إبراهيم : موسيقى الشعر ، ص ١٧٥ - ١٧٧

^٢ العسكري هلال : الصناعتين مرجع سابق ص ٢١٠ .

^٣ انقاد عباس عمود : ساعات بين الكف ، ج ١ ، ص ٨٦ ، نغمة مبحاتيل : الغزال ، ص ٧٠ - ٧١

^٤ مجلة الأمة الإسلامية ، المجلد ١ ، العدد ٦ ، جماد الآخرة ١٤٠١ هـ ، ص ٢٨

وهذه القصيدة أو القصائد التي معنا تمثل الشعر الملحمي أو القصصي الذي يعتمد فيه الشاعر على عرض حياة الأبطال والأبطال مع المبالغة ، ومن الممكن أن نعتبره من الشعر الغنائي الذي يتحدث فيه الشاعر عن عاطفته متأثرا بالبيئة والحياة المحيطة به ، وفي الأبيات موسيقى ذات رنين أخاذ وينبع هذا الرنين من قافيتها القوية التي تنتهي بحرف الراء والقصيدة من بحر الكامل^١ التي تتكون تفعيلاته :

متفاععلن متفاععلن متفاععلن متفاععلن متفاععلن

وحرف الراء في القصيدة لا يقتصر على القافية وإنما يتردد داخل أبيات القصيدة وقد استخدم الشاعر التصريع في قصيدته ، وهو من أوضح الأصوات الساكنة ، وهو عند القدامى صوت " زلتي " شبيه بأصوات اللين ، كما أن صورته في التراث تربط بصورة الهلال وعلى كل فهو من الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة ، كما أنه صوت مكرر لأن طرف اللسان حين ينطق به يحدث لنا مرتين أو ثلاثا^٢ .

وعند الشاعر عبد المنعم الهاشمي في قصيدته " إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا " ^٣ لها أوزان وقوافي متعددة لم يلتزم الشاعر فيها بوزن واحد أو بمعنى آخر لم يلتزم فيها ببحر عروضي واحد بل إنه جمع من كل بحر تفعيلة فأصبحت القصيدة متناثرة كالأشلاء الممزقة يصعب ضمها بجوار بعضها هذا بالنسبة إلى الموسيقى الخارجية، أما الموسيقى الداخلية وهي ما يتحقق في كلمات القصيدة وأفكارها وصورها من أمور تضمن التأثير والإمتاع كالحسنات البديعية وهي كما قلنا متكلفة وهناك موسيقى خفية وتتمثل في صدق العاطفة وقوتها وظهور أثرها في اختيار الكلمات الموحية وجمال التصوير وزرعة الخيال وجودة الأفكار ووضوحها وترباطها مع الشاعر (ولقد ساهمت جهود الشعراء والحالة غير الطبيعية والاختلاط الاجتماعي في تحويل اللغة بالصناعة إلى ما يشبه آلة الموسيقى القرب ، تزودنا بالآلة والنغمة معا وأصبح من الممكن أن يعزف الأصم ليضطرب الجميع^٤ وهذه الموسيقى هي أجمل الأنواع وأكثرها تأثيرا ، وأشدّها ارتباطا بالعاطفة حتى قيل : (كلما قويت العاطفة زاد حظ النص من الموسيقى) وقيل : (الموسيقى صوت العاطفة وصدائها) وقيل : (الشعر موسيقى ذات أفكار) . وأرى أن الشاعر لم يوفق إلا في العاطفة ومضمون

^١ أنظر التفصيل عن هذا البحر في الصفحة السابقة

^٢ د. عبد الدايم صابر : موسيقى الشعر العربي ، ص ١٦٦ .

^٣ مجلة البيان المرحوم ، العدد ٣٤ ، ربيع الآخر ١٤١٠ هـ - نوفمبر ١٩٨٨ م ، ص ٣٥

^٤ Biographia Literaria P٧٩

الموضوع لأنه ربما أراد أن يعبر عما تحيش به نفسه ولكن خاثة التعبير والأوزان العروضية لأن الجرس الموسيقي لا يخلو من اضطراب فلا تكاد أن تزن بيتا على أي بحر من بحور الشعر الستة عشر . فإذا وجدت كلمة أو نقل شطر بيت موزون تجد الشطر الثاني بعيد كل البعد عن أوزان الشعر وموسيقاه الرنانة التي تطرب الآذان وتحرك الوجدان والمشاعر والأحاسيس .

والقصيدة في النهاية لا تخلو من تواضع من الناحية الفنية وكذلك الجرس الموسيقي فيها لا يخلو من اضطراب ، والألفاظ والعبارات لا يعجز عن الإتيان بمثلها الإنسان العادي ، أما الخيال فيكاد يكون فيها ميتا .

أما الشاعر محمد مأمون عبد الغني نجم فله قصيدة بعنوان " رسالة من عربي إلى المجاهدين الأفغان " ^١ : واتضحت فيها الموسيقى ظاهرة في الوزن والقافية ، وداخلية خفية ، نابعة من انتقاء الألفاظ وحسن تنسيقها وترباط الأفكار وجمال التصوير . فالوزن يضبط النغم نتيجة لتكرار وحدات موسيقية تسمى (التفعيلات) بعدد معين يتكون منها البحر ، وللشعر العربي ستة عشر بحرا تختلف طولا وقصرا ، ويختار الشاعر منها بطريقة تلقائية ما يلانم عاطفته وموضوعه (فكانت القصيدة بنية موسيقية متكاملة ، وعمل الشاعر على تحقيق الإنسجام بين مختلف العناصر في القصيدة، آخذا بالاعتبار أن القصيدة وحدة فنية تعمل في داخلها أشات من المفردات والدقائق عليه أن يصل فيما بينها وأن يتقن بناء قصيدته من حيث هي كل لا يتجزأ . وأهمية هذا البناء الموسيقي تعود إلى أنه أول ما يصادف السامع أو القارئ فيها ^٢ .

وهذا النص من بحر الكامل الذي يتسع لامتداد العاطفة ، أما القافية فهي اشتراك بيتين أو أكثر في الحرف الأخير وحركته وشروط ضبط الإيقاع وجماله : أن تكون نابعة من معنى البيت ، وغير متكلفة ، وملانمة في موسيقها للنحو النفسي ، والشاعر الممتاز لا يخضع لضرورات الوزن والقافية بل يستغلها لإفادة المعنى وتأكيد به بالتقديم أو التأخير والحذف أو الذكر وغير ذلك ^٣ ، والملاحظ أن الشاعر محمد مأمون نجم قد " صرع " في بداية القصيدة لجذب الانتباه وليعطي كثافة موسيقية مؤثرة ، بل إننا نراه يثير بغزارته الخيال فاستخدم الطباق ليكون هناك تقابلا يقوم على التضاد وكل هذا يعطي القصيدة حيوية ونوعا من الجدل غير المسموع ونرى الشاعر لا ينسى جلال اللفظ وفخامة الموسيقى .. وهكذا نراه زواج بين حالات التعبير وطبيعة الموضوع.

^١ مجلة الجهاد ، العدد ٣٨٦ ، ربيع الأول ١٤٠٥هـ ، ص ٤٤ ، مجلة الأمة الإسلامية ، العدد ٥٤ ، جمادى الآخرة ١٤٠٥هـ ، ص ٦٣

^٢ د . إسماعيل عز الدين : الأدب وفنونه ، ص ٦٣

^٣ المرجع السابق ، ص ٥٩ ، د . الفظ عبد القادر : الإنشاء الوجداني في الشعر المعاصر ، ص ٣٧ ، د . السويهي محمد : الشعر الجاهلي ، ص ٩٥ — ٩٨

فإذا جننا للقافية وجدناه يستخدم حرف المد قبل حرف الراء ليساعد على الشجن والتنويع والغزارة الموسيقية والإحساس بالحياة الشريفة للمجاهدين الذين يحققونها بالدماء^١ وقد برع الشاعر في عملية تكرير الحرف ، وبعبارة أخرى توزيعه توزيعاً موسيقياً حتى لا يصبح النطق عسيراً ومن المعروف أن الراء صوت مجهور لثوي متكرر وهو من أوضح الأصوات الساكنة في السمع .

أما قصيدة شعب وشعب للشاعر يوسف أبو هلاله^٢ فالشاعر كما بدا في أبياته متأثراً ومنفعلاً ومهتماً بأمر أمة الإسلام الجريحة وحق له ذلك فهو من أمة الإسلام وعضو من أعضائها لا ينفصل عنها مهما كان الأمر وإذا أمعنا النظر في القصيدة التي معنا وجدنا أنها تحتوي على نوعين من الموسيقى الداخلية الخارجية .

فالموسيقى الداخلية تتمثل في العاطفة والإثارة واختيار البحر المناسب والتفعيلات المتناسكة مع بعضها واختيار الكلمات الملانمة للموضوع .

أما الموسيقى الخارجية فهي تتمثل في البحر والقافية وحرف الروي . وقد وفق الشاعر في استعمال بحر البسيط لقصيدته والذي تكون تفعيلاته من :

مستفعلن فـــــــــاعلن مســـــــــتفعلن فـــــــــاعلن

وقد أحسن الشاعر في اختيار حرف العين لما له من وقع جميل وجرس موسيقى رائع على الأذن فتفاعلت كل من الموسيقى الداخلية والخارجية ليتم الترابط والإنسجام والاتحاد والالتئام بين أجزاء القصيدة ،^٣ لتخرج في النهاية وحدة عضوية متجانسة ومتناسكة متمثلة في البحر العروضي (البسيط) والقافية لفظ (صاعد) إلى آخر الكلمات في القصيدة ومتمثلة في حرف الروي العين . يربط بالحالة النفسية للشاعر بحسب غرضه .

علاوة على هذا حسن أداء الشاعر مستهل قصيدته بأن بدأ بالمصراع في أول البيت ليتم التشابه بين قافية الشطرين . وفي ختام هذا العمل الرائع أحب أن أنوه على أن الشاعر أجساد في بنائه وجعله في نسيج واحد لا تنفر منه الآذان أو تبتعد بل جعل كلماته وأوزانه تدخل القلوب والآذان بلا استئذان .

^١ د. أنيس إبراهيم : الأصوات اللغوية ، ص ٧٣ وما بعدها

^٢ مجلة المهجد ، العدد ٢٤ ، ربيع الأول ١٤٠٧هـ - نوفمبر ١٩٨٦م ، ص ٣٨ - ٣٩ ، كتاب شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث ، ص ٩٢ .

^٣ د. عبد الدايم صابر : موسيقى الشعر العربي ، ص ٢٩

وقصيدة حياض الموت للشاعر محمد مصطفى البلخي^١ فالقصيدة من البحر البسيط ، ومعناها أن كل قافية في البحر بين ساكنيها حركة . وإذا كان لهذا دلالة فهي الارتباط الكبير بالموسيقى حين يجيء البحر على هذه الصورة .

وبصفة عامة فطبيعة هذا البحر تتفق مع الشجن والتذكر والحزن^٢ ، وهو يكثر في الشعر الفصيح والشعبي ، بل يجيء في مقدمة البحور التي يستعملها الشعراء ، والملاحظ بصفة عامة كثرة استعماله في الشعر العربي في مصر ، وقد نبه لهذا أحمد أمين في كتابه (النقد الأدبي) فقال: أكثر الأغاني البلدية المصرية من البحر البسيط ، كما نلاحظ هذه الكثرة في الشعر الديني وبخاصة ما قيل في مصر ، ولعل ما يساعد على انبساط الحركات في عروضه وضربه انبساط الأسباب في أوائل أجزائه السباعية على نحو ما رأى الزجاج ، ونحن نعلل لهذا بطوعية هذا البحر لظاهرة الإنشاد ، فهو يعطي التموج والانسيابية والإيقاع الذي يعطي النفس حالة من الصفاء . والقافية تتفق مع الموضوع الحزين اليأس الذي تعالجه القصيدة ، وبخاصة حين تكون هناك ياء المتكلم التي تشبه مدتها في هذا المقام مدة الألم والحزن والانكسار والارتطام بشيء ما . والقافية هنا أساسا تعتمد على حرف النون المفتوح الذي يعطي صيحة ممدودة هي أشبه ما تكون بالتهنئة بالنسبة لحالة البكاء ، فمن المعروف أن النون من الأصوات الأنفية التي يحبس لها الهواء حبسا تاما في موضع الفم ، ولكن يخفض الحنك اللين فيتمكن الهواء من النفاذ عن طريق الأنف ، بحيث يخرج لنا هذا الصوت الأسناني الأنفي المجهور ، الذي يذكرنا بحالة الأنين ومما يساعد على ذلك أنه شبه حركة وليس حركة فيما يسمى قوة الوضوح السمعي .

ثم إن هناك التزاما بالياء ومخرجها من وسط الحنك .. والياء تعطي انكسارا يتفق وحالة الموت الذي أصاب الأمة من جراء ضعفها . وبعد حرف الروي يوجد ما يسمى (الوصل والخروج) وهو وجود الألف بعد الفتحة ، ووراء هذا ما يذكره الأنخفش في كتابه القوافي من أن الشعر وضع للغناء والحداء والترنم ، وأكثر ما يقع في آخر البيت . ونستنتج من ذلك أن الشعراء يلجأون إلى الموسيقى الكلامية للتعبير عن عواطفهم ومشاعرهم وهم بذلك (إنما يستعينون بأقوى الطرق الإيحائية لأن الموسيقى طريق السمو بالأرواح والتعبير عما يعجز التعبير عنه^٣ .

وقد كان من الطبيعي ألا يتعامل الشاعر مع (التدوير) ذلك لأن كل شطر خففة حزن لا يتحمل صدره أكثر منها لما كان من الطبيعي أن يكثر من حروف المد في جميع الأبيات ، ذلك

^١ د . بدوي عبده ، دراسات في النص الشعري ، ص ٧٠

^٢ المرجع السابق ، ص ٧٢ ، د . عبد الدايم صابر ، ص ١٦٤

^٣ د . هلال محمد غنيمي : النقد الأدبي الحديث ، ص ٣٨١

لأن المد يتفق مع حالات (الندب) والتوجع ، والصياح والحزن ، وفي الوقت نفسه يساعد على البطء والتراخي في الزمن . (نلنا ، خابت ، سرنا ، باتت ، خنقناها) .

وقد أكثر الشاعر ابتداء من الأفعال الماضية ليتذكر مأساة بلاد المسلمين قاطبة وبلاد الأفغان خاصة ، ولم يلجأ إلى الفعل المضارع (يشتكي ، نهض ، ليحج الحق ، لم يحش) إلا حين يريد تشخيص المواقف ، ويجعلنا نحس بأنه يريد أن يقدم مشهدا يتحرك . وبصفة عامة فقد قدم لنا الشاعر لغة سهلة بسيطة جرت كالدمع من وجدانه الحزين وهكذا كان الإطار من نفس جنس الصورة وكانت حالات الشاعر النفسية لوحات تتحرك . وقد اجتهد بكلماته أن يقدم عالما محسوسا معادلا للعالم النفسي الذي يعيش فيه ومن هنا كانت لمفرداته ظلال ، ولأدواته دلالات .

ونتوجه إلى الموسيقى على أساس أن الشعر بالدرجة الأولى : تعبير بالإيقاع والغناء . فالموسيقى في شعر محمد مصطفى البلخي نجدها استمرارا للقصيدة (التقليدية) حيث لا تزال عنده خاضعة لموسيقى (بحر) شعري واحد ، أو هي قصيدة لا تزال محافظة على أدبيات (عمود الشعر العربي) أي أنها من حيث الشكل والإيقاع ما تزال خاضعة لبحر واحد وقافية واحدة ، مهما طال نفس الشاعر وكثرت الأبيات التي تشتمل عليها (واستعانة بالموسيقى الكلامية ليست بمقدور أي شاعر فهي تحتاج إلى شعراء حساسين لأصوات اللغة أولا وقدرة على استغلال هذا الإحساس ثانيا)

ويقول البلخي في مطلع قصيدته :

يامن دفتنم بذل اليوم ماضينا	أما علمتم بأن الموت يحينا
كم منبر يشتكي من ذل راكمه	يبكي على الجند والأعجاد تبكينا
طال البلاء ولو كانت قلوبكمو	مع الإله لقال الدهر آمينا

وهكذا تنقلنا (طبيعة الموسيقى) وسمّة البنية عند البلخي إلى نفس المناخ الشعري الذي نجد عليه طابع الكلاسيكي لموسيقى القصيدة العربية ، سواء من حيث المحافظة على البحر الواحد وإيقاع القافية الواحدة ووضوح نبرة الخطابة ورنّة الإلقاء . أما القوافي في قصائد د. عبد الرحمن العشماوي العمودية الأربع " أحمد الزهراني " و " عندما يعزف الرصاص " و " من أين أبدأ رحلتي ؟ " ، " يا رافعا علم الجهاد " فاختار الشاعر حرف الدال في الأولى والثانية ، والباء

الساكنة بألف مد في الثالثة ، والميم المكسورة في الرابعة ، وهي من الحروف الخفيفة في النطق غير أن الوقوف على الساكن في الثانية قلل من انسيابية القافية إلى حد ما .

أما القصائد الأخرى فقد نوع الشاعر فواصلها تنوعا جيدا ، أعطى لها حيوية وإيقاعها ، لا يقل حسنا عن إيقاع القصيدة العمودية ^١ . ويمكننا أن نمثل لذلك ببعض الفواصل . ففي قصيدة " على أنقاض مدينة هرات " ^٢ :

السهر ، الصور ، القمر زهرة ، حائرة ، أخرة يرى ، الذرى ، الثرى .

وفي " هؤلاء الأبرياء " ^٣ :

الأبرياء ، الضياء ، الشتاء ، النساء الشقاء ، الوجهاء ، الكبرياء ، الأغنياء وفير ، حرير ،
الغدير ، وفي " وسام العز في وجه عائشة " كثرت الفواصل المنتهية بالهاء الممدودة مثل : ملامحها ،
فيها ، بحسرتها ، ويحها ، عفتها ، شهوتها ، ومع ثقل هذه الهاء التي تخرج من الحلق وتستنفذ
النفس لدى القارئ فإن لحن القصيدة كان رائعا حتى في الجمل التي لم تلتزم بتشابه الفواصل
مثل:

تعالى : ليس لي إلاك يا أغلى أمانى القلب أخبرها بآلامي أصارحها

وقد جره انسياب الكلمات ، وتدفق العاطفة هنا إلى ارتكاب خطأ نحوي حيث وصل
الضمير (ك) في قوله " ليس لي إلاك " وحقه وجوب الفصل لحصره بإلا وموقعه في محل رفع
اسم ليس فيكون " إلا أنت " . وقد وازن الشاعر بين الكلمات في بعض الجمل مثل :

أرخصى طرفه البـاكي
وصبر قلبه الشـاكي

أو :

تـراكَ نـسيتَ طفـلتـنـي

نـسيتَ رنـينَ ضـحـكـتـها

أو :

^١ س. موريه : حركات التجديد في موسيقى الشعر العربي الحديث ص ١٢٣ - ١٣٥ ترجمة سعد مصلوح ، د. التويهي محمد : الشعر

الجاملي ، ص ٩٥ - ٩٦ ، د. حسن توفيق : شعر بدر شاكر السياب ، ص ٢٦٠ - ٢٦٧

^٢ من ديوان عندما يعزف الرصاص ، ص ١٦٨

^٣ الشاعر عبد الرحمن العشماوي : من ديوان عندما يعزف الرصاص ، ص .

وأرْخَى دُونَ حَسْرَتِهِ
سِتَاراً مِنْ عَزِيمَتِهِ
وَسَدَّ طَرِيقَ دَمْعَتِهِ
وَلَمْ شَتَاتْ بِسَمْتِهِ
وَأَهْدَاهَا إِلَى ابْتِغَاهِ

وكذلك في بدايات قصائده كلها

١- ناديتني

٢- نسبي ونطرديا أبي ونباد

٣- الليل مكتئب وقريتنا يضاجعها الخراب

٤- من أي نبع أستقي أنغامي .

أما قصائده التي بناها على التفعيلة الواحدة ، وهي من الأشكال الحديثة في الشعر ، فقد أجاد فيها الشاعر بالحفاظ على وحدة الوزن مما أعطى لقصائده إيقاعاً متوازناً لا تقل روعة عسّن قصائده العمودية ، بل ساعده هذا الشكل الحديث في رسم اللوحات الشعرية التي يودها ريشة الشاعر الخيالية^١ . فجاءت قصيدته الأولى " هؤلاء الأبرياء " على تفعيلة (فاعلن) . والقصائد الثانية " على أنقاض مدينة هرات " على تفعيلة (متفاعلن) والقصيدة الثالثة " وسام العز في وجه عائشة " . على تفعيلة (متفاعلن) وقصيدته الرابعة " أشلاء أغنية حزينة " على تفعيلة (متفاعلن) مثل القصيدة الثانية .

فإذا ذكرنا أن قصائده العمودية من البحر الكامل التي تكرر فيها / متفاعلن / ثلاث مرات في كل شطر فإنه يكون لدينا ست قصائد من الثماني التي يتألف منها ديوانه " عندما يعزف الرصاص " قد بنيت على هذه التفعيلة (متفاعلن) .

ومن هذا نلاحظ ميل الشاعر إلى البحر الكامل عموماً ، وسيطرته على أوزانه الشعرية ولا شك أن هذا البحر من البحور القوية التي تأتي بعد الطويل والبسيط اللذين يبنيان على أربع تفعيلات .

^١ د. إحسان عبد القدوس : الشعر العربي المعاصر ، ص ٦٢ — ٦٤ ، النعمان النعاني : شعر النور الإسلام في العصر الأموي من ٢٦ — ٢٨ ، د. بلال عيسى من ٨٧٣ ، الملائكة تاركات : قصائد الشعر المعاصر ، ص ١٨٧ ، شوقي محمد : الشعر الجاهلي من ٤٥٣ — ٤٥٤ ، د. النعمان النعاني : شعر التفعيلة والنزوات من ٩ ، د. عيسى سعد : حوار مع الشعر الحر ، ص ٩ ، عباس إحسان : إقطاعات الشعر العربي المعاصر ، ص ٢٨

ومن خلال قصيدة " مآسي ودعوة إلى الجهاد " ^١ للشاعر أحمد المانع : يتبين لنا أن قافية النون غزيرة في الشعر العربي ، وفيها يعتمد طرف اللسان على أصول الأسنان العليا مع اللثة ، ويخفف الحنك اللين ، فيتمكن الهواء الخارج من الرئتين من المرور عن طريق الأنف ، ويتذبذب الوتران الصوتيان حال النطق به ، وما يريده علماء الأصوات من هذا القول ، هو التأكيد على (ظاهرة التنغيم) في اللغة العربية بوجه عام ، وفي الشعر العربي بوجه خاص ، وحقاً إن ظاهرة التنغيم والتغني تتحقق مع النون ، ومما يزيد من روعتها تلك الألف التي تسبقها على نحو ما تعرف من القصيدة وبهذا يمكن أن نحس الحرف إحساساً مرهفاً ، أو على حد تعبير (ابن جني) في سر صناعة الإعراب يمكن أن نتذوق الحرف . وقد كانت قصيدته تركز ارتكازاً واضحاً على هذه التفعيلة وأنها في الجو الخاص بالقصيدة تكاد تكون ضرورية ، وأتينا لا نحس لها نفوراً ، ولا عدم استساغة ، فإنه في العروض يجب أن نقيس بالأحاسيس قبل (المسطرة) .

والملاحظ أن القصيدة ريانة بالألوان البلاغية التي تعتمد بصفة خاصة على التشبيه والاستعارة المكنية .

مثلاً : الكناية : فابكي بالدم الملتان ، بحر لهيها تغلي من النيران والتشبيه : مما أناخ بدولة الأفغان ، ضجت مدينة قندهار ، ليوث الحرب . والاستعارة المكنية : والقلوب يطرر وابل الأحزان ، ملؤوا فجاج الأرض ، ذبحت كرامته ... إلخ . وهي بصفة عامة تحمل القاريء على تفهم شخصية الشاعر لأن وراءها معنى عميقاً وإحساساً مرهفاً .

وفي قصيدة " جنود الحق " للشاعر عصام الحسيني ^٢ ، فلغة الشاعر القوية سايرت نفسيته الثائرة فهو في استخدام الألفاظ ينطبق عليه ما قاله صاحب العمدة (كالمالك الجبار يأخذ ما حوله قهراً وعنوة أو كالشجاع الجريء يهجم على ما يريده ولا يبالي ما لقي) ^٣ واختيار البحور قوية الجرس المحدودة النغم التي تصلح لمواقف الشدة والعنف ولذلك اختار هنا البحر الكامل لتلك القصيدة . وهذا البحر يناسب الأغراض الجدلية ومواقف المفاخرة والمهاجاة والمناظرة ولذلك كل شاعر يوفر لنفسه الأجواء النفسية الملائمة للتعبير عما يجيش بنفسه من ثورة وألم ، (فالنغم جزء من التجربة ينمو بمنزها ويتطور مع بقية عناصرها ، وهو تعبير عن حركة الانفعالات في نفس الشاعر وجزء من أساس هام من معنى القصيدة) ^٤ وكم كانت فرحة الشاعر بجنود الحق

^١ مجلة الإصلاح ، العدد ٨٣ ، ربيع الآخر ١٤٠٥ هـ - ديسمبر ١٩٨٤ م ، ص ٤٣

^٢ مجلة الجهاد ، العدد ١٢ ، فبراير ١٩٨٧ م ، ص ٢٣

^٣ الشيرازي ، ابن رشي : العمدة في محاسن الشعر وأدبه وفده ، ص ٦٤

^٤ د. التويجي ، محمد محمد : مرجع سابق ، ص ١

واستعداداتهم لملاقاة أعداء الله الملاحدة ، ولذلك نحس البهجة التي تملأ قلب الشاعر والفرحة تغمره ، ونجد أن البحر المستخدم ضم عاطفة الشاعر المتزنة وشعوره القوي بالبهجة ولذة النصر . كما أن الشاعر استخدم قافية متواترة ، ومعناها أن كل قافية في البحر بين ساكنيها حركة ، وإذا كان لهذا دلالة فهي الارتباط الكبير بالموسيقى حين يجيء البحر على هذه الصورة .

والروى في هذه القصيدة هو حرف النون وهو كما هو معروف : صوت أسناني لشوي أنفي مجهور فيتفق مع طبيعة تجربة الشاعر التي تدور حول إعجابه بالمجاهدين ووصف الملاحدة بما يليق بهم وحث الأمة الإسلامية على مساندة هؤلاء الشرفاء الشجعان الأبطال ، فالموضوع يدور حول عدد من النهايات المتباينة بالنسبة للإنسان (الكافر والمسلم) والنون تشبه الحركة في قوة الوضوح السمعي ، ولهذا وجد من يقول إنها (شبه الحركة) ورجال القراءات يضعونها في حروف الذلاقة (والنون حرف له دلالة خاصة في اللغة العربية ، (فكل كلمة شخصيتها التي تتحدد على ضوء مجموع الحروف المكونة لها ، ولكل حرف قيمته ، حتى ولو كان ساكناً ، فقد يكون هو الذي يعطي القيسة الانتباهية للكلمة ويميزها ^١ .

والملاحظ في القصيدة أن حرف الروى مسبوق بالألف ، يمكن الاهتداء إليها بعد الألف من غير النطق بها (أفغا.. ، ميدا .. ، إما.. ، وقد قيل إنها حين تكون في حالة الإخفاء تكون مع خمسة عشر حرفاً في الغالب وهي (ص ، ذ ، ث ، ك ، ج ، ش ، ق ، س ، د ، ط ، ز ، ف ، ت ، ض ، ظ) وحين نفتش في القصيدة نجد هذه الحروف شائعة في أبياتها . وفي الوقت نفسه هناك تباعد في المخرج بين (ا) و (ن) لأن الحروف كما هو معروف إذا تقاربت في المخرج ثقلت على اللسان ، كما أن حركة الكسرة للنون ، تعطي حالة التوسط بين الضمة الثقيلة ، والفتحة الخفيفة ، وكل هذا له تأثيره على طبيعة التجربة التي عالجها الشاعر بمهارة .

ومما يساعد على ثراء مثل هذه القافية مجيئها على التشبيه ووقوع الصفات على وزن فعلا ن ، والجموع على وزن فعلا ن (بكسر الفاء) وفعلا ن (بضم الفاء) بها بالإضافة إلى حالات الإسناد .

وكل ما سبق خدم الغنائية التي يسعى إليها الشاعر ، فإذا أعدنا النظر في الأبيات وجدنا الحسيني يردد اللفظ الواحد والحرف الواحد أكثر من مرة ولا سيما في مطلع القصيدة وهو لا يفعل هذا عبثاً فإن (ترديد الحرف الواحد له قيمة تنغيمية ذات وظيفة عضوية في أداء الفكرة

والعاطفة) ^١ وإلى جانب التكرار يعمد إلى الجناس التام والناقص ليخدم الجانب الصوتي (حيو ، أحيو ، قصفوا ، عصفو) (والجانب الصوتي عامل هام في البنية العامة للقصيدة الغنائية) ^٢ .

وأما قصيدة " نشيد للمجاهدين في أفغانستان " للشاعر يوسف العظم فالموسيقى في القصيدة تلقائية لا تكلف فيها لأنها أنشودة يترنم بها المتذوق للشعر ومن عنده أذن موسيقية علاوة على هذا بل يكاد يتذوق أبياتها لسهولة المقاطع والفقرات فهي مليئة بالعواطف والأحاسيس وقد انتقى الشاعر من البحور العروضية ما يناسب أنشودته العذبة بحيث ينتقل من قافية الميم إلى الفاء بسهولة ويسر يفصل بين القافيتين شطرة منفصلة لها صدى جميل وجرس موسيقي خاص ثم ينتقل وحرف روي آخر هو الدال الساكنة بعد ألف الإطلاق التي تعطي اتساعا وانطلاقا في النطق عكس القافية المقيدة الساكنة ثم اختتم قصيدته ثانيا بالقافية المطلقة وحرف روي آخر هو الدال ولكنه بعده ألف الإطلاق لتخرج القصيدة أو الأنشودة كما يسميها الشاعر في أبيه صورها لتجد في القلوب المكان الفسيح والصدر الرحيب .

وبالنسبة للوزن فقد استخدم الشاعر أحمد محمد الصديق خلال قصيدة (على المفترق) التفعيلات التي تكون الوزن أو التي يتكون منها ، وهي تفعيلات بحر الوافر المزوج ، فهو يزواج بين تفعيلة مفاعلتن ، وفعلون زهي من البحور التي يتألف الشطر فيها من أكثر من تفعيلة واحدة على أن تتكرر إحدى التفعيلات ، فالشاعر أتى في المقطع الأول بتفعيلة الوافر فنرى مثلا البيت الأول وهو : وجاء العذر العشوم

ونكتبها عروضيا هكذا : وجاءـ / عدو لـ / غشومو

ه/ه// ه/ه// ه/ه//

فالتفاعل توحى في البداية أنها من بحر المتقارب ولكنها من بحر الوافر المزوج فهي : مفاعل ، مفاعل / فعلون .

ثم نأتي إلى المقطع الثاني نجده نوع بين تفعيلة مفاعلتن ، فاعلن ، فيقول : ويلمع كالبرق سيف القدر .

وتكتب عروضيا هكذا : ويلمع كلـ / برق سيـ / فلقدر

ه//ه/ ه//ه/ ه///ه//

وكذلك فعل في المقطع الثالث حيث قال : تجسد معنى الشمم .

^١ د. الربيعي ، محمد ، الشعر الجاهلي ، ص ٦٨

^٢ رستيه ويليك وأوسنين دارين : مطربة الأدب ، ص ١٨٨ ترجمة يحيى الدين حسني

وتكتب عروضيا هكذا : تجسّد مع / نششم

ه//ه// ه//ه//

مفاعلتن فاعلن

ثم نأتي إلى المقطع الرابع في القصيدة فنجد فعل نفس الشيء فيقول فيه : وتشرق شمس الوطن

ويكتب عروضيا هكذا : وتشرقشم / سلوطن

ه//ه// ه//ه//

مفاعلتن فاعلن

ثم يرجع الشاعر في المقطع الخامس ويمزج بين مفاعلين ، وفعلولن ، فيقول : ويشند لفح الهجير .
فقد أحدث الشاعر الموسيقى الظاهرة عن طريق المزوجة بين التفعيلات المختلفة للبحور وهذا من صفات الشعر الحر أنه شعر التفعيلة وليس شعر البحور كالشعر العربي الأصيل ، وقد أدت هذه التفعيلات إلى إحداث موسيقا إيقاعية فيالنص .

ب - الأوزان والقوافي :

تقوم الموسيقى في الشعر العربي مقام الألوان في الصورة ^١ ، ويتفاوت الشعراء في قدرتهم على تحقيق أكبر قدر من التناوم الموسيقي في شعرهم ^٢ ، وشعراء الجهاد الأفغاني يؤمنون بقيمة الوزن الشعري لأن الألفاظ الموزونة أشد تناسقا ولذلك لم يخرجوا عن الوزن أبدا ^٣ .

سبق أن قدمنا خلال الدراسة ديوان الدكتور جابر قميحة المؤلف من إحدى عشرة قصيدة مختلفة أخذت أشكالا ثلاثة :

١ - قصيدتان عموديتان من البحر الكامل ^٤ وهو من الأبحر ذات الأبهة والجلالة ، ومتشابهتان في القافية أيضا فالقصيدة الأولى " أبطال الجهاد الأفغاني " مطلعها :

لَا تَذْكُرَنَّ فَيَالِقَا مِنْ تَغْلِبِ وَفَوَارِسًا مِنْ عَبَسَ أَوْ ذُبَّانِ ^٥

^١ د. هلال ، محمد غنيمي : النقد الأدبي ، ص ٩٧

^٢ الرشيد ، عبدالله بن سليم ، ص ١٥٧

^٣ جيري ، شفيق : أنا والشعر ، ص ١٠٨

^٤ من ديوان : لجهاد الأفغان أغني ، ص ٣٠-٣٦ .

^٥ المرجع نفسه

ومطلع القصيدة الثانية " نداء عاجل .. "

هَذَا النَّدَاءُ نَسَجْتُهُ مِنْ مُقْلَتِي وَكَتَبْتُهُ بِالرُّوحِ وَالْوَجْدَانِ^١

ويلاحظ أن التفعيلة الأخيرة في الشطر الثاني تأتي (متفاعل) /د/ه/ وقافية النون سلسلة في النطق وجعلتها الكسرة في رويها أكثر سلاسة مع ميل ألفاظ القصيدتين إلى الخشونة عموماً .
أما الأناشيد الثلاثة :

فنشيد " الزحف الأفغاني " من البحر المتقارب وهو أربع تفعيلات (فعولن) في كل شطر . وهو قوي الإيقاع بتقارب تفعيلاته وتلاحقها :

إِلَى كَابُولِ يَا جُنُودَ الرُّسُولِ وَخَلُّوا السُّيُوفَ تَصُورُ تَجُورُ^٢

افتتح الشاعر جابر قميحة قصيدة "الموت ولا العار " بيت كامل من البحر المتدارك :
تَقُولُ - وَقَدْ شَفَّهَا وَجَدُهَا وَفِي مُقْلَتَيْهَا يَهِيْمُ الْأَسَى^٣
فعول فعولن فعولن فعل فعولن فعولن فعولن فعل

وجاءت حركة زائدة بعد تفعيلة واحدة :

أَبُوكَ مَضَى //ه// //د// فعول فعل

وَأَخُوكَ قَضَى //د// //د// فعول فعل

فالواو في (وأخوك) لا لزوم هي (فاعلاتن) بدءاً من المقطع الثالث :

لَا تَقُولِي لِي جَنِينِي //د//ه//ه//ه// فاعلاتن فالاتن

ويتعثر في المقطع نفسه عندما يقول :

وَكَلَابُ الرُّوسِ //ه//ه//ه//

والغة بميرات محمد //ه//ه//ه//ه//ه//ه//

فلا تكاد تجد وزناً لهذه الجملة . وينتظم إيقاع فاعلاتن في بقية القصيدة بشكل جميل ،

^١ من ديوان لجهاد الأفغان أغني ، ص ٩٢ - ٩٥

^٢ المرجع السابق ، ص ٢٤ - ٢٧

^٣ مجلة البيان المرفوض ، العدد ٣٥ ، جماد الأول ١٤١٠ هـ - ديسمبر ١٩٨٨ م ، ص ٥٧

ويقع مثل هذا التغير في التفعيلات في قصيدة (عودة مصعب بن عمير) ، فهو يبدوها
بـ(فاعلاتن) في المقطع الأول :

ويح نفسي ه/ه//ه/ فاعلاتن

مات ميلادي القديم ه/ه//ه/ ه/ه//ه/ فاعلاتن ، فاعلات

ويغير في المقطع الثاني إلى فعلن :

يا دنيا غري غري ه/ه/ ه/ه/ ه/ه/ ه/ه/ فعلن فعلن فعلن فع

ثم يعود إلى فاعلاتن مرة أخرى في المقطع الثالث . أما المقاطع الرابع والخامس والسادس
فجاء أكثر تفعيلاتها (مستفعلن) ووقع منها فعول مثل :

يا مصعب الجديد ه/ه//ه/ ه//ه

يا عزمة حديد ه/ه//ه/ ه//ه

والقصيدة الأخيرة (عبد الله عزام) جاءت بتفعيلات مختلفة خصوصا في مقاطعها الثلاثة

الأولى بشكل يصعب تصنيفها ، فمثلا في المقطع الثاني :

من عشرة من الأعوام قد عرفته

ه/ه//ه/ ه/ه//ه/ ه/ه//ه/ ه//ه

مستفعلن مفاعلتن متفعلن فعل

مما أفقد مثل هذه المقاطع الشاعرية من ناحيتي الوزن ، واللغة الشعرية وانتظم الوزن إلى
حد كبير في المقاطع الأخيرة التي وصف فيها مقتل عبد الله عزام ، وإذا كانت القصيدة الحديثة (التفعيلة) خرجت على عمود الشعر والالتزام ببجوره وطريقته فإن عدم الالتزام باتساق الأوزان
في قصيدة التفعيلة يجعل النثر أفضل فيها بكثير في بعض الأحيان . ولولا صدق العاطفة وتدققها
والصور الشعرية الجميلة التي نقلها الشاعر من خلال كلماته لقنا إنه يكتب نثرا . وهذا الحكم
الذي نخلص إليه سجله الشاعر في مقدمة الديوان فقال :

ولا أدعي أن هذه القصائد تتفوق على قصائد نظمها في الجهاد الأفغاني من هم أشعر مني
من الشعراء الإسلاميين ، بيد أنني حاولت في هذه القصائد المتواضعة أن أكون صادقا مع نفسي ،
ومع المواقف والأحداث والشخصيات التي عالجتها هذه القصائد بعيدا عن التزييق والتحليق
الرومانسي الشارد ومن ثم لم أحاول أن أنقح واحدة منها لتكون أخصب خيالا وأنضج فنا . بل
تركناها كما نظمناها بنت العفوية والتلقائية ، وقد تقرب هذه العفوية أحيانا من أسلوب الحديث

العادي أو ما يسمى بالأسلوب الدارج كما نرى في قصيدة (رحيل من غير وداع) وقصيدة (الموت ولا العار) وأنا أدرك ذلك تماما ، وكان من السهل بعد مضي قرابة خمس سنين على نظمها أن أعمل قلمي صقلا وتهديبا ولكن آثرت - كما قلت - أن أنقل إلى القاريء ما نظمت بأمانة - كما هو لأن ذلك أقرب إلى صدق المعالجة في أنها من جانب ، ومن جانب آخر لأن هذه القصائد - بهذا المستوى - تمثل مرحلة فنية مر بها صاحب هذا القلم المتواضع ، لم أرد أن أزينها (بمساحيق تجميل لاحقة) إن صح هذا التعبير . وصفوة ما يقال في هذا المقام أن قلبي أملئ على قلمي فانطلق مسجلا ما يملئ عليه دون تدخل من (عقلي الواعي) أو (صنعتي الفنية) والحمد لله رب العالمين .

ج : الموسيقى الداخلية :

يعرف الشعر العربي هذه الموسيقى الخارجية المقيدة بتفعيلات البحر من ناحية ، وبتكرار الروي تكرارا منتظما من ناحية أخرى . وهي ما عني به العروضيون عناية بالغة ، وأسهبوا في شرح قيوده وضوابطه .

فضلا عن ذلك نجد هذه الموسيقى الداخلية الحرة ، التي تمايز بين قصيدتين من بحر واحد ، بل تمايز بين أجزاء القصيدة الواحدة . ونستطيع أن نقول (أن الموسيقى الداخلية يقصد بها الأشكال والأنماط الموسيقية الداخلية في بنية النسيج الشعري للأبيات ، والتي تعطي ملامح خاصة لتجربة الشاعر ، ليس من جهة الإيقاع فقط ، بل من جهة الدلالة أيضا)^١ وقد تعددت أنماط الموسيقى الداخلية في قصائد الجهاد الأفغاني وأبرزها :

١- التصريع ٢- التزصيع ٣- التشطير ٤- التقابل اللفظي

إن الذي ينبغي التأكيد عليه الآن هو أن الإيقاع في الشعر - مهما اختلفت أشكاله - إنما هو إيقاع موظف لتوصيل المعنى على نحو في فالراجح أن الإيقاع عنصر أساسي في الشعر ولا ينبغي أن ننظر إليه باعتباره عنصرا قائما بذاته ؛ فتلك نظرة غير صوتية ، لأمر مادته هي الأصوات .

إن الشعر لا يتفصل عن الإيقاع ، ولا ينبغي أن ننظر إلى الإيقاع منفصلا عن الفكرة أو المعنى . في ضوء ذلك يمكننا فهم قول كير Kerr بأن الإيقاع عبارة عن الفكرة وقد أخذت ترقص على موسيقاها الخاصة^٢ .

^١ د. الرصيفي عبد الرحمن : الخصائص الفنية في شعر محمد هاشم رشيد ، ص ١٨٤

إن الإيقاع يثير استجابتنا للمعنى الذي يريد الشاعر توصيله ، بل إنه يثير استجابتنا - كما يقول جاري Gurry - للصوت ، والصورة ، والانفعال ، والفكرة . ولا يجب أن ننظر إليه على أنه مجرد حقيقة سيكولوجية لأنه عنصر إبداعي ، شأنه في ذلك شأن جميع العناصر الإبداعية الأخرى^١ .

ويشير بورتون Burton إلى دور الإيقاع في الشعر ، فيقول : (إن الإيقاع يساعد في إنتاج الإيقاع القوي ، والتأثير المتزايد ، والمتانة ، والمهابة ، وخفة السمع ، والسرعة ، والاسترخاء ، أو أي تأثير آخر يقصد إليه الشاعر .

والعيار الذي ينبغي أن يعتمد عليه الناقد عند دراسة إيقاع القصيدة هو بيان تأثير الإيقاع ودوره في نقل التأثير العاطفي Emotional Impression الذي يود الشاعر خلقه)^٢ .

إن تنوع الإيقاع مما يساعد على إبراز القيمة التعبيرية للكلمات ، كما يعكس تنوعه التغيرات التي تطرأ على الفكرة ، والصورة والإحساس^٣ .

في قصيدة " مقاطع أفغانية " للشاعر أحمد محمد الصديق فيتضح أنه تأثر بحدث ما ثم يترجم هذا التأثير إلى شعر ينبض بالفكر والوجدان أما إذا كتب الشاعر في موضوع ما دون أن يتأثر بها وتندمج مع أحاسيسه فنقول عندئذ إن هذا الشعر هو شعر المناسبات ، وقد أحس شاعرنا بمعاناة الشعب الأفغاني في هذه الحرب الطاحنة غير المتكافئة وما هم فيه من مآسي بسبب انشغال العالم الإسلامي عنهم .

وقد أدت الخبرة النفسية للشاعر إلى الوقوع تحت هذا المؤثر فأنفعل به وسيطرت عليه المشاهد التي شاهدها أو سمع بها واستغرقت فيه فجاشت نفسه وتحركت خواطره واندمج فيها بوجدانه وفكره وصاغه في الإطار الشعري الملائم، وقد اجتمع في هذه التجربة جلال موضوعها وصدق عاطفة الشاعر مما زاد من قيمتها وسما بها إلى آفاق رحبة .

كما جاءت الألفاظ والعبارات دقيقة في أداء المعاني المقصودة منها ، وجاءت موافقة لقواعد النحو والصرف ، كما جاءت ملائمة للموضوع الذي اختاره الشاعر لقصيدته .

وأما بالنسبة للموسيقى فهي عنصر حيوي من عناصر الصياغة في التجربة الشعرية له أثره في التأثير النفسي والانفعال بالتجربة وقد اعتمد الشاعر في جانب الموسيقى الظاهرة على انتظام الوزن الواحد وعلى التصريح بين بعض الأبيات في القصيدة وحسن التقسيم ، وبالنسبة

^١ The Appreciation of poetry , P

^٢ burton , S., H> The criticism of poetry , P.٤٤

^٣ The Appreciation of poetry , P.٨٧

للموسيقى الخفية أو الداخلية التي تشبع النص ولا يتحدد موضعها ونعريفها بأثرها حيث أنها تحدث في النفس ذبذبات وهزات خاصة نتيجة لتفاعل الألفاظ والعبارات والصور والأخيلة واتساقها في وحدة نغمية لها أثرها في النفس .

ولم تعتمد هذه القصيدة في الموسيقى الظاهرة على القافية لأن معظم القصائد التي تصاغ في الشعر الحر لا تعتمد على التفعيلة والجناس . وليس هناك فاصل في القصيدة بين الموسيقى الظاهرة والخفية لأنهما متداخلتان في إحداث التأثير النفسي .

١- التصريع :

(تكثر هذه الوسيلة الإيقاعية الداخلية في مطلع القصيدة . وهي عبارة عن جعل مقطع الصراع الأول في البيت الأول من القصيدة مثل قافيتها)^١ . إذن هو إنهاء الشطر الأول من البيت بحرف الروي ، ومن ثم تتولد في البيت قيمة صوتية وإيقاعية مزدوجة ، إذ يتناغم الحرف الأخير من الشطر الأول مع حرف الروي تناغما عذبا ، (ولذا يكون التردد الموسيقي للبيت أو الأبيات واضحا جليا ، وبهذا عد التصريع من أعلى المراتب الموسيقية في الشعر ، لأن النغمة الناشئة عن الروي هي الأساس ، إذ تتردد بانتظام بعد مقاطع صوتية ، وفواصل زمنية متساوية)^٢ إضافة إلى أن الروي يعد (صلب القافية وركيزتها إلى الحد الذي أطلق عليه في بعض التصورات القافية ، والروي هو الحرف الذي يتكرر في آخر كل بيت من أبيات القصيدة في عرف دراسي الأدب العربي)^٣ .

وقيمة الروي الإيقاعية تكمن في أنه (ولد القيمة الإيقاعية للقافية ككل ، حتى غدت تاج الإيقاع الشعري ، وهي لا تنف من هذا الإيقاع موقف الحلية ، بل هي جزء لا ينفصم منه ، إذ تمثل قضاياها جزءا من بنية الوزن الكامل تفسر من خلاله وتفسره ، فهما وجهان لعملية واحدة)^٤ فإذا كانت القافية ، وجننا بحرف مشابه لحرف متكرر فيها في نهاية الشطر الأول من الأبيات بطريقة غير منتظمة تولد إيقاع يزيد البيت والقصيدة ثراء جماليا ، موسيقيا وإيحاء ودلالة ، وقد فطن - قديما - قدامة بن جعفر إلى هذه القيمة الفنية للتصريع ، فقال عن الشعراء الذين يكثرون عنه : (وإنما يذهب الشعراء المطبوعين الجيدين إلى ذلك ؛ لأن بنية الشعر إنما هي

^١ ابن قدامة ، جعفر ، نقد الشعر ، ص ٨٦ ، د. الوصيفي عبد الرحمن : الخصائص الفنية في شعر هاشم رشيد ، ص ١٨٤ .

^٢ د. الوصيفي ، عبد الرحمن : المصدر السابق ١ / ٢٩٥ .

^٣ د. كشك ، أحمد : القافية تاج الإيقاع الشعري ، ص ٤٧ .

^٤ د. كشك ، أحمد : القافية تاج الإيقاع الشعري ، ص ٧ .

التسجيع والتقفية ، فكلمنا كان الشعر أكثر اشتمالا عليه كلما أدخل له في باب الشعر وأخرج له عن مذهب النثر^١ والتصريع قد وجد بكثرة عن شعراء الجهاد الأفغاني نذكر منها بعض الأمثلة على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر .

قصيدة " إلى قادة المجاهدين الأفغان " للشاعر : محمد منير الجنباز ، ومطلعها :

عَلَّمَ الْجِهَادِ عَلَى ذُرَاكُمْ يَخْفِقُ وَالشَّمْسُ بَعْدَ النَّصْرِ فَرَحِي تُشْرِقُ^٢
علم لجها / د على ذرا / كم يخفقو وششم سيع / د نصـر فر / حى تشرقو
ه//ه//ه ه//ه//ه ه//ه//ه ه//ه//ه ه//ه//ه
متفاعـلن / متفاعـلن / متفاعـلن متفاعـلن / متفاعـلن / متفاعـلن

فقد جاء هذا المطلع من هذه القصيدة مقفى ولكنه غير مصرع حيث اتفق حرف الروي في العروض والضرب ولكن الوزن جاء مختلفا فيهما حيث جاء في العروض صحيحا وجاء في الضرب مضمرا .

ثم نتقل إلى قصيدة أخرى بعنوان " رسالة الحق " للشاعر محمد هاشم رشيد ، ومطلعها

وَاسْتَشْرَقَتْ أُمْنِيَاتُ الْفَتْحِ نَحْوَ غَدٍ وَهَلَلَتْ فِي حِمَاكَ الْآيُ وَالسُّورُ^٣

قصيدة للشاعر : محمود الحفيف بعنوان " بين الشرق والغرب " ومطلعها :

مَا شَاءَ فَلْيَسْخَرْ بِي السَّاخِرُ بِالْغَرْبِ مَا عَشْتُ أَنَا الْكَافِرُ^٤
ما شاء فل / يسخر بيس / ساخر بلغرب ما / عشـت أنـل / كافر
ه//ه//ه ه//ه//ه ه//ه//ه ه//ه//ه ه//ه//ه
متفاعـلن / متفاعـلن / متفاعـلن متفاعـلن / متفاعـلن / متفاعـلن

^١ مقدمة من جعفر : نقد الشعر ، ص ٤٩ ، د. عبد محمد : إبداع الدلالة في الشعر الحاملي ، ص ٤١ .

^٢ مجلة البيان المرفوض ، العدد ٣٧ ، رجب ١٤١٠ هـ - فبراير ١٩٨٩ م ، ص ٧١ .

^٣ المرجع السابق ، العدد ٣٨ ، شعبان ١٤١٠ هـ - مارس ١٩٨٩ م ، ص ٦٨ .

^٤ مجلة الرسالة ، العدد ٧٥٧ ، ص ٤٤ .

ثم قصيدة " الراحلون " للشاعر : محمود مفلح ، ومطلعها :

رَحَلْنَا قَبْلَ أَنْ يَقَعَ الرَّحِيلُ

رَحَلْنَا قَبْلَ أَنْ يَقَعَ ر/رَحِيلُو

ه/ه// ه/ه// ه/ه//

مفاعيلن / مفاعلتن / مفاعل

جاءت هذه القصيدة مصرعة حيث جاءت القافية واحدة في كل من العروض والضرب حيث جاءت العروض نهايتها هي اللام المضمومة المشبعة بها بعدها وار وكذلك الضرب مثلها ، وأما الوزن فقد جاءت القصيدة على بحر الوافر وجاءت العروض مقطوفة وكذلك جاء الضرب مثلها مقطوفا .

هذه القصيدة مصرعة حيث جاء حرف الروي (القافية) واحدا في الضرب والعروض وهو حرف الجيم المضمومة المشبعة ، وجاء الوزن كذلك من بحر الوافر فقد جاءت العروض على وزن مفاعل وهي مقطوفة وكذلك الضرب مقطوف .

ثم نتقل إلى قصيدة أخرى للشاعر القاضي أبو محمد مسفر بن حسين آل موسى

القحطاني بعنوان " أكرمك الله " ومطلعها :

أَكْرَمَكَ اللَّهُ مَا أَكْرَمَكَ وَأَنْجَزَ فِي الْخُلْدِ مَا بَشَّرَكَ^١

أكرمك الاله ما أكرمكا وأنجز فال/خلد ما /بششركا

ه/ه// ه/ه// ه/ه// ه/ه// ه/ه// ه/ه//

مستعلن / فاعلن / مستعلن مستعلن / فاعلن / مستعلن

القصيدة من بحر البسيط الذي يمثل تفعيلاته مستعلن فاعلن ، وقد جاءت القصيدة مصرعة حيث جاء حرف الروي (القافية) حرف الكاف المفتوحة المشبعة في العروض والضرب معا ، وجاء الوزن (مستعلن) أي أن العروض مطوية ، وكذلك جاء الضرب مطويا مثلها .
ثم نأتي إلى قصيدة أخرى بعنوان " الشهيد " للشاعر مصطفى عيد الصياصنة ، ومطلعها :

قَتْلُوكَ يَا رَمَزَ الرَّجُولَةِ وَالْفِدَاءِ	يَا ابْنَ الْكِرَامِ ، وَشَامَةَ الشُّرَفَاءِ ^١
قَتْلُوكَ يَا رَمَزَ رَجُولَةٍ وَلَفْدَاءِ	يَبْنَ لِكِرَامٍ وَشَامَةَ شُشْرَفَائِي
ه//ه//ه// ه//ه//ه// ه//ه//ه//	ه//ه//ه// ه//ه//ه// ه//ه//ه//
متفاعِلن / متفاعِلن / متفاعِلان	متفاعِلن / متفاعِلن / متفاعِلن

والقصيدة غير مصرعة رغم أن القافية واحدة لأن الوزن جاء مختلفا في العروض عنه في الضرب حيث جاءت العروض مذيلة والضرب مقطوع .

ونأتي إلى قصيدة أخرى للشاعر مصطفى عيد الصياصنة بعنوان " الغريب " ومطلعها :

ماذا يقول ؟؟ وَهَمُّ الْبُعْدِ يُورِقُهُ أَيَصْرَعُ الْمَهْمُ ؟ أُمٌّ فِي الْمَهْمِ مَصْرَعُهُ؟^٢

ماذا يقول / وهـمـ / لم بعد يو / رقه أيصرع لـ / همم أم / فلههم مصـ / رعه

ه//ه//ه// ه//ه//ه// ه//ه//ه// ه//ه//ه// ه//ه//ه// ه//ه//ه// ه//ه//ه// ه//ه//ه//

مستفعِلن / فعِلن / مستفعِلن / فعِل متفعِلن / فـساعِلن / مستفعِلن / فعِل

القصيدة من بحر البسيط وقد جاءت مصرعة حيث جاء حرف الروي واحدا في كل من العروض والضرب وهو الهاء الساكنة التي تسمى هاء السكت وجاء الوزن كذلك واحدا حيث جاء وزن فعل فأصبحت العروض مقطوعة مخبونة وكذلك الضرب مقطوع مخبون .

٢- الترصيع :

وهو ما يكون في حشو البيت من سبع ، وقد عرفه قدامة بن جعفر بقوله (ومن نعوت الوزن الترصيع ، وأن يتوخى فيه تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على سبع أو شبيه به من جنس واحد في التعريف)^٣.

وقد يقول قائل : وهل يعني شعر الجهاد بالترصيع هذا اللون من ألوان تحسين موسيقى الشعر ، فليس له من أثر في تعميق المعنى وإثرائه ، والأجدر بشاعر يدعو للجهاد أن يلتفت إلى المعنى دون المبنى ، فيرد على مثل هذا القائل أليس شاعر الجهاد داعية إلى الحرب يدق طبولها

^١ مجلة البيان المرفوضي ، العدد ٤٠ ، شوال ١٤١٠هـ - مايو ١٩٩٠ م ، ص ٨٩

^٢ ديوان العرب ، شعر مصطفى عيد الصياصنة ، على دراسة قيمة حول الشعر في إيران الإسلام ، ١٤٠٧ هـ ، ص ٤٨ - ٤٩

^٣ قدامة بن جعفر : نقد الشعر ، ص ٨ ، ٥ ، الوصيني عبد الرحمن : الخصائص الفنية في شعر هام رشيد ، ص ٢٩٧ ، د. العبد محمد

: إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي ، ص ٣٥.

بإيقاع مثير يشبه قرع الطبول ولن يتأتى له هذا الإيقاع إلا عن طريق الترصيع فضلا عن أن الترصيع يدفع الرتبة عن البيت ويشوق القاريء إلى متابعة القراءة. والترصيع محطات قصيرة يقف عندها القاريء مجددا نشاطه الذهني متأهبا لاستقبال ما يلي من معان فيزداد استيعابه لها ، ومن شأن الترصيع أن يضفي على البيت مسحة جمال خارجية يشاهدها القاريء وتسمع رنتها ، وما كان جميلا فإنه أكثر تقبلاً واستقراراً في النفس .

أما في قصيدة يا جبال الأفغان للشاعر أحمد محمد الصديق فإن الترصيع في القصيدة لم يعن الشاعر بالترصيع عنايته بالتقابل اللفظي فهو من قبيل الترف اللفظي وتحسين الوزن وتجميله وتنميقه فهو إذن صباغ يقصد به شد النظر وإطراب الأذن ، فقله :

وَمِيَاهُ الْأَنْهَارِ تَسْرِي حَمِيمًا وَمَذَاقُ الثَّمَارِ وَالشَّهْدُ صَابَا^١

يقسم هذا البيت على النحو التالي :

ومياه الأنهار .. تسري حميما .. ومذاق الثمار .. والشهد صابا . فقد جمع في هذا التقسيم ظاهرة السجع (الأنهار - الثمار) إلى التطابق التام في الوزن الصرفي بين (مياه - مذاق) ، لذا فقد جاء هذا البيت مطربا راقصا بما يشتمل عليه من نغمات موسيقية وهنالك بيت آخر يمكن إدخاله في هذا الباب .

يقول الشاعر :

حَيْثُ شَدُوَ الْهَزَارُ يَصْبِحُ قَصْفًا وَجَنَاحُ الْفَرَّاشِ يَغْدُو شِهَابًا^٢

تقسيم البيت : حيث شدو الهزار .. يصبح قصفا .. وجناح الفراش .. يغدو شهابا . لاحظ هذا التقسيم ترى فيه تقاربا في الموجة الموسيقية بين أقسام البيت ، فضلا عن شبه السجع في قوله حيث شدو - وجناح الفراش ، الوزن الصرفي بين (الهزار - الفراش) ومع هذا فالترصيع فيه أقل قيمة عما سبق ، وبالمقارنة بين البيت والذين يتلوانه يرى توقيعا موسيقيا مقصودا في مطلع كل بيت نستطيع أن نصفه بالترصيع :

حيث شدو الهزار البيت

وعبير الأزهار البيت

^١ مجلة منار الإسلام ، العدد ٩٧ ، ذو القعدة ١٤١٧ ، يونيو ١٩٩٠ م ، ص ٩٨

^٢ المرجع نفسه .

ومياه الأنهار ومذاق الثمار

فالسجع بين هذه الجمل الأربعة التي تنتهي كلها بحرف الراء مما يكسبها جرسا موسيقيا مقبولا .

أما في قصيدة " أنسى أنسى ؟ " للشاعر محمود مفلح :

لم يلتفت إلى تزيين موسيقى النص بالترصيع فهو في شغل عنه بمعالجة المعنى وتعميقه ،
يلمس له بعض الآثار :

كَأَنَّ النَّائِبَاتِ لَنَا فِرَاشٌ وَأَنَّ الْعَادِيَّاتِ لَنَا دُثُورٌ^١

فإيقاع البيت على النحو التالي :

كأن النائبات

لنا فراش

وأن العاديات

لنا دثور

هذا الإيقاع لموجة الموسيقى الداخلية للبيت قد زاد جمال البحر الوافر وأكسب موسيقاه
عذوبة . فالجرس الموسيقي متواصل عبر البيت تأمل هذا التماثل بل التطابق التام بين الكلمات
وزنا وسجعا : كأن وأن - النائبات و العاديات - لنا ولنا - فراش ودثور .

وكل ذلك جاء عفواً الخاطر مما جعل البيت لترصيعه نموذجي يحسن موسيقاه ويرفد معناه .
وهناك أثر آخر للترصيع في النص . يقول الشاعر :

أَيَحْكُمُ فِي قَضِيَّتِنَا عَدُوٌّ وَيُرْشِدُنَا لِغَايَتِنَا ضَرِيرٌ^٢

فتقسيم البيت يرد على النحو التالي :

أيحكم في قضيتنا

عدو

^١ من ديوان المجموعة الشعرية الكاملة ، ص ٥٥ د

^٢ المرجع نفسه

ويرشدنا لغايتنا

ضرير

إن هذا التقسيم يحقق ناحيتين : السجع بين قضيتنا وغايتنا ثم التماثل الموسيقى بين أجزاء البيت بحيث جاءت جملة الموسيقى متساوية في الطول متماثلة في النغم ، ولهذا كان أثره كبير في إطراب السامع وإرهاق حسه وجعله يتهاى لاستقبال المعنى وتمثله في الذهن بسرعة . وأيضا اشترك اللفظين بالصيغة الصرفية (فعل) مما زاد موسيقى البيت جمالا . والترصيع وكأنه النقش بماء الذهب على قطعة قماش جذابة . ولذلك نعد البيت التالي من هذا القبيل :

تَدُورُ كَمَا يَقُولُ الْقَوْمُ دُورُوا وَإِنْ رَغِبُوا الثَّبَاتَ فَلَا نَدُورُ^١

تكرار كلمة ندور ثلاث مرات ومجيء حرف الراء في آخرها يوحى بحركة الدوران من جهة ويحقق السجع من جهة أخرى . ومثل هذا تكرار حرف السين في كل كلمة تقريبا في البيت التالي يكسب البيت نغما موسيقيا خاصا ويمد في النفس ويساعد على تنفيس الهموم وطرح الأحزان :

أَنْتَسَى فِي دُرُوبِ الْقُدْسِ لَيْلَسَى وَلَيْلَى تَسْتَغِيثُ وَتَسْتَجِيرُ؟^٢

وقصيدة "رسالة إلى هند" للشاعر حيدر الغدير :

جَابَ النُّجُومَ شُدَاتُهَا وَبُنَاتُهَا وَعَلَا لَهَا صَرْحٌ وَعَزَّ لِسَوَاءُ^٣

هذا البيت خير مثال على الترصيع في القصيدة يشتمل في طياته على نغمات موسيقية متعددة تحدث أثرا حسنا في نفس السامع وتقسيم البيت فإنه يرد على النحو التالي :

١- جاب النجوم

٢- شداتها

٣- وبناتها

٤- وعلاها

^١ من ديوان المجموعة الشعرية الكاملة ، ص ٥٥ .

^٢ مجلة البيان ، العدد ٤٧ ، شعبان ١٤١٢ هـ - فبراير ١٩٩٢ م ، ص ٤٧ .

^٣ مجلة البيان المرحوم ، العدد ٣٥ ، جمادى الأولى ١٤١٠ هـ - ديسمبر ١٩٨٨ م ، ص ٥٧ .

٥- صرح

٦- وعز لواء

تأمل هذا التقسيم تلاحظ تلك النغمات المتلونة : (جاء النجوم - وعز لواء) نغمة أولى (شداتها - وبناتها - وعلا لها) نغمة ثانية قوامها السجع والوزن الصرفي (وعلا - وعز) نغمة ثالثة قوامها الوزن الصرفي فعلى وإن ترادف النغمات الثلاثة ضمن البيت أكسبه إيقاعا خاصا فضلا عن إيقاع البحر الكامل الجميل . ويقول أيضا :

وَالْمُسْلِمُونَ رِمَاحُهُمْ وَسُيُوفُهُمْ صَدَّتْ وَهَانَ لَهُمْ هُنَاكَ لَوَاءٌ^١

لا يقل هذا البيت في تلون موسيقاه قيمة عن البيت السابق فإن أغلب جملة جاءت مسجوعة بحرفين وهذا هو السجع المزدوج بالإضافة إلى تماثلها في الوزن الصرفي .
تأمل هذا التقسيم :

١- والمسلمون

٢- رماحهم

٣- وسيوفهم

٤- صدت وهان لهم

٥- هناك لواء

فقد تماثلت المقاطع (الثاني والثالث والرابع) في الحرفين الأخيرين الهاء والميم وتماثلت في الوزن الصرفي (فعلى) مما أكسبها جرسا موسيقيا جذابا . أما حرف الهاء الذي تكرر خمس مرات ضمن البيت دور في الجرس الموسيقي، فغالبا ما تكون الهاء متنفسا من الكرب والأحزان فهي ثلث الكلمة المستعملة لذلك أعني كلمة (آه) .

والترصيع في قصيدة "بين يدي الرسول" للشاعر حسان تحتوت فإنه كما يلي :

وَالدِّينُ مِيدَانٌ وَصَمَّامٌ وَفَرٌّ سَانَ تَبِيدُ الشَّرُّ وَالْأَشْرَارُ^٢

هذا البيت يقسم على النحو التالي :

^١ جملة البيان المرصوع ، العدد ٣٥ ، جماد الأول ١٤١٠ هـ - ديسمبر ١٩٨٨ م ، ص ٥٧ .

^٢ شعراء الدعوة الإسلامية ، ج ١٠ ، ص ٢٦ .

والدين ميدان

وصمصام

وفرسان

تبديد الشر - والأشرار^١

تأمل كيف كسر هذا التقسيم رتبة البحر الكامل وجعل موجة الموسيقى فيه تتوزع إلى موجات موسيقية قصيرة متلاحقة ونغمات متتابعة . وجمال الإيقاع فيه نابع من اشتراك الأجزاء الثلاثة الأولى في الوزن الصرفي من جهة (فعلان) والتنوين من جهة ثانية ثم السجع في الجزء الأول والثالث من جهة ثالثة ، واشتراك الجزئين الأخيرين في حرفي الشين والراء ، وهذا أضفى على البيت إيقاعا موسيقيا أخاذا .

ويقول الشاعر :

قَدْ قَرَّرُوا مَا قَرَّرُوهُ وَإِنَّا دُونَ الْكَرَامَةِ لَا نُقِرُّ قَرَارًا^٢

قد قررّوا

ما قررّوه وإنّا

دون الكرامة لا نقر - قرارا

السجع فيه قائم على تكرار لفظة بعينها (قررّوا - قررّوه - لا نقر - قرارا) . والموسيقى هنا تتسم بالجزالة والقوة والعنف الشبيه بالعنف الذي يسود جز المعركة وحرد ذلك الراء المشددة المفخمة . وهكذا نرى الشاعر يزاوح في ترصيعاته وموسيقاه بين الخفة والعذوبة وبين الجزالة والجلبة منسجما انسجاما تاما مع سياق البيت ومعناه .

ويقول الشاعر :

فَهِيَ الْحَيَاةُ وَهِيَ الْمَمَاتُ وَإِنَّ فِي كُلِّ لِاحْدَى الْحُسْنَيْنِ مَسَارًا^٣

^١ شعراء الدعوة الإسلامية ، ج ١٠ ، ص ٢٦ .

^٢ المرجع نفسه

^٣ شعراء الدعوة الإسلامية ، ج ١٠ ، ص ٢٦

وقع الترصيع في صدر البيت دون عجزه :

فهى الحياة

أو الممات - وإن في كل - لإحدى الحسينين - مسارا

يشاهد الترصيع فيه جاء عن طريق الإسجاع بين اللفظتين (الحياة - الممات) ثم

اشتراكهما في الوزن الصرفي وحركة الحرف الأخير منهما (التاء المضمومة) والبيت لا يخلو من

توزيع مقبول ويقول :

دَرْسُ الْهَزِيمَةِ لِمَ يَعِظُنَا إِنَّمَا زِدْنَا خَسَارًا بَعْدَهُ وَبَوَارًا^١

ينطوي هذا البيت على ثراء موسيقي أكثر من البيت السابق :

درس الهزيمة لم يعظنا

إنما - زدنا

خسارا

بعده وبوارا

تقسيم البيت وفر السجع بين الجزء الأول والثاني فقد اشتركا في النون المتلوة بألف المد والمسبوقة بالسكون مما يحقق توافقا تاما بين اللفظتين (يعظنا - زدنا) وهو السجع المزدوج وفيه ثروة موسيقية كبيرة . فحرف المد يمنح القاريء فرصة للوقوف والتأمل وإعطاء النفس المتعبة قسطا من الراحة . والسجع الحاصل بين الجزء الثالث والرابع واشتراكهما في الراء المفخمة الحاطة بألفي مد أضفى عليه إيقاعا متميزا وخط موسيقاه بألوان زاهية .

ويقول الشاعر حيدر الغدير من قصيدته "برقية شعر إلى المجاهدين الأفغان" :

تَوَحَّدَ بَيْنَ أَهْوَالِ الْبَلَايَا وَأَنْيَابِ الرِّزَايَا وَالْحَمَامِ^٢

لا يخلو البيت من تلوين في موسيقاه حد من رتابته ودفعته في مسار جديد : توحّد - بين

أهوال البلايا - وأنياب الرزايا - والحمام .

والسجع الحاصل في (البلايا - الرزايا) ثم وحدة الوزن الصرفي بين (أهوال - أنياب)

ثم توقيع البيت على نحو ما نرى من تقسيمه موجتان قصيدتان في الطرفين تحصران بينهما موجتين

طويلتين في الوسط . هذا كله لون موسيقى البيت وأكسبه إيقاعاً جديداً . ويقول الشاعر من ذات القصيدة :

وأهوالُ النزاعِ على سرابٍ وأوهامُ الصِّراعِ على رمامٍ^١

تميز ببراعة التدييج وروعة النغم وهذا ظاهر من تقسيمه : وأهوال النزاع - على سراب - وأوهام الصراع - على رمام .

فالبيت في تقسيمه توازن دقيق جاءت أجزاؤه متماثلة متساوية فقولته (أهوال النزاع) كقولته (أوهام الصراع) وقوله (على سراب) كقولته (على رمام) وهذا جانب مهم من جوانب الإيقاع وهناك جوانب أخرى كالسجع بين (النزاع) و (الصراع) وهو قوام الترصيع هنا . ثم تماثل (أهوال) و (أوهام) في أربعة حروف وفي الوزن الصرفي كما في (سراب) و (رمام) وتكرار لفظه على إذن اجتمع بالبيت عناصر عديدة .

أما في قصيدة " قريب نصرنا " للشاعر محمد محمد عبد العزيز صادق ، يقول الشاعر :

ففي أفغانٍ محتَلٌ بغيضٍ وفي لبنانٍ بحرٌ دمٌ مُراقٍ^٢

ففي أفغان - محتل بغيض - وفي لبنان - بحر دم مراق

لا يخفى على ذواق النغم إيقاع البيت الناجم عن حسن تقسيمه إلى أجزاء كما نرى أعلاه ، ثم السجع التام بين الجزئين (ففي أفغان - وفي لبنان) ولا ننسى دور النون المسبوقة بحرف المد في إغناء الإيقاع وتلوينه بنغم شجي حزين .

ويقول الشاعر :

سَتَجَمُّعُ الْقُلُوبِ عَلَى إِخَاءٍ وَيَنْتَصِرُ الْوَفَاقُ عَلَى الشَّقَاقِ^٣

لا تقل قيمته الموسيقية عن البيت السابق ، تأمل هذا التقسيم الجميل :

ستجتمع القلوب - على إخاء - وينتصر الوفاق - على الشقاق

^١ مجلة العجل ، العدد ١٩٧ ، ص ٤٦ - ٤٧ .

^٢ مجلة الجهاد ، العدد ٤ ، رجب ١٤٠٥ هـ - مارس ١٩٨٥ م ، ص ٤٩ .

تقسيم بارع أعطاه جل قيمته الموسيقية بالإضافة إلى وجود عناصر أخرى . فالوزن الصرفي الواحد للفظتين (إخاء و شقاق) و (ستجتمع - وينتصر) والسجع بين (الوفاق - الشقاق) أثرت موسيقى البيت وحسنت وزنه ، فكان أسرع في الوصول إلى النفس .
أما في قصيدة " إلى أين يا قومي " للشاعر عبد الرحمن العشماوي يقول :
أضأؤوا بنورِ الله شَرْقًا وَغَرْبًا وَمَا سَلَكُوا دَرْبًا عَلَى غَيْرِ تَبْيَانٍ^١

أضأؤوا بنور الله - شرقا وغربا - وما سلكوا دربا - على غير تبيان
يظهر من التقسيم قيمته الموسيقية كامنة في السجع الحاصل بين الجزأين الثاني والثالث (غربا - دربا) بالإضافة إلى حسن تألف الأجزاء جميعها .
ويقول :

إِلَى أَيْنَ يَا قَوْمِي ؟ فَهَذَا طَرِيقُنَا وَكُلُّ طَرِيقٍ غَيْرُهُ دَرْبٌ خُسْرَانٍ^٢

إن الثراء الموسيقي في هذا البيت أعلى منه في البيت السابق كما يظهر لنا من تقسيمه :
إلى أين ؟ - ما عادت تسيع نفوسنا - دعايات كذاب - ورايات خوان
الإيقاع الملون أتى من السجع بين اللفظتين (دعايات ، رايات) والوزن الصرفي الواحد بين (كذاب ، خوان) صيغة فعال التي تحمل جرسا موسيقيا مجلجلا يمثّل صيحات الشاعر الغاضبة وينسجم معها بتناغم عجيب . هذا وقد كسر هذا الإيقاع موجة البحر الطويل وجعلها أجزاء متألّفة متناغمة
٣- التشطير :

هو توازن مصراعي البيت وتعادل أقسامهما مع قيام كل منهما بنفسه ، واستغنائه عن الآخر . ويبدو ذلك من مادة شعر الجهاد الأفغاني واضحا . وإيقاع هذا النوع من التقسيم ينتج عن التوازن الموسيقي المتولد عن المقابلة بين شطري البيت ، ونظرا لاتساع مدى هذا التوازن إذا قورن بشكل آخر فإنه أقل شيوعا في الشعر العربي .

أزلا في قصيدة للشاعر عبد الرحمن العشماوي ، النص الذي نحن بصدد دراسته يمكن أن نعتبر التشطير واقعا في محلين منه .

يقول الشاعر :

أَزْفُ تَحِيَّةٌ وَأَزْفُ عَشْرًا فَأَنْتَ بِهِذِهِ وَبِتِلْكَ أُخْرَى

فإن التوازن حاصل بين مصراعي البيت مع تعادل أقسامهما :

(١) أزف تحية (٢) فأنت بهذه

وأزف عشرا وبتلك أخرى

التوازن في الأقسام وما يخلقه من توازن موسيقي يولد إيقاعا داخليا في طيه يجعل القارئ معجبا ، فهو سر جمال البيت وسرعة وقوعه في النفس .

أما في قصيدة " يا جبال الأفغان " للشاعر أحمد محمد الصديق فإن الترصيع فيها قليل والتشطير فيها يكاد أن يكون معدوما إلا قوله :

وَتُبَاتًا عَلَى الْهُدَى فَلَكَ الْعُقْبَى وَ لِلْمُعْتَدِينَ أَشَدُّ الْعَقَابُ^١

البيت يحقق توازنا بين شطريه ومقابلة مع إمكانية استغناء كل شطر عن ثانيه واستقلاله بنفسه وليس غريبا أن يندر التشطير فيها .

أما في قصيدة " أنسى أنسى ؟ " للشاعر محمود مفلح فيقع التشطير في ثلاثة مواضع من

القصيدة :

وَنَبَقَى فِي الْحَيَاةِ بِلَا لِسَانٍ	وَقَدْ نَطَقْتُ بِحَاجَتِهَا الْحَمِيرُ
وَمَنَا مَنَّا يَرَى فِي الْخَيْشِ خَزَا	وَمَنَا مَنَّا يَضَائِقُهُ الْحَرِيرُ
وَيَحْتَ بَعْضًا عَنْ كَأْسِ مَاءٍ	وَتُغْرِقُ بَعْضُ سَادَتِنَا الْجُمُورُ ^٢

تأمل الأبيات وأمعن النظر فيها نجد كل بيت قائم على شطرين مستقلين يستغني أحدهما عن الآخر وكلاهما يحقق توازنا ومقابلة بين شطريه . وورود الأبيات على أحد نعوت الوزن قد جعلها وحسن موسيقاها فزاد تأثيرها في النفس وساغ طروقها في الأذن . وقد فرضها السياق الفكري فجاءت عضوية لا أثر للصناعة الشعرية أو التكلف فيها .

وإذا كان لا بد من كلمة أخيرة بعد هذا التطوف الشيق في روضة القصيدة العابقة بالشذى والمفعمة بشتى الورود والرياحين نستطيع أن نبارك له صنيعه المتميز . فقد وضع تحفة أدبية قيمة أمتعت وهزت إعجاب ونشوة المتلقي والسامع . وذاك دليل على قدرته وتمرسه في هذا الفن وإنه من أرقى الفنون وأجدرها بالاحترام .

أما في قصيدة " رسالة إلى هند " للشاعر حيدر العدير :

فقد اقتصر التشطير في القصيدة على البيت التالي :

أَجْدَادُكُمْ عُقْبَانُ مَجْدٍ بِادِخٍ وَالْعَارُ أَتَمُّ أَيُّهَا الْأَبْنَاءُ^١

فالشاعر قسم بيته إلى شطرين متوازنين من حيث الموسيقى متقابلين مسن حيث المعنى فالأجداد ذو مجد وشرف والأبناء أصحاب عار حيث خلوا من المجد . ويمكن أخذ كل شطر مستقلا عن الشطر الآخر يشكل وحدة موضوعية مستقلة .

وفي قصيدة " بين يدي الرسول " للشاعر حسان حتوت :

قلما يلتفت الشعراء إلى التشطير باعتباره واحدا من أساليب تحسين الوزن وتجميل الموسيقى وكثيرا ما ينصرفون إلى أسلوب آخر لتحقيق هذه الغاية ألا وهو التزريع فهو أسهل تنازلا وأكثر جاذبية وأعذب نغمة ، غير أنه لا يخلو الشعر العربي من التشطير .

يقول الشاعر :

كَأْسُ الْحَيَاةِ إِذَا نَظَرْتُ حَلَاوَةً فَإِذَا شَرِبْتُ بِهَا وَجَدْتُ مَرَارًا^٢

تبدو الحياة لعين الناظر حلوة كأس ملونة حجبت ما بداخلها ، هذا في الشطر الأول يقابله معنى في الشطر الثاني هو أن الحياة ذات طعم مر لمن يجربها فإن الكأس الملونة تحوي شرابا مرا . وترى تقابل الشطرين في المعنى واضحا ونلاحظ توازنا بين ألفاظهما . يقول الشاعر :

عَجَبًا .. أَرَاهُمْ يُؤْمِنُونَ بِبَعْضِهِ وَأَرَى الْقُلُوبَ بِبَعْضِهِ كُفَّارًا^٣

تدبر معنى البيت ترى هؤلاء القوم يؤمنون بجزء من الدين ، ويكفرون بل تكفر قلوبهم بالجزء الآخر وهكذا يحقق البيت تشطيرا بين مصراعيه .

ويقول أيضا من نفس القصيدة :

دَارَ الزَّمَانُ عَلَيْهِمْ مَوَا فَتَغَيَّرُوا لَيْتَ الزَّمَانَ عَلَيْهِمْ مَوَا دَارَا^١

الزمان الذي غدر بهم كان سببا في ترددهم ويقابل هذا المعنى قوله في الشطر الثاني متمنيا بقاء الزمان على صفوه معهم وإخلاصه لهم حتى يبقى لهم عزهم ، وهكذا نرى تحقق التشطير بين مصراعي البيت مما يلفت نظر القاريء ويستوقفه لتأمل المعنى بهدوء وروية . فضلا عن إكساب الوزن لمسة جمال خفية .

ويقول الشاعر حسان تحتوت من قصيدته تلك :

مِنَّا الَّذِي عَبَدَ الْيَمِينَ عِبَادَةً وَبِنَا الَّذِي اتَّخَذَ الْإِلَهَ يَسَارَا^٢

من المسلمين طائفة تدور في فلك الغرب مخرصة له هذا في الشطر الأول يقابله معنى آخر في الشطر الثاني يشكل معه مقابلة بل تقاطعا حادا ، ومن المسلمين طائفة تدور في فلك الشرق مخرصة له أيضا مع ما بين الغرب والشرق من تباين وتضاد كبيرين في نظام الحكم . وهكذا نرى تقابل الشطرين واستقلالهما وتوازن ألفاظهما ، ومثل هذا العمل أعني التشطير يحبه القاريء ويجعله يقف معجبا بالمعنى والمبنى على حد سواء .

وفي قصيدته إلى أين يا قومي :

رَصَاصٌ ، وَلَكِنْ فِي صُدُورِ أَحِبَّةٍ وَعَزْمٌ ، وَلَكِنْ فِي مَوَالَاةِ عُسَدَوَانِ^٣

يلاحظ أن المعنى الذي يسري في ثنايا البيت قائم على المقابلة بين شطريه ، فرصاص القوم في الشطر الأول متدفق نحو الأهل والعشيرة والأحباب وعزمهم في الشطر الثاني مسخر لخدمة الأعداء ومازرتهم وتحقيق منفعتهم .

^١ شعراء الدعوة الإسلامية « ج » « ١ » ص ٢٤ .

^٢ المرجع نفسه .

^٣ مجلة البيان المرحوص ، العدد ٤١ ، ذو القعدة ١٤١٠ هـ - يونيو ١٩٨٩ م ، ص ٦٣ .

ويقول الشاعر :

فَكَمْ ظَالِمٌ يَمْشِي إِلَى كُلِّ رَغْبَةٍ وَكَمْ مِنْ بَرِيءٍ جَاءَهُمْ خَلْفَ قُضْبَانٍ^١

الظالم حر معافى مستجاب الرغبات والبريء يعاني ما يعاني من العذاب والعبودية خلف قضبان السجن .

ويقول الشاعر :

لَقَدْ كُنْتُ تَبْنِي صَرْحَ قُوَّتِنَا مَعِي فَكَيْفَ غَدَوْتُ الْيَوْمَ ، تَهْدِمُ بُيْنَانِي^٢

كان أخوة المسلم بالأمس يبني معه صرح القوة الشامخ باتحادهما ووقوفهم معا في وجه العدو . واليوم تحول هذا الأخ وانصرف عن أخيه إلى موالاة الأعداء ومساعدتهم على هدم بنيان صرح القوة السابق .

وأما في قصيدة " التائهون " للشاعر عدنان علي رضا النحوي فيظهر التشطير كالتالي ،

يقول :

فَالشَّقِيّ الَّذِي تَسَوَّلَى شَقِي وَالسَّعِيدُ الَّذِي أَنْابَ سَعِيدُ^٣

٤- التقابل اللفظي :

التقابل اللفظي هو ما يعرف في البلاغة العربية باسم (الطباق) وقد آثرت تسميته

بالتقابل ، لأنه وسيلة لغوية

من الوسائل المتعدد تنبثها طبيعة الموقف في لحظات معينة دون أن تكون تطعيما إضافيا يقصد به التجميل الأداني الشكلية .

ويرتبط التقابل اللفظي بطبيعة لغة الشعر ارتباطا حميما من حيث تميزه بالتعبيرية ، وقدرته

على الإيحاء ، وإثارة الانفعال ، وتمثيل التباين السطحي والعميق في الصورة والحدث من خلال الجمع الفجائي المباشر بين وحدتين متقابلتين .

^١ مجلة البيان المرحوم ، العدد ٤٩ ، ذو القعدة ١٤١٩ هـ - يونيو ١٩٨٩ م ، ص ٦٣ .

^٢ المرجع نفسه .

^٣

إذا تبعت ظاهرة التقابل اللفظي (الطباق) في ثنایا القصيدة ذات الطول المعتدل أمكنك الوقوع على عدد منها جاءت موزعة على هيكل القصيدة كأنها منابع ضوء تجعل الهيكل جميعه متسرّبلا حلة من الضوء الوهاج وتجعلها منارة يسترشد بها السانرون وصولا إلى الغاية النبيلة المنشودة . فقد جاء قول الشاعر يصف الحاقدين الماكرين :

الدكتور/ عبد الرحمن العشماوي قصيدة " باقة ورد إلى المجاهدين في أفغانستان " :

فَكَيْفَ غَدَوْتَ الْيَوْمَ ، تَهْدِمُ بُيَّانِي تُبَاعُ بِهِ مَبَادِئُهُمْ وَتُشْرَى^١

إن التقابل حاصل في قوله : تباع × تشرى

وجدته يصور حالة التذبذب والانحراف وعدم الإستقرار على هيئة أو حال معينة . إنسه من قبيل التقابل اللفظي الذي يرسم لك اضطراب الحركة . فإن المباديء لدى هؤلاء القوم سلعة معروضة في سوق السياسة التجاري يبيعونها بل يتخلون عنها مقابل مكاسب مادية رخيصة معروضة لذا فهي معرضة للإنتقال من يد إلى يد وربما استهلكت في النهاية وديست بالأقدام . أرايت مبلغ السقوط لدى أولئك القوم ومبلغ الانحراف عن الطريق السوي الذي رسمه عندهم هذا التقابل اللفظي .

وهل رأيت ثانيا مبلغ الدلالة المعنوية وعمقها فيه الذي جاء مكملًا للمعنى ولم يأت ترفعا لغويا أو زينة شكلية .

ويقول الشاعر في معرض تفاؤله بانثاق فجر جديد من خلال ليل الألم والخسرة :

كَفَرْتُ بِلَيْلٍ حَسَرْتَنِي فَبِإِنِّي أَرَى فِي ثَوْبٍ هَذَا اللَّيْلِ فَجْرًا^٢

فالتقابل حاصل بين الليل والفجر وهو موفق جدا مظهرًا للمعنى موضحا القصد فلا أبلغ من الليل والفجر للدلالة على عهدين متضادين أحدهما سبب لحصول الآخر بل إن أحدهما نتيجة حتمية تتولد عن الآخر^٣ . فمهما طال الليل واشتد ظلامه فإن فجرا ضاحكا سيأتي بعده . إن لفظة الليل تنقل الذهن بسرعة إلى ساحة الصراع لتصور ما يعانيه الشعب المسلم هناك من ظلم واضطهاد وقسوة على يد الطغاة الجرمين وما تكتنف نفوس المجاهدين من إحساس عميق بالألم سيكون وقد كان الشرارة التي فجرت الثورة هناك فأضاءت ساحات الحرية والعدل

^١ مجلة الخليج ٨ العدد ٨٨٧ « ذو القعدة / ذو الحجة ١٤١٢ هـ - مايو / يونيو ١٩٩٢ م » ص ٤٠

^٢ المرجع نفسه

^٣ انظر : عبد الرحمن العشماوي ، " الفجر والليل " ص ١٠٧

وبشرت بعصر جديد مشرق أشار إليه الشاعر بلفظة الفجر . ويقول الشاعر داعياً إلى الصبر
مبشراً باليسر بعد العسر :

أَيَا إِخْوَانَنَا صَبْرًا جَمِيلًا فَإِنَّ لَكُمْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا^١

لفظي العسر واليسر . المتأمل فيهما يجد لهذا التقابل نصيباً وفيه من الإيجاء والقدرة
على التعبير بل هو الحامل اللفظي للمعنى المراد فإن لفظة العسر تشير إلى طاعوت الغرب
وطاغوت الشرق وما يجرائه على أمة الإسلام من عنت وظلم واستعباد ومصادرة للإرادة وإن
لفظة اليسر تشير إلى النصر الأكيد بإذن الله ثم بفعل الصبر على مقاومة المعتدين وما يجره ذلك
من أمن وسلام وطمأنينة وسعادة على المجاهدين . ويقول أيضاً مؤكداً سقوط الطواغيت في العالم:
سَيَسْقُطُ غَرْبُهُمْ كَسَقُوطِ شَرْقٍ وَسَوْفَ تُرِيهِمُ الْيَّامُ خُسْرًا^٢

التقابل في قوله : غرب × شرق ، وإنه من الغريب أن اللفظتين تحققان تقابلاً من حيث
الدلالة اللغوية وتشيران من حيث الدلالة المعنوية إلى كل مؤتلف متفق فالغرب والشرق كلاهما
يعملان في اتجاه هدف واحد وهو القضاء على الإسلام . ولا عجب فإن التقابل حاصِل بين
اللفظتين وله دلالة المعنوية الواضحة وهي أن مصير الظلم والإلحاد واحد وهو السقوط في مستنقع
الفناء فقد سقطت دولة الإلحاد الشرقية وأصبح نظامها الجائر نسياً منسياً . ودولة الغرب الكافرة
تترنح تحت وطأة الأمراض الاجتماعية الخطيرة وما هي إلا عصفه ريح واحدة حتى تسقط نهائياً
فيحملها نهر الزمن ويلقي بها في بحيرة الماضي الآسن . هذا وإن في القصيدة تقابلات لفظية غير
ما ذكرنا وقعت كلها موقع اللبنة من الجدار فزادته تماسكاً وجمالاً دون أن تكون طلاء خارجياً
أو زركشة ملونة لا طائل منها . وقد توقف عليها تمام المعنى وجمال المبنى بحيث إنها لو نزعست
لاختل البناء وتهاوى بحيث نقطع جازمين بأن التقابل عند الشاعر العشماوي في نصه هذا لم يكن
غرضاً مجرد ذاته بل كان وسيلة لغرض آخر وهو تعميق المعنى وإغنائه . وفي القصيدة قوله:

لَقَدْ أَحْبَبْتُكُمْ فِي اللَّهِ حُبًّا أَنْصَحُكُمْ بِهِ سِرًّا وَجَهْرًا^٣

^١ مجلة الجهاد ، العدد ٨٧ ، ذو القعدة ١٤١٢ هـ - مايو / يونيو ١٩٩٢ م ، ص ٤٠

^٢ المرجع نفسه .

^٣ ...

فإن المحب يناصح من أحب سرا عندما يخشى عليه شماتة الآخرين وعندما لا يسود أن يكون سببا في نشر أغلاطه والتشهير به . ويناصحه جهرا إذا اقتضت المصلحة ذلك وخيف عليه من الضياع . وكقوله :

فَصَحَتْ لَنَا الْوُجُودَ وَقَدْ تَوَارَتْ وَرَاءَ خُضُوعِهَا لِلْغَرْبِ دَهْرًا
وَيَا بُرْهَانَ لَا تَرَكْنِ إِلَيْهِمْ فَقَدْ مَدُّوا إِلَى يَمْنَاكَ يُسْرَى
دَمَ الشُّهَدَاءِ يَدْعُوكُمْ فَلَبُّوا فَلَسْتُ أَرَى لَكُمْ فِي الصَّمْتِ عُذْرًا^١

وكقول الشاعر عبد الله بن هاشم الرشيد في قصيدة " بلا عنوان " :

فَهَنَّاكَ يَرْتَحِلُ الظَّلَامُ مُوَلِيًّا وَيَطِلُ فِي وَضَحِ النَّهَارِ نَهَارُ^٢

ويقول الشاعر د. عصام الحسيني في قصيدة " جنود الحق " :

وَالْحَقُّ يَقْرِضُ نَفْسَهُ مُتَمَكِّنًا وَالشَّرُّ يَرْتَعُ فِي رَبَا الْخُسْرَانِ^٣

كما يقول الشاعر المستشار علي شحاتة في قصيدة " أفغانستان " :

لَمَّا أَبَى الْأَفْغَانُ أَحْمَرَ رِجْسِهِمْ لَا تَجْتَمِعُ ظُلُمًاؤُهُمْ وَالنُّورُ^٤

ومن قصيدة " يا جبال الأفغان " للشاعر أحمد محمد الصديق يقول :

وَاجْعَلِي جَنَّةَ الْعَدُوِّ جَحِيمًا يَحْصُدُ الْمَوْتُ دُونَهَا وَالْعَذَابُ^٥

التقابل واقع في التضاد الحاصل أو القائم بين الجنة والجحيم . ولا يخفى الفرق الشاسع بين العيش في الجنة وما تحويه من مسرات وهناء وبين العيش في الجحيم وما تحويه من عذاب وشقاء . ولا يخفى المعنى الكبير الذي دل عليه هذا التقابل والحال المؤلمة التي سيؤول إليها العدو

^١ مجلة الجهاد ، العدد ٨٧ ، ذو القعدة / ذو الحجة ١٤١٢ هـ - مايو / يونيو ١٩٩٢ م ، ص ٤٠ .

^٢ المرجع نفسه

^٣ مجلة الإصلاح ، العدد ٢٣ ، نوفمبر ١٩٨٦ م ، ص ٤٦

^٤ مجلة المجتمع ، العدد ٧٠٠ ، ربيع الآخر ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م ، أنفت بمناسبة أسبوع التضامن مع أفغانستان في ٢٨ / ١١ / ١٩٨٤ م .

جراء ضربات المجاهدين الأبطال إنها ستقلب ربوع أفغانستان الخضراء جحيما يتطلع المعتدين
فالتقابل هذا جاء في صميم المعنى بل هو المعنى المراد ذاته .

إن لفظة الجنة تجعل الذهن ينصرف إلى ما كان العدو يحلم به من عيش هنيء وحياة ناعمة
مرتفة قائمة على استلاب خيرات الشعب الأفغاني ثم تأتي لفظة الجحيم ناسفة تلسك الأحلام
البلورية التي تحطمت على صخرة الجهاد الأفغاني الذي قلب الموازين وجعل المعتدين يترنحون
كمن أصيب بالدوار وهم يحترقون مرارة الحية وفقدان الأمل .

يحقق هذا التقابل مفاجأة حقيقية للقارئ ورسم له صورة حقيقية عن الصراع البطولي
الدائر على ربوع أفغانستان الطاهرة .

وإذا تابعنا قراءة القصيدة فسوف نجد أن عناصر الطبيعة كلها تقاتل إلى جوار المجاهدين
حيث ينقلب فيها كل شيء إلى ضده وذلك عبر شريط من التقابلات الجميلة المعبرة . فشذو
المزار قصف ، وعبير الأزهار سم ، والبراعم ناب
يقول الشاعر :

حَيْثُ شَذَوُ الْمَزَارِ يَصْبِحُ قَصْفًا وَجَنَاحُ الْفَرَّاشِ يَغْدُو شِهَابًا

التقابل حاصل بين التضاد القائم بين الشذو والقصف . ولا يرى كبير فائدة معنوية منه
مع استحالة تحول الشذو إلى قصف . ولكنه رغبة الشاعر في أن تنور الطبيعة بكل ما فيها على
الظلم المحتل . ولو عكسه فجعله بين القصف والشذو لكان التقابل موفقا ومعقلا للمعنى وموحيا
به بشكل واضح . عندها يمكن القول بأن قصف مدافع المجاهدين نحو العدو يشير الفرح والسرور
في نفوسنا نحن أمة الإسلام فيمكن عندها مقابله بشذو المزار الذي هو تعبير عن الفرح
والسرور .

والشذو دليل الهدوء والراحة وهذا يعني أن الشعب الأفغاني لن يهدأ ولن يرتاح حتى
يحرر وطنه من الدخلاء بفعل الجهاد وقصف المدافع بهذا يصبح شذو المزار قصفا على وجه المجاز
. ولن أطيل في استجلاء دلالة هذا التقابل علما بأن هناك استقراءات أخرى له فإن للشعراء فيما
يقولون مذاهب شتى ومرايىء أبعد .

ويقول الشاعر :

وَعَبِيرُ الْأَزْهَارِ سُمًّا زَعَافًا لِلْأَعَادِي .. وَالْبِرَاعِمُ الْغَضُّ نَابًا^١

التقابل وارد في موضعين من هذا البيت :

فالعبر سم - والبراعم ناب .

إذا أمعن النظر في هذين التقابليين أخذتنا الدهشة وهزنا الإعجاب بهما ولم لا ، فإنك واجد فيهما جمالا مدهشا ودلالة واسعة ألا ترى أن عبير الأزهار من الأشياء التي تحبها النفس وتطرب لها الصدور بحيث يقبل عليها الإنسان إقبالا شديدا هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن العبير ينتشر باستمرار ولا أحد يستطيع حبسه . فإذا كان هذا العبير سما فهذا يعني أن العدو يلاقي الموت في كل وقت وفي كل مكان على أرض أفغانستان دون أن يستطيع الهرب منه أو دفعه عنه لأن العبير لا يدفع . من هذا المنطلق تأتي القيمة الكبرى لهذا التقابل والدلالة المعنوية الساحرة له .

أما التقابل الثاني في البيت فقوامه التضاد الحاصل بين الطراوة في البراعم والقساوة في الناب فهو تقابل عقلي أكثر منه لفظي وله دلالة معنوية كبيرة فالبرعم سينهش المعتدي إذا حاول قطفه أو شمه . وبهذا تصبح الأزهار وعبيرها وبراعمها أسلحة فتاكة بالمعتدين ولها حضور فعال في ساحة الجهاد المشرف . ثم إن هذه التقابلات تعكس نفسية الشاعر وما يحيش بها من مشاعر الغضب والحقد تجاه الغزاة الطامعين وما يحس به من حماس واندفاع للقتال^٢ .

ويقول الشاعر :

وَمِيَاهُ الْأَنْهَارِ تَسْرِي حَمِيمًا وَمَذَاقُ الثَّمَارِ وَالشَّهْدُ صَابَا^٣

مياه الأنهار × حميم - مذاق الثمار والشهد × صابا

للتقابل الأول دلالة الخاصة فالماء مادة ضرورية لجسم الإنسان بحيث لا يمكن بل يستحيل أن يستغني عنه . لكن ماء أفغانستان حميم يقتل العدو إذا شربه ويشربه . ثم إن مياه الأنهار المتدفقة ومقابلتها بالحميم المتلطي لها دلالة معنوية أخرى ، إنها تشير إلى تدفق حمم المجاهدين وانصباب قذائفهم على العدو .

^١ مجلة منار الإسلام ، العدد ١١ ، ذو القعدة ١٤١١ ، يونيو ١٩٩٠ م ، ص ٩٨ .

^٢ د. القط ، عبد القادر : الانحاء الوجدانية في الشعر العربي المعاصر ، ص ٤٧٣ .

أما التقابل الثاني فإن دلالة اللفظية بل المعنوية لا تقل قيمة عن دلالة التقابل الأول . إنه يدل على نوع من العيش النكد الذي يعيشه الغزاة الظالمون جراء ضربات المجاهدين في ظهر ذاك العدو المهزوم . فحياتهم مريرة مليئة بالغصة والآلام فيصبح طعم الثمار ومذاق العسل مراً في حلقهم . لا ريب في أن التقابلين قد كشفنا الغطاء عن القدر فظهر ما فيه واضحاً للعيان : جهاد بطولي رائع يجز على المعتدين ويلات قاسية ونكبات مريرة . فإن ما سقناه من تقابلات تصور العالم الداخلي للشاعر بكل ما فيه من أحاسيس فهي تحمل لنا حقد الشاعر على المستعمر من جهة ونشوته وبهجته بجهاد الأفغان ووقوفهم صخرة صلدة تنكسر عليها رؤوس أولئك الغازين الأندال . وبطريقة غير مباشرة امتداد الثورة الأفغانية وتلاحقها على كامل التراب الأفغاني . ونجده فخوراً بالإيمان بالله الذي استنص به أبناء

الشعب الأفغاني شيبا وشبابا للقتال :

أَفْزَعَتْهُمْ (اللهُ أَكْبَرُ) تَذَكِّي فَيْكِ شَيْباً قَدْ آمَنُوا وَ شَبَاباً^١

وقع التقابل في قوله شيبا وشبابا .

ولهذا التقابل دلالة المعنوية العريضة على الرغم من أن التركيب تركيب تقليدي يرد على السنة الشعراء والخطباء بل عامة الناس . غير أن توظيفه في هذا السياق قد أكسبه قيمته الكبيرة وأعطاه بعداً جديداً بل وجهاً جديداً أزال عنه ابتذال الاستعمال الكثير . فينطلق بخيال القاريء خنادق القتال وساحات الجهاد لتأمل الأبطال الأشداء الذين انضروا تحت علم الجهاد الأشم شيبا وشيبا يقاتلون عدواً واحداً . عندها يطرح السؤال نفسه : لا غرابة في أن يقاتل الشباب ولكن ما الذي دفع الشيوخ المسنين إلى القتال على الرغم من متاعبه ومشقاته الكثيرة وقلة عزم الشيوخ . لا ريب إنه " الإيمان بالله " دفع الجميع إلى القتال رافعين راية (الله أكبر) التي تزلزل المعتدين وتملؤهم رعباً .

ألا ترى التوظيف الجديد للتركيب والدلالة لهذا التقابل ١٩ .

وفي نهاية المطاف نجد الشاعر يختم قصيدته بهذا التقابل .

و ثَبَاتاً عَلَى الْهُدَى فَلَكَ الْعُقْبَى وَ لِلْمُعْتَدِينَ أَشَدُّ الْعِقَابُ^٢

وهذه نتيجة حتمية بل جزاء عادلا ينطلق من طبيعة العمل ، فإن العقاب والتعاسة من نصيب الظالمين والنجاة والسعادة من نصيب المظلومين العاملين . وعليه فالتصر والظفر بالنعيم سيكون للشعب الأفغاني المجاهد الثابت على إيمانه . وإن الخسر والاندحار والتقليب في الألم والشقاء للغزاة الملاحدة الفاجرين كل هذه الدلالة يحملها لنا هذا التقابل اللفظي . بالإضافة إلى أنه يؤلف لونا بديعيا أود أن أشير إليه على سبيل الذكرى إنه الجناس الناقص .

وفي قصيدة " أنسى أنسى ؟ " للشاعر محمود مفلح :

النص قصير لا يتجاوز عشرة أبيات ومع هذا فإنه غني ومليء محكم النسيج ، يقوم على طائفة من المفارقات الساخرة والتناقضات القاسية التي تكتنف حياة الناس . لذلك فإن التقابل اللفظي وحده هو القادر على حمل أفكار الشاعر ومعانيه وهو الوسيلة التعبيرية البارزة التي صب فيها الشاعر أحاسيسه . يقول :

إِذَا كَانَتْ جِرَاحُ النَّاسِ تَغْفُو فَإِنْ جِرَاحَنَا أَبَدًا تَفُورُ^١

هذا بيت المطلع في النص وقد حمل إلينا تقابلا لفظيا وضعنا أمام المعاناة القاسية وتناقض بين فئتين من الناس أولاهما ذات جراح غافية باردة وثانيهما جراحها مستيقظة فائرة أبدا . فالتقابل قائم بين لفظي : تنفو - تفور .

وينطوي على الكثير من الدلالات المعنوية . وأهمها أنه لا ينسى وطنه الجريح بل إنه يحمل جراح وطنه في صدره ويضمها إلى جراحه الشخصية في حين أن كثيرا من أبناء الأمة قد لا يحنيهم هذا الأمر أو ليسوا بدوي بال منه فجراحهم غافية هاجعة في نفوسهم . على كل فإنهم تساؤروا في حمل الجراح واختلفوا في طبيعتها . ومن كانت جراحه مستيقظة أبدا فإن إحساسه بالألم مشتعل ولا يطفئه سوى استرجاع الوطن . كل هذه الدلالة وأكثر منها ينقلها إلينا هذا التقابل اللفظي المفاجيء .

ثم يقول الشاعر ساخرا من حياة الأمة وحالها المزري بين الأمم :

تَدُورُ كَمَا يَقُولُ الْقَوْمُ دُورُوا وَإِنْ رَغِبُوا الثَّبَاتَ فَلَا نَدُورُ^٢

يحمل البيت تقابلا لفظيا قائما بين الدوران والثبات وذلك في قوله :

ندور × ولا ندور ويسمى هذا بالتقابل السليبي وهكذا ترى تقابلين بمعنى واحد ، أو ندور × الثبات .

وينطوي تحته دلالات معنوية فالأمة تأتمر بغيرها وتدعن لمشيئته وتحرك بإشارته وتنزل عند رغبته دون أن يكون لها أية قدرة على الحركة الحرة والتصرف المناسب فهي مسلوبة الإرادة ممنوعة من اتخاذ القرار فما أشبهها بالدمية الكهربائية التي تتحرك بفعل خارجي . وليست الأمر يقف عند هذا الحد فالحركة المفروضة تقتصر على الدوران وهذا يعني أن الأمة تراوح مكانها ولا يسمح لها بالمسير لأن من سار سيصل إلى هدفه مهما كان التحرك بطيئا . فالمفارقة القاسية التي يعكسها التقابل قائمة على تنفيذ أوامر الأجنبي دون خيار آخر أو تفكير بما تجره هذه الأوامر من واقع قد يكون مخالفا لمعتقداتنا الدينية وضارا بمصلحتنا ، وإن واقع العالم الإسلامي يشهد بذلك . والتقابل قد عكس مشاعر الشاعر الساخرة من أمتة مغلفة بروح الغضب ورغبة التمرد على واقع مؤلم^١ . إنها سخرية الغيور على أمتة المحب لها المتمني لها كل خير وتقدم . والغاية هي دفع الأمة وتحريضها على المناضلة للوصول إلى ساحات النور والكرامة .

إن هذا التقابل يطلق العنان لخيالنا كي نتصور هذه الأمة التي يديرها الآخرون ليطحن بعضها بعضا . ولن نقف إلا إذا شأؤوا لها الوقوف . ويقول :

وَمَنَا مَنَّا يَرَى فِي الْيَيْشِ خَزَنًا وَمَنَا مِّنْ يُضَايِقُهُ الْحَرِيرُ^٢

الحيش ثياب غليظة خشنة ، والحز ثياب رقيقة ناعمة فالتقابل حاصل بين مدلول اللفظتين : الخشونة والنعومة . وعندما قراءة التقابل أو سماعه يتصور أرتالا من الناس الفقراء الذين تضغط عليهم الحياة بكل ثقلها بل تنزل على رؤوسهم ضربات المطارق . يقتنصوا لقمة العيش من فم الأسد وإذا وجدوا خيشا أو أي لباس من هذا القبيل نعموا به واغبطوا كثيرا فكأنهم يلبسون خزنا ناعما براقا . وصور الشاعر حالة البؤس المدقع لدى هؤلاء القوم مستخدما هذا التقابل موظفا إياه في سياق جميل موح معبر . فلقد جاء به جزء من المعنى العام المقصود ولم يكن تلاعبا بالألفاظ كما يفعل بعضهم . والتقابل يخفي خلفه مشاعر الشاعر من شفقة وحزن وألم وضحكة ساخرة من مفارقات الحياة ، وما أكثرها . ورب قائل يقول إن التقابل هذا يصور قناعة الناس

وليس فقرهم فرد عليه إن هذا المعنى لا ينسجم مع قوله في الشطر الآخر فضلا عن تنافره مع السياق العام للنص القائم على إيراد سلسلة من تناقضات الحياة .

ويؤيد هذا قول الشاعر في البيت الذي يتلوه والذي يحمل تقابلا هو الآخر :

وَيَبْحَثُ بَعْضُنَا عَنْ كَأْسِ مَاءٍ وَتُفَرِّقُ بَعْضُ سَادَتِنَا الْخُمُورُ^١

التقابل بين الماء × الخمر فالماء نهلة الظاميء وقوام الحياة ، والخمر مفسدة العقول وعدو الحياة وديدن العصاة . تأمل مبلغ التضاد الحاصل بين الشينين ومبلغ الدلالة لهذا التقابل اللفظي الفريد . إنه (أعني التقابل) يجلو الحقيقة المرة ويجهنا معها جيها مذهلا قوم يبحثون عن كأس ماء يبلون به حلوقهم فلا يجدون وسادة برمت من الماء وسئمته فهي تشرب الخمر بديلا عنه . فهل في الحياة أقسى من هذا التناقض . الحياة القائمة على مزيج من الإضداد . وهل هناك أبغ من هذا التقابل للتعبير عن مشاعر متداخلة : الشفقة والعطف والتألم في طرف والحقْد والغضب والكره في طرف آخر وهل هناك تحريض على النضال أقوى من هذا التحريض الذي سلك فيه الشاعر مسلكا خفيا بعرضه للصورتين المتناقضتين : صورة الباحثين عن الماء وصورة السادة الغارقين في لهوهم وفسوقهم .

إنه تضال وجهاد الإنسان المسلم المسحوق ووقوفه مع إخوانه المسلمين صفا متراسا في وجه الطغاة من أجل تغيير صورة الواقع ومسح القتام عن وجه الحياة وإبادة الظلم والظالمين وقذفهم في هوة العدم السحيقة . وفي التقابل دلالة أخرى : السادة المترفين لم يقوموا بإعطاء الفقراء حقهم من المال الذي فرضه الله (أعني الزكاة) وإلا فلم يبحث أولئك عن كأس ماء ولقمة عيش .

ويقول الشاعر :

وَأِنْ كَانَتْ هُمُومُهُمْ رَمَادًا فَإِنَّ هُمُومَنَا الصُّغْرَى سَعِيرٌ
وَنَبَقَى فِي الْحَيَاةِ بِلَا لِسَانٍ وَقَدْ نَطَقْتُ بِحَاجَتِهَا الْحَمِيرُ^٢

والتقابل هنا بين الصمت وقد كنى عنه الشاعر بقوله بلا لسان وبين النطق . وهما تقابلان يجلوان الكثير من الدلالات المعنوية ويعبران عن المزيد من أحاسيس الشاعر ومشاعره الملتهبة .

مما يؤكد الحكم على تقابلاته بأنها جاءت في صميم المعنى ولم تكن زينة لفظية وترفاً لغوياً.

والشاعر حسان حتحات في قصيدته " بين يدي الرسول " :

المتبع للون البديعي في قصيدة يقع على أمثلة متعددة سوف نختار أبرزها وأعماقها دلالة ونخصها بالدراسة والتحليل ونكتفي بالإشارة إلى ما تبقى منها.

يقول الشاعر :

كَأْسُ الْحَيَاةِ إِذَا نَظَرْتُ حَلَاوَةً فَإِذَا شَرِبْتُ بِهَا وَجَدْتُ مَرَاراً^١

إذا نظرنا إلى الدلالة المعنوية التي ينطوي عليها التقابل تبدو لنا واضحة عريضة فالخلاوة شيء يحبه الإنسان ويستمرنه بل ينجذب إليه ويريد المزيد منه ، كذلك حال الدنيا تغويه وتستهويه حتى يقبل عليها بكل جوارحه فيغرق بملذاتها ورجائنها فيكون هلاكه في هذا الإقبال فيخرج منها إلى الدار الآخرة خالي اليدين من أي عمل صالح وهذا هو الخسران المبين وهذا ما تعنيه اللفظة الثانية (مرار) ، إذا حاولنا أن نعبر عن هذا المعنى بغير هذا التقابل لكان الأمر عسيراً مما يؤكد نزول هذا التقابل في البيت كنزول اللبنة في الجدار . وقد عرض لنا هذا التقابل خلاصة تجربة إنسانية صادقة مستمدة من تاريخ طويل وحياة مديدة خلفها الشاعر وراءه . كما نقل إلينا طبائع النفس البشرية النزاعة نحو الرغائب الميالة إلى الإنغماس في الملذات وحب الدنيا إلا طائفة من الناس الصالحين الذين يجاهدون نفوسهم ويكسرون هواها .

ونلمح فيه مزيجاً من مشاعر مختلفة لعل أبرزها مقت الدنيا وكرهها والعزوف عنها والتعلق بما هو أسمى . إنه أي التقابل ضوء كشاف أضاء العالم الداخلي للإنسان وبينه على حقيقته ووضح وهمه وزيف ركضه في دروب الحياة الخادعة^٢ .

ويقول الشاعر :

وَالطَّبُّ مِنْ لُبِّ الْعِبَادَةِ مَسَاغِدًا أَصْحَابُهُ النَّسَّاكُ لَا التَّجَارِ
نَاسُوا بِهِ جُرْحًا وَتَرَقَّأَ مَدْمَعًا وَنَرَدَّ لَيْلَ الْبَاسِ نَهَاراً^٣

^١ شعراء الدعوة الإسلامية ، ج ١٠ ، ص ٢٦

^٢ عواد محمد حسن ، في الأفق المتهب ، ص ١٨١

التقابل الحاصل بين الليل والنهار .

يصور الشاعر التقابل وينطوي عليه من دلالة ، الفرق الكبير بين العبادة الصادقة والعبادة المزيفة المتأتية عن مصلحة دنيوية . بين العبادة الحقّة والتطبيق الصحيح لأحكام الدين بحيث يندفع نور العدالة ماحيا ظلمات الجور والإستبداد . وما الأول إلا النهار وما الثاني إلا الليل الأليل . كما يشير التقابل إلى أنه ليس من يؤس في العالم إلا في غياب التطبيق الصحيح للعبادة أو تحويلها عن الفهم السليم لها وفي هذا ما فيه من ظلم وبؤس وتحكم وأدواء اجتماعية شتى لا طب لها إلا طب العبادة الحقّة ، ويعتبر هذا التقابل مطية للتعبير عن العديد من المشاعر العاطفية كالشفقة والعطف على البائسين والتحمس للدين والإنصار له .

فهو يعتبر بحق صيحة مخلصّة بأولئك الغفلة الغافلين الذين لبس عليهم ليل المعاصي مسالك الحياة السليمة السعيدة ، فقد آن أن يفتحوا عيونهم لنور الله نور الهدى ويسيروا في الاتجاه الصحيح :

زَمَنَ الْقَوَى وَعَالَمٌ لَا يَسْتَحِي أَنْ يَسْتَبِيحَ دَمَ الضَّعِيفِ جِهَارًا

تأمل السياق العام للبيت نجد أنه لا مفر للشاعر من توظيف هذا التقابل ليتأتى له هذا السياق ولتيم له المعنى . وهذا يدل على إحكام هذا التقابل وجعله القطب الذي تدور حوله الرحى ، أو المشجب الذي علق عليه بالمعنى بكامله . وإذا حضرت في أذهاننا بل اجتمعت صورة العالم جميعه القائم على سيطرة وهيمنة القوي على الضعيف الذي نزع منه الحياء بل نزعته منه المثل الإنسانية فساده قانون الذناب (من لم يكن ذنبا كان طعاما للذناب) .

صورة قائمة بها كل ألوان الشر السوداء ضحايا متناثرة وأشلاء ممزقة ودم هريق وأنات متصاعدة واستغاثات متلاحقة ولا مغيث ، هذا هو اليوم والمدينة والحضارة الزائفة وبذلك الإيجاز الرائع والتقابل المثير استطعنا تمثيل تلك الصورة وإدراك أبعادها .

فأين نحن من هذا العالم الظالم منزوع الحياء وما الوسائل التي تضمن لنا بقاءنا وتصون كرامتنا وسط هذا الخضم المائج ، ألسنا ضعفاء ألسنا هدفا لقوى الشر والعدوان .

والإجابة تكمن في الإثارة التي ينطوي عليها التقابل هي واحدة من دلالاته . أما الحديث عن المشاعر التي يثيرها هذا التقابل في نفوسنا فهو حديث ذي شجون ألا نحس بالكره والحقد على الظلم والظالمين . ألا نشعر بالشفقة والعطف على الضعفاء المسحوقين . ألا نتحسس الخطر يقترب منا يوم بعد يوم ، ألا نأسى لحالنا ونشعر بالندم على التفريط والتقصير ، ألا نشعر بالحاجة

إلى التحصن وراء سياج الدين الحصين المنيع ، ألا نرى الضرورة الملحة بالأخذ بأسباب القوة ولعل الجهاد وهو السبب الأقوى والأخص لجعلنا أقوياء نرد جانحة الظلم الشرسة عن أنفسنا وأوطاننا .

في قصيدة " دمعة على شهيد " للشاعر خالد بن سليمان القوسي :

ما كُلُّ مَنْ رَكِبَ الْبَيَانَ يَسُوسُهُ عَجَمَتْ قَوَائِمُهُمْ وَأَنْتَ الْمُعَرَّبُ^١

إننا أمام تقابل يعقب بدلالة هي على جانب كبير من الجلال والروعة فاليمين والشمال هما يدا الجاهد وقد جعلهما الشاعر تعملان معا فألقى التضاد بينهما لفظا .

وينطلق خيالنا لرسم صورة هذا المقاتل المندفع ذي القلب المتوثب القرآن بيمينه والسلاح بشماله ، علما أن اليد اليمنى أشد فعالية وأكثر توازنا من اليد اليسرى والسلاح يحتاجها أكثر من حاجته لأختها . غير أن الأمر ليس كذلك ، فالقرآن أشد الأسلحة فتكا بالعدو وأكثرها إلقاء للرعب في قلبه ، والأعداء ما زالوا يحاولون تدمير هذا السلاح وتنحيته عن حياة المسلمين لذلك جعله الجاهد في يمينه لأنه الأقوى والأمضى والأخوف .

أما في قصيدة " إلى أين يا قومي " للشاعر د. عبد الرحمن العشماوي :

تقديم النص من النصوص السياسية الأثرة فهو بحق تقرير شامل عن حال الأمة الإسلامية اليوم ومزاقف الذل والضعف التي تكتنف -حياتها نتيجة بعدها عن دينها والتحاقها بسياسات غريبة أز شرقية بغیضة والشاعر لا يقف منتقدا ومشروعا فحسب بل إنه يرسم الطريق الصحيح للأمة الإسلامية ويهيب بها أن تسلكه لتصل إلى ساحة المجد المنشود والنفس جدير بالدراسة والتحليل فهو غني ومليء بالتقابل اللغوي ودلالته معبرة تكمل المعنى وتردفه بما هو جميل طريف من المعاني ، يقول الشاعر :

خَجَلْتُ -وَرَبَّ الْبَيْتِ مِنْ حَالِ أَوْطَانِي فَلَا الْحَرْبُ أَرْضَتْنِي وَلَا السَّلَامُ أَرْضَانِي^٢

التقابل قائم بين الحرب والسلام . وهو تقابل تقليدي ولكنه يعتبر تعبيرا جديدا في هذا المقام بسبب توظيفه في سياق جديد مؤثر . فإن لفظة الحرب هذه تذكرنا بما دار أو يدور في ربوع أوطاننا من حروب أغلبها لا تتجه إلى غايات نبيلة بل تنبعث من سياسات ضيقة فتأخذ شكل النزاعات بين الأخوة ولها من يدير رحاها من الأمم الأخرى بقصد ضرب الخصم بالخصم

واستهلاك قدرات الأمة وطاقتها على يد أبنائها الذين تلهو بهم تيارات مختلفة ويشق صفهم نزاعات مختلفة . كما تذكرنا بالحروب الخاسرة مع العدو اليهودي في فلسطين الحروب التي لم نعد لها الإعداد الكافي أو لم نكن نخلص فيها النية لوجه الله تعالى فكانت نتيجتها الخسران المبين والذل المهين .

كل هذه المعاني والدلالات تحملها لفظة الحرب في هذا التقابل . أما لفظة السلم فهي الأخرى تشير إلى حال مزرية وواقع مخجل تعيشه الأمة الإسلامية فهي حتى في وقت السلم لا تنعم بحريتها وكرامتها وتبني حضارتها وتسمو بنجدها بل إنها ذيل يحره الآخرون . بل إنها تغط في نوم عميق وتنشغل باهتمامات صغيرة تافهة لا ينبغي أن تشغل بها عن الإهتمام الأكبر ألا وهو امتلاك السيادة على النفس والقدرة على التصرف بحرية والجرأة على اتخاذ القرار وبناء صرح الحضارة الشامخ . وهما أي الحرب والسلم يشكلان قاسما مشتركا يلتقيان في نقطة واضحة مع ما بينهما من تقاطع حاد ، ألا وهي ترم الإنسان المسلم وعدم رضاه عن حال الأمة الإسلامية في الحرب والسلم .

رأيت دلالة أعمق وأبلغ من هذا التقابل ضمن السياق وهل أدركت مدى التحامه بحيث أنه حمل المعنى وجمل المبنى وأصبح من العسير الاستغناء عنه .
ويقول :

رَصَاصٌ ، وَلَكِنْ فِي صُدُورِ أَحِبَّةٍ وَعَزَمٌ ، وَلَكِنْ فِي مُوَالَاةِ عُدُوَانٍ

التقابل في قوله : أحبة وعدوان . وهو أيضا من التقابلات التقليدية التي تنطق بها العمة . ولكن السياق الجميل جلا عنه غبار التقليد وصدأ الاستعمال فجاء جديدا جميلا ، يلبس حلة قشبية موشاة . ولكن ما الدلالة التي ينطوي عليها ؟

إن كلمة أحبة تشير إلى تلك الجموع العريضة من أبناء الأمة الإسلامية التي فرقها الأحقاد وعصفت بها النزاعات فقبعت ضمن حدودها الإقليمية المصطنعة تجتر الأحقاد وتستذكر الخصومات ويكيل بعضها لبعض ضربات قاسية مؤلمة في القول والفعل فهل بقي حب وتراحم بعد يربط أعضاء هذا الجسد الممزق بعضه ببعض أو يلم شتات الشمل المبعثر ؟ لقد أصبح الإخوة أعداء ، وأصبح الأعداء أحبة ، ألا ترى إلى هذا التبدل العجيب في الواقع . لم تفقد أمتنا عزيمتها وقوتها إنما فقدت حسن تصرفها فيه فصرفتاهما إلى موالاة العدوان ومعاداة الأخوان . فكف من عدو يترصد بنا شرا وغد له يد الحب والولاء والإخلاص فأبي حال عجيب مريب هذا ؟ وأية أمة

غافلة سادرة في متاهات ومزالق خطيرة تسير إليها وهي معصوبة العينين معطلة الوعي . لقد عرض هذا التقابل حقيقة مريرة يجب أن تعيها كل نفس مسلمة واعية وحمل الشاعر بين جنبيه كتلة من المشاعر الملتهبة المتحرقة لعل الشعور بالألم والغصة أداها .

أما حاجة المعنى إليه فهي ملحة بحيث يسقط المعنى بكامله بسقوطه .

ويقول الشاعر :

فَكَمْ ظَالِمٌ يَمْشِي إِلَى كُلِّ رَغْبَةٍ وَكَمْ مِنْ بَرِيءٍ جَائِمٍ خَلْفَ قُضْبَانٍ^١

إذا كان التقابل يهدف إلى أن العدالة غائبة بين البشر ومفقودة من أنظمتهم الوضعية التي استنوها لأنفسهم ، فإنه ينطوي على دلالة كبيرة وخطيرة بغیضة مروعة . قوامها الإشارة إلى نوع من الاستبداد والطغيان الذي يمارسه الحكام تجاه أقوامهم . فالتركيب (ظالم يمشي) يصرف أذهاننا إلى تصور الحاكم الطاغية الباغية الذي ينال كل رغبة ويفعل ما تملیه عليه أهواؤه مهما كانت النتائج . وفي الطرف الآخر للصورة نرى كثيرا من الأبرياء جائمين خلف قضبان السجون دوغما ذنب ارتكبه ولا يوجد من يخلصهم من عذابهم ويطلقهم من سجنهم ، أليس في هذا مفارقة قاسية وتناقض رهيب يلف حياة الأمة . ففي هذا التقابل دلالة واضحة على خور الأمة وجبنها إزاء استبداد الحاكم وطغيانه ، وفيه مشاعر جياشة اختلط فيها الألم بالغضب الثائر .

ويقول الشاعر :

مَضُوءًا ، وَظِلَامُ الشَّرْكِ فِي كُلِّ بَقْعَةٍ يَبْثُونَ نُورَ اللَّهِ فِي كُلِّ وُجْدَانٍ^٢

التقابل -حاصل في قوله : ظلام الشرك و نور الله . نزهو بها ونفتخر على مر العصور وتوالي الدهور . فالتركيب الأول يعود بنا القهقري عبر مئات السنين إلى ما قبل البعثة لنبينا الهادي الأعظم محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ويعيد إلى ذاكرتنا صورة العالم يومئذ . عالم الشرك والوثنية والجهل والظلم والبطش وتحكم القوي بالضعيف وغياب العدل وموت الرحمة . ظلام دامس يلف العالم أجمع وهياكل بشرية تتحرك تحته مدفوعة بغرائزها محكومة بشهواتها أسيرة لهواها . أما التركيب الثاني فإنه يذكرنا بالصفوة الممتازة من الرعيل الأول من المؤمنين الذين تمثلوا نور الله واستوعبته جوارحهم وحملوه في صدورهم يبلغونه للعالم وينشرونه في مشارق الأرض ومغاربها . فاندحر الظلام وصفت الحياة وارتقت النفوس على أيديهم بمشيئة الله والهدف

الكبير بل الدلالة العظيمة لهذا التقابل هو اتخاذ الأولين قدوة للآخرين وترسم خطاهم فيما كل ما فعلوه أو قالوه . ولا يخفى ما لهذا التقابل من أثر في بث أحاسيس الفجر والاعتزاز بالماضي في نفس المسلم في هذا العصر عله يستيقظ من غفلته .

د : الموسيقى الخارجية :

نظم شعراء الجهاد الأفغاني أشعارهم على مختلف البحور الشعرية كالخفيف والرمل والطويل والبسيط والكامل والمتقارب ، فضلا عن المجزوءات كما استعانوا بالرخص والضرورات الشعرية المباحة ، من علل وزحافات وقطع همزة الوصل ووصل همزة القطع ومنع المصروف وصرف الممنوع من الصرف ، إلى غير ذلك من الرخص .

تراوح القصائد بين الطوال والقصار :

١ - القصائد الطوال مثال :

قصيدة الغزو الأحمر ، للشاعر المجهول والتي تحتوي عل (٦٧) بيتا
قصيدة موكب الشهداء ، للشاعر أحمد سالم باعطب والتي تحتوي على (٦١) بيتا
القصائد القصار مثال :

قصيدة جريح من هرات ، للشاعر محي الدين عطية والتي تحتوي على (٩) أبيات
قصيدة بدون عنوان ، للشاعر أبو مروان والتي تحتوي على (٤) أبيات

٢ - أنواع القوافي :

ومن مراقبتنا لقوافي شعراء الجهاد الأفغاني يمكننا القول باطمئنان كبير إنهم كانوا يعتنون ببناء قوافيهم عناية من يدرك أنها ركيزة أساسية من ركائز موسيقى الشعر . وقد جاءت قوافيهم على ثلاثة أنواع :

النوع الأول : قواف مقيدة ترد في شعرهم على النحو التالي :

(أ) قافية مجردة ساكنة الروي ، لم يلتزموا فيها غير حرف الروي ، مثل : قصيدة " حب البندقية " للشاعر أبو الحسن :

سَمَرَاءُ أَحَبَّتْهَا حُبًّا إِلَى الْأَبَدِ	فَلَفَظُهَا بَعْدَ عَوْنِ اللَّهِ مُعْتَمِدِي
سَمَرَاءُ قَامَتْهَا أَهْيَافُ ضَاوِيَةٍ	وَالثَّغَرُ مُبْتَسِمٌ وَالْقَلْبُ فِي كَمَدٍ

وأیضا قول أحد الشعراء في قصيدة " هولاکو الجديد " :

جَلَّالَاتُهُمْ أَمْ فَخَرَامَتُهُمْ تُنَادِي وَهِيَرَاتُ يَجْتَاحُهَا
تُنَادِي وَكَأَبُولُ تَسْتَشْهَدُ هُوَلَاكُورُ وَإِعْصَارُهُ الْأُنْكَدُ^١

وأيضا قول الشاعر الحضرمي في قصيدة " اليتيمة والجرح " :

تُتَوَحَّيْنِ لَكِنْ دُونَكَ الْكُلُّ يَصْدَحُ وَأَطْفَالُهُمْ ... مَا أَجْمَلُ الْطِفْلُ بِاسِمًا^٢
تُتَوَحَّيْنِ لَكِنْ دُونَكَ الْكُلُّ يَصْدَحُ وَأَطْفَالُهُمْ ... مَا أَجْمَلُ الْطِفْلُ بِاسِمًا^٢

ويقول الشاعر عمر الراكشي في قصيدة " تحية إلى أفغانستان " :

لَيْسَ طَعْمُ حَيَاةٍ مِثْلُهَا الْعَدَمُ فَلَيْسَ مَنْ عَاشَ مَنْ عَلَا وَمَنْ طَعَمُوا
مَنْ يَحْمَدُ الْعَيْشَ ذِلًّا إِنَّهُ جَيْفُ حَتَّى لَوْ نَفَخْتَ أَضْلَاعُهُ النَّسَمُ^٣

ويقول الشاعر محمد عبد الله الخليدي في قصيدة " جهاد الأفغان " :

أَشْهَدِي الْكَوْنَ سَمَائِي وَاهْتَفِي أَنْتَ سَيْفُ الْحَقِّ لَمْ يَنْعُطِفِ
فِي رَبِيِّ الْأَفْغَانِ قَامَتْ رَايَةٌ تَهْزِمُ اللَّيْلَ بِنُورِ الْمُصْحَفِ^٤

(ب) قافية مردفة يلتزم فيها شعراء الجهاد الأفغاني حرفي الردف والروي مثل قصيدة " من

وحي ثورة الأفغان"^٥ للشاعر أحمد المانع :

يَا عَيْنُ فَلْتَبْكِي بِالْدَمِ الْهَتَّانِ مِمَّا أَنَاخَ بِدَوْلَةِ الْأَفْغَانِ
فَالنَّفْسُ تَجْزَعُ مِنْ أَلِيمِ مُصَابِهَا وَالْقَلْبُ يُمْطِرُ وَأَبْلَ الْأَحْزَانِ^٦

^١ من ديوان : أحرام ، ١٤٠٥ هـ ، ص ٣٧-٣٨

^٢ مجلة البيان المرفوض ، العدد ١١ ، يناير ١٩٨٧ م ، ص ١١ .

^٣ مجلة الوعي الإسلامي ، العدد ٢٣٨ ، يوليو ١٩٨٩ م ، ص ٨٢

^٤ مجلة الإصلاح ، العدد ٣١ ، فبراير ١٩٨٦ م ، ص ٤٤

^٥ المرحع ثائق ، العدد ٨٣ ، ربيع الآخر ١٤٠٥ هـ - ديسمبر ١٩٨٤ م ، ص ٤٣

^٦ المرجع نفسه

ويقول الشاعر حسان محمد في قصيدة " بشراك أفغان " :

أَفْغَانُ نَصْرُكَ لَا مَحَالَ مَأْمُولُ وَلَا مَحَالَ عَدُوُّ اللَّهِ مَخْذُولُ
لَطَائِمًا يُدَنِّسُ الْحَوَى وَطَرًا وَلَا تَوَانِي الَّذِي يَهْدِيهِ تَنْزِيلُ^١

ويقول الشاعر سعد العوفي في قصيدة " من بطولات مجاهدي أفغانستان " :

بِأَنْشِيرِ يَا حِصْنَ الْبُطُ ————— بُولَةَ ، وَالْبَسَالَةَ ، وَالْفِدَاءَ !!
يَا مَعْقِلًا قَدْ أَجْفَلْتُ مِنْهُ دُرُوعَ الْأَقْوِيَاءِ !!^٢

ويقول الشاعر عبد الرحمن العشماوي في قصيدة " يا رافعا علم الجهاد :

مَنْ أَيْ نَبْعٍ أَسْتَقِي أَنْغَامِي وَبِأَيِّ قَافِيَةٍ أَصُوغُ كَلَامِي ؟
كُلُّ الْقَصَائِدِ فِي فَمِي مَحْبُوسَةٌ مُحْتَاجَةٌ مِنِّي إِلَى إِقْدَامِ^٣

ويقول الشاعر عبد الله بن سليم الرشيد في قصيدة " بلاعنوان " :

يَا أُمَّ قَدْ أَنْخَسْتَ بِجَرَاحِهَا لَيْلُ الْأَسَى وَصُرُوحُهَا تَنْهَارُ
قَدْ عَشْتُ دَهْرًا فِي سَرَادِيبِ الزُّنَى وَعَلَا بَيْتِكَ مَذَلَّةٌ وَصِغَارُ^٤

ويقول الشاعر عصام الحسيني في قصيدة " جنود الحق " :

حَيُّوا جُنُودَ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ حَيُّوا صَنَادِيدًا مِنَ الْأَفْغَانِ
اللَّهُ أَكْبَرُ قَوْلُهُمْ وَفِعَالُهُمْ هُمْ سَجَّلُوا الْآيَاتِ فِي الْمِيدَانِ^٥

ويقول الشاعر علي شحاتة محمد في قصيدة " أفغانستان " :

^١ مجلة الإصلاح ، العدد ١٠٦ ، نوفمبر ١٩٨٦م ، ص ٣٠

^٢ من ديوان ملاحم الشرف ، ص ١٨٦- ١٨٩ .

^٣ مجلة الأمة الإسلامية ، العدد ٥٣ ، جماد الأول ١٤٠٥ هـ ، ص ٤٥ .

خَلَّيْ قَنَاكَ قَدْ بَدَا الْمَسْتَوْرُ وَتَسَاقَطَتْ عَنْكَ الْعَدَاةُ قُشُورُ
حَتَامَ تَمْوِيهِ وَزَيْفُ مَظَاهِرِ إِنَّ التَّخَفِّيَ بِالْحَقِيقَةِ زُورُ^١

ويقول الشاعر محمد ضياء الدين الصابوني في قصيدة " الحرب دائرة الرحي " :

ذَاكَ (كَارْمِيلُ) الْجَبَانُ الْعَادِي وَفُؤَادُهُ الْمَمْلُوءُ بِالْأَحْقَادِ
يَرْضَى الْحَقِيرُ بِأَنْ يَكُونَ عَمِلُهُمْ تَبَالُهُ مِنْ خَائِنٍ مُنْقَادِ^٢

ويقول الشاعر محمد فوزي مصطفى في قصيدة " إلى ثوار أفغانستان " :

اللَّهُ أَكْبَرُ قَدْ أَطْلَ نَهَارُ وَالْمَوْتُ فِي كَنَفِ الْإِلَهِ فَخَارُ
وَالثَّوْرَةُ الْإِسْلَامُ شَبَّ أَوَارِهَا جُنْدُ الرُّسُولِ وَجَبَّذَا الْأَبْرَارُ^٣

ويقول الشاعر محمد مأمون نجم في قصيدة " رسالة من عربي إلى المجاهدين الأفغان " :

مَهْمَا طَغَتْ بِدَرَوِيكُمْ أخطَارُ لَكُمْ الْحَيَاةُ وَلِلطَّغَاةِ الْعَارُ
تَتَنَافَسُونَ إِلَى الْعُلَا بِجَهَادِكُمْ وَإِلَى الْعُلَا يَتَنَافَسُ الْأَنْحِيَارُ^٤

(ج) قافية مؤسسة التزم فيها شعراء الجهاد الأفغاني ألف التأسيس التي لا يفصلها عن السروي سوى حرف متحرك .

مثال ذلك قول الشاعر سعد سعيد العوفي الحربي في قصيدة " استقبالات جورج شولتز " :

أَتَاكُمْ فَحَيُّوا بِهِ فِي الدِّيَارِ وَهَشُّوا لَهُ إِنَّهُ الْقَاتِلُ
وَضُمُّوا فَخَامَتِهِ بِاشْسِيَاقِي وَقُولُوا لَهُ عِشْتَ يَا عَادِلُ^٥

^١ مجلة المجمع الكويتية ، العدد ٧٠٠ ، ربيع الآخر ١٤١٥ هـ - يناير ١٩٩٤ م ، ص ٢٣ .

^٢ مجلة الجهاد ، العدد ١٧ ، مارس ١٩٨٦ م ، ص ١١ .

^٣ مجلة الأمة الإسلامية ، العدد ٦ ، جمادى الآخرة ١٤٠١ هـ ، ص ٢٨ .

ويقول الشاعر محمد النهاري في قصيدة " إلى سيف " :

سَيَّافُ قَالُوا بِاللِّسَانِ نُقَاتِلُ نَعْدُو إِلَى الْهَيْبَاتِ ثُمَّ نَجَادِلُ
وَعَلَى مَوَائِدِهِمْ نَحْطُ رِحَالَنَا نَمْسِي وَنُصْبِحُ بِالْكَلامِ نُنْسَازِلُ^١

النوع الثاني :

قواف مطلقّة لا بد أن تكون موصولة بحرف الوصل ، وقد جاء هذا النوع من القوافي في

شعر شعراء الجهاد الأفغاني على النحو التالي :

(أ) قافية مجردة تخلو من الردف والتأيسس ، ولكنها موصولة بـ (لين أو بهاء . أما الموصولة بـ (لين فمنها قصيدة " أفغانستان " للشاعر إسماعيل أبو العزائم :

مَلَاكَ الشُّعْرَ أَيْنَ ذَهَبَتْ عَنِّي نَأْتِفَنَّا لَتِ الْأَشْجَانُ مِنِّي
وَكُنْتَ إِذَا الْمَشَاعِرُ ثَانِرَاتٌ تُشَارِكُنِي الشُّعُورَ وَلَمْ تَدْعِنِي^٢

ويقول الشاعر عدنان النحوي في قصيدة " يا أرض كابل " :

أَنَا الْغَرِيبُ .. فَأَيُّ الْأَرْضِ تَحْمِلُنِي إِلَى غَرِيبٍ أَوْ أَسِيٍّ جُرْحَهُ بِدَمِي
مَدَدْتُ فِي جَوْلَةِ الْإِيمَانِ سَاحَتَهُ وَفِي مَيَادِينِهِ أَطْلَقْتُ كُلَّ كَمِي
وَعُدْتُ أَدْفَعُ فِي دُنْيَا اللَّجْرِ خُطَى وَأَزْرَعُ الْأَفْقَ مِنْ كُوخِي وَمِنْ خِيَمِي^٣

(ب) قافية مردفة موصولة بـ (لين أو بهاء ، والردف هو (أحد حروف العلة ، يسبق الروي دون

حاجز بينهما)^٤ وأما الوصل فهو (الحرف الذي يلي الروي المتحرك ، سمي بذلك لأنه وصل حركة الروي : أي أشبعها ، وقد اتفق علماء القوافي على أربعة أحرف ترد وصلا بدون منازع ، وهي الألف ، والنواز الساكنة المضموم ما قبلها والياء الساكنة المكسور ما قبلها ، والهاء)^٥ ، وقد

^١ مجلة المجتمع الكويتية ، العدد ٦٢٧ ، ٢٨ يونيو ١٩٨٣ م ، ص ١٠ .

^٢ مجلة الأمة الإسلامية ، العدد ٢٤ ، ص ٢٦ .

^٣ من ملحمة الجهاد الأفغاني ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .

^٤ د . نصار حسين : القافية في العروض والأدب ، ص ٦٦ .

^٥ مجلة ...

يظهر حرف الوصل في النطق والكتابة معاً على نحو ما نرى في
ألف الوصل في قافية قصيدة " يا جبال الأفغان " للشاعر أحمد محمد الصديق :

يَا جِبَالَ الْأَفْغَانِ قَدْ حَزَّتِ السَّحَابُ وَ تَسَامَيْتِ لِلنُّجُومِ اقْتِرَابَا

أَنْتِ مِنْهَا .. وَ نَحْنُ مِنْكَ .. كِلَانَا رَحِمُ الدِّينِ شَرَفْتَنَا انْتِسَابَا^١

وفي قول الشاعر سعد العوفي في قصيدة " هلاك طاغية " :

بريجينيف السوء هل ذُقتَ الحمأما ؟ كَيْفَ صرْتَ الْيَوْمَ ؟ لَا شَيْءَ تَمَامَا !!
مَا الَّذِي أَرَدَاكَ يَا لَيْثَ الْحَمَى مَنْ تَرَاهُ أَتَخَنَ الْقَلْبَ سِهَامَا ؟!^٢

ويقول الشاعر عائض بن عبد الله القرني في قصيدة " أفغاني يتكلم " :

أَنَا صَمَّمْتُ فِي الْحَيَاةِ اخْتِيَارًا أَنْ أَكُونَ الْمُجَاهِدَ الْمَغْوَارَا
بِدَمِي أَكْتُبُ الشَّهَادَةَ عَقْدًا فِي جِبَالِ الْأَفْغَانِ تَبْقَى شِعَارَا^٣

ويقول الشاعر عبد المنعم الهاشمي في قصيدة ' إلى جنود الثورة الأفغانية ' :

حَيَّا الْمُهِمَّنْ جُنْدًا صَانِ الْأَفْغَانَا مِنَ الشُّيُوعِيَّةِ الْحَمَقَى وَمَنْ خَانَا
حَيَّاكُمْ لِلَّهِ جُنْدَ اللَّهِ ، لَا تَهِنُوا إِذْ تَسْتَمِدُّونَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ سُلْطَانَا^٤

ويقول الشاعر عبد المنعم الهاشمي في قصيدة " أعينوا مسلمي الأفغان " :

أَيُّهَا الْأَمْنُونَ الْيَوْمَ فِي بَلَدٍ لَا بَغْيَ فِيهِ وَفِيهِ الْعَيْشُ قَدْ لَانَا
إِنْفَاقُكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مُنْقَذُكُمْ إِذْ تُنْقِذُونَ بِذِي الْإِنْفَاقِ أَفْغَانَا^٥

^١ مجلة الأمان ، ٢٥ يناير ١٩٨٠م ، ص ٣٥ ، مجلة الأمة الإسلامية ، العدد ١٣ ، مارس ١٩٨٧م ، ص ٦٢

^٢ من ديوان ملاحم البشرف ، ص ١٥١-١٥٥

^٣ من ديوان لحس الخلود ، ١٤٠٧ هـ ، ص ١٧

^٤ مجلة المجتمع الكويتية ، العدد ٤٥٧ ، ذو الحجة ١٣٩٩هـ - مارس ١٩٧٩م ، ص ٤٥

ويقول الشاعر محمد بن عائض القرني في قصيدة " أين الأخوة ":

لله ما فعلت في أرض أفغان يد الأراجيس من سفك الدّم القاني
دكّوا المساجد هُدّوا كلّ منذنة وأزهقوا كلّ من صلّى بإيمان^١

ويقول الشاعر محمد عبد القادر القادني في قصيدة " يا أمة الإسلام ":

يا أمة الإسلام جرحك غائر وأرى بنيك تبغثروا في البید
كأبول لئست وحدها مغلولة بل كلّ عاصمة لنا وصعيد^٢

^١ مجلّة الدعوة السعودية « العدد » ٧٧٣ « مارس » ١٩٨٥ م ، ص ٧٢ ، مجلة الأمة الإسلامية ، ج ٦ ، العدد ٧١ ، ذو القعدة ١٤٠٦ هـ ، ص